من عيون تراثنا الإسلامي

روضة الصفا

في سيرة الأنبياء والملوك والخلفا

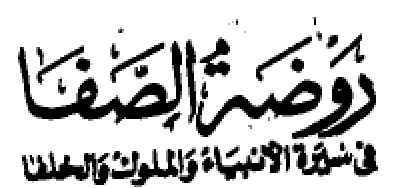
تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية والملاحدة

تأليف
محمد بن خاوندشاه المعروف بخواندمير
المتوفى ٩٠٣ هـ

ترجمه عن الفارسية وعلق عليه وقدم له
د. أحمد عبد القادر الشاذلي
كلية الآداب - جامعة المنوفية

راجعه وقدم له الدكتور
السباعي محمد السباعي

الدار المصرية للكتاب
للنشر والتوزيع


روضة الصفا
في سيرة الأنبياء والملوك والخلفا

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

من عيون تراثنا الإسلامى

روضة الصفا

فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفا

تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والإسماعيلية والملاحدة

تأليف
محمد بن خاوندشاه المعروف بخواندمير
المتوفى ٩٠٣ هـ

راجعه وقدم له الدكتور
السباعى محمد السباعى

ترجمه عن الفارسية وعلق عليه وقدم له
د. أحمد عبد القادر الشاذلى
كلية الآداب - جامعة المنوفية

الدار المصرية للكتاب
للنشر والتوزيع

اهـــداء

إلى ابـنى محمــد

إلى ابنتى هند ونهال

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين .

عزيزى القارئ الكريم

أشرُف اليوم بأن أقدم لك هذا الكتاب لتلميذى وصديقى وزميلى الدكتور أحمد الشاذلى المدرس بكلية الآداب جامعة المنوفية ؛ كثمرة من ثمار انشاء أقسام اللغات الشرقية فى الجامعات المصرية .

كانت المبررات عديدة والدوافع كثيرة لانشاء أقسام اللغات الشرقية ، بعد أن كانت الحاجة ماسة لإدخال هذه اللغات ضمن مناهج الدراسة فى أقسام عديدة بكليات الآداب مثل قسم اللغة العربية وقسم التاريخ وقسم الآثار وقسم المكتبات ، وقسم اللغة العربية بكليات التربية ، فلم يكن بالإمكان اغفال هذه اللغات وتلك الدراسات اذا أردنا التعليم الجامعى الذى يقتضى النظرة الشاملة ، والتخصص فى الجزئيات التى تؤدى إلى وضوح الرؤية وتحقيق الهدف .

لذا برزت الحاجة إلى انشاء هذه الأقسام ، ولدراسة تلك اللغات و بيان روافد حضارتنا الاسلامية ودراسة تراثنا الاسلامى التليد ، لذا وجدنا الرواد فى هذا الحقل ينوعون اهتماماتهم بمناحى التراث المختلفة ، فرأينا أستاذنا المغفور له الدكتور عبدالوهاب عزام يهتم بتراث الفرس والترك والباكستان وحضارتهم ادبا ولغة وتاريخا وتصوفا كما تشهد بذلك مؤلفاته العديدة .

ثم جاء أستاذنا الدكتور يحيى الخشاب ونهج نفس النهج فكتب جزءاً فى تراث فارس إضافة إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب الشامل الذى ألفه جماعة من المستشرقين وترجمة عدد من أساتذتنا الكبار، كما ترجم كتاب (إيران فى عهد الساسانين) عن الفرنسية ليوضح جانبا مهما من تاريخ ايران القديم ثم ترجم وقدم لتاريخ بيهقى ، وهو جزء متبق من سفر كبير .

وكذلك فعل المغفور له الدكتور ابراهيم أمين الشواربى حين كتب بحثاً مفصلا عن المؤرخين الفرس واسهاماتهم .

وجاء من بعدهم أستاذنا الدكتور احمد السعيد سليمان فاهتم بتاريخ الترك ومعتقداتهم فى الأناضول ، ثم كتب العديد من الكتب عن تاريخ الترك فى آسيا الوسطى عن بارتولد والتيارات العربية فى تركيا المعاصرة ، وأضاف وترجم تاريخ الدول الاسلامية لخليل أدهم عن التركية .

وقد وجه أستاذنا الدكتور أحمد محمود الساداتى همه لدراسة تاريخ المسلمين فى فارس والباكستان والهند كما تشهد بذلك مؤلفاته فى هذا المضمار .

وكذا قام الأستاذ الدكتور عبدالنعيم حسانين فى تاريخه عن السلاجقة والدكتور الصياد فى اهتمامه بتاريخ المغول ومؤرخهم رشيد الدين فضل الله ثم الدكتور السعيد جمال الدين باهتمامه بموضوع الاسماعيلية وترجمتها كما وردت عند عطا ملك جوينى .

وقام كاتب هذه السطور بدراسة كتاب جهانگشا وترجمة المجلد الأول منه ، وكذا قام الدكتور بديع جمعة وأحمد الخولى والسعيد عبدالمؤمن بدراساتهم المستفيضة عن تاريخ الصفويين وحضارتهم .

كل هذا لأن النهضة القومية الايرانية قد بدأت منذ العصر السامانى بنقل ما كتب بالعربية فى المجال التاريخى والتفسير فترجم تاريخ الطبرى وخرجت الترجمة جامعة أكبر من متنها الأصلى .

ثم بدأ التأليف التاريخى باللغة الفارسية حتى اليوم ، ولأن ايران وتركيا والباكستان ..ل اسلامية فى المقام الأول فالاهتمام بها و بتاريخها وبمساهمتها ودراسة التاريخ الاسلامى منذ مبعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يتم بمعزل عن هذا ، واهتم كل عصر بتاريخه ، فظهر العديد من المؤرخين فى كل عصر يكتبون تاريخه بين مؤيد ومعارض حتى وصلنا إلى العصر التيمورى فوجدنا فى العهد التيمورى العديد من المؤلفات التاريخية التى يمكن تقسيمها إلى قسمين الأول : مؤرخو البلاط الذين عاشوا فى البلاط التيمورى فى هراة مثل نظام الدين الشامى (٨٠٧ هـ ــ ١٤٠٤ م) وشرف الدين على يزدى (٨٢٨ هـ ــ ١٤٢٤ م) كتبا كل منهما كتاباً باسم ظفرنامه ، وقد اعتمدا على مصادر فارسية لم تصل إلى أيدينا ، وهذه ميزة حسنة لهما . أما الجانب السيىء فى هذا المجال فهو تعصبهما لتيمور ومن والاه ، إلا أن الشامى أقل فى هذا الميدان ، ومع هذا فالكتابان يحتويان على معلومات قيمة عن تاريخ ايران منذ نهاية القرن الرابع عشر ، و بداية القرن الخامس عشر الميلاديين ، كمال الحق بكتاب شرف الدين يزدى مقدمة تحتوى على تاريخ ايران وآسيا الوسطى من عصر جنگيز حتى تيمور (هذه المقدمة فى بعض مخطوطات الكتاب فقط) .

كما كان حافظ آبرو أكبر وأشهر مؤرخى العصر التيمورى و بخاصة عهد السلطان شاهرخ بن تيمور ، ومن بين كتبه كتاب زبدة التواريخ فى أربعة مجلدات ، وكتاب مفصل عن جغرافية ايران .

وكذلك مؤلفات عبد الرزاق السمرقندى الذى كتب لحافظ آبرو وكتاب مطلع السعدين ومجمع البحرين فى مجلدين ، وكذلك فصيح خوافى من مؤرخى هذا القسم والذى كتب مجمل فصيحى عام ٨٤٦ هـ ــ ١٤٤٢ م وأهداه للسلطان شاهرخ .

ومن بين مؤرخى هذا القسم كذلك والذين نالوا شهرة كبيرة محمد بن خاوند شاه الملقب بميرخوند اى ميرخواند (٨٣٧ ــ ٩٠٤ هـ ١٤٣٣ ــ ١٤٩٨ م) ومؤلفه فى التاريخ العام و يعرف باسم « روضة الصفا » فى سبعة مجلدات بمقدمة وخاتمة ، و يتناول المجلد السابع شرحاً للأحداث حتى ١٥٢١ م وقد اتم حفيده خوندمير هذا المجلد الأخير ، وميزة كتاب ميرخواند تتجلى فى المجلد السادس والسابع الذى يشرح أحداث النصف الثانى من القرن الخامس عشر الذى عاصر أحداثه ، اما المجلدات السابقة فهى مأخوذة عن مؤلفات للآخرين كتبت بالعربية والفارسية .

وقد نالت المجلدات الأولى و بخاصة الرابع والخامس اهتمام المحققين والباحثين ، واتفقوا جميعا على أن أسلوب الكتاب رغم ما به من مبالغة فى استخدام المحسنات البديعية والتصنع والتكلف إلا أن دقة المعلومات وغزارة المعارف التى وردت به تجعله جديرا

بالتحقيق والدراسة ولائقا بالاعتماد عليه بالاضافة إلى ما ورد عند حافظ آبرو وعند عبد الرزاق السمرقندى .

طبع هذا الكتاب عدة مرات طباعة حجرية فى المشرق الاسلامى سواء متنه الأصلى الفارسى أو ترجمته التركية ولكن هذه الطبعات لم تكن منقحة مصححة .

أما فى أوربا فقد طبعت أجزاء من هذا الكتاب بمتنه الأصلى الفارسى ولكن مما يؤسف له ان هذه الطبعات كانت تتناول المجلدات الأولى من هذا الكتاب .

ومنذ القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام يتزايد لهذا الكتاب و بطبعه فى أوربا ولكن الاهتمام تناول الأجزاء الخامس والسادس والسابع منه فظهرت طبعات جيدة ومنقحة لهذا الكتاب وأغفلت الأجزاء الأربعة الأولى .

ولذا يحاول اليوم صديقى الدكتور أحمد الشاذلى أن يخرج للعربية ترجمة للمجلد الرابع وليته استطاع الحصول على نسخ مختلفة لهذا المجلد حتى يقارن بينها و ينشرها ولكنه لم يستطع لعدم وجود نسخة مختلفة لهذا المجلد ، وآمل ان يتمكن من ذلك قريبا حتى تعم الفائدة . ومع هذا فإن ما يقدمه اليوم للمكتبة العربية جهد يشكر عليه ، وتثرى به الدراسات الشرقية .

ومن الله التوفيق

الدكتور / السباعى محمد السباعى

الهرم فى ٧ / ٢ / ١٩٨٨

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، محمد بن عبدالله وعلى آله ومن اتبعه من المؤمنين ... و بعد .

هذا الكتاب ثمرة من ثمرات حضارتنا الإسلامية الباسقة ، وزهرة من زهور روضتنا الزاهرة ، ونقطة من بحار تراثنا الزاخر ، حاولت ترجمتها من لغتها الفارسية إلى اللغة العربية ، مقرونة بدراسة مقارنة للنص ، حاولت من خلالها ابراز مواطن التلاقى والاختلاف بين المؤرخين سواء الفرس أم العرب و بالأحرى المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم بالعربية أو الفارسية .

وقد قدمت لهذه الترجمة بمقدمة تضمنت النقاط التالية :

اولا : تاريخ المسلمين وحضارتهم .... واللغات الإسلامية .

ثانيا : دراسة وصفية للكتاب .

ثالثا : محتويات روضة الصفا .

رابعا : فن الترجمة .... ومنهجى فى ترجمة الروضة .

اولا : تاريخ المسلمين وحضارتهم ... واللغات الاسلامية

لايزال تاريخ المسلمين وحضارتهم فى المشرق الاسلامى فى حاجة إلى إعادة رصد وتسجيل حركته وتطوره من عصر إلى عصر حتى عصرنا الحالى ، ولايتأتى هذا إلا بالإلمام بلغة المسلمين فى المشرق الاسلامى ، ولا يجوز لنا أن نسجل تاريخ الهند وايران وتركيا وافغانستان من مصادر عربية وكفى ، ولكن لابد من معرفة تاريخ هذه الشعوب وحضارتها من لغتهم التى يتحدثون بها ، و يكتبون بها تاريخهم ، ومن مصادرهم التى خطوا بها حضارتهم .

وهذا الكتاب الذى أقدمه كتاب مهم ، ألف فى فترة من فترات ازدهار كتابة التاريخ فى المشرق الاسلامى ، مكونا حلقة من سلسلة لامعة لأمهات كتب التاريخ العام الذى كتب باللغة الفارسية ، وهذا الكتاب هو « روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء » ، وقد سبقتنى محاولات عديدة فى هذا المجال كتبها أساتذة لى ، فسدوا كثيراً من أوجه النقص فى المكتبة العربية ، وكتاباتهم يمكن أن نطلق على معظمها أنها كتابات فى التاريخ الخاص أو تاريخ الاسرات والمناطق ومن بينها كتاب أستاذنا الدكتور/ أحمد محمود الساداتى الذى غطى جانبا هاما من جوانب تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهند و باكستانية وحضارتهم ، وقدم أيضا ترجمة لتاريخ بخارى لفامبرى ، ومن قبله أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عرام فى مقدمته القيمة للشاهنامه ، وكتب الدكتور الشواربى مقالا عن المؤرخين الفرس ، وقدم أستاذنا الدكتور يحيى الخشاب لترجمة كتاب تراث فارس كما قدم وشارك فى ترجمة تاريخ بيهقى فى تاريخ الدولة الغزنوية ، كما نقل إلى العربية عن الفارسية أجزاء من كتاب جامع التواريخ وشارك فيها الدكتور فؤاد والصياد وصادق نشأت والدكتور القصاص والدكتور يحيى الخشاب والدكتور السباعى محمد السباعى والدكتور السعيد جمال الدين والدكتور أحمد الخولى ، وقدم الدكتور عبدالنعيم حسنين دراسة عن السلاجقة .

وهذه الكتب جميعها تمتاز بميزة كبيرة وهى ان القائمين بها على علم تام باللغة الفارسية أو الأردية أو التركية . .

و بالاضافة إلى ما سبق اذكر ماقام بها استاذنا الدكتور أحمد السعيد سليمان فى ترجمة كتاب تاريخ الترك فى آسيا الوسطى وله أيضا تاريخ الدول الاسلامية ، وقد خرجت الترجمة صافية شاملة كما ظهرت كتب عن الدول العثمانية كتبها باحثون متخصصون فى اللغة والدراسات التركية فخرجت الكتب دقيقة مضبوطة الاعلام .

وهناك الكثير من الأعمال التى قام بها أساتذة اللغات الشرقية سواء بالترجمة أو التأليف والتى خرجت على مستوى علمى صحيح ودقيق .

كما ظهرت فى العربية كتب أخرى ذات قيمة علمية إلا أنه شابها بعض الهنات لعدم معرفة اللغات الشرقية ، لغة أبناء هذه المناطق ، فجاءت الأسماء والأعلام خاطئة أو محرفة وعلى سبيل المثال لا الحصر . . فهم يكتبون لفظ المغول (الماغول) .

وأجد أحدهم وهو يؤرخ للمسلمين فى الهند يكتب اسم السلطان المغولى بابُر (بابور أوبر) وصوابه بابر بضم بائه الثانية وهو اسم لأحد النمور .

وهذه قائمة من الأخطاء مع بيان صوابها :

ــ الكوجرات / الجوجرات	وصوابها الگُجرات اقليم هندى
ــ اللغة الأوردية	وصوابها اللغة الأردية لأن اردو بمعنى معسكر اللفظ الذى تنتسب اليه اللغة
ــ بوشمخ وثنيسر وسروستى وسمنه وهنسى	وصوابها بوشنگ وتانيسر وسرُستى وسامانه وهانسى (اسماء مدن)
ــ الراجيوت	وصوابها الراجبوت : قبائل هندية
ــ جاولار	وصوابها گواليرــ قلعة هندية
ــ الكهكرية	وصوابها كهوكهران وهم قبائل تسكن الهند
ــ دلهى	وصوابها دهلى حاضرة الهند الاسلامية
ــ جاوليار	صوابها گواليار اقليم هندى
ــ ملاوى	صوابها مالوه اقليم هندى
ــ آجان	صوابها أجين مدينة هندية
ــ قبائل المواتى	صوابها قبائل الميوا تيين قبائل هندية
ــ لكهاونتى	صوابها لكهنوتى مدينة ببهار
ــ باراني	صوابها بارنى مؤلف هندى
ــ رانتمبهور ورانثمبور	صوابها رنتهنبور قلعة حصينة
ــ غين	صوابها جهاين مدينه
ــ برهاما	صوابها براهما
ــ شيستور	صوابها چتور قلعة حصينة
ــ رامادیفا	صوابها رام ديو اسم ملكة
ــ ديفا كيرى	صوابها ديواگير

ـ « اندلعت ثورة فى ديفا كيرى قادها ياك لاخى » وصوابها اندلعت ثورة فى ديواگير قادها (يك لكه) قواد عشر آلاف

ـ ديو بالبور	صوابها ديبالبور مدينة
ـ بهادور	وصوابها بهادر

وفى سنة ١٣٤٧ هـ انتهز ضابط افغانى يسمى حسن جانجو الفرصة ليكون دولة مستقلة عاصمتها كلبركه فى جنوب غرب الهند وتسمى دولة حيدر آباد وكل هذه العبارة خاطئة فهو حسن كانكو فى گلبرگه وهذه الدولة لم يكن اسمها حيدر آباد بل البهمنية ..

ـ ريجابور	وصوابها بيجابور احدى ولايات الجنوب الهندى
ـ واستقر فى احمد ناجار	وصوابها احمد نگر
ـ واتجه الى شاندرى	وصوابها چنديرى
ـ تلنجانا واسيرجره	وصوابها تلنگانه واسيرگره
ـ واخترق جيش المغول سالد	وصوابها صلدى
ـ كتلغ خواجى	وصوابها قتلق خواجه
ـ ينتمى تيمورلنك الى فرع كركن	وصوابها ينتمى تيمورلنگ الى فرع گورگان
ـ غيان و يوغان	وصوابها جهاين و يوجين (اسماء مدن)
ـ ارنجال	وصوابها اورنگل
ـ محمد شاه شانجى اللاعب على الشانج	وصوابها محمد شاه چنگى اللاعب على الچنگ أو الصنج
ـ بلبان	وصوابها بلبن سلطان مملوكى
ـ خان الخانات	وصوابها خان خانان اى امير الأمراء

ـ جاء فى النشيد الوطنى للهند : باسمك تعمر قلوب الناس فى البنجاب والسند وفى جوجارات ومارتا .. وصوابها گجرات وميرته

ـ جبال كركورم	صوابها قره قورم
ـ جبال هندوكوش	صوابها هندكش
ـ وللسند أربعة روافد وهى ستلج	ورافى وشيناب .. وراوى وچيناب
ـ نهر نر بادا	صوابه نهر نربده
ـ تاج محل فى اجرا	صوابه اگره

ــ جماعة الساكا	صوابه السگ
ــ اورنجباد	صوابه اورنگـآباد
ــ كانوج	صوابه قنوج
ــ دلهى	صوابه دهلى
ــ الطمش صوابه التمش	
ــ محمد بن طغلاق	صوابه تغلق
ــ باهمانى	صوابه پهمنى
ــ فيجاياناجار	صوابه فيجا يانگر
ــ هو مايون	صوابه همايون
ــ الأميره دورجافاتى	صوابه دورگاواتى
ــ تشيتور	صوابه چتور
ــ بيرار	صوابه برار
ــ احمد نجار	صوابه احمد نگر
ــ جها نجير	صوابه جها نگير
ــ سوارت	صوابها سورته
ــ الأمير خوارم بن السلطان جهانكير	وصوابه خُرم بن جها نگير
ــ اورانجز يت	وصوابه اورنگ ز يب
ــ دارا شيكوه	وصوابه دارا شكوه
ــ ولايه اودايور	وصوابه اودهيور
ــ بها دورشاه	وصوابه بهادرشاه
ــ ناناك	وصوابه نانگ

وأخطاء هؤلاء المؤرخين ترجع لسببين وهما :

اما جهل هؤلاء المؤرخين باللغات الشرقية (الفارسية والتركية والأردية) وهى لغات الشعوب فى المشرق الاسلامى والتى كُتب بها تار يخ وحضارة هذه الشعوب .

واما انهم يقومون بالنقل عن الكتب التى ترجمها وكتبها المستشرقون فينقلون الاسماء عن الانجليز ية والفرنسية وغيرها رسما فقط .

ولهذا وجب على من يتصدى لدراسة تار يخ المسلمين وحضارتهم الكف عن النقل عن الأور بيين ومعرفة اللغات الشرقية معرفة تامة ، والاعتماد على النصوص التاريخية والحضار ية للشعوب الاسلامية .

ثانيا : دراسة وصفية لروضة الصفا

روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفا تأليف محمد بن خاوندشاه‌بن محمود المعروف بميرخواند المتوفى ٩٠٣ هـ من المؤلفات الهامة مؤلف تاريخى ظهر فى عهد التيمور يين ، و يقع فى سبعة مجلدات ، وقد ألفه للأمير عليْشير نوائى .

والكتاب يوجد منه عدة نسخ خطية :

١ ــ نسخة ببمبى طبعة حجرية بمطبعة حيدرى بتاريخ السبت الثامن عشر من ذى الحجة سنة ١٢٧١ هـ على يد ميرزا محمد ابن ميرزا عبدالله الشهير بشهيد الشيرازى ، أولها : « ز يب فهرست نسخه مفاخرت انبياى عالى مكان وز ينت ديباجه مجموعه مآثر سلاطين كردون توان شكر منعميست .... » الخ وهى برقم ١٥ تاريخ فارسى بدار الكتب المصرية وهى بحالة جيدة ، (ملاحق ١ ــ ٢ ــ ٣ ــ ٤) وهى النسخة الوحيدة الكاملة .

٢ ــ نسخة أخرى بنفس المواصفات السابقة ولكنها ممزقة وبها أرضة برقم ٣٥ تاريخ فارسى بدار الكتب المصرية وهى نفس الطبعة الحجرية .

و بدار الكتب نسخ أخرى بالمواصفات التالية وجميعها ناقصة وهى :

٣ ــ نسخة أولها « ز يب فهرست نسخه مفاخر انبياى عاليمگان ... » الخ وهى نسخة مخطوطة من المجلد الأول منه مجدولة ومحلاة بالذهب بقلم تعليق بخط على قلى تمت كتابته فى ٢١ شعبان سنة ١٠٦٩ هـ فى ٣٥٧ ورقة مسطرتها ١٩ سطرا فى ٣٠×٢١سم (ملاحق ٥ ــ ٦ ــ ٧) .

٤ ــ ونسخة ناقصة من الأول والآخر وأول الموجود منها :

تركان شتافته بعد از وقوع محاربه باكثر سراداران عجم ... الخ

٥ ــ وأخرى منه الجزء الثانى بقلم عادى بدون تاريخ فى ٢٣ ورقة مسطرتها مختلفة .

٦ ــ وأخرى منه القسم الخاص بملوك العجم أوله « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله أجمعين اما بعد هذه النسخة منقولة من كتاب التاريخ من تأليفات محمد بن خاوندشاه بن محمود غفر الله تعالى له « ذكر سلطنت گيومرث .... الخ »

٧ ــ نسخة مخطوطة بقلم فارسى بخط محمد حسن بن محمد باقر التاجر الكاشانى تمت كتابته فى اصفهان يوم الخميس ١٫٢ ربيع الثانى سنه ١٢٧٠ هـ فى ٢١٣ ورقة مسطرتها ١٤ سطرا فى ٢١٫٥×١٥ سم بأخرها فهرس

٨ــ نسخة مخطوطة مجدولة ومحلاة بالذهب والألوان بقلم تعليق ضمن مجموعة من ورقة ١٠٠ ــ ١٠٢ مسطرتها ١١ سطرا فى ٢٣×١٢,٥ سم .

٩ــ نسخة اخرى اولها «عنوان صحيفهٔ مرادات وفهرست مجموعهٔ سعادات مبنى از حكايات ناقدان سير عظها ... الخ » . (ملاحق ٨ ــ ٩ ــ ١٠)

١٠ــ مخطوطة فى مجلد بقلم نسخ معتاد بخط ابن محمد حسين على تقى الكاتب الكازرونى تمت كتابته فى ٢١ رجب سنه ١٢٣٠هـ فى ٤٨٠ ورقة مسطرتها ٢٦ سطرا فى ٣٠×٢٠سم .

١١ــ نسخة من المجلد الخامس يشتمل على تاريخ تركستان وملوكها وملوك ديار المشرق اولها « آرايش ديباجهٔ مناقب ومآثر سلاطين رفيع مقدار ... الخ » .

١٢ ــ مخطوطة فى مجلد بأولها حلية ملونة مجدولة ومحلاة بالألوان بقلم فارسى جميل تمت كتابته فى رمضان المبارك ١٠٦٢ هـ فى ٢٩١ ورقة مسطرتها ١٩ سطرا فى ٢٩×٢١ سم .

وهى مخطوطة فى مجلد واحد أولها «آرايش ديباچه مناقب ومآثر سلاطين رفيع مقدار ونمايش روزنامجه خصايص ومفاخر كرد ... بقلم فارسى تمت كتابته ١٠٦٢هـ (ملاحق ١١ ــ ١٢ ــ ١٣)

١٣ ــ نسخة أخرى ناقصة من الأول وأول الموجود «زيب فهرست نسخة مفاخر انبيا .... الخ » .

١٤ ــ مخطوطة فى مجلد بقلم نسخ عادى بخط محمد بن بايزيد الجهرمى تمت كتابته سنه ٩٧٤هـ فى ٢٠٨ ورقة مسطرتها ٢٩ سطرا بها تقطيع وأكل ارضه .

والنسخ السابقة جميعا بدار الكتب المصرية ولايوجد منها نسختان من المجلد الرابع الذى قمت بترجمته أما ماهوبمكتبة جامعة القاهرة فهى :

١٥ ــ نسخة من المجلد الأول والثانى فقط ، والمجلد الأول ناقص من أوله والثانى ناقص من آخره وأول المجلد الأول « من بندهٔ كمينه در اشراق آفتاب ... الخ و يقع المجلد الأول فى ٦٨٨ صفحة والثانى فى ٤٦٦ صفحة .

١٦ ــ نسخة من المجلد السادس فقط و يقع فى ٢٦٣ صفحة .

والمخطوط سواء العربى أو الفارسى له ملامح ظاهرة و بارزة يجب الوقوف عليها واحصائها بجانب معرفة المادة العلمية ، وقيمة الملامح الظاهرة تتركز فى اثبات الكتاب لصاحبه ومدى ماجرى عليه من تحريف أوتصحيف أواغلاط متعمدة أوغير متعمدة ولهذا وجب الوقوف على تلك الملامح الظاهرة .

ا ــ صفحــة العنوان

جاءت صفحة العنوان فى روضة الصفا على النحو التالى :

صفحة خاصة يعلوها شكل زخرفى مكتوب فى داخله « هو الله تعالى شانه العزيز» وفى وسط الصفحة وداخل شكل زخرفى متصل بالسابق على شكل هندسى مكتوب داخله « كتاب تاريخ روضة الصفا من تأليفات محمد خاوند شاه مشتمل برهفت جلد وتمامى دريك جلد مجلد ومنتظم كرديده » وجاء اسفل الصفحة شكل زخرفى يتناسب مع ماهو أعلى الصفحة جاء فيه « چاب بمبى فى سنة ١٢٧١ هجرية » ويحيط بهذه الاشكال فراغ ابيض يتصل بشكل زخرفى فى حواشى الورقة من أوراق الشجر.

ب ــ الاستهلال ــ بداية الكتاب

علت صفحة الاستهلال شكل زخرفى هندسى مليء بأوراق الشجر، واسفل هذا الشكل الذى ملأ الثلث الأعلى للصفحة جاء فيه « جلد أول از كتاب تاريخ روضة الصفا » ثم تلاه فى نفس الموضع من الصفحة وأسفل ماجاء بعاليه « بسم الله الرحمن الرحيم » وكلاهما بخط فارسى .

واستهل المؤلف كتابه بالحمد لله والاستعانة به والصلاة والسلام على رسوله وآله ثم ذكر اسم الكتاب واسم صاحبه الذى ألف من اجله وهو عليشير نوائى .

جـ ــ عناوين الفصول ــ العناوين الفرعية

جاءت عناوين الفصول بخط اكبر عن خط الكتاب سواء المطبوع أو المخطوط وفى نفس سياق الكتاب ، فلم يميزها سوى حجمها ، وفى بعض الأحيان كان الناسخ أو المؤلف ينسى حجم العنوان فيجعله مثل خط الكتاب ، ولم يتبع الناسخ طريقة من كانوا يكتبون العناوين بخط أحمر إلا فى نسختين من نسخ المخطوط ، ولم يكتب العناوين فى الجانب كما كان يفعل بعض النساخ أو المؤلفين .

ومن الملاحظ أن الكاتب كان يكتب عناوين المجلدات فقط فى صفحة مستقلة وعليها نفس الرسوم والأشكال كما هو فى صفحة العنوان ، وعليها سنة الطبع ومكانه .

د ــ الهوامــش

كان المؤلف أو الناسخ عادة يترك مساحة بيضاء بجانب المخطوط وكان يزين عادة الصفحات الأولى من المجلدات ويملأ هذه الهوامش بالزخارف .

هـ ــ مسطرة الكتــاب

جاءت سطور المخطوط تبعا للتوصيف السابق عرضه ، أما بالنسبة للمنسوخ فقد جاءت عدد سطور الصفحة الواحدة خمسة وثلاثين سطرا .

و ــ علامات الترقيم

لم يستخدم الكاتب علامات ترقيم باستثناء النقطة وقد ذكر جروهمان أن العرب قد استعاروا النقطة باشكالها المختلفة من المخطوطات البهلوية .

ومن الملاحظ ان الكاتب كان يكتب كلمة بيت أومصراع أوشعر قبل ذكر هذه الانماط وكان يضع ثلاثة نقاط فوق بعضها بين شطرى البيت الواحد .

ز ــ التصويبات والاضافات

كان الكاتب اذا اخطأ وتنبه فى حينه ضرب عليه أى شطبه وكتب الصواب بعده أوفوقه ، كما أنه اذا نسى شيئا كان يضعه فوقه مباشرة .

ح ــ ترقيم الأوراق والصفحات

لم تكن الأوراق تخضع لأى نوع من الترقيم فى المخطوط وكتابة الكلمة الأولى من كل ورقة فى ذيل الورقة التى تسبقها تحت آخر كلمة من السطر الأخير فيها الا اننا فى هذا الكتاب نجد الكاتب قد اعاد كتابة الكلمة الأخيرة فى أول الصفحة التالية .

ط ــ نهاية الكتــاب

جاء فى آخر الكتاب اسم الكتاب وانه كتاب تاريخ روضة الصفا مع خاتمة وانه تم بأمر عمده الأعاظم والأعيان آقا محمد صادق صاحب شيرازى بيد ميرزا محمد بن ميرزا عبدالله الشهير بالشهيد الشيرازى فى مطبعة حيدرى ببمبى بتاريخ السبت ١٨ ذى الحجة من شهر المحرم سنة ١٢٧١ هـ ثم تلا هذه الصفحة قصيدة للشاعر ميرزا محمد محسن الشيرازى المتخلص بتائب .

ى ــ احجــام أوراق الكتاب

سبق عرض أحجام أوراق المخطوطات .

هذه هى الدراسة الوصفية للكتاب مشتملة على نسخ الكتاب المخطوطة ومواصفاتها والملامح الظاهرية لهذا الكتاب القيم .

ثالثا : محتويات روضة الصفا

يقع الكتاب فى سبعة مجلدات ضخمة وضعت فى مجلد واحد وأضيفت خاتمة فى نهاية المجلدات السبعة ، وهذه المجلدات تضمن الوقائع التالية :

المجلد الأول ويحتوى على :

ذكر احوال بداية الخليقة وأحوال بنى الجان وآدم عليه السلام .

ــ أحوال إدريس
ــ أحوال هاروت وماروت
ــ أحوال نوح
ــ أحوال يافث بن نوح
ــ أحوال هود وقوم عاد
ــ أحوال صالح وقوم ثمود
ــ قصة ذى القرنين وصفة ياجوج وماجوج
ــ أحوال ابراهيم خليل الله
ــ أحوال لوط وقومه
ــ أحوال اسماعيل
ــ أحوال يعقوب
ــ أحوال يوسف
ــ أحوال ايوب
ــ أحوال شعيب
ــ أحوال موسى
ــ أحوال الياس وحزقيل
ــ أحوال اليسع،
ــ أحوال طالوت
ــ أحوال داود
ــ أحوال سليمان
ــ أحوال لقمان الحكيم
ــ أحوال يونس بن متى
ــ أحوال بخت نصر
ــ أحوال العزيز

ـ أحوال زكريا ويحيى
ـ أحوال عيسى
ـ أحوال اصحاب الكهف
ـ أحوال كيومرث
ـ أحوال هوشنك
ـ أحوال طهمورث
ـ أحوال جمشيد
ـ أحوال الضحاك
ـ أحوال فريدون
ـ أحوال منوچهر
ـ أحوال نوذر
ـ أحوال زاب بن طهماسب
ـ أحوال كيقباد
ـ أحوال كى كاوس
ـ أحوال كيخسرو
ـ أحوال كشتاسپ
ـ أحوال رستم واسفنديار
ـ أحوال پهمن
ـ أحوال الاسكندر الرومى
ـ أحوال الحكماء
ـ تعريف العلم والحكمة
ـ سلطنة الساسانيين

المجلد الثاني : ويحتوى على :

ـ أحوال عبد المطلب
ـ ظهور نبى آخر الزمان
ـ أحوال هاشم بن عبدمناف
ـ أحوال قريش
ـ أحوال خاتم الأنبياء
ـ خلافة أبى بكر
ـ خلافة عمـــر

ـ خلافة عثمان

ـ خلافة على

ـ استشهاد على

المجلد الثالث : ويحتوى على :

ـ خلافة الحسن بن على

ـ خلافة الحسين

ـ خلافة محمد بن على بن الحسن

ـ أحوال جعفر بن محمد

ـ أحوال موسى بن جعفر

ـ أحوال على بن موسى الرضا

ـ أحوال الحسن العسكرى والقائم

ـ أحوال معاو ية بن ابى سفيان

ـ وفاة ز ياد بن ابيه وولاية عهد يز يد

ـ أحوال يز يد

ـ أحوال مسلم بن عقيل

ـ خلافة بنى أمية

ـ أحوال المختار الثقفى

ـ أحوال عبدالملك بن مروان

ـ أحوال الحجاج بن يوسف الثقفى

ـ أحوال الوليد بن عبدالملك

ـ أحوال سليمان بن عبدالملك

ـ أحوال عمر بن عبدالعز يز

ـ أحوال هشام بن عبدالملك

ـ الدعوة العباسية

ـ بداية ظهور العباسيين

ـ خلفاء العباسيين

المجلد الرابع : ويحتوى على :

ـ ذكر الملوك الطاهرية وهم : طاهر بن الحسين وطلحة بن طاهر وعبد الله بن طاهر وطاهر بن عبدالله ومحمد بن طاهر.

ـــ سلاطين ألصفارية وهم : يعقوب وعمرو وطاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار وخلف بن احمد .

ـــ ذكر ملوك السامانية وهم : اسماعيل بن أحمد السامانى وأحمد بن اسماعيل ونصر بن أحمد ونوح بن نصر وعبدالملك بن نوح ومنصور بن نوح ونوح بن منصور ومنصور بن نوح وعبدالملك بن نوح .

ـــ أحوال شمس المعالى قابوس بن وشمگير ومنوچهر بن شمس المعالى قابوس ، وداراء ابن شمس المعالى قابوس .

ـــ ذكر ملوك الغزنوية وهم : سبكتگين واسماعيل ومحمود الغزنوى ونصر بن ناصر الدين ومحمد بن محمود ومسعود بن محمود ومودود بن مسعود وعبدالرشيد وفرخزاد بن مسعود وابراهيم بن مسعود وارسلان بن مسعود وبهرا مشاه بن مسعود وخسرو شاه بن بهرا مشاه وخسرو ملك بن خسرو شاه .

ـــ ذكر حكومة الديالمة وهم : عماد الدولة على بن بويه وركن الدولة ومعز الدولة وعضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة وشرف الدولة وصمصام الدولة وبهاء الدولة طغرل ومجد الدولة وسلطان الدولة وأبوعلى شرف الدولة وحكومة أبى كالنجار بن سلطان الدولة وجلال الدولة وقوام الدولة وخسرو بن فيروز أبى كالنجار وابو منصور فولادستون وابو على كيخسرو بن عز الملوك .

ـــ ذكر الاسماعيلية فى المغرب ومصر وهم : المهدى والقائم والمنصور والمعز لدين الله والعزيز بالله والحاكم بالله والظاهر لدين الله والمستنصر بالله والمستعلى بالله والآمر باحكام الله والحافظ لدين الله والظافر بالله والفايز بنصر الله والعاضد لدين الله .

ـــ ذكر احوال الحسن بن الصباح وحكومة كيا بزرگ اميد ومحمد بن كيا بزرگ اميد وحسن بن محمد بن بزرگ اميد المعروف بعلى ذكره السلام .

ـــ ذكر الملاحدة ممن ينتسبون إلى « على ذكره السلام » ومحمد بن حسن بن محمد بن كيا بزرگ اميد وجلال الدين حسن بن محمد بن حسن المشهور « بنو مسلمان » وعلاء الدين محمد بن جلال الدين حسن وركن الدين خورشاه .

ـــ ذكر طبقة السلاجقة

ـــ ذكر الخوا رزمشاهية

ـــ ذكر القراختاى

ـــ ذكر الا تابكة

ـــ ذكر الخلج
ـــ ذكر النيمروز
ـــ ذكر الكرت
ـــ ذكر المغول

المجلد الخامس : ويحتوى على :

ـــ ذكر خانات التركستان
ـــ أحوال خانات المغول
ـــ أحوال جنكيز خان
ـــ أحوال أولاد جنكيز خان
ـــ أحوال ملوك وامراء جنكيز خان
ـــ أحوال ملك اشرف بن الأمير چوبان
ـــ أحوال السلطان او يس ايلگانى
ـــ أحوال السلطان حسين ايلگانى
ـــ أحوال السلطان أحمد
ـــ خروج السربدارية

المجلد السادس : ويحتوى على :

ـــ أحوال ملوك المغول
ـــ أحوال تيمور گورگان
ـــ أحوال شاهرخ بن تيمور
ـــ أحوال اولاد شاهرخ
ـــ أحوال مرزا أبى القاسم بابر گورگان
ـــ أحوال السلطان سعيد گورگان وأولاده

المجلد السابع : ويحتوى على :

ـــ ذكر السلطان حسين بايقرا
ـــ ذكر بديع الزمان ميرزا
ـــ ذكر أحوال امراء السلطان حسين بايقرا
ـــ ذكر أحوال نقباء السلطان حسين بايقرا
ـــ ذكر أحوال علماء السلطان حسين بايقرا
ـــ ذكر أهل الكمال

ـ ذكر أحوال محمد خان شيبانى
ـ ذكر أولاد حسين بايقرا

الخاتمـــة : وتحتوى على :

ـ عجائب أرض الروم
ـ ذكر البحار السبعة
ـ ذكر أبى على سينا
ـ ذكر الأقاليم السبعة
ـ ذكر أحوال الختا
ـ ذكر ولاية بيجا نگر
ـ ذكر بناء هرات
ـ ذكر هرات وابنيتها
ـ قصيدة تاريخ كتاب روضة الصفا « لآقاميرزا محمد محسن الشيرازى »

هذه هى محتويات روضة الصفا والمجلدات الستة تنسب لميرخواند أما المجلد السابع فقد ورد أن مؤلفه هو غياث الدين خواندمير حفيد ميرخواند لابنته ، وقد دون فيه خواند مير الحوادث التى تلت وفاة السلطان حسين بايقرا المتوفى ٩١٢هـ وذكر فيه ايضا علماء وامراء ونقباء ورجال عصر حسين بايقرا واضاف ايضا اولاد وأحفاد حسين بايقرا ومن المعروف ان مؤلف روضة الصفا قد مات سنة ٩٠٣هـ ولهذا فالاحداث التى وردت بعد ذلك فى المجلد السابع تنسب لخواندمير، كما انه ينسب اليه ايضا انه قد اختصر هذا المؤلف فى كتابه له اسماه « خلاصة الاخبار» كما أن لخواندمير هذا كتب قيمة فى التاريخ أهمها « حبيب السير فى أخبار أفراد البشر» يسير على نمط روضة الصفا وهو تاريخ عام مشهور وسجل فيه الحوادث منذ ابتداء تاريخ البشر حتى وفاة السلطان اسماعيل الصفوي أى سنة ٩٣٠هـ وهو كتاب اصغر حجما من روضة الصفا ، و يقع فى ثلاثة مجلدات .

واشك فى نسبة الخاتمة أيضا للمؤلف ميرخواند ذلك أنه طالما لم يكتب المجلد السابع فكيف يكتب خاتمة لكتاب لم يتمه ؟ والخاتمة ربما تنسب لخواندمير ايضا كما نسب المجلد السابع ، وهذا يرجع إلى أنه تحدث عن ولاية بيجانگر وهى من ولايات الهند الجنوبية ، والمعروف أن خواندمير قد سافر إلى الهند فى أواخر حياته ومات هناك سنة ٩٤١هـ ودفن فى دهلى .

رابعا : فن الترجمة .... ومنهجي فى ترجمة روضة الصفا

قبل أن اتحدث عن الترجمة كفن، لابد أن أتوقف قليلاً عند هذا السؤال : لماذا نترجم ؟ من أجل الاجابة عن هذا السؤال يجب أن أستعرض حركة الترجمة إلى العربية ... والمعروف أن الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية قد بدأت فى عهد الدولة الأموية بترجمة بعض الكتب الفارسية فى الادارة والحكم فى عهد عبدالملك بن مروان، ثم توالت ترجمة كتب الطب والرياضيات والفلك ثم كتب الفلسفة والمنطق والالهيات فى عهد الدولة العباسية و بالأخص فى عصر الرشيد والمأمون .

والترجمة سواء فى عهد الدولة الأموية أو العباسية كان الدافع لها هو (الحاجة) أى الرغبة فى معرفة ماعند اليونان والفرس والهنود من علوم غير معروفة عند العرب وقد دفعتهم الحاجة إلى انشاء دار خاصة للترجمة سميت بدار الحكمة أو دار الترجمة لنقل معارف هذه الشعوب إلى العربية ، وبلغ الاهتمام بأمر الترجمة درجة كبيره من اهتمام الخلفاء والوزراء ، حتى أن الخليفة العباسى المأمون كان يزن الأعمال المترجمة ذهبا .

وقد جاء ترجمة علوم الفلسفة والمنطق متأخرة قليلا عن ترجمة علوم الفلك والطب والرياضيات ، وذلك لظروف دينية صاحبت الجدال الذى ظهر بين المسلمين واصحاب الديانات الأخرى الذين تسلحوا بالمنطق اليونانى ، والفلسفة اليونانية وحمل المعتزلة لواء الدفاع عن الاسلام ، ورأى المسلمون ضرورة الرد عليهم ومحاربتهم بآلاتهم فعكفوا على المنطق والفلسفة .

وتأتى مرحلة (التذوق) بعد (الحاجة) وقد رأى أحمد أمين (×) هذا عندما وجد المسلمين وقد شعروا بلذة عقلية عند دراسة الفلسفة ، و بعد ان كانت تطلب على انها وسيلة للدفاع عن الدين ، اصبحت غاية فى نفسها ، تطلب لذاتها .

ولو قارنا بالعصر الحديث وجدنا أيضا أن الترجمة كانت لحاجة ثم صارت لذاتها تطلب لتذوقها .

والترجمة ايضا مطلوبة فهى مسألة جوهرية للتفاهم الدولى والتقارب بين الأمم ، وهى ايضا ذات فائدة انسانية لتحقيق التفاهم الانسانى للبشر جميعا(×) .

والترجمة ايضا تزيد من حصيلة المعارف ، والاحتكاك بين الأمم يرفع من رصيدها المعرفى ، وقد كان الاتصال بين الفرس والعرب فى العصر العباسى الأول سببا فى ازدهار حركة الترجمة ، كما كان الاتصال بين مصر واوربا فى أول القرن التاسع عشر الميلادى سببا فى ازدهار حركة الترجمة .

ان المعارف لا تعرف موطنا ، ولا تستقر فى مكان ولا تعرف القيود الاقليمية التى يفرضها علـم الاجتـمـاع الحديث ، فهى تتخطى الأماكن التى حددها الجغرافيون وتخرج من حدود الاقـليـمية ، وتنتقل من ذهن إلى ذهن غير عابئة بعقبة اللغة ، فالمعرفة انسانية عامة والمعارف تنتقل كانتقال الهواء(×) ، ولهذا فالترجمة عامل مهذب لنقل المعارف .

وخلاصة الأمـر اننـا نـتـرجم لحاجة دينية وتاريخية أولكشف مجهول ، وقد نترجم لمتعة روحـيـة تـرتاح لها النفس حين تقرأ أثرا من آثار غيرها ، ونترجم استكمالا لمعارفنا التى يجب ألا تـقـف عـنـد حـد ، ولا تـنـتـهـى عـنـد غـاية ونترجم تعز يزا لذاتنا وتوكيدا لشخصيتنا التى تـز يـدهـا القراءة قوة واستقلالا ولن يتسع محيط قراءتنا إلا بالترجمة ، ولن نضم معارف غيرنا إلى مـعـارفـنا إلا بالنقل ، أما الاقتصار على معارفنا فقط يضعنا فى نطاق محدود ، ونحن نترجم ايضـا لـتـقـو يـة الـروابـط والصلات والتفاهم الدولى بين الأمم وتحقيق الاخاء الانسانى ، ونترجم لنفتح أمامنا نوافذ الفكر .

واذا كـنـا نـتـرجـم لأى أمـة ، فـنـحـن أحـوج إلى ترجمة تراث أمتنا الاسلامية المكتوب بـالـفـارسـيـة والأردية والتركية .... فنحن أولى بمعرفته وكشفه ونحن أحق بتحقيق التفاهم وتقو ية أواصر المحبة بين شعوب الأمة الاسلامية .

أمـا لمـاذا أتـرجـم هذا الكتاب التاريخى عن الفارسية ؟ انما يرجع إلى كثير من الأسباب على رأسها تصحيح الأخطاء التى يقع فيها المؤرخون ممن لايعرفون الفارسية ، وكشف كنز من كنوز حضارتنا الاسلامية وتقديم تار يخ الشعوب الاسلامية بلغة أهلها .

بـعـد الـرد على هـذا الـسؤال بـقـى استـعـراض لفن الترجمة ، فالترجمة لا تقل اهمية عن الـتأليف ، لأن المؤلف مطلق الحر ية فى سرد أفكاره أما المترجم فانه يتقمص أفكار المؤلف ، و يبدعها فى اللغة التى ينقل إليها .

والترجمة ليست هى التعر يب ، فالتعر يب ينصب على اللفظ لا على الأفكار وبهم المعرب أن ينقل اللفظ من لغة إلى لغة ، أما الترجمة فهى تنصب على الأفكار ولا تهمل الألفاظ .

إن المـتـرجمين فى العصر العباسى لم يضعوا لنا منهاج ترجمتهم أو تعر يبهم وإنما قدموا لنا هذا الأعـمـال الـتـى تـرجـمـوهـا عـن اليونانية والفارسية والهندية دون ان يحددوا لنا منهج الترجمة ، ولـكـن الجاحظ (×) وهو ليس مترجما قد أدلى برأية فى هذا الشأن ورأى ان المترجم لن يكون قـادرا على اداء الأفـكـار الأجـنـبـيـة وتـسـليم مـعـانيـهـا والإخبار عنها إلا اذا بلغ العلم بمعانيها واستـعـمالات تصار يف الفاظها وتأو يلات مخارجها مبلغ المؤلف الأصلى فى اللغة الأجنبية فـالجاحظ تكلم فى الترجمة و وضع شروطا للمترجم ولم يكن الجاحظ ملما بلغه أخرى باستثناء الفارسية التى يقال انه كان على علم بها ولكنه لم يترجم عن أى لغة .

وفى العصر الحديث ترجمت كثير من الكتب عن اللغات المختلفة الشرقية والغربية ، وهناك من حدد منهجه فى الترجمة ومنهم من لم يحدد منهجا . ومن الذين حددوا منهج الترجمة استاذنا الدكتور عبدالوهاب عزام الذى ترجم عن اللغات الشرقية ؛ الفارسية والتركية والأردية (×) ، الكثير.

والمعروف للمترجمين عن اللغات الشرقية أنها أكثر صعوبة فى ترجمتها عن الترجمة من اللغات الأوربية ، وترجع الصعوبة إلى أن هذه اللغات تحتوى على قدر كبير من الألفاظ العربية ، والدلالات اللفظية لهذه الألفاظ العربية تختلف كثيرا أوقليلا عن مدلولاتها عند ترجمتها ، فالاشتراك اللفظى للكلمة الواحدة بين اللغات الشرقية و بين اللغة العربية يحتاج إلى دقة تحديد المعانى ، ومن هنا تنبع الصعوبة .

ومن الملاحظ أن المترجمين عن اللغات الشرقية — لم يحددوا مناهج ترجمتهم لأعمالهم — وهم كُثر — باستثناء الدكتور عبدالوهاب عزام الذى قال فى مقدمة ترجمته لبيام مشرق لمحمد اقبال : (وطريقتى فى الترجمة أن أحافظ على المعانى الأصلية والصور التى تبرز فيها بل على أوزان الشعر واسلوب التقفية جهد الطاقة) كما قال : « وخير طريقة فى الترجمة كما هدتنى التجربة أن يقدر المترجم أن المعانى التى يعالجها قد ألهمها هو، ثم ينظر إلى طريقة التعبير التى اتخذها المترجم له وطرائق التعبير فى اللغة التى يترجم اليها ... ولابأس أن يتصرف كذلك بالاطناب أوالايجاز استجابة لمقتضى الحال فى اللغة التى يترجم إليها والناس الذين يترجم لهم » .

وهذا القول الذى ذكره الدكتور عبدالوهاب عزام يرجع إلى أن ترجمته لبيام مشرق هى ترجمه شعرية أوترجمة الشعر بالشعر، وهذه لاشك تحتاج إلى موهبة وجهد أكبر.

والترجمة فى نظرى هى اشبه بالتحقيق فلابد من التأكد من صحة الكلمة المطلوب ترجمتها وبالتالى صحة الجملة وصواب المعلومات المقدمة من جهة الأعلام والمسميات ، وصواب الأفكار والأخبار المعروضة عند المؤلف ولهذا يجب اجراء عدة قواعد على الترجمة للنص المراد ترجمته إلى العربية وهذه القواعد لاتختلف فى كثير عن التحقيق و بذلك يكون الناقل إلى اللغة العربية مترجما ومحققا فى نفس الوقت .

منهجى فى ترجمة روضة الصفا

لقد لقيت فى ترجمة هذا الكتاب عناء كثيرا، ولم يكن العناء آتيا من صعوبة الأصل الفارسى أوخفاء عبارته أوغموض الفاظه ، فقط ولكن العناء كان من ناحية رد بعض المترجمات إلى اصولها الفارسية أو العربية ، ومطابقة هذه النصوص ببعضها للحصول على ترجمة جيدة خالية من الأخطاء التاريخية .

وكتاب روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفا ، كتاب شامل جامع ، ونتيجة لذلك فقد تعددت مصادر ومراجع المؤلف ، وتنوعت الأصول التى استمد منها مادته التاريخية ، وقد لزم هذا العودة بالنص إلى مصدره ورصد أوجه الاختلاف والاتفاق .

ولما كان كتاب روضة الصفا كتابا جامعا فقد قام المؤلف بالرجوع إلى الكتب والمصادر الجامعة فأخذ منها واثبت بعضها ولم يثبت البعض ، وقد تتبعت النص فى كتب التاريخ العام لرصد مافعله المؤلف .

وقد سلكت هذا المنهج فى ترجمة روضة الصفا :

أولا : مراجعة مصادر المؤلف

ذكر المؤلف ميرخواند مجموعة من المصادر التى رجع اليها أو اشار اليها ، منها ماهو فارسى مثل زين الأخبار وتاريخ گزيده وتاريخ بناكتى ، ومنها ماهو عربى مثل تاريخ الطبرى وابن الاثير وابن كثير وقد رجعت إلى المصادر التى اشار اليها المؤلف واثبت أوجه الاختلاف والاتفاق فى حاشية الترجمة .

ثانيا : مراجعة المؤلفات المماثلة :

صنفت وألفت بعض الكتب فى الموضوعات التى تحدث عنها المؤلف وقد عدت إلى هذه المؤلفات لتحقيق الأخبار والأعلام واثبت ذلك فى الحاشية .

ثالثا : مراجعة النقول عن الكتاب

قام المؤرخون بنقل بعض الأخبار والأحداث التى وردت عند المؤلف ومن هؤلاء خواندمير وقد اثبت ذلك فى الحاشية .

رابعا : تخريج النص

والتخريج المقصود منه تحقيق الاسماء والأعلام والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وذلك بالرجوع إلى القواميس والأطالس وكتب المسالك والممالك والقرآن الكريم وكتب الأحاديث النبوية ، وقد اثبت ذلك بالحاشية .

خامسا : النقد الموضوعى

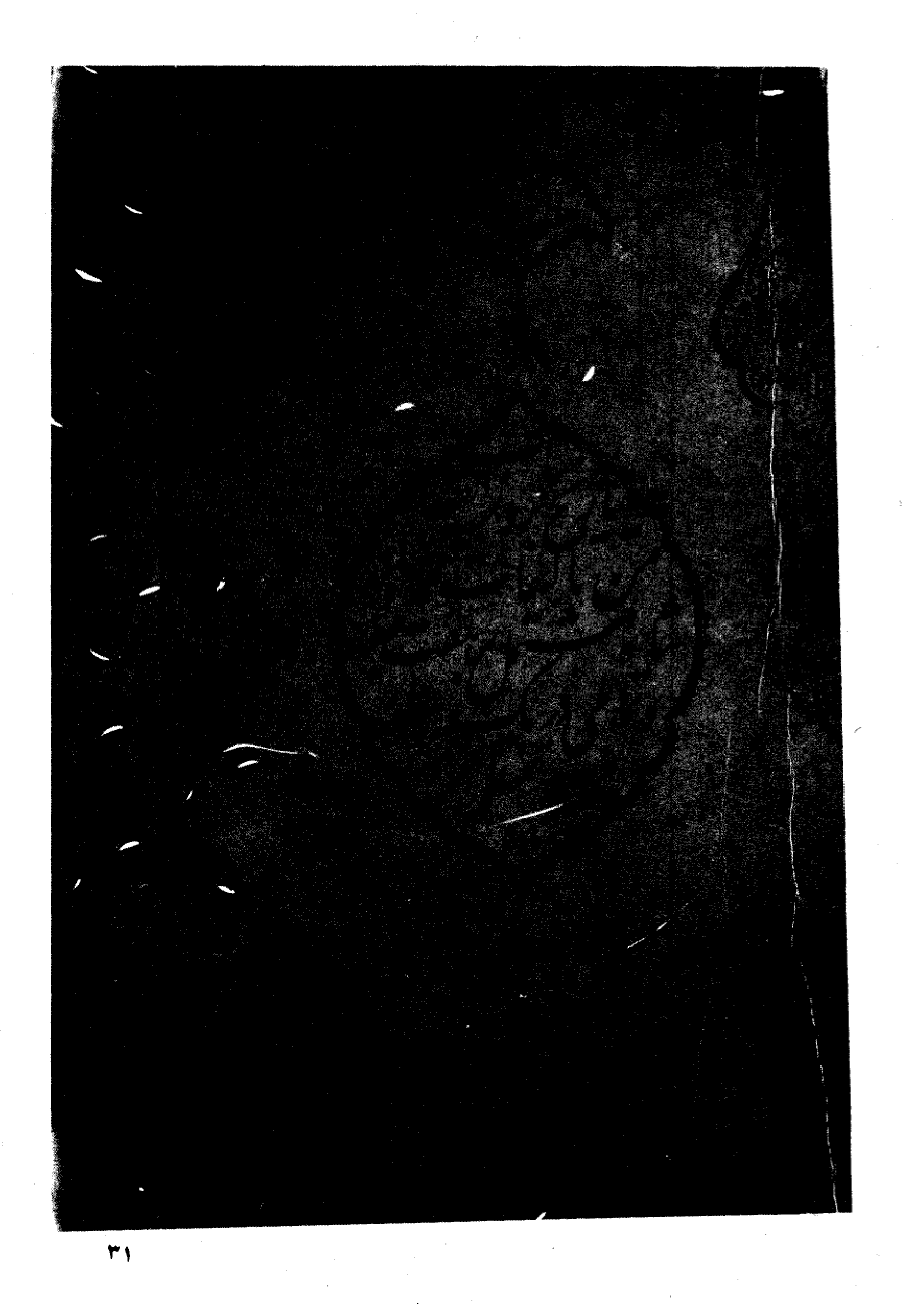
والمقصود بالنقد الموضوعى ، وهو مايتعلق بتواتر الاسم أو العلم فالاسم الذى يكرر أكثر من مرة وبنفس الصورة فهو صواب إذا ماإتفق مر المصادر المماثلة ، إلى جانب التسلسل الموضوعى للكتاب فالكتاب يسير على نمط الحوليات ، وقد صححت كثيرا من السنوات بهذا النقد الموضوعى .

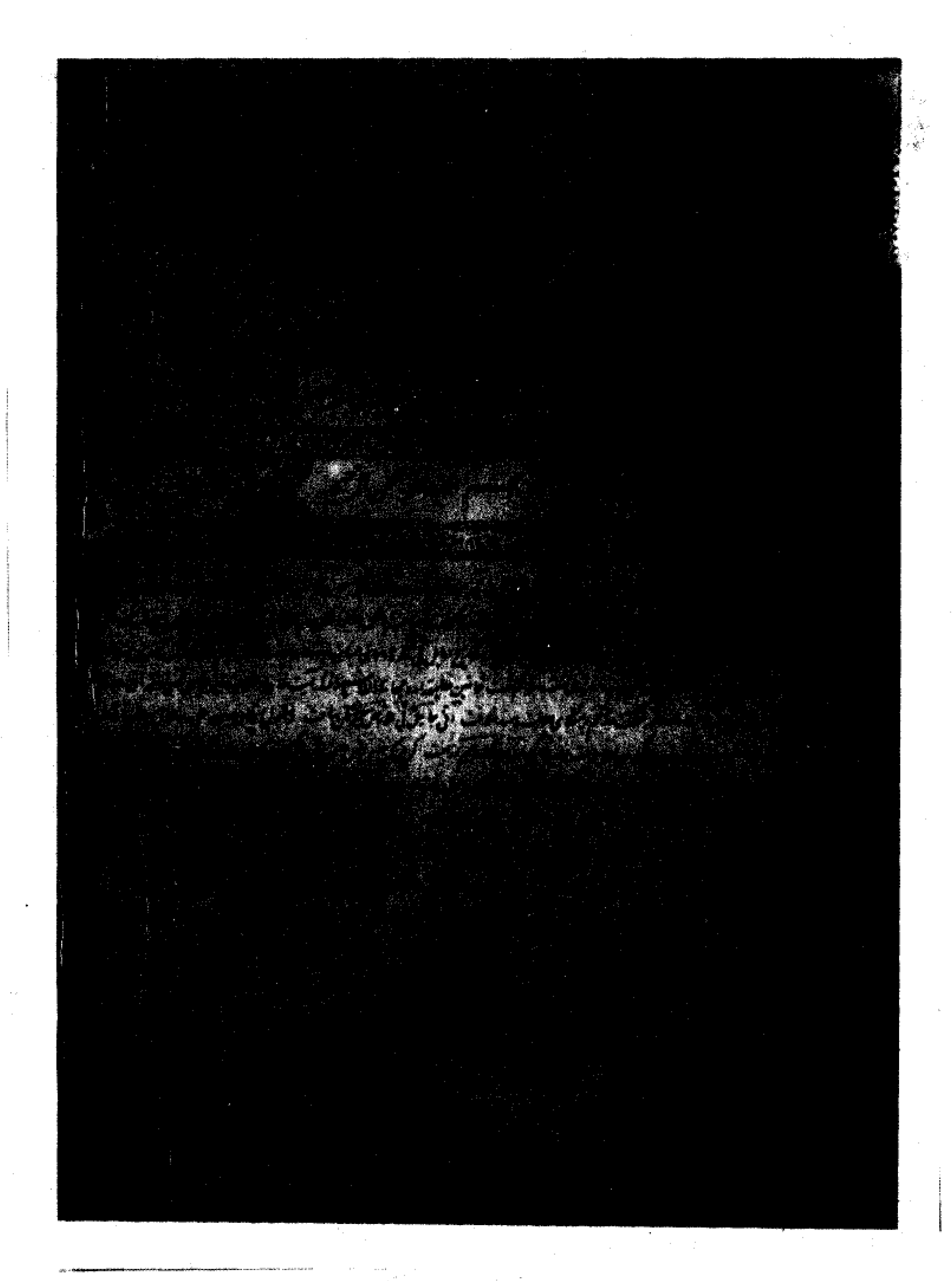
سادسا : الابقاء على الألقاب كما هى

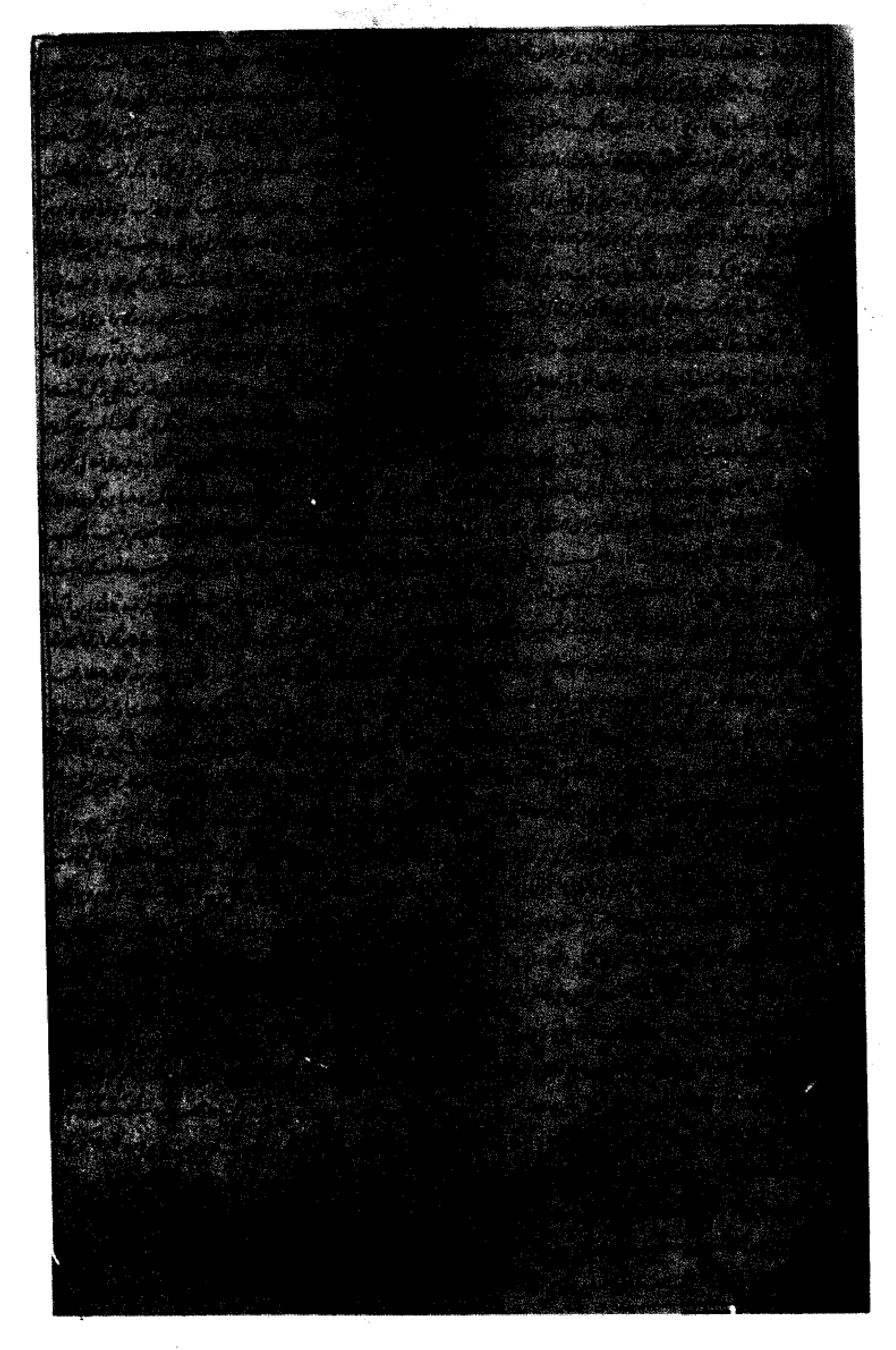
فقد وجدت أن من المناسب أن أترك اللقب كما هو مع ذكر معناه فى الحاشية مثل كوتوال ومير عرض وشحنه ، وسپه سالار... نظراً لأن اللفظ له دلالات تفوق معنى اللفظ الذى يترجم اليه هذه هى طريقة واسلوب ترجمة روضة الصفا (المجلد الرابع) آملا من الله ان يوفقنى لترجمة اجزاء أخرى من هذا الكتاب القيم .

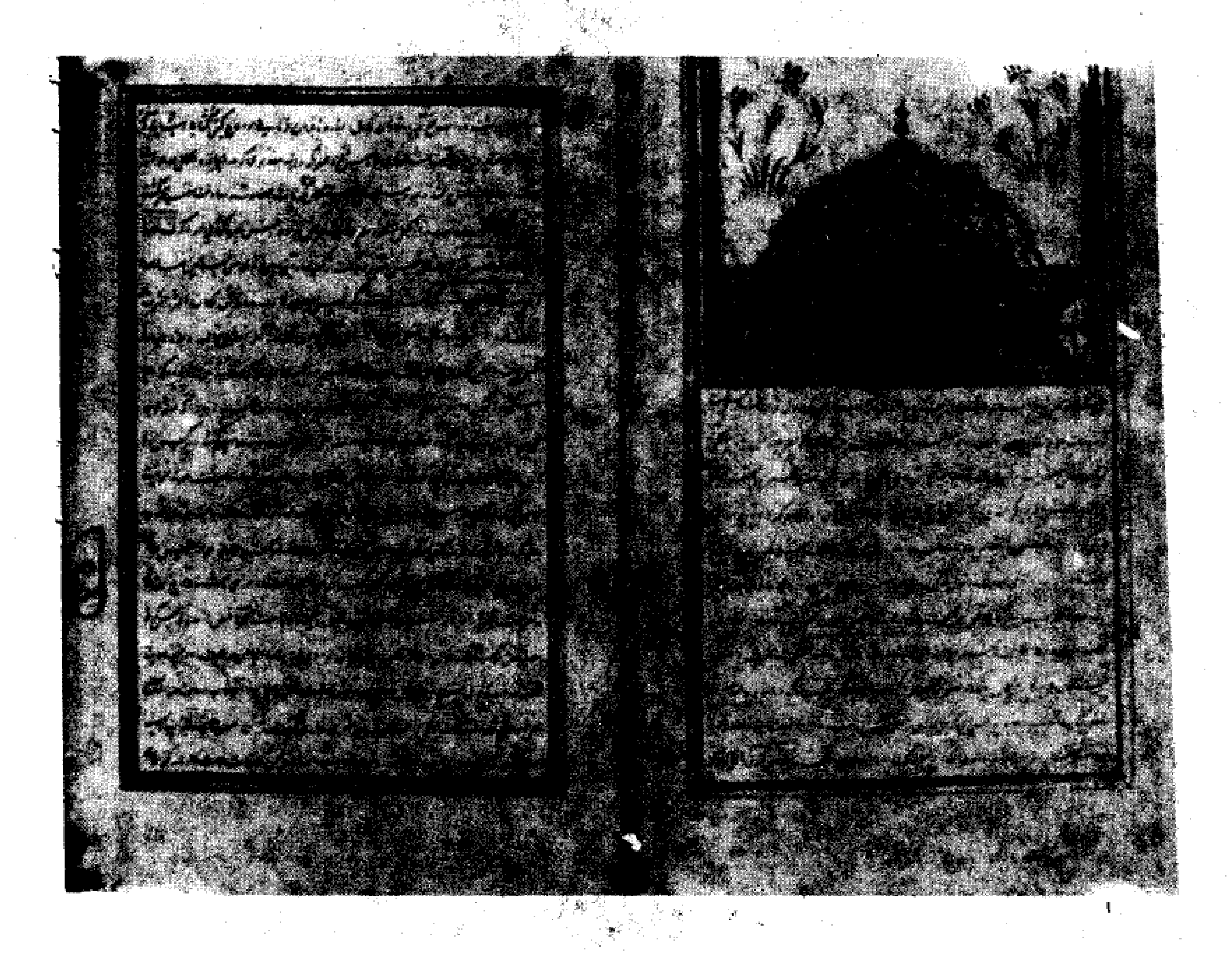
وعلى الله قصد السبيل

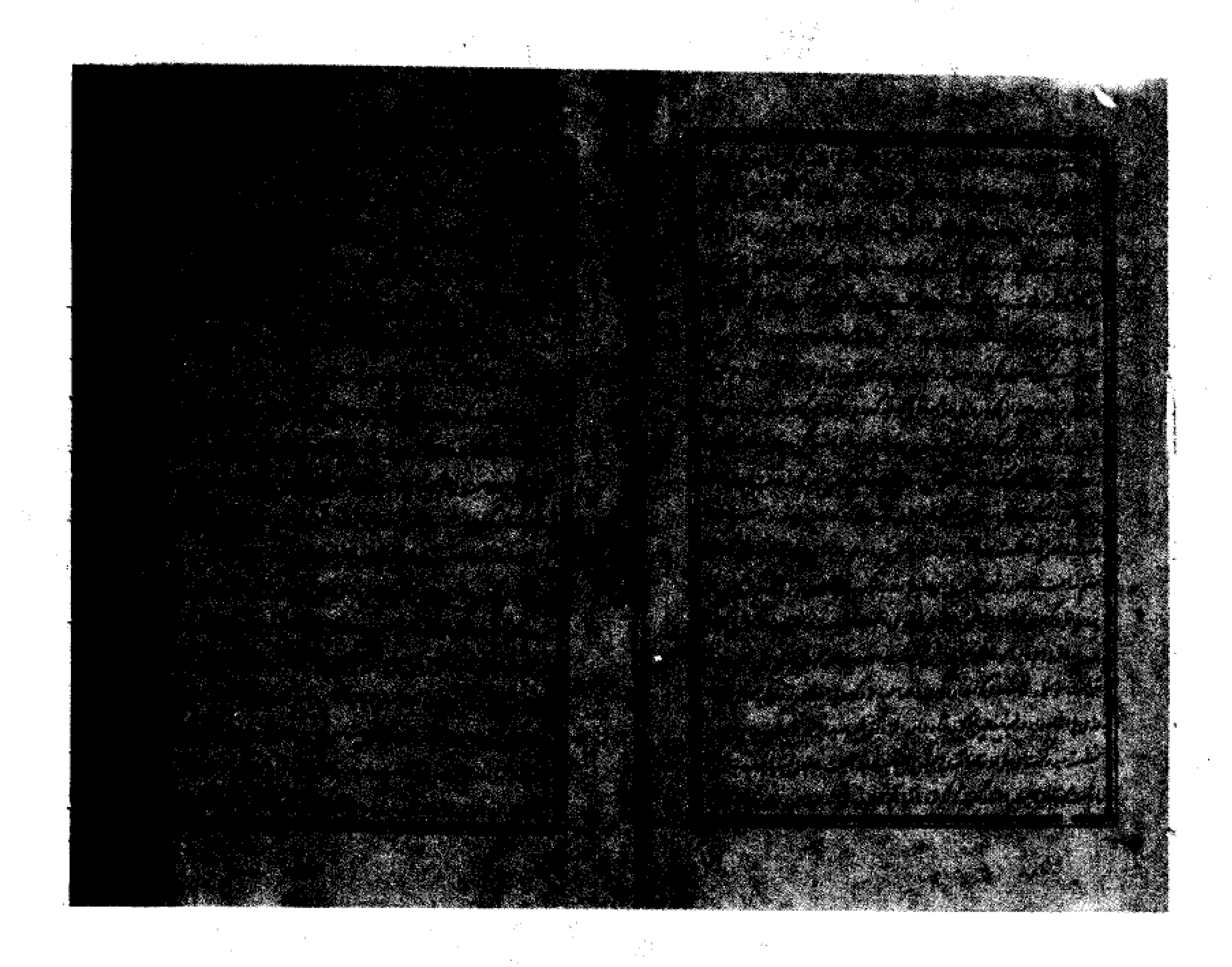
دكتور
احمد عبد القادر الشاذلي
كلية الآداب ــ جامعة المنوفية

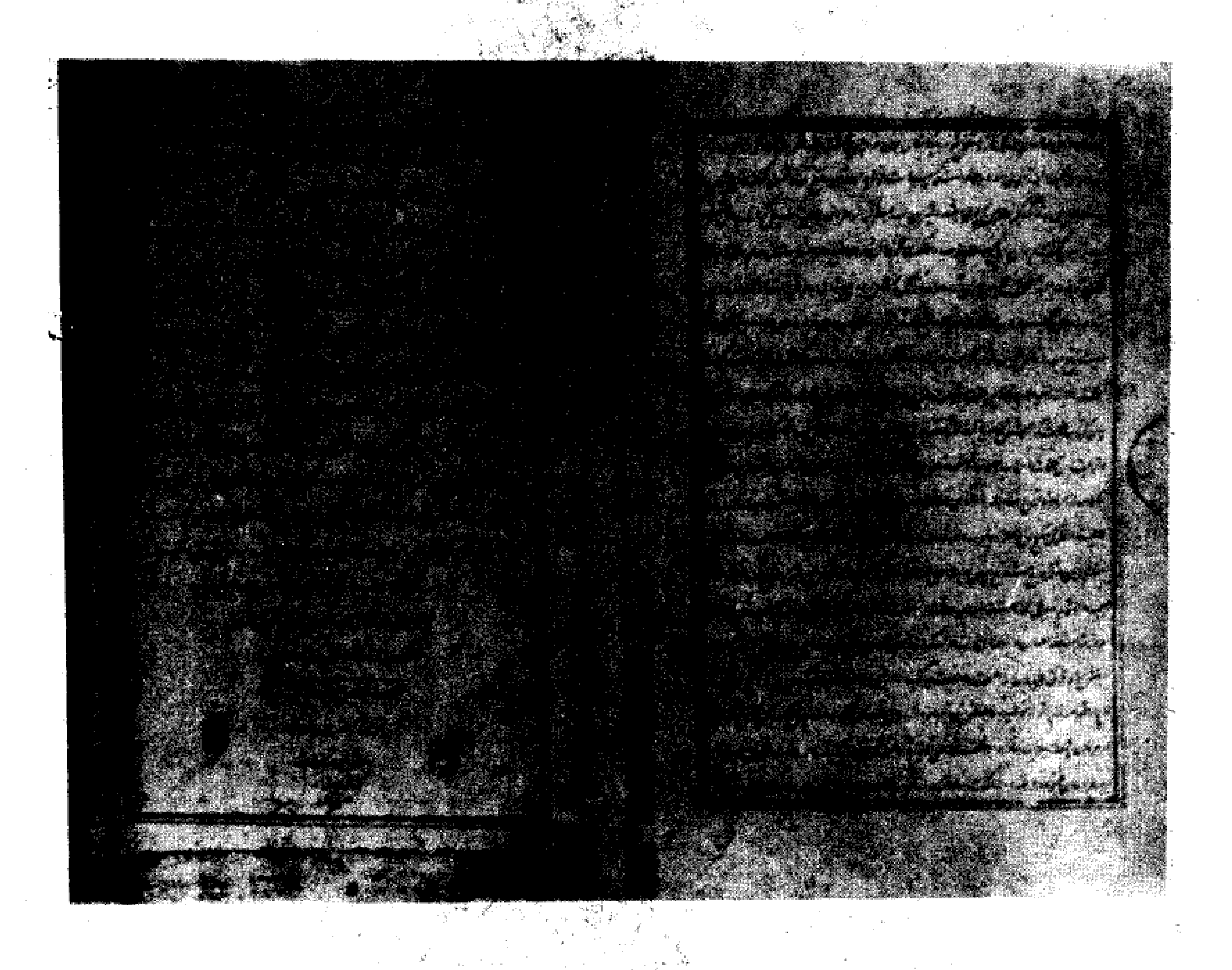


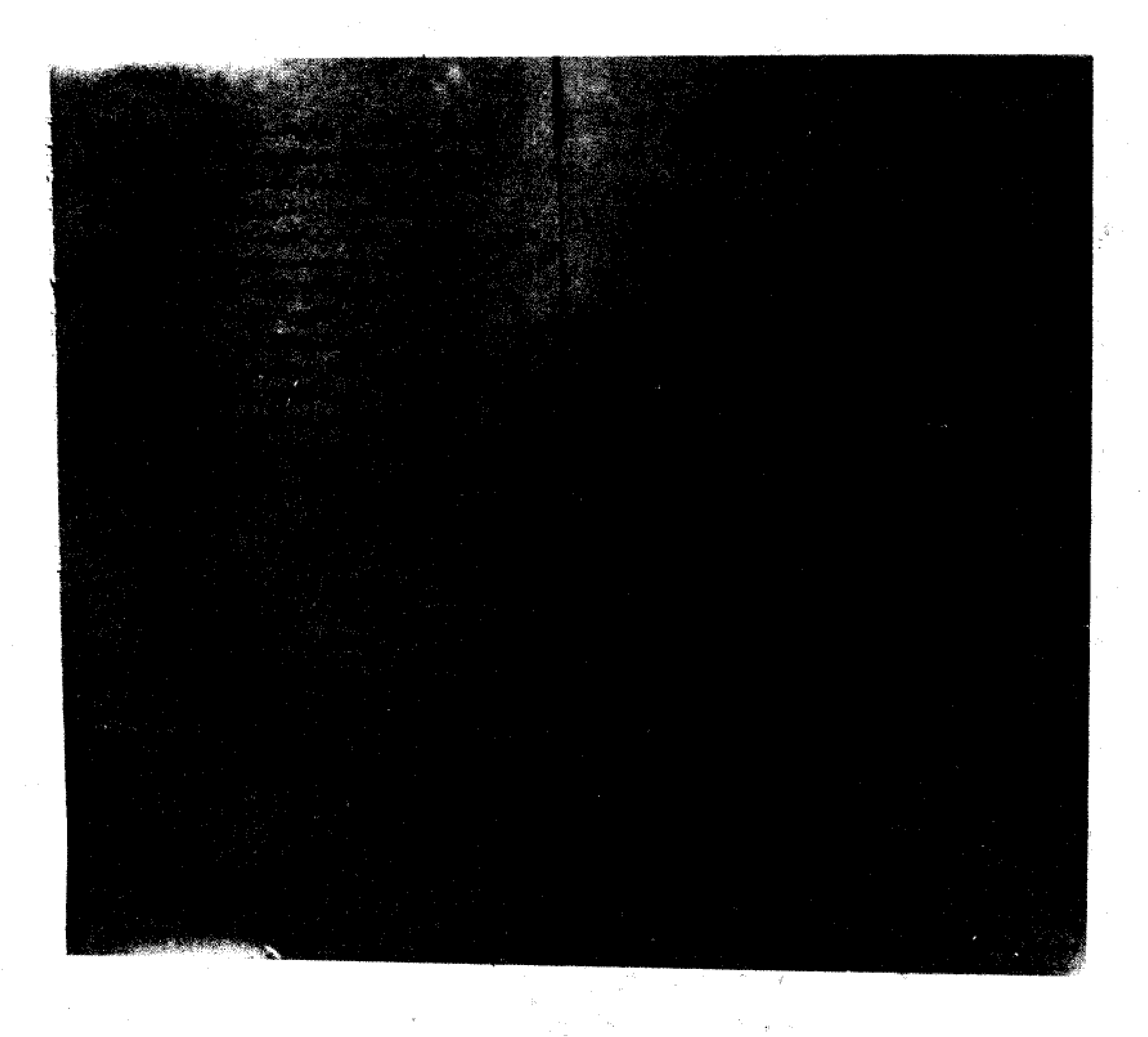


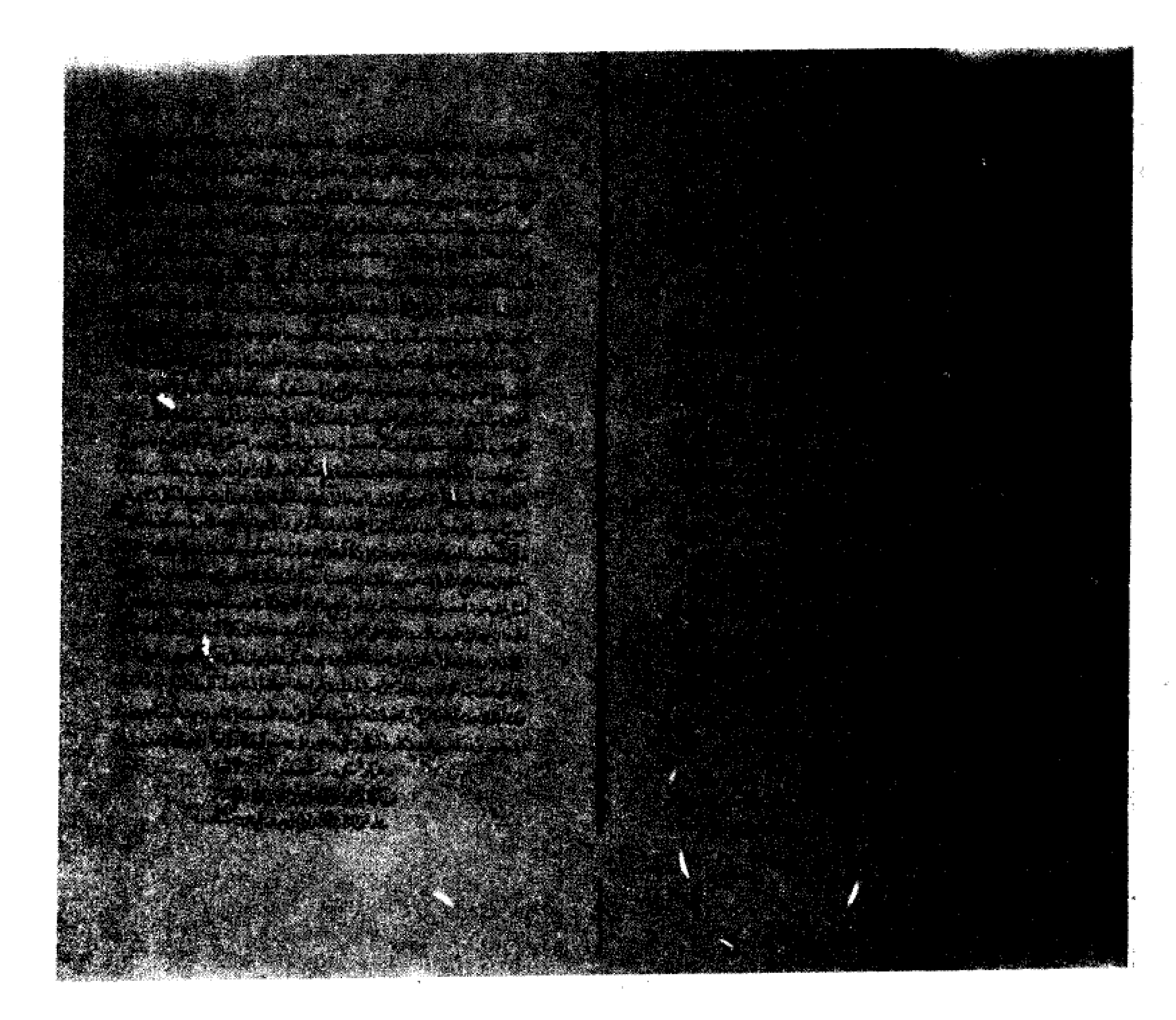


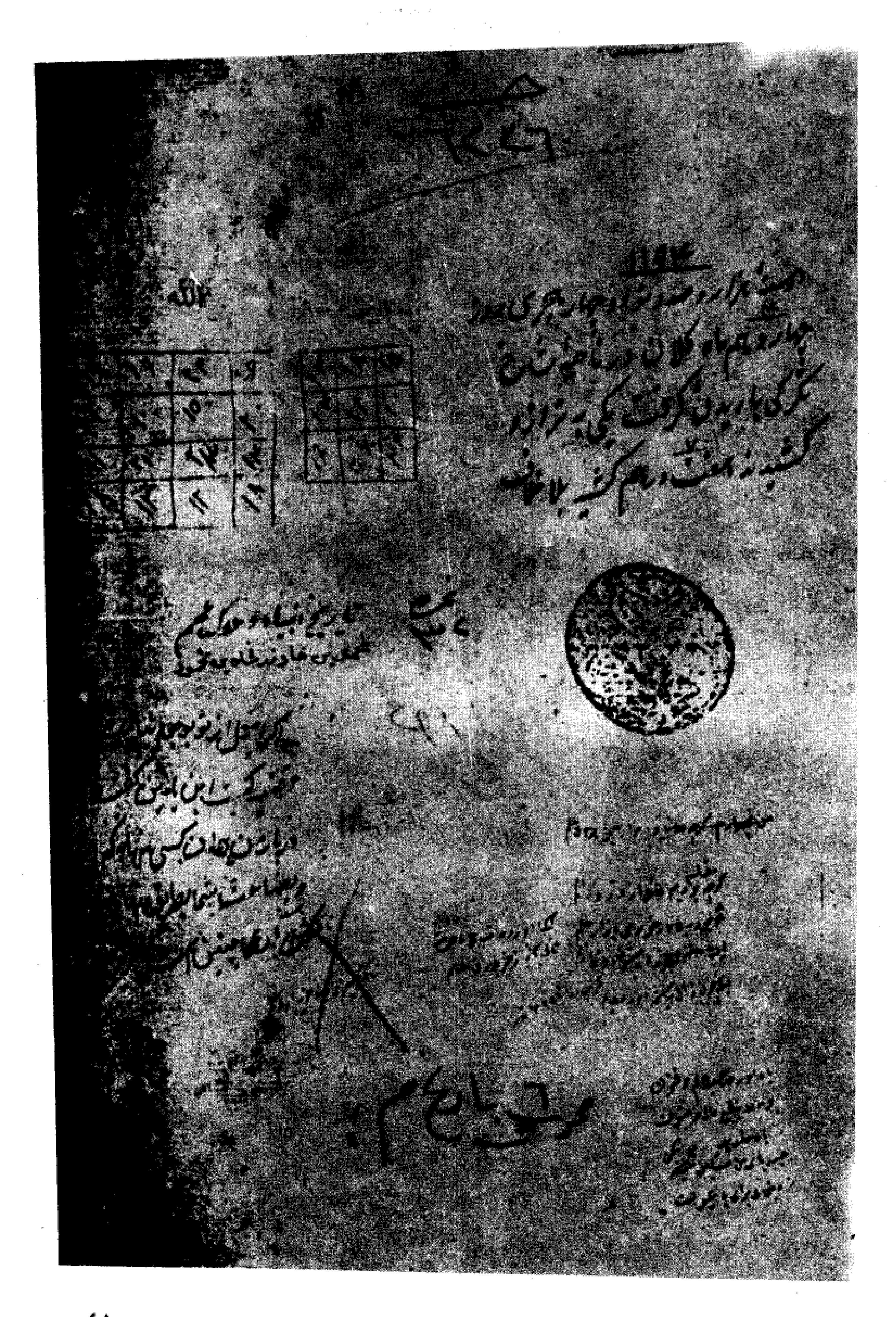


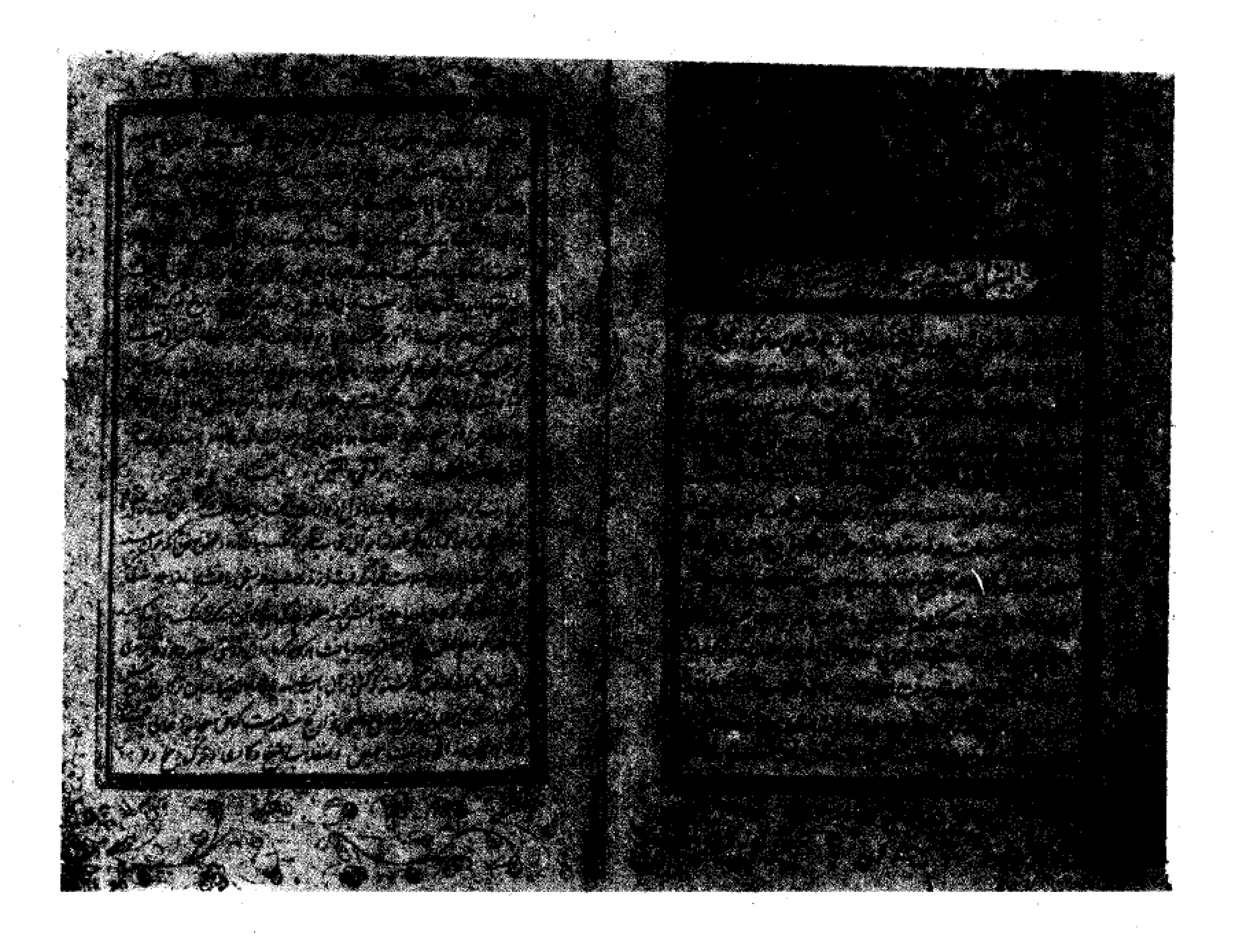


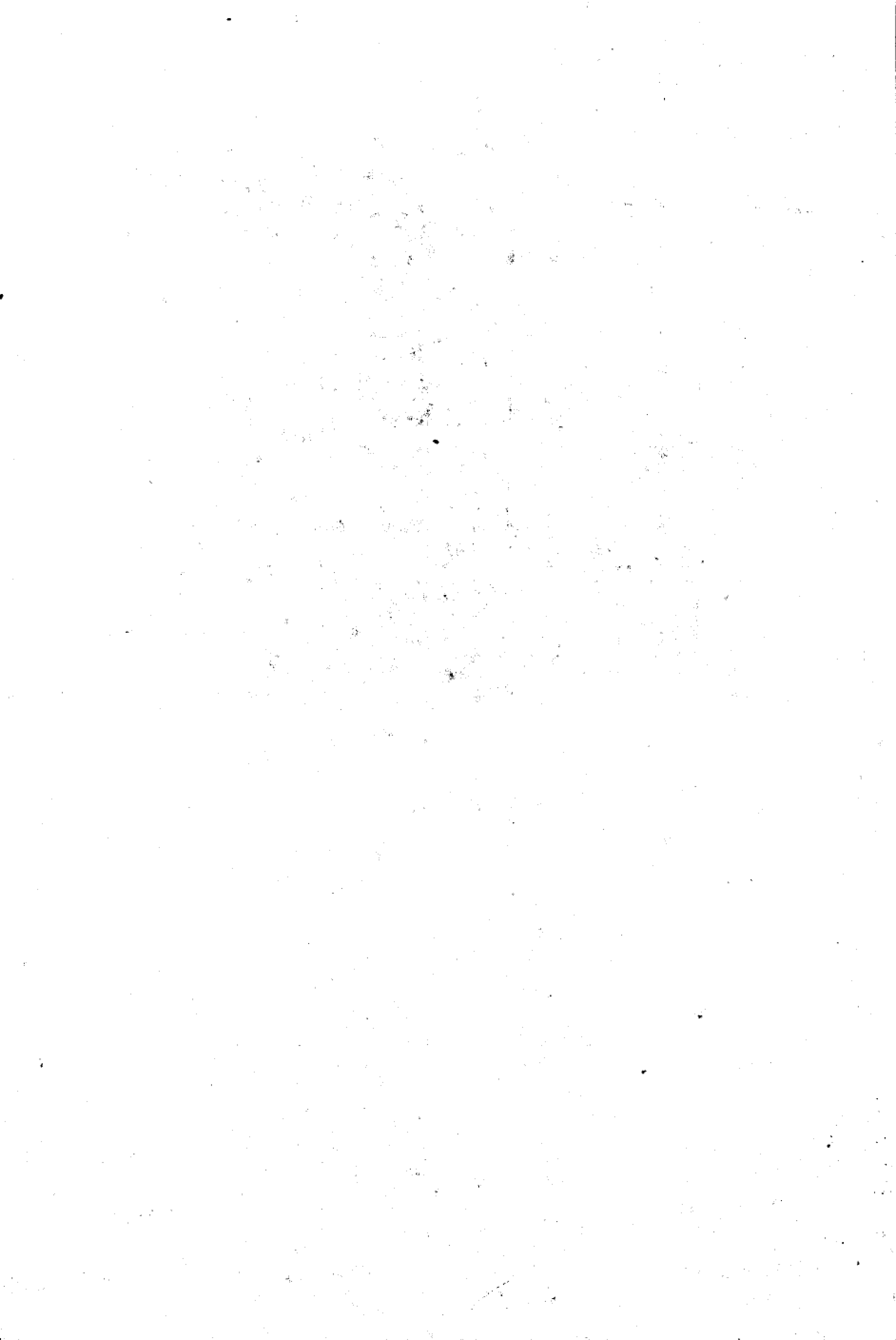












روضـــة الصفـــا 

فهرست النسخة الميمونة ، وديباجة مجموعة الكرامات السرمدية ، الحمد لله الذى ألبس مخلوقات العالم العلوى والسفلى ، خلعة الوجود من الجود غير المحدود ، وأظل أقطار الآفاق ، بحكمة انتظام حال العباد ، وأناط الأمر لسياسة السلاطين ذوى الاقتدار ؛

« ترْفع من يكون ملكه قديم وذاته غنية بالكبرياء والمنى »
« وتُتوِّج إنسانا بتاج الحظ وآخر تدسه فى التراب من فوق العرش » (١)

وصلوات بلا انتهاء ، وتسليمات لا تعد ولا تحصى على المرقد الأقدس ، والمشهد المقدس سيد الانبياء وأفضل الأصفياء المخاطب بالخطاب الكريم « وما أرسلناك » (٢) والمشرّف بتشريف كلمة « لولاك لما خلقت الأفلاك » وعلى الأرواح المطهرة ، والأجساد المعتبرة عترته واصحابه وعشيرته وأحبابه ، أما بعد . .

يقول كاتب الأوراق محمد خاوندشاه وفقه الله تعالى لنيل مايتمناه ، أن الباعث الكلى والغرض الأصلى من كتابة هذه الكلمات ، وتمهيد هذه المقدمات هو أن يلفت نظر من تحلى بأنواع الأدب وجمال المعرفة ، وأتمت ذاته حميدة الصفات الصورة بأفعال الخير ، وامتاز بدرجة رفيعة وفضيلة من فضائل الزمان ، وارتقى درجة عالية من درجات إدراك دقائق المعانى والحقائق ، وصار مثالا للزمان ، إنه الأمير العادل الفاضل الحسيب النسيب عمدة

أعيـان الملك والملة ، قدوة أركان الدين والدولة ملاذ الأمراء والأقطار والآفاق محيى مراسم الدولة ، جامع آيات الرأفة والانصاف رافع رايات العدل ، مقرب الحضرة السلطانية ، معتمد المملكة الخاقانية ، راعى الصغير والكبير ، نظام الملة والدنيا والدين ، الأمير على شير(٣) الذى يُقال فى شأنه :

« المميز عن جميع الناس كالسماء ، اللطيف على جميع الخلق كالشمس »(٤)

حفظ الله تعالى عزه من نائبة المذلة ، وأمنه من شائبة النقصان ، ورفع جنابه بتحقيق السعادة والمراد الدنيوى والأخروى ، بمنته وفضله وعونه ، وها أنا شرعت فى القسم الرابع من الأقسام السبعة بعناية الملك الكبير المتعال وهو الميسر لإدراك جميع المطالب والآمال .

فصـــل

فى حكومة ذى اليمينين (٥) وأولاده الذين يسمونهم الملوك الطاهرية .

(المخطوط ص ٢ ــ ٤)

عـنـدمـا قـتـل طـاهـر بـن حسين بن مصعب الخزاعى محمد الأمين العباسى(٦) ، وتوجه المـأمـون من خـراسـان إلى بـغـداد(٧) ، انتظم طاهر فى سلك اتباع الخلافة ، ولازم الخليفة ، وذات يـوم دخل مجلس المأمون ، وكان المأمون مشغولا بالشراب ، فأمر أن يقدم حسين الخادم الـكـأس لـطـاهـر ، وفى أثناء ذلك بكى المأمون ، قال طاهر : « أيها الأمير العالم من شرقه إلى غـربـه تحـت إمـرتـك ولا أعـرف سببا لهذا البكاء ؟ » ، قال المأمون : « أبكى لأمر يستدعى اظـهـاره المـذلة والمهانة ، واخفاؤه الغم والحزن ، وما من انسان بلاهم » ، و بعد ذلك استولى الـبكاء على المأمون لدرجة أن طاهر لم يجد مجالا لسؤاله(٨) ، وخرج من عند المأمون مهموما ، واسـتـدعـى واحـدا مـن خـاصـة(٩) حسين الخادم ، وأعطاه مبلغا كبيرا ، ليوصله إلى مخدومه لـكـى يـسأل المأمون عندما يدخل عليه عن سبب هذا البكاء ، وقدم الرسول إلى حسين مبلغ مائتى ألف درهم ، وعرض عليه طلب طاهر ذى اليمينين .

وعـنـدما توجه حسين فى اليوم التالى لخدمة المأمون ، وطلب المأمون منه الشراب ، فقال : المـأمـون : لـن اسقيك حتى يقول الأمير لى سبب بكائه بالأمس ، قال المأمون : « وما دخلك بـهـذا الـكـلام ؟ » ، قـال حـسـين : هـذا الـتـدخل بسبب الحزن الذى استولى علىّ من بكاء الخـلـيـفـة قـال المـأمون : « إذا كنت لن تفشى هذا السر لأحد أقوله لك » ، اجاب حسين :

إننى لم أتهم بإفشاء السر أبدا ، قال المأمون : « عندما تقع عينى على طاهر ، اتذكر أحوال أخى محمد الأمين وقتله ، أشعر بالذل والهوان ، ولا استطيع النظر إليه »(١٠) ، وابلغ حسين طاهرا بالأمر ، فتوجه طاهر إلى أحمدبن أبى خالد الوزير(١١) ، وقال : إذا فعلت لى خيرا لن يضيع ، وأخبره بهذا الأمر ، والتمس أن يرسله إلى ناحية حدود الولايات(١٢) ، ليأمن بأس وسخط المأمون ، فقبل أحمدبن أبى خالد التماس ذى اليمينين ، واسرع إلى المأمون(١٣) .

وعندما دخل أحمد بن أبى خالد مجلس المأمون ، استفسر منه عن أحوال المملكة ، قال الوزير: رأيت السلطان عدة ليال يرفع عنى الغطاء وأنا نائم ، فسأله المأمون عن سبب ذلك ، فأجابه أحمد : إن أحوال مملكة خراسان غير مضبوطة ، وجيش الترك قريب منها ، وواليها غسان(١٤) لا يستطيع حكمها ، قال المأمون : وما الصالح ؟ قال الوزير: يجب أن نرسل طاهر بن الحسين لحكم هذه المملكة ، قال المأمون : هل تضمن ألا يخالف ؟ قال أحمد أنا أضمن كل مايصدر منه ، وقبل المأمون هذا ، وتوجه طاهر إلى خراسان(١٥) ، واستقل بحكومة هذه الممالك فى أقل فترة(١٦)

و يقول كلثوم بن ثابت(١٧) : كنت فى أيام خلافة المأمون صاحب بريد خراسان ، وفى جمعة من أيام الجمع صعد طاهر المنبر، وخطب ودعا بهذه الكلمات بدلا من الدعاء للخليفة « اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به اوليائك واكفها شر من بغى عليها وحسد بلم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين(١٨) » قلت لنفسى : إننى أول شخص سيقتل فى هذا الأمر، لأنى لا أخفى هذا الخبر؟ واغتسلت فى المنزل ، وأعددت الكفن ، وسجلت الأمر بلا زيادة ولانقصان ، وارسلته إلى بغداد ، وفى اليوم التالى استدعانى شخص من قصر الامارة قبل شروق الشمس ، فأخذت أردد كلمة الشهادة ، وعندما وصلت هناك ، خرج طلحة بن طاهر من دار الامارة ، وقال : هل كتبت ماحدث بالأمس ؟ قلت بلى ، قال : اكتب اليوم خبر وفاة طاهر فعدت ، وكتبت الأمر ، وارسلته إلى بغداد .

و يقولون : إنه عندما وصل الخبر الأول إلى الخليفة ، قال لأحمدبن أبى خالد : يجب أن تذهب إلى خراسان فى يومك ، لأنك ضامن لطاهر ، واهتم أحمد باعداد وتجهيز الجيش ، واستعد للرحيل ، وفى اليوم التالى وصل خبر وفاة طاهر فجأة ، وتخلص أحمدبن أبى خالد من الورطة ، و يضيف أنه عندما اسقط ذو اليمينين اسم المأمون من الخطبة ونظم أمره بعد أداء الجمعة ، مرض ، ووجدوه ميتا فى فراشه صباحا(١٩) ، وكانت حكومة خراسان تحت إمرته لمدة سنة وستة أشهر ، كنى بأبى الطيب ، ولم تستفد عينه الواحدة من النور ، يقول شاعر(٢٠) فى هذا المجال :

« يا ذا اليمينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائدة »

حكومة طلحة بن طاهر ذى اليمينين

عندما وصل خبر وفاة طاهر إلى سمع المأمون فى شهور سنة ٢٠٩ هـ(٢١) ، أرسل إلى طلحة المرسوم ، وعينه على حكومة خراسان ، قال البعض(٢٢) : إن عبدالله بن طاهر كان فى الرقة حين مات أبوه ، وكان يقوم بمحاربة نصربن شبث الخارجى ، وجعله المأمون والياً على جميع أعمال طاهر ، وفوض عبدالله حكومة خراسان على سبيل الانابة إلى أخيه طلحة ، ولم يستاء الخليفة من هذا .

عموما فى عهد حكومة طلحة خرج مايسمى بحمزة(٢٣) فى ولاية سيستان ، وجرد طلحة جيشاً إلى هذه الناحية ، و بعد القتال حقق النصر ، وضبط سيستان ، وعاد إلى خراسان ، ومرض طلحة سنة ٢١٣ هـ ، وانتقل إلى العالم الآخر ، وحل على بن طلحة محل أبيه ، وخرج عليه جماعة فحارب هؤلاء الأعداء فى نواحى نيشاپور(٢٤) وقُتل .

حكومة عبدالله بن طاهر ذى اليمينين

فى ذلك الوقت الذى كان فيه عبدالله بن طاهر مشغولا ــ بناء على فرمان المأمون ــ بإعداد اسباب قتال بابک الخرّمى(٢٥) فى دينور(٢٦) . وصل خبر خروج الخوارج وقتل على ابن طلحة إلى بغداد ، فأرسل المأمون رسالة إلى عبدالله ليتوجه إلى خراسان ، و يقوم بصد مفسدى هذه الولاية ، فتوجه عبدالله بموجب الأمر إلى تلك الولاية ، وفى تلك الأيام حدث قحط عظيم فى خراسان ، وتوقف المطر ، وكان الناس يائسين من الزراعة القادمة ايضا ، وعندما وصل عبدالله إلى نيشابور، فتح أبواب الرحمة ، وأمطرت السماء ، وفى عهد عبدالله بن طاهر عُمِّرت خراسان .

وفى سنة ٢١٥ هـ(٢٧) توجه أحد غلمان عبدالله مع جماعة من مصر ، وعندما وصل إلى قم(٢٨) حارب جعفر بن داود الذى كان معارضا للمأمون فى ذلك الوقت ، وانتصر عز يز(٢٩) عليه ، وفى سنة ٢١٦ هـ استأصل عبدالله بن طاهر خوارج خراسان(٣٠) ، وعندما التحق المأمون بجوار رحمة الله(٣١) ، وجلس المعتصم(٣٢) على سرير الخلافة ، ارسل إلى عبدالله بن طاهر العهد واللواء ، ورعى ابنه محمد فى بغداد حتى صار من جملة رجاله المعتبرين ، وعندما توفى محمد بن عبدالله ، صلى عليه المعتصم .

وفى سنة ٢١٧ هـ(٣٣) توفى المعتصم ، وتصدى لأمر الخلافة ابنه الواثق بالله ، ولم يدع هو الآخر دقيقة فى تكريم وتعظيم عبدالله ، وفى شهور سنة ٢٣٠ هـ سلم حياته لقابض الأرواح ،

وكـانـت مـدة حـكـومـتـه فى خـراسـان سـبـع عشرة سنة وكان عمره فى رواية سبعا واربعين سنة (٣٤) .

كـان عـادلا وكـريمـا جـدا ، وكـان اديـبـا وفـاضـلا ، له اشعار بالعربية جيدة ، وقد رثاه الشـعـراء ، ولما كان القلم المسكى قد وصل إلى هذا المقام ، فانه قد اثبت مابالخاطر ، ذكروا أنه فى أيام حكومة عبدالله بن طاهر اقام جماعة من المجوس فى هرات (٣٥) معبدا أمام مسجد ، ولما كـان مقررا فى الشرع أن يدفعوا جزية ولايتعرض لهم أحد ، ذات يوم وعظ أحد الوعاظ فى قـريـة ، وقـال فى حـديـثـه : إن المـسـلـمين ضعفاء فى هذه المدينة ، وأيد هذا القول بذلك المـسـجـد والمـعـبـد اللذين يتصلان ببعضهما ، وان أهل الاسلام يتغافلون ويهملون فى صد هذا الـعـمـل ، وتحرك عـرق حمـيـة المسلمين من هذه الكلمات ، واتفق خلق كثير ، وعندما حل الـلـيـل ، سـعـوا لـتـخـريـب المسجد والمعبد ، ولم يدعوا اثرا لعمارتها ، وأقاموا فى نفس الليلة مسجدا جديدا مكان المسجد والمعبد ، وعندما استيقظ المجوس صباحا من نوم الغفلة ، لم يجدوا أثـرا لـلـمـسـجـد والمـعبد ، تحيروا ، وبحثوا هذا الأمر ، وعندما علموا حقيقة الأمر ، توجهوا إلى نـيـشـابـور ، وعـرضـوا الأمـر على عـبـدالله مـن انه قد حدث لنا ظلم فى دولتك ، والآن جئنا نـشـكوا ، وأملنا أن تعطينا ما أُخذ منا ، فأمر عبدالله بن طاهر أن يطّلع على حقيقة هذا الأمر ، وعـنـدمـا جـاء الأمـنـاء لـلـبـحـث ، اجتمع اربعة آلاف شيخ معمر من نفس هرات والقرى والـبـلاد ، وشـهـدوا اننا قد رأينا هذا المسجد بهذه الكيفية طوال حياتنا ، ولم يكن هناك معبد أوشىء آخر فى هذا المكان ، وكانوا يطمعون فى الثواب فى اداء هذه الشهادة .

حكومة طاهر بن عبدالله

عـنـدما وصل خبر وفاة عبدالله بن طاهر إلى سمع الخليفة الواثق ، جعل طاهر بن عبدالله واليـا على جميع الأعمال التى كانت لأبيه ، وخص كل واحد من اخوته بمنصب ، ولما مرت سـنـتـان على حـكـومـة طـاهـر بن عبدالله مات الواثق (٣٦) ، وجلس ابنه المتوكل على سرير الخلافة وأرسل اللواء إلى طاهر بن عبدالله .

وفى سـنـة ٢٣٧ هـ أرسل طاهر أخاه محمد بن عبدالله إلى بغداد ، فجعله المتوكل صاحب شـرطـة بـغداد ، وأنابه على أعمال دار السلام ، وفى تلك الأيام عرضوا على المتوكل أن عيسى ابـن جـعـفـر بـن عـاصـم ، وكـان واحـدا مـن أعـيان بغداد ، قد سب أبابكر الصديق وعمر الفاروق وعائشة وحفصه رضى الله عنهم ، فأرسل المتوكل من سامرا (٣٧) رسالة إلى محمد بن عـبـدالله بـن طاهر بأن يقبض على عيسى ، و يضرب به عدة سياط حتى يموت و يرمى بجثته فى

دجلة ، ونفذ محمد الأمر ، وظل طاهر بن عبدالله يحكم خراسان حتى توفى(٣٨) فى عهد خلافة المستعين .

حكومة محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر

عندما علم المستعين بخبر موت عبدالله ، فوض امارة خراسان لطاهر « أبى محمد » ، وجعل محمد بن عبدالله بن طاهر أمينا فى العراق العربى(٣٩) والحرمين ، و يقولون : ان محمد ابن عبدالله بن طاهر كان متصفا بالفضل والأدب ، مال إلى اللهو واللعب والطرب والمجون ، وفى عهده أعطى امارة طبرستان(٤٠) لعمه سليمان بن عبدالله بن طاهر.

وفى شهور سنة ٢٥١ هـ خرج حسن بن زيد العلوى(٤١) ، وكان رجلا فاضلا وشاعرا ، فى تلك الولاية ، واستولى علىَ أكثر بلاد الديلم(٤٢) وگيلان(٤٣) ، وتوجه سليمان بن عبدالله مهزوما إلى الرى(٤٤) ، ومن هناك اسرع إلى بغداد ، فجعله المستعين صاحب الشرطه ، وأقره ايضا عليها المعز من بعد المستعين ، فقضى وقته لاهيا حتى توفى سنة ٢٥٣ هـ .

فى تلك الا ثناء كان يعقوب بن الليث قد استولى على بعض ولايات خراسان بعد الاستيلاء على سيستان ، و بعد فترة وجيزة قاد الجيش إلى هرات ، فخرج منها عامل محمد بن طاهر واستولى ايضا على قوشنج(٤٥) وكانت دار سلطنة الطاهر يين ، وفى رواية ان محمد بن طاهر قد فر وتوجه إلى نيشابور.

وفى سنة ٢٥٧ هـ قاد حسين بن زيد العلوى الجيش إلى جرجان ، واستولى على تلك الولاية وعندما علم محمد بن طاهر باستيلاء الحسن عليها ، وزع أموالا كثيرة على الجنود ، وارسلهم لقتاله ، فهزم حسن بن زيد جيش خراسان ، وقتل كثيرا منهم ، واستولى على اموال وغنائم كثيرة ، وصار محمد بن طاهر ضعيفا ، نظرا لأن يعقوب بن الليث قد استولى على أكثر بلاد خراسان ، واسترد الحسن بن زيد ولاية جرجان .

وفى تلك الأيام فر جماعة من أعيان خراسان ، والتجأوا ببلاط محمد بن طاهر ، وكان من بينهم أحمد فضل وأخوه ، وكلما أرسل يعقوب بن الليث الرسل ليطلبها ، لايجيبه محمد ، وقد ادى هذا الفعل إلى ازدياد الفرقة ، وفى سنة ٢٥٩ هـ توجه يعقوب بن الليث إلى نيشابور ، وعندما سمع أحمد فضل هذا الخبر، توجه مع أخيه إلى دار الإمارة ، ليخبرا محمدبن طاهر بهذا الأمر، قال الحاجب : لايمكن أن تر يا الأمير لأنه نائم ، قال فضل : عندما يأتى أى شخص أيقظ الأمير، ثم توجه أحمد وأخوه من هناك إلى عبدالله بن صالح سنجرى ، وكان قد فر ايضا

مـن يعقوب وجاء إلى محمد بن طاهر، وعندما ابلغاه بالحال، أدرك أن الغفلة قد استولت على محـمـد بـن طـاهـر، وأن دولـتـه قـد غر بت فاضطر ان يرسل أحد إلى الري ، والتحق بركب الحسن بن ز يد العلوى .

وعـنـدمـا تحقق محمد بن طاهر من خبر توجه يعقوب اليه ، ارسل اليه رسولا وسلمه رسالة مـن انـه « إلى ايـن تذهب دون فرمان من الأمير ؟ إذا كان لديك منشور اظهره ، لنمتثل لك » وعـلـم يـعـقـوب بمضمون الرسالة فأخرج السيف من تحت المصلى ، وقال للرسول : « إن منشوري هو هذا » (٤٦) ، وعندما عاد الرسول ، و وصل إلى نيشابور، وتوجه خاصة محمد بن طـاهـر وأعـيـان تـلـك الـولاية إلى يعقوب ، وانقادوا له ، وأخيرا أُسر محمد بيد يعقوب(٤٧) ، وانـقـرضـت الـدولـة الـطـاهـر يـة ، وكـانـوا جميعا ملوكا ، حسنى العقيدة وفضلاء ، وكانت خـراسـان فى أيـام حـكـومـة هـذه الأسـرة عامرة ومزدهرة ، وقد أورد شاعر اسماءهم فى هذين البيتين :

« كان فى خراسان من آل مصعب شاه ، طاهر وطلحة وعبدالله »

« وطاهر ثان ، ومحمد ذلك الذى سلم العرش والتاج ليعقوب » (٤٨)

مـن جـمـلـة مـكـارم محمد بن طاهر التى أوردها أحدهم ، أن شخصا كان بنيشابور يدعى محـمـود ، ولـديـه جارية فى غاية الحسن والجمال ، تقرض الشعر الجيد ، وتكتب خطا جميلا ، وتـعـزف الـبـر بـط (٤٩) جيدا ، وتلعب النرد والشطرنج ، ووصلت أوصافها إلى سمع محمد ، فـتـشـوق لها ، وارسل إلى محمود عدة مرات ليشتريها بثمن غال ، ولما كان محمود متعلقا بها ، لم يـرض بـيـعـهـا ولما مرت فترة على ذلك وانفق محمود كل مايملك على هذه الجار ية ، وضاق به الـحـال ، اخـيـرا ارسل محمود شخصا إلى الأمير ليشترى الجار ية ، فسر محمد بن طاهر، وأرسل أر بـعـة صـرر فـضـة إلى مـنـزل محمود ، ووضع الفضة امامه ، وقام محمود ، وذهب إلى حجرة الجـار يـة وقـال لها : انهضى وارتدى ملابسك واستعدى للذهاب إلى منزل الأمير الذى بعتك لـه ، وعـنـدمـا سـمـعـت الجـار يـة هذا صرخت و بكت ولما كان بكاؤها قد وصل إلى سمع الأمير، قـال محـمـود : ايتها الجـار يـة ماسبب هذا البكاء والحزن ؟ ، حرى بك إظهار الفرح والـسـرور لأنك ستذهبين إلى منزل الأمير وستكونين فى راحة ونعيم ! فأجابته الجارية : سيدى هل يكون آخر خدمتى أن ابتعد عنك ؟ قال محمود : لا أمل لأنه ليس فى يدى شىء من متاع الـدنـيـا ، وسـتـجـوعـين وتـتـعـر ين ، ولهذا فكرت فى أن اجعلك تقضين باقى عمرك فى راحة وسـعـادة ، فـأجـابـتـه الجـار يـة : لا تبيعنى ، واعاهدك بأن أقدم لك قوتك طول العمر، قال محـمـود : لـو كان كذلك ، أطلقت سراحك واكرمك واتزوجك ، وعندما سمع محمد بن طاهر مـاحدث استدعى محمودا ، وقال : اننى أهبك هذه الأر بع صرر من الفضة لتقضى وقتك بعد ذلك فى رفاهية ، وشد على يده ، ونهض ، وجرى ذكر فضله على الزمان .

حاشية الدولة الطاهرية

(١) « مر اورا رسد كبر يا ومنى   كه ملكش قديمست وذاتش غنى »
« يكى رابسر برنهد تاج بخت   يكى رابخاك اندر آردز تخت »

(٢) « وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين » الأنبياء جزء ١٧ آية ١٠٧

(٣) « على شيرنوائى (م ٩٠٧هـ ــ ١٥٠١م) من اعظم شعراء التركية الشرقية الجغتائية ، ولد فى هراة ، كان أبوه من رجال بلاط خلفاء تيمور ، وكان فى طفولته صديقا للأمير حسين بيقرا الذى عينه بعد استيلائه على هراة فى مناصب رفيعة بحيث كان الشخص الثانى فى السلطنة بعد السلطان ، وعندما توفى نوائى قوبلت وفاته بحزن عميق فى هراة ، كان اديبا ، اهتم بالأدباء والفنانين والفضلاء حتى اصبحت هراة فى عهده مركزا مضيئا من مراكز الحضارة الاسلامية وكان معجبا بالفارسية نظم بها ديوانا ، وله اربعة دواو ين بالجغتائية جمعها فى ديوان واحد ، وهو « خزائن المعانى » وقلد خمسية نظامى ، وله كتاب « مجالس النفائس » فيه ثبت باسماء الامراء التيمور يين المشتغلين بالآداب ، وله محاكمة اللغتين ايضا (انظر تار يخ بخارى لفامبرى ترجمة د . الساداتى ص ٨٩ ، ٢٨٥ ــ الأدب المقارن د . طه ندا ص ١١٠) .

(٤) « فايق بقدر همه كس آسمان صفت .. فايض بلطف برهمه خلق آفتاب وار»

(٥) اختلف المؤرخون فى معنىَ قوله « ذو اليمينين » فقيل لأنه ضرب رجلا بشماله فقده نصفين ، وقيل لأنه ولى العراق وخراسان (البداية والنهاية لابن كثير ١٠ / ٢٦٠) وورد ايضا أنه حين خرج طاهر لقتال على بن عيسى اختار الفضل بن سهل ساعة خروجه ، ورأى طالعه ، فوجد نجمى سهيل والشعرى اليمانيين وسط السماء ولهذا لقبوه ذا اليمنيين (ز ين الأخبار گرديزى ص ٦) .

(٦) الخليفة محمد الأمين تولى الخلافة ٢٩٣ هـ ، خلع أخاه المأمون من ولاية العهد ، فأرسل اليه طاهر بن الحسين فحاصره ، وقتله مولى من مواليه ، وحمل رأسه إلى طاهر التى قدمها للمأمون سنة ٢٩٧ هـ (مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى ٣٩٦/٣ ، شذرات الذهب فى اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلى ٣٤٧/١) وذكر ابن الأثير انه قتل سنة ١٩٨ هـ (الكامل ١٦٣/٥) ووافقه ابن كثير (البداية والنهاية ١٠ / ٢٤٠) .

(٧) سنة ٢٠٤ هـ (تار يخ الرسل والملوك المعروف بتار يخ الطبرى ٥٧٤/٨)

(٨) كان سبب توجه طاهر بن الحسين إلى المأمون هو أن محمد بن أبى العباس صهر طاهر قد اخطأ فى مجلس للمأمون ، فأرسل طاهر ليتشفع له ، فلما دخل طاهر عَلَ المأمون ، ولم يكن هذا وقت ز يارته ، اذن له ، وتشفع طاهر ، وقبل المأمون شفاعته (الطبرى ٨/٥٧٨) .

(٩) هاوون بن جبغو يه (الطبرى ٨/٥٧٨) هرون بن جيغونه (الكامل ٥/١٩٦)

(١٠) انظر الطبرى ٨/٥٧٩

(١١) أحمد بن ابى خالد الأحول من وزراء المأمون ، اراد ان يتنصل من الوزارة حين استدعاه المأمون لها ، كان جليل القدر، من عقلاء الرجال ، كان كاتبا فصيحا بصيرا بالأمور، وظل بالوزارة حتى مات سنة ٢١١ هـ (الفخرى لابن طباطبا١٩٩)

(١٢) كان طاهر بن الحسين واليا على الرقة ، واناب ابنه عبدالله عليها (الكامل ٥/١٩٧ البداية والنهاية ١٠/٢٥٥)

(١٣) وردت القصة عند الطبرى ٨/٥٧٩ ، وابن الا ثير ٥/١٩٦ ، وابن كثير ١٠/٢٦٠

(١٤) غسان بن عباد كات يتولى خراسان من قِبل الحسن بن سهل وهو ابن عم الفضل بن سهل (الطبرى ٨/ ٦٢٠ ، ابن الأثير ٥/١٩٧) وقد ولاه خراسان المأمون ، وظل بها حتى عزله عنها ، وولى طاهر بن الحسين (تار يخ بخارى للنرشخى ترجمة امين عبدالمجيد بدوى ونصر الله مبشر الطرازى ص ١٠٦)

(١٥) قبل ان يخرج طاهر إلى خراسان ندبه الحسن بن سهل لمحاربة نصر بن شبث ، فقال له طاهر: « حاربت خليفة وسقت الخلافة إلى خليفة ، وأومر بمثل هذا ، انما كان ينبغى ان توجه لهذا قائدا من قوادى » (الطبرى ٨/ ٥٨٠)

(١٦) سنة ٢٠٥ هـ (ز ين الأخبار ٥ ، الكامل ٥/١٩٧ ، البداية والنهاية ١٠/٢٥٥)

(١٧) كلثوم بن ثابت بن أبى سعيد يكنى ابا سعدة (الطبرى ٨/٥٩٤) كلثوم بن ثابت بن أبى سعيد (ابن الا ثير ٥/٢٠٤)

(١٨) « اللهم اصلح أمة محمد بما اصلحت به اولياءك واكفنا مؤنة من بغى علينا وحشد فيها بلم الشعث وحقن ا لدماء واصلاح ذات البين (الطبرى ٨/٥٩٤ ، ابن الا ثير ٥/٢٠٤)

(١٩) اضاف الطبرى عن رواية مطهر بن طاهر انه مات من حمى وحرارة اصابته (الطبرى ٨/٥٩٣) وقد ألمح ابن كثير إلى ان المأمون هو الذى أمر خادمه أن يدس له السم إن رأى منه شيئا ير يبه (البداية والنهاية ١٠/٢٦٠)

(٢٠) البيت لعمرو بن نباته .

(٢١) سنة ٢٠٧ هـ (الطبرى ٨/٥٩٣) ، الكامل ٥/٢٠٤ ، البداية والنهاية ١٠/٢٦٠)

(٢٢) تولى طلحة ولاية خراسان (ز ين الأخبار ٥ ـــ ابن الأثير ٥/٢٠٥) وأورد ابن كثير أن المأمون قد ولى عبدالله بن طاهر خراسان على الرغم من أن طاهر لم يدع له على المنبر، فأرسل عبدالله أخاه طلحة (البداية والنهاية ١٠/٢٦٠) وقام ابن كثير بنقلها عن الطبرى(٨/٥٩٥)

(٢٣) حمزه بن أدرك الخارجى (مروج الذهب ٤/٢٠٠) أوحمزة بن عبدالله الخارجى ، عرف حمزة بين اهالى سيستان ، بايعه اهلها من اعوان قطرى بن الفجاءة والحضين ، توجه عيسى بن على بن عيسى لمحاربته سنة ١٨١ هـ ، وخرج هارون الرشيد بنفسه لحر به بعد أن استفحل شأنه إلا انه مات من سنة ١٩٣ هـ فى طوس ، وظل حمزه يحارب الولاة الذين كان يرسلهم الخليفة إلى سيستان حتى حار به طلحة ثم تنازل طلحة لأحمد بن ابى خالد عن سيستان ، فقام الأخير بدفع حمزة سنة ٢١٣ هـ (سجستان بين العرب والفرس تار يخ سيستان . ترجمة د . أحمد الخولى ص ٢١٨ ـــ ٢٤٠)

(٢٤) نيشاپور أونيساپور مدينة من مدن خراسان ، عتبة الشرق ، ومجمع العلماء ومعدن الفضلاء (آثار البلاد وأخبار العباد ـــ لزكر يا محمد القزو ينى ٤٧٣)

(٢٥) وردت بابك خزاعى (روضة الصفا ص ٢) والصواب بابك الخرمى وهو صاحب مذهب الخرمية من اصطلاح (خُرَّم دين) اى الدين الممتع ، وتطور اللفظ إلى خرمدينيه ، ثم اختصر خرميه ، وكلمة خُرَّم بمعنى اللذة والفرح ، فهو يعنى دين اللذة والاباحية (انظر ـــ الفرق بين الفرق للبغدادى ٢٥٩ ، الفهرست لابن النديم ٤٨٠ ، الانساب للسمعانى ٧٢ ، تلبيس ابليس لابن الجوزى ١٠٢) واسم بابك هو بابك بهشتا دسر (الطبرى ٨/٦٢٢)

(٢٦) دينور ناحية من نواحي نهاوند (آثار البلاد ٣٤٦)

(٢٧) وردت بالمخطوط ٢٢٥ هـ (روضة الصفا ٣)

(٢٨) قم مدينة بارض الجبال بين ساوه واصفهان ، مُصّرت فى عهد الحجاج بن يوسف سنة ٨٣هـ ، اهلها شيعة غالية جدا (آثار البلاد ٤٤٢ — ٤٤٣)

(٢٩) عزيز بن نوح (زين الأخبار ٦)

(٣٠) أرسل عبد الله بن طاهر عزيز بن نوح ومحمد بن الأحوص وعباس بن هاشم والياس بن اسد لمحاربة الخوارج سنة ٢١٦هـ (تاريخ سجستان بين العرب والفرس د. أحمد الخولى ص ٢٤٢ — ٢٤٣)

(٣١) سنة ٢١٨ هـ (الطبرى ٨/٦٤٦ — مروج الذهب ٤/٤٠ — ابن الأثير ٥/٢٢٧ ، ابن كثير ١٠/٢٧٥)

(٣٢) جلس المعتصم ٢١٨ هـ وتوفى ٢٢٧ هـ (المسعودى ٤/٤٦ — ابن الاثير ٥/٢٦٥ — ابن كثير ١٠/٢٩٥)

(٣٣) وردت بالمخطوط ٢٢٧ هـ (روضة الصفا ٣)

(٣٤) وردت كان عمره ثمانيا واربعين سنة (ابن الاثير ٥/٢٧١)

(٣٥) هراة مدينة عظيمة من مدن خراسان ، بناها الاسكندر، وحولها سور حصين ليس هناك بخراسان مدينة أجل ولا أعمر ولا أحصن ولا أكثر خيرا منها (آثار البلاد ٤٨١)

(٣٦) مات الواثق سنة ٢٣٢هـ (زين الاخبار ٩ — المسعودى ٤/٨٤ — ابن الاثير ٥/٢٧٧)

(٣٧) سامرا مدينة بناها المعتصم سنة ٢٢١ هـ بسبب تعدى مماليكه على حرم الناس ، تقع شرقى دجلة بين بغداد وتكريت (آثار البلاد ٣٨٥) (انظر تجارب الامم لابن مسكويه ٥/٢١٠ ، الطبرى ٩/١٢ — العوامل التاريخية لنشأة المدن العربية الاسلامية لمصطفى عباس ص ١٤٢)

(٣٨) مات طاهر سنة ٢٤٨ هـ (الطبرى ٩/٢٥٨ — گرديزى ٩ — ابن الاثير ٥/٣١١)

(٣٩) العراق العربى : العراق الحالى

(٤٠) طبرستان : يقول العجم عنها مازندران وهى بين الرى وقومس وبحر الخزر (آثار البلاد ٤٠٣)

(٤١) الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن على صاحب طبرستان ظهر بها فى سنة ٢٥٠ هـ ومات بها سنة ٢٧٠ هـ ، وقام مكانه اخوه محمد بن زيد وملك الديلم ، وللحسن من الكتب (كتاب الجامع فى الفقه — كتاب البيان — كتاب الحجة فى الامامة) كان زاهدا جوادا يعرف الفقه والعربية (انظر الفهرست لابن النديم ٢٧٤ — ابن كثير ١١/٤٧)

(٤٢) بلاد الديلم بأرض الجبال قرب قزوين ، وهى بلاد كلها جبال ووهاد ، قيل ان اصلهم من بنى تميم لهذا اغلبهم يميلون إلى الأدب والعربية منهم ملوك آل بويه و ينسب اليهم قابوس بن وشمگير (آثار البلاد ٣٣٠)

(٤٣) جيلان — گيلان : بين قزوين وبحر الخزر (آثار البلاد ٣٥٣)

(٤٤) انظر الطبرى ٩/٣١٧

(٤٥) قال محمد بن طاهر: إذا كنت قد جئت بمنشور أمير المؤمنين فاظهره لنا لنترك لك الولاية ، وإذا لم يكن .. فعد (زين الأخبار ٦)

(٤٦) ورد أن محمد بن عبد الله بن طاهر قد مات بسبب قروح اصابته فى حلقه ورأسه فذبحته (الطبرى ٨/٣٧٦)

(٤٧) « در خراسان ز آل مصعب شاه طاهر وطلحة بود وعبد الله »
« باز طاهر دگر محمد آن كو بيعقوب داد تخت وكلاه » (روضة الصفا ٣)

(٤٨) آلة موسيقية ، العود معرب . بربط أى صدر الأوز لأنه يشبهه (القاموس المحيط الفيروزآبادى ٢/٣٦٢ — انظر شتايجس ١٧٠)

فصـــل

فى احوال ال الليث وبداية أمر يعقوب (١) ..... ويطلق أرباب التاريخ عليهم الصفارية .

(المخطوط ص ٥ ــ ١٠)

كان والد يعقوب صفارا (٢) فى سيستان ، ولديه ثلاثة أبناء ؛ يعقوب وعمرو وعلى (٣) ، وقد حكموا جميعا ، ولم تطل فترة حكم على ، كان يعقوب ايضا يعمل فى بداية حاله صفارا (٤) ومع أنه أتقن هذه الحرفة ، لم يُعلمها للصبيان ، وعندما وصل إلى سن الرشد ، جمع جماعة من بنى جلدته حوله ، وقام بقطع الطريق ، حتى تهيأت له أسباب القيادة ، وكان يراعى المساواة فى هذا الأمر ، و يعدل فى توزيع كل شىء يقع بأيديهم .

وفى سنة ٢٣٧ هـ حين كانت خراسان وتوابعها تتعلق بطاهر بن عبدالله ، استولى شخص من أهل بست يدعى صالح بن نصر (٥) على مملكة سيستان عنوة ، وصار يعقوب بن الليث فى خدمة صالح ، وفى تلك الأثناء أرسل طاهر بن عبدالله جيشا ، ليطرد صالح من نواحى سيستان ، و بعد ذلك خرج درهم بن نصر ، واستولى على سيستان ، وأبعد جيش طاهر عن نواحى سيستان .

ولما لم يستطع درهم بن نصر من ضبط الجيش كما ينبغى ، جعل يعقوب بن الليث أميرا على الجيش ، وعندما رأى الجنود ضعف وعجز درهم ، تلقوا خبر قيادة يعقوب بالابتهاج ، وفوض درهم ايضا ضبط وربط الأمور له (٦) .

ورد فى كامل التواريخ(٧) أن حاكم خراسان فكر فى حيلة ليظفر بدرهم ، وقبض عليه وارسله إلى بغداد ، وحبسه الخليفة فترة ، و بعد ذلك أطلق سراحه ، وانشغل درهم بخدمة الخليفة ، و بعد غيبة درهم ترقى يعقوب درجات عالية ، وقام بدفع فتنة الخوارج ، وكان رفاقه وتابعوه يطيعون أوامره بشكل لايمكن تصوره ، وعندما فرغ يعقوب من ضبط سيستان قاد الجيش إلى خراسان(٨) ، وفى هذه السنة لم يتيسر له الفتح ، فاضطر العودة إلى سيستان حتى عاد اليها مرة أخرى ليهاجمها .

وفى سنة ٢٥٣ هـ(٩) وطبقاً لما ذُكر توجهه إلى خراسان، واستولى على هرات وقوشنج(١٠) ، وتوجه من هناك إلى ناحية كرمان ، وقبض على نائب حاكم شيراز الذى كان يحكم هذه البلاد ، ومن هناك توجه إلى ناحية شيراز، وحارب والى فارس ، وقبض عليه ايضا ، وأرسل عشرة صقور بيضاء وعشرة صقور بلقاء(١١) ومائة مَنّ(١٢) مسكا وهدايا أخرى إلى بغداد ، وأرسل رسالة إلى الخليفة : « إننى طائع لكم وتابع » ، وعاد إلى سيستان وحمل معه حاكم شيراز سجينا (١٣) .

وفى سنة ٢٥٧ هـ قاد الجيش ثانية إلى فارس ، وفى هذه المرة ارسل خليفة بغداد المعتمد رسالة اليه من أنه : « طالما أن مملكة فارس لم نعطك إياها ، فلماذا تقود الجيوش اليها من فترة إلى أخرى ؟ » وأرسل الخليفة أخاه الموفق ، وكان « صاحب اختيار(١٤) » ومرجع المملكة رسولا إلى يعقوب(١٥) ، وحمله أمرا مضمونه بأن يتولى يعقوب ولاية بلخ وطخا رستان وسيستان(١٦) ، ويجب أن يتوجه إلى تلك الناحية ، وعاد يعقوب من فارس ، وقطع المنازل(١٧) ، ووصل إلى بلخ(١٨) ، وتوجه من هناك بجيش جرار إلى كابل(١٩) ، وأدخلها تحت سيطرته ، وأسر حاكمها ، وتوجه بعد ذلك إلى هرات ، واستولى عليها ، وأسرع إلى ناحية نيشابور، وجاء محمد بن طاهر إلى يعقوب ، وأرسله يعقوب مع جميع أقاربه وعشائره . الذين كانوا مائة وخمسين شخصا ؛ مقيدين إلى سيستان ، وعين نوابه بخراسان ، وتوجه فجأة إلى طبرستان ، ليحارب حسن بن زيد العلوى ، وسبب ذلك هو أن عبدالله سنجرى كان قد فر من يعقوب ، وتوجه إلى نيشابور عند محمدبن طاهر، وعندما علم بخبر توجه يعقوب ، فر من هذا المكان ، والتحق بحسن بن زيد العلوى كما سبق ذكره(٢٠) .

وأرسل يعقوب الرُسل إلى حسن ، وطلبه، ولم يهتم حسن بذلك الكلام ، فاستاء يعقوب ، وقاد الجيش اليه ، وعندما وصل إلى سارى ، توجه حسن بجيش منظم لمواجهة العدو ، وانتصر يعقوب ، وفر حسن(٢١) ، وتوجه إلى بلاد الديالمة ، وسار يعقوب من سارى إلى آمل(٢٢) ، وأخذ خراج عام وتوجه من هناك إلى الديلم ، لينتقم من الحسن مرة أخرى(٢٣) ، وفى الطريق فُقد أربعون ألف رجل من جيش يعقوب لهطول الأمطار أربعين يوما متصلة ، وعاد فى حال سيئة ، وأرسل رسولا إلى الخليفة من « أننى فتحت طبرستان

وهزمت حسن بن زيد، ولهذا أنتظر عطفكم » ، ولكن الخليفة أرسل منشوراً إلى حجاب الري وخراسان وطبرستان مضمونه : « إنني عينت من قبل يعقوب على حكومة سيستان ، ولكنه الآن يبدى التمرد والعصيان ، فعليكم أن تلعنوه دون تردد » ، وقد صدر هذا الحكم عندما علم الخليفة أن يعقوب بن الليث قد جاء خراسان ، وقبض على آل طاهر ، وسجنهم ، وارسلهم إلى سيستان .

استيلاء يعقوب بن الليث على مملكة فارس ومحاربته الموفق أخي الخليفة

عندما قتل محمد بن واصل التيميي فى فارس عامل الخليفة(٢٤) ، واستولى على تلك البلاد ، فأرسل موسى بن يوخا(٢٥) ــ الذى كان حاكما على البصرة والأهواز ويمامة وفارس من قِبل دار الخلافة ــ عبدالرحمن بن مفلح لحرب ابن واصل ، وقد سمع وهو فى الأهواز خبر جيش بغداد ، فتوجه من هناك لمقابلته ، والتقى الفريقان فى الطريق ، ووقعت حرب ضروس ، وانتصر محمد بن واصل ، وأسر ابن مفلح لسوء حظه ، وكلما أرسل الخليفة إلى ابن واصل ليطلق سراح عبدالرحمن بن مفلح ، رفض ، وعندما وصل هذا الخبر إلى يعقوب بن الليث ، طمع فى مملكة فارس ، فتوجه صوبها ، وبعد قطع المنازل ، وصل نواحي فارس ، ووقعت بينه وبين ابن واصل معارك ، وانتصر يعقوب ، وارتفعت راية دولته إلى أوج السماء .

وعندما استقل بهذه الولاية ، عزم التوجه إلى بغداد ، فأرسل الخليفة منشور حكومة خراسان وطبرستان وفارس(٢٦) إلى يعقوب ، لكى يعود ، وعندما وصل رسول دار الخلافة إلى يعقوب ، قال : « إننى لا أقبل هذا ، وفى الحقيقة أريد أن أحضر إلى بغداد » ، وعندما سمع الخليفة المعتمد هذا الخبر ، أرسل أخاه الموفق بجيش إلى يعقوب(٢٧) ، وبعد القتال والجدال هزم يعقوب بن الليث بالمكر والحيلة كما هو مسطور فى التواريخ ، ومرة ثانية جمع جيشه الممزق وتوجه إلى بغداد ، وأصيب فى اثناء الطريق بمرض القولنج ، وكلما أراد الأطباء حقنه كان يرفض ، وقال : « إن موتى أسهل من حقنى(٢٨) » ، وفى أثناء ذلك المرض وصل رسول دار الخلافة ، واحضر له رسالة استمالة ومنشور ولاية فارس ، ووضع يعقوب امامه السيف وقدرا من الخبز الجاف والبصل ، واستدعى الرسول وقال له : « بلغ دعائى للخليفة ، وقل له : يعقوب يقول لك : إنني عليل ، فإن مت ، فقد خلصت من يدى ، وإن عشت فالسيف بينى وبينك ، حتى آخذ بثأرى أو تكسرنى وتعقرنى وأعود إلى هذا الخبز الجاف والبصل وأترك الحكم » ، وعاد الرسول ، ولم يكد يصل إلى دار الخلافة ، حتى توفى يعقوب(٢٩) .

كـان يـعـقـوب سياسياً فذا، كان يسأل كل من جاء لخدمته، وراق فى نظره، عن حاله فى حمل الـسـلاح واطلاق الرماح وضرب السيوف، و بعد ذلك يسأله عن هذه الفترة مع من قـضـاهـا فى الـعـمـل، وفى أى مـعـركـة قاتل، ثم يأمر بأن يعطوه كل مايحتاجه من مأكولات ومـلـبـوسـات وغـيـرهـا لمدة عام، فاذا طلب ذلك الشخص شيئا قبل انقضاء العام، أمر بأن يستردوا ما اعطوه له(٣٠).

كـانـت جميع جياد الجنود ملكا له، إلا القليل، وكان يقدم علف الدواب من خاصته، وكـان لـه كـرسـى خشبى يجلس عليه، و يشرف على جميع الجيش، وإذا وقع نظره على شىء سـىء فى أوضـاع الجـيـش، كـان يـأمـر بـتـغـيـيره، وقد اختار ألف مقاتل جلد من الجيش، واعطى كل واحد جماقا(٣١) ذهبيا يزن ألف مثقال ذهبا، وكان قد وزع أيضا ألف جماق مـن الـفـضـة على ألـف شخص، وكان هؤلاء القوم يضعون هذه الجماقات على اكتافهم فى الأعـيـاد والمحافل، ولم يكن هناك من شخص يقف على أسراره، ولم يكن يستشر أحدا قط فى أمور الـمـمـلـكـة، وعـنـدما هزمه اعداؤه، لم يجرؤ أحد قط على الاقتراب منه، ولم يكن يسمح لأحـد بـالـسـلـب والنهب دون اذن مـنـه، وقد اقاموا خيمة خلف خيمته ليستقر فيها غلمانه الخواص، وكـلـما احتاج شيئا صاح على غلام منهم، ليكفيه إياها، وكانوا يطبخون عشرين خـروفـا يـومـيـا فى خمـسـة قـدور، كـان يـفـصـل القسم الأول لغلمان البلاط و يقسمها على الخـاصـة، وذات يـوم قـال له أحد الرسل: انت فى قيادتك، تجلس فى خيمتك وليس لديك شـىء قـط سـوى هـذا الـرداء وهـذا الـسـلاح الذى تلبسه، أجابه يعقوب: إن القائد يأتم به اصحابه و يعيشون على منهاجه(٣٢).

من غـرائـب الحكايات التى ينقلونها عن يعقوب تلك الحكاية وهى أنهم قالوا له: إن أبا يـوسـف يعقوب بن سفيان لم يسب عثمان سنجرى بل انه سب عثمان بن عفان الصحابى، قال يعقوب: « اطلقوه، فلا شأن لى بالصحابة»!! كانت مدة سلطنة يعقوب احدى عشرة سنة.

حكومة عمرو بن الليث الصفار

عـنـدمـا تـوفى يعقوب بن الليث، تصدى أخوه عمرو لأمر الحكومة، وارسل رسالة طاعة إلى دار الخـلافـة، وأبـدى ولاءه، و وصل منشور دار الخلافة(٣٣)، وعُين على حكومة العراق العجمى وفارس وخراسان وشحنگى بغداد(٣٤)، وقبل عمرو خلعة الخليفة، وارسل عبدالله ابـن طـاهـر رئيسا لشرطة دار السلام(٣٥) من قبله، وتوجه إلى قزوين(٣٦)، ومن هناك توجه

إلى الري(٣٧) ، وفى ذلك الوقت أبدى عامل فارس محمد بن الليث وكان نائبا لعمرو مخالفة ، وبناء على ذلك توجه عمرو إلى هذه الناحية ، وقاتل محمد بن الليث ، وهزمه ، وتوجه إلى اصطخر(٣٨) ، ومال من اصطخر إلى ناحية شيراز ، وعندما استقر فى شيراز ، ارسل إلى الخليفة الموفق(٣٩) ثلاثمائة الف دينار وخمسين منا مسكا وخمسين منا عنبرا ومائتى منا عودا وثلاثمائة رداء منقوش بنقوش غريبة ، وثلاثمائة ظرف من الذهب والفضة ، ثلاثمائة دابة كهدية ، لأنه جعل أخاه صاحب اختيار الخليفة .

وفى سنة ٢٧٠ هـ شكا والى خراسان عمرو للخليفة ، واستدعى الخليفة حجاج خراسان ، وقال لهم : « اننى عزلت عمرو بن الليث عن خراسان ، ويجب عليكم لعنه »(٤٠) ، وبعد ذلك أرسل صاعد بن مخلد(٤١) بجيش جرار من واسط لمحاربة عمرو بن الليث ، وبعد التقاء الفريقين ، وقعت حرب ضروس ، واشتعلت نار الحرب من طلوع الشمس إلى وقت زوالها ، وأخيرا هبت نسائم النصر على راية جيش الخليفة ، وقتلوا عددا من امراء عمرو بن الليث ، وجُرح(٤٢) ساعده ايضا ، ونجا عمرو بن الليث من هذا الهلاك ، وحملوا غنائم كثيرة إلى بغداد ، وتوجه عمرو إلى فارس ، ووصل هذا الخبر إلى سمع الموفق ، وكان عمرو قد توجه إلى شيراز قبل ذلك ، فاتجه إلى هذه الناحية ، ولما لم يجد عمرو طاقة للمقاومة توجه إلى سيستان من طريق كرمان ، واسرع من سيستان إلى خراسان ، ووقعت بينه وبين رافع بن هرثمة — الذى كان قد خرج فى تلك الفترة(٤٣) — وخطب الخطبة باسم محمد بن زيد(٤٤) حرب ، واخيرا انتصر عمرو بن الليث على رافع وأرسل رأسه إلى بغداد ، وبهذه الحركة رضى الخليفة عن عمرو(٤٥) ، فأمر أن يكتبوا اسمه فى الاعلام(٤٦) .

وفى سنة ٢٨٤ هـ جمع الخليفة حجاج خراسان ، وأمر أن يقرأوا عليهم منشور امارة خراسان وماوراء النهر(٤٧) وفارس وكرمان وسيستان — والذى كان قد صدر باسم عمرو ابن الليث ، وفى سنة ٢٨٦ هـ وصلت هدايا عمرو التى كان قد أرسلها من خراسان إلى الخليفة ، من جملة الهدايا صنم ذهبى له أربعة أذرع وقرطان مرصعان فى أذنه ، وكان هذا الصنم على قاعدة ذهبية توازى قامة جازة ، وقد حملوه فى البداية على هذه الصورة إلى بيت المعتضد ، ثم وضعوه فى مكان شرقى بغداد بناحية كان رؤساء الشرطة يقيمون بها ، وبعد ثلاثة أيام سلموه للخازن .

ذكر محاربة عمرو بن الليث مع اسماعيل بن احمد الساماني وأسر عمرو ونهاية أمره

عندما وصل خبر تفويض ولاية ماوراء النهر لعمرو بن الليث ، أرسل خادمه ـــ محمد بن بشير أحد اعمدته بل انه كان من أخص خواصه ـــ بجيش جرار لمحاربة حاكم هذه البلاد اسماعيل السامانى(٤٨) ، وعبر اسماعيل جيحون ، واستعد فى مواجهة الأعداء ، و بعد القتال قُتل محمد بن بشير(٤٩) ، وهُزم جيشه ، ولحق بعمرو ، وأعد عمرو عدة الحرب ليذهب بنفسه لمحاربة اسماعيل ، وكلما منعه الأمراء من أنه لامصلحة فى ارسال الجيش ، أبى ، وعندما وصل عمرو إلى بلخ أرسل اسماعيل رسالة اليه : « إن الحق عز وعلا قد اعطاك مملكة واسعة ، وأنا لا أطمع فيها وقد قنعت إلى هذا الحد ، والآن اننى اتوقع أن تدع لى هذه الناحية لأنها صغيرة(٥٠) ، ولم يقبل عمرو ، وتوجه عن طريق پنج آب ، وتحرك اسماعيل ايضا نحوه ، وعبر النهر ، واستقر فى مواجهة الخراسانيين ، واتجه عمرو بجيش جرار لم يتيسر له من قبل ، ولم يكن هناك مجال للعودة ، ومنى جيشه بهزيمة فى أقل فرصة ، وفى أثناء الهزيمة قالوا لعمرو : « المصلحة هى أن تعود أنت من طريق ملتو» ، ولكن عمرو قاد الجيش فى طريق مستقيم ، ودخل غابة ، وتعب جواده تماما ، ورحل نفر قليل كانوا معه وتركوا خدمته ، وكان جماعة من جيش اسماعيل يتعقبونه ، فقبضوا عليه(٥١) .

وورد فى بعض التواريخ أن اسماعيل السامانى ، قد عبر بعشرة آلاف فارس لمحاربة عمرو بن الليث ، بتحريض وغواية الخليفة المعتضد ـــ الذى لم يكن مرتاحا لعمرو بن الليث ، وتوجه عمرو إليه بسبعين ألف فارس ، وعندما اصطفا نزل جواد عمرو ـــ الذى كان متهورا جدا ـــ الميدان وأوصله إلى صفوف الاعداء ، و بدون إراقة دماء هُزم ، ومُنى رجال عمرو بالهزيمة ، وحبسوا عمرًا فى الخيمة ، وتركوا أحد الفراشين على عمرو ، فطلبه عمرو ، وقال : أعد لى طعاما وأحضر الفراش الطعام ، ووضعه فى سطل الجواد ، واشعل تحته النار ، وذهب ليحضر الحاجة وجاء كلب ، ووضع رأسه فى السطل ، فأحرقته النار ، فاسرع باخراج رأسه ، وتعلقت حلقة السطل فى رقبته ، وجرى ، وحمل السطل ، فضحك عمرو من هذا المنظر ، وقال له أحد الخدم : لماذا تضحك ؟ قال عمرو : لأن الطباخ شكالى اليوم ، بأن ثلاثمائة(٥٢) بعير لا تستطيع حمل أدوات مطبخه وهاهو كلب يحملها(٥٣) .

و يقول بعضهم أنه : عندما احضروا عمرو بن الليث عند اسماعيل ، قبل اسماعيل وجهه وقال : أنت أخى العزيز ، وأعطاه خلعة فاخرة ، .... ولن أؤذيك ، وعندما عاد إلى ماوراء النهر ، حمله معه إلى هرات ، وارسل رسولا إلى دار الخلافة بعد أسر عمرو بن الليث ، وذكر أحواله ، قال الخليفة المعتضد : « الرحمة لاسماعيل واللعنة على عمرو» ، وارسل

الرسل بعد ذلك إلى اسماعيل ليسلمه عمرا ، وسلم اسماعيل عمرا لرسل الخلافة ، وعندما بلغوا بعمرو نواحي بغداد ، اركبوه على جمل ، وأدخلوه المدينة (٥٤) ، وعندما رآه المعتضد قال : « شكرا لله الذى أوقعك فى يدى ، وكفانا همك (٥٥) » ، وأمر على الفور ان يحملوه إلى الحبس ، وهناك اختلاف فى نهاية أمره .

قال بعضهم (٥٦) : إن المعتضد حين الوفاة ، أرسل قائدا ليقتله ، وقال آخرون : إنه فى أثناء مرض المعتضد لم يتذكروه ومات جوعا ، وبرواية : أنه عندما كان الخليفة فى حالة النزع ، وأدرك صاحب الحرس أن المعتضد سيموت فى تلك الفترة ، لم يلوث ذيل عصمته بدمه ، وعندما تربع المكتفى على سرير الخلافة ، سأل عن حال عمرو قالوا : حى ، سُرـــ لـمَّا كان قد رآه من كرمه وفضله ـــ وأراد ان يعوضه عن ذلك بالاحسان والرحمة ، وعندما علم الوزير القاسم أن المكتفى سيعتنى بعمرو بن الليث ، ولما كان يحمله له من عداء ارسل أشخاصا ليقتلوا عمرا ، وقالوا للمكتفى : لما كنا نعتقد أن عمرا فى زمرة الأحياء وكنا نتفحصه وجدنا خلاف ذلك (٥٧) .

ومسطور فى تاريخ بناكتى أن مدة حكمه ثلاث وعشرون سنة (٥٨) ، ومن آثار عمرو : مسجد فى شيراز ، وقد ذكروا أن من عادات عمرو بن الليث ، أنه كان يطعم غلمانه الصغار ويربيهم كما ينبغى ، وعندما كبروا ، يهبهم للأمراء ، ولايكف عن رعايتهم حتى يقوم هؤلاء المماليك بابلاغه خفية أحوال مالكيهم ، ولما كان الأمراء يجهلون أمر الغلمان ، كانوا يظنون أن جماعة من الجن تلازم ملكهم ، ويخبرونه باحوالهم خفية ، ولهذا السبب كان الأمراء يحتاطون ، وكان عمرو أعورا ، وكان قاسيا على عامله جدا .

ذات مرة غضب على أبى الحسين فى فارس ، وقال : « أيها المملوك بع جميع املاكك وسلمنى ثمنها » ، فقام العامل بما أمر به ، فعاد عمرو وقال : « عليك ان تعطينى فى ثلاثة أيام مائة الف درهم ، والا أمرت أن يطيحوا برأسك » ، فأرسل أبوالحسين شخصا إلى أبى سعيد الكاتب ، والتمس أن يضمنه حتى يتخلص من حبسه ، و يعمل على اداء ماعليه ، وضمن أبوسعيد أبا الحسين ، وأخرجه من الحبس ، وكلما سعى لجمع المبلغ المطلوب لم يستطع وبعد ثلاثة أيام ، توجه إلى أبى سعيد ، وأبدى عجزه ، وقال : لقد جئت لتسلمنى للوكلاء ، وارسله إلى الحبس وعلم عمرو بهذه القضية ، قال : لا أعرف هل أتعجب من ضمان ابى سعيد الكاتب أم من عودة أبى الحسين (٥٩) ، وخط بقلم عفوه على جريمة أبى الحسين . وأطلق سراحه .

ويروى أن عمرا كان أحيانا يضع جلود الخرفان خالية على الابل ، ويحملها معه فى المعسكرات ، ولايعلم أحد قط ما الحكمة من ذلك ، وفجأه سار فى طريق غير مطروق وتوجه

إلى أهل العصيان ، واعترضه فى هذا الطريق نهر لايمكن عبوره ، فأمر عمرو أن يملأوا الجلود بقطع حجارة صغيرة ، وأن يلقوها فى هذا النهر حتى يحقق هدفه ، وألقوا ترابا كثيرا ، وظهر طريق فى وسط النهر ، وعبر عمرو والجنود عليه .

و يقولون : إنه لم يكن هناك من حجاب وخواص عمرو أفضل من محمد بن بشير ، قال له عمرو يوما : جرائمك كثيرة و بدأ يعدها ، واقسم محمد بن بشير على الفور بالأيمان الغليظة بأنني ليس لدى اكثر من خمسين صرة ذهبا ، وسأودعها الخزينة ولاحاجه لى بها حتى لاتتهمنى بجرائم لم افعلها ، أجابه عمرو : ليس هراء قط أنت بكامل عقلك ، وسلم محمد بن بشير النقود للخازن فسر منه عمرو(٦٠) .

وذكروا أن عمرا قد أمر جيشه ذات يوم بأن يعرضوا عليه اسلحتهم ودوابهم ، وجلس فى صحراء ، وكان الجنود يمرون أمامه واحدا تلو الآخر ، فيتفحص أى السلاح أفضل ومدى قوته ، واثناء ذلك ركب شخص من الجنود جواداً ضامراً ، ومر أمامه ، قال عمرو : عجبا لقوم يسمنون مقاعدهم كالنساء و يضمرون الجياد ، فنزل الجندى عن الجواد وضرب ركبته : وقال : ان الله اعطانى مقعد إمرأه ليكون مرتبة على هذا الجواد الأكثر ضمورا ، فان لم تصدقنى فأنا أهيئه ، فضحك عمرو من هذا الحديث ، واكرمه وأحسن اليه(٦١) .

طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار

عندما أسر عمرو بن الليث بيد القضاء ، أجلس أمراء وأعيان دولته طاهر ، على كرسى الملك فى سيستان ، فتوجه بجيش جرار إلى فارس ، فخرج عامل الخليفة منها ، وتوجه إلى الأهواز ، وأرسل الخليفة عبدالله بن فتح إلى اسماعيل السامانى بهدايا وتحف ، والتمس منه ارسال جيش لصد طاهر ، فأرسل اسماعيل رسالة إلى طاهر مضمونها : « إن الخليفة أعطاك سيستان فاتجه إلى عملك » (٦٢) .

عندما اطلع على مضمون الرسالة ، سلك طريق سيستان واقام بها ، وارسل طاهر الهدايا إلى اسماعيل ، والتمس منه أن يطلب من الخليفة ، أن يعطيه بعض ممالك آبائه واجداده ، وقبل اسماعيل هدايا طاهر ، وأرسل رسولا بالتماس طاهر إلى دار الخلافة ، وقدم ما ارسله طاهر من هدايا ، وقبل الخليفة شفاعة اسماعيل ، وأرسل رسالة من انه : « لو أرسل أحد عمالنا مائة أمثال ما أرسله طاهر مانال رضانا » ، وارسل الخليفة إلى طاهر رداء مذهبا ومعاهدة ، وتوجه طاهر إلى شيراز(٦٣) .

وفى ربيع الأول سنة ٢٩٣ هـ توجه أبوقابوس (٦٤) أحد أمراء طاهر مع جمع غفير إلى بغداد ، لأن طاهر مال إلى اللهو والمرح والصيد ، وتوجه إلى سيستان ، وجاء الليث بن على ابن الليث الصفار وسنكرى (٦٥) غلام عمرو بن الليث إلى شيراز ، وحدثت مشادة بينهما و بين أبى قابوس ، وأهانا أباقابوس ، فاستاء وتوجه إلى بغداد (٦٦) ، فخلع الخليفة الخلع الغالية عليه وعلى رفاقه ، و بعد ذلك كتب طاهر رسالة إلى الخليفة مضمونها « إن أبا قابوس قد استولى على أموال كثيرة من المقاطعة ، فأرسله إلىّ أو خذ منه الأموال » ، فلم يرد عليه الخليفة ولم يعره انتباها (٦٧) .

وفى سنة ٢٩٦ هـ حدثت فجوة بين طاهر وسنكرى غلام عمرو وجماعة ، انتهت بالمحاربة وغُلب طاهر ، وأسر سنگرى طاهرا وأخاه يعقوب (٦٨) ، وأرسلها إلى بغداد ، وانتهت فترة حكم طاهر ايضا ، ومكتوب فى تاريخ بناكتى ان فترة حكمه ست سنوات (٦٩) ، و بعد أسر طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار ، حكم الليث بن على بن الليث الصفار وأخوه معدل عدة ايام (٧٠) ، ولكن لما كانت الدولة الصفارية قد اوشكت على الزوال فانها أُسرا ايضا وحُملا إلى بغداد .

خروج عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار فى سنة ٣٠٠ هـ

أبدى السيستانيون العداء لأحمد بن اسماعيل السامانى ، وسبب ذلك هو أن محمد بن هرمز السيستانى الخارجى (٧١) ــ الذى كان فى بخارا ، كان قد ذهب ذات يوم إلى أبى الحسين على بن احمد صاحب العرض « عارض » (٧٢) وطلب منه رزقه وقال له أبوالحسين : « إن ضعف شيخوختك لايناسبها إلا الانزواء بناحية ، وان تهتم بالعبادة » ، وغضب محمد بن هرمز من هذا الكلام واتجه إلى سيستان ، وقال لجماعة من خوارج سيستان : إن مهمتنا أن نطرد منصور بن اسحق السامانى من المدينة ، ونؤمر شخصا من نسل الصفاريين ، لأن حكومة سيستان من حقهم ، ورضى الخوارج ، و بايع محمد بن هرمز عمرو بن يعقوب ، واتفقوا مع محمد بن عباس الذى قالوا أنه صفارى ، وكان رئيسا للخوارج وفى غاية الشجاعة والجرأة ، وأبدى عمرو الخروج ، وأسر منصور بن اسحق السامانى ، وحبسه فى قلعة ارك ، وقرأوا الخطبة فى ولاية نيمروز (٧٣) باسم عمرو بن يعقوب (٧٤) .

علم احمد بن اسماعيل بهذه الحادثة ، فأرسل حسين بن على بجيش لصد هذه الفتنة وتوجه حسين ، وحاصر سيستان تسعة أشهر ، وأثناء ذلك توفى محمد بن هرمز ، واضطر

عمروبن يعقوب وابن الحفار طلب الأمان ، وخرجا ، واطلقا سراح منصوربن اسحق ، وقرّب حسين بن علي بن الحفار، وأمر ألايمنعه الحجاب والحراس إذا ماأراد أن يتوجه إلى البلاط ، وفى تلك الاثناء قصد ابن الحفار قتل حسين على ، وعلم حسين بهذا الامر، فقبض على ابن الحفار، وعندما علم أحمدبن اسماعيل ، أن سيستان قد فُتحت ، أقام سيمجور دواتى على حكومتها ، واستدعى حسين بن على ، وحمل حسين عمروبن يعقوب وابن حفار معه إلى بخارا ، ودخلت مملكة نيمروزمرة أخرى فى حوزة السامانيين(٧٥) ، وظلت الخطبة باسم الساما نيين حتى عهد ظهورخلف بن أحمد.

حكومة خلف بن أحمد

ذكر بعض المؤرخين أن خلفاً كان حفيداً ليعقوب بن الليث ، و يقول ابن الأثير(٧٦) : أن أم خلف هى ابنة عمروبن الليث ، ويجب أن يكون تصديقاً لهذه الرواية أن يكون أحمد والد خلف ابناً ليعقوب ، ولكن مامن مؤرخ قال : انه كان ليعقوب ابناً ، و يروى عن بديع الهمذانى(٧٧) فى قصيدته اللامية ، أنه قد نُسب خلف للملكين يعقوب وعمرو.

على كل حال فإن خلف بن أحمد كان متصفاً بكمال العلم والفضل والكرم والسخاء ومحبة العلماء ومودة الفضلاء ، وقد مدحه الشعراء بقصائد غراء ، يقول أبوالفتح البستى(٧٨) اننى كنت قد نظمت ثلاثة أبيات فى مدح خلف ، ولم أكن أقصد أن أسمعه إياها ، ولكن هذه الأبيات وصلت إلى سمعه الشريف من الأفواه ، فأرسل لى جائزة ثلاثمائة دينار.

وفى سنة ٣٥٣هـ توجه خلف بن احمد إلى الحج ، وأناب طاهر بن حسين الذى كان من اقربائه على سيستان(٧٩) ، وعندما استطعم طاهر شراب الحكومة ، لم يدع خلف يعود من مكة إلى سيستان ، فعاد إلى بخارا ، وطلب المساعدة من منصوربن نوح السامانى ، وتوجه بجيش جرار إلى سيستان ، ولمّا لم يكن لدى طاهر طاقة لمقاومة جيش بخارا ، فر إلى اسفرار واستولى خلف على مملكته ، وأعاد جيش منصور.

وعندما علم طاهر بن حسين أن جيش ماوراء النهر، قد عاد إلى وطنه ، توجه إلى سيستان ، والتحق خلف بمنصور السامانى ، وقدم له منصور شروط التعظيم والتكريم ، ومرة ثانية أعاد له اسباب السلطنة ، وقُبيل وصول خلف إلى سيستان مات طاهر ، وحل محله ابنه حسين ، ووصل خلف اليه ، وتحصن حسين فى المدينة ، وخلال الحصار قُتل خلق كثيرون

من الطرفين ، وأخيرا ضاق الأمر بحسين ، فأرسل رسولا إلى بخارا ، وأرسل رسائل تذلل وخضوع ، وطلب الأمان ، فأرسل منصور اليه أمانا ، وأن يخرج وألا يتعرض له أحد من اتباعه ، وان يحملوهم جميعا إلى بخارا ، وعندما وصلت رسالة الأمان إلى حسين ، توجه مع اتباعه إلى بخارا ، وأحله منصور الساماني في كنف حمايته ورعايته .

و بعد أن مرت فترة على حكومة خلف بن احمد ، أخذ يتعلل في اداء الواجب الذى كان قد قبل أن يؤديه سنويا إلى بخارا ، وغضب منصور الساماني من هذا الأمر ، فأرسل حسين ابن طاهر بجيش منظم لحربه ، ووصل حسين إلى سيستان ، وتحصن خلف في قلعة ارك وكانت من أحصن قلاع هذه المملكة ، وحاصر حسين القلعة مدة سبع سنوات ، ولمّا لم يحرز تقدما في هذه المهمة ، أرسل منصور الساماني أبا علي سيمجور — الذي كان واليا لخراسان من قبله — ليتكفل بأمر خلف ، ولمّا كانت هناك علاقة صداقة بين أبي علي وخلف ، نزل أبو علي بظاهر القلعة ، وأرسل شخصا خفية إلى خلف ، « من أن المصلحة تقتضي أن تنتقل إلى قلعة أخرى لكي اتعلل بالعودة ، ونفذ خلف التماس أبي علي ، وانتقل من قلعة ارك إلى قلعة طاق ، ودخل أبو علي القلعة ، وضبطها (٨٠) .

ومنذ ذلك الحين بدأ الخلل يسري في ملك السامانيين ، ذلك لأن الأمراء لم يقدموا شروط الخدمة كما يجب وكما ينبغي ، وطمع ملوك الأطراف في مملكتهم .

ذكر ماحدث بين خلف بن احمد والأمير ناصر الدين سبكتكين وابنه سيف الدولة محمود

ذات مرة توجه الأمير ناصر الدين لغزو الهندوستان (٨١) ، وظلت بست خالية من وجوده الشريف ، فاغتنم خلف بن احمد الفرصة ، وجاء إلى بست (٨٢) ، وأخذ خراج عام ، وترك جماعة لحراسة هذا المكان ، وعاد إلى سيستان ، وعندما عاد الأمير ناصر الدين (٨٣) من ممالك الهند خرج عمال خلف من بست ، واستشاط الأمير ناصر الدين غضبا من هذه الوقاحة ، ولمّا كان خلف بن احمد يدرك أنه لا طاقة له بالقتال ، فأرسل مال بست وتحف كثيرة إلى الأمير ناصر الدين ، واعتذر ، وقبل الأمير ناصر الدين عذره ، وعفا عن جرائمه .

ومرة أخرى وقعت بينه و بين الأمير سبكتكين وحشة ، ولكنّ أبا الفتح البستي أطفأ نار غضب الأمير سبكتكين بزلال الموعظة ، عندما توجه خلف بن احمد إلى كرمان ، و بسبب كثرة أموالها ، استولى هوس استخلاصها على نفسه ، ولكنه لم يجرؤ على فعل ذلك بسبب

ما كان بينه و بين عضد الدولة من عهود ومواثيق ، و بعد وفاة عضد الدولة (٨٤) ، انشغل صمصام الدولة بالحكومة فى شيراز، فأرسل خلف بن احمد ابنه عمرا بجيش إلى كرمان، و وصل عمرو فجأة إلى هذه الولاية ، اضطر تيمور تاش (٨٥) واليها من قبل الديالمة إلى الفرار، وذهب إلى برده سير(٨٦) ، وعلم صمصام الدولة بهذا الأمر، فأرسل أبا جعفر بجيش ، وأمره أن يأسر تيمور تاش ، لمّا كان قد وصل إلى سمعه مابينه و بين بهاء الدولة من صحبة ومودة ، فقد سار أبوجعفر ثمانية عشر منزلا إلى برده سير، وأسر تيمور تاش بالحيلة والتدبير، وحبسه ، وارسله إلى شيراز، وتوجه لمحاربة عمرو بن خلف ، وتحرك عمرو من مكانه ، والتقى الفريقان(٨٧) ، و بعد القتال والجدال ، انهزم ابوجعفر.

وعندما سمع صمصام الدولة هذا الخبر، ارسل عباس بن أحمد بجيش من المحاربين الأشداء ، لمحاربة عمرو، وأسرع عمرو ايضا لاستقبال عباس ، والتقى الفريقان فى حدود سيرجان(٨٨) ، وفر عمرو مهزوما ، وأسر أكثر أمرائه ، وعندما فر عمرو ووصل إلى سيستان ، غضب خلف ، ولامه ولم يكتشف بذلك بل أمر بأن يحبسوا عمرا ، و بعد عدة أيام ، قُتل الإبن ، وقام بغسله وصلى عليه ، وأمر أن يدفنوه فى قلعته .

و بعد فترة قصيرة عزل صمصام الدولة عباس عن حكومة كرمان ، وارسل هرمز لضبط هذه البلاد ، وخاف خلف بن أحمد ، من أن يتعرض استاد هرمز لولايته ، و بناء على ذلك أرسل رسالة إلى استاد هرمز، و بالغ فى وضع أسس المصالحة ، و بعد ذلك أرسل خلف بن أحمد أبا يوسف قاضى سيستان . وكان فاضلا وصالحا ومتعبدا ، و يعتقد فيه جميع أهالى المملكة ، أرسله برسالة إلى استاد هرمز، ليقر أمر الصلح ، وجعل بصحبة القاضى أحد خاصته أهل الثقة ، وأعطاه قدوا من السم ، وقال له : اسق القاضى هذا السم بعد مقابلته مع استاد هرمز، وأفشى بين الناس أن استاد هرمز قد قتل القاضى (٨٩) .

وعندما وصل هذا الذى لا أخلف الله عليه — بموجب وصية خلف — إلى كرمان ، وقام بهذا العمل الكريه ، وركب على جازة ، وجاء إلى سيستان ، وأكد صورة الحال على الوجه — الذى لقن به ، وجمع خلف أعيان مملكة نيمروز وقال : يجب أن تطلبوا دم القاضى من الديالمة وعليكم ألا تتوانوا فى هذا المجال ، وصاح أهالى سيستان ، وقالوا : سمعاً وطاعة ، وارسل خلف ابنه طاهرا مع جمع غفير من أهالى هذه الولاية إلى حدود كرمان ، وسار معظم الجيش إلى كرمان فى ذلك الحسين إلى تيرماه سير(٩٠) ، وتوجه طاهر إلى هذه الناحية ، وحارب الديالمة ، وانتصر جيش سيستان ، واتجه الديالمه إلى برده سير(٩١) ، وحاصرهم طاهر، واستاء الديالمة فأرسلوا رسالة إلى هرمز مضمونها : « إذا وصلنا مددك فيها ، وإلا سنسلم برده سير» ، وتوجه استاد هرمز إلى برده سير لدفع هذه الكارثة ، وعندما اقترب من هذا المكان ، رحل السيستانيون إلى ولايتهم (٩٢) .

وبعد ذلك قاد يمين الدولة محمود سبكتگين الجيش إلى ولاية سيستان(٩٣) ، وسبب ذلك هو أنه عندما كان يمين الدولة محمود قد توجه إلى ماوراء النهر ، وترك عاصمة خراسان خالية ، أرسل خلف طاهر إلى قهستان ، وتوجه طاهر من هناك إلى خراسان ، وأدخل قوشنج (٩٤) في حوزته ، وكانت حكومة قوشنج وهرات في تلك الفترة ، تتعلق ببغراجق عم السلطان محمود الغازى ، وعندما عاد السلطان الغازى من المعسكر ، طلب بغراجق الإذن بأن يخرج طاهر من مملكته المحروسة وأخذ الإذن ، وتوجه اليه ، وخرج طاهر من قوشنج واصطف للقتال ، وبعد القتال والجدال ، إنهزم طاهر ، وتعقبه بغراجق وقتل اتباعه ، واستولى على امتعته ، ولما كان قد شرب عدة كئوس فأصابته بالغرور ، وغفل عن اليقظة والحذر ، وفجأة هجمت الجياد ، واندفع الرجال لأن طاهر قد عاد ، ووصل بغراجق وطرحه أرضا بضربة سيف في ظهره ، وانزله عن دابته ، وفصل رأسه عن جسده ، وركب جواده ، وتوجه إلى قهستان .

ومن اسباب استياء السلطان محمود ايضا ، هو انه قد وصل إلى مسامعه العالية ، أنه عندما وصل خبر وفاة الأمير ناصر الدين سبكتگين إلى آذان خلف بن احمد ، أظهر السرور وتمثل بهذا البيت :

فقل للذى يبقى خلافة الذى مضى   تجهز لأخرى مثلها فكان قدى

عموما عندما تهيأ اسباب معسكر السلطان للتوجه إلى سيستان ، توجه في شهور سنة ٣٩٠هـ إلى هذه الناحية ، فتحصن خلف في قلعة اصفهبد التى خيم في ذيل حضيضها ، وكانت نجوم الوحشة حوله ، وأهتم السلطان محمود بحصاره ، ولم يقر لخلف قرار في هذه القلعة ، ولم يجد مفرا من التضرع والخشوع(٩٥) ، وتوسل وقدم مبلغ مائة ألف دينار ذهباً أحمراً وتحفاً وهدايا أخرى للاعتذار ، وكلما أراد السلطان تحرير مملكة نيمروز واستصفاء هذه النواحى لكن في تلك الفترة وبناء على المصلحة توجه إلى بلاد الهند بنية الغزو الذى كان يداعب خاطره .

وفى سنة ٤٠١هـ(٩٦) توجه طاهر بن خلف إلى كرمان ، وسبب ذلك هو أنه قد ظهر نزاع بين خلف وابنه طاهر بعد رحيل السلطان عن سيستان ، وأبدى طاهر عصيان والده ، ووقعت بينهما حروب وغُلب طاهر ، وتوجه إلى كرمان ، وعندما وصل إلى ديارها ، قال المستشارون لأبى موسى(٩٧) حاكم هذه البلاد من قِبل بهاء الدولة بن عضد الدولة : من أنه ليس لدى طاهر قوة ، ويجب أن تسعى لدفعه قبل أن يقوى ، ولم يهتم ابوموسى لقولهم ، وأهمله ، واجتمع خلق كثيرون في ظل راية طاهر ، وبعد اجتماع جيش طاهر عاد إلى قهستان ، وقام بلوازم راحتهم ، وعندما اكتمل جيشه ، اتجه إلى جيرفت وأراد ان يدخل باقى

ولاية كرمان تحت سيطرته، وجاء أبوموسى بجمع كبير من الديالمة، لمحاربة طاهر، وبعد التقاء الفئتين انهزم الديالمة، وسخر طاهر جميع بلاد كرمان، وعندما سمع بهاء الدولة هذا الخبر، أرسل استاذ هرمز مع جماعة من هناك لدفع هذه الكارثة بتلك النواحي، وتوجه استاذ هرمز إلى طاهر فى « بم » حيث كان معسكره، ولكن طاهر توجه إلى سيستان دون لستعمال لآلات الحرب، وعندما وصل إلى تلك النواحي قال لأعيان الديالمة ـــ الذين كان قد أسرهم وحبسهم ـــ إذا ساعدتموني لطرد خلف من المملكة سأسمح لكم بأن تذهبوا إلى بلادكم واتفقوا معه، وقاتلوا قتالا شديدا، وهزموا خلف، وتحصن باحدى القلاع وأغدق طاهر على الناس فى حياتهم وكلما ارسل خلف لهؤلاء الأشخاص ليدعوهم، فلافائدة، آخر الأمر سلك طريق الحيلة والمكر، فأرسل رسالة إلى طاهر من انه ليس لى ولد إلا أنت وأخشى أن أموت وتسقط أموالى فى يد الأغراب، فيجب أن تأتي إلىّ وحدك لأورثك إياها، ولم يكذب طاهر وعد خلف، وارسل إلى الوالد: إننى سأحضر فى الوقت الفلانى إلى جوار القلعة، فأجلس خلف جماعة فى كمين، وعندما أتي طاهر إلى جوار القلعة، خرج خلف منها، واحتضن ابنه، وبكى، وخرج القوم من الكمين، وقبضوا على طاهر، وقيدوه حسب الأوامر، وقتله خلف ايضا بيده وغسله وكفنه، وهذه الحكاية مسطورة فى ترجمة يمينى(٩٨) بشكل آخر، وما هو مذكور فى هذا التاريخ هو أنه اثناء عودة السلطان محمود من الهند، أجلس خلف بن احمد ابنه طاهرا على عرش الحكومة وسلمه مفاتيح الخزائن وترك له مقاليد الممالك، وانزوى واهتم بالعبادة، وتمسك بالتنسك، واستغفر الله حتى يستطيع بهذه الحيلة أن يتخلص من بأس وقوة السلطان، ولما مرت مدة على ذلك ندم على ترك المملكة وتجنب منصب الحكومة، وتحايل وتمارض، واستدعى ابنه لتجديد الوصية والاطلاع على الخفايا والخبايا، وأجلس طائفة من خواصه فى كمين حتى يتخفوا حين وصوله وعندما حضر طاهر إلى مخدع ابيه، قبض أهل الغدر على طاهر وأطبقوا عليه، واودعوه طمرا وأخرجوه بعد عدة أيام من محبسه ميتا، وقالوا: إن طاهر قد قتل نفسه من شدة الحزن.

وعندما رأى طاهر بن زينت وأمراء وقواد آخرون هذا الحال استقرت ضمائرهم على مخالفة خلف، وأبدى رؤساء الجماعة العداء، وتقدمت جماعة المخالفين، واستولوا على دار إمارة خلف، وشرفوا السكة والخطبة باسم ولقب السلطان محمود الغزنوى، وارسلوا التماسا إلى السلطان، وأخبروه بكل الأحوال، وطلبوا أن يتوجه بالرايات العالية إلى هذه الناحية وحقق السلطان رغبتهم، وصمم على حسم فتنة خلف، وكان خلف بن أحمد فى تلك الأثناء مقيما بقلعة طاق، وكانت أسنة هذه القلعة تصل إلى أوج الفلك، وحولها خندق عميق، وعندما خيم

السلطان بظاهر قلعة طاق ، وقام الجنود الطائرون فى أقل فرصة بل فى يوم واحد وبموجب الفرمان بردم الخندق المحفور بالتراب حتى امتلأ ، وظهر طريق للمشاة والفرسان ، وتقدمت خيول وافيال السلطان للهدم ، وواجهوا تلك القلعة ، وعقدوا العزم على استخلاص قلعة طاق وتقدم اصحاب خلف بقدم مرتجفة ، وتقدم فيل كانت معظم الأفيال تهابه ، ورمى شرر الاشتعال فى الهواء ، وتلف جمع من أعوان وانصار خلف ، وفر بقية الناس إلى القلعة الداخلية ، ورفعوا درع الوقاية ، وتقدموا للحرب ، وخرج خلف لمشاهدة ومطالعة هذه الأحداث من مكانه ، ورأى أن الساحة قد امتلأت بعفاريت الإنس وشياطين البشر ، ورأى أن نفس هذا الفيل يواجه فارسا ، ويمسكه بخرطومه من ظهره و يرميه فى الهواء عاليا بحربته ، وعندما هوى رفعه بأسنانه فى الهواء من وسطه ، وألقاه على باب القلعة ، وكاد خلف أن يجن عند مشاهدة هذا الأمر ، وكادت روحه تخرج من جسده من شدة الخوف والفزع ، واضطر إلى الصياح وطلب الأمان ، وأمنه السلطان تكرما منه لما جُبل عليه من طهارة الطينة ، وغمد سيف الانتقام فى غمده ، وفتح خلف يد الجوائز والمواهب والعطايا ، وألقى بنفسه تحت جواد يمين الدولة محمود ، ولقبه بالسلطان ، وسر يمين الدولة جدا من هذا اللفظ وفرح .

و بعد ذلك صقل خلف محاسنه بتراب البلاط ، ونثر الدر والجواهر التى غلب شعاع بريقها نور الشمس ، وبالغ فى طى كتاب العتاب ونشر جناح العفو والمغفرة ، ولم يدع السلطان لحظة فى إكرام وتبجيل خلف ، واختصه وخط بقلم النسيان على سوابق الإجرام ، وأمر ان ينقل خزائن وذخائر القلعة إلى أى مكان يشاء ، ويخير خدمه فى المسكن والمقام حتى يتوطن فى أى مكان يشاء من ممالك السلطان ، ليقضى حياته طبقا لما يشاء و يريد ، وقد اختار جرجان(٩٩) بسبب مناسبة هوائها ومائها ، وارسل السلطان خلف إلى هذه الناحية معززا مكرما ، وقضى أربعة أعوام لاهيا ليل نهار ، و بعد ذلك ظهرت رسالة كان قد كتبها إلى ايلك خان ، فارسله السلطان من أجل المصلحة إلى قلعة من القلاع ، وظل بهذه القلعة حتى لبى دعوة الحق وأمر السلطان أن يقدموا تركته لابنه أبى حفص .

وقد ورد فى ترجمة يمينى(١٠٠) هذه العبارة : ان أمير خلف كان من أكابر ملوك الدنيا معروف بالكرم والسخاء وكمال الفضل ووفور المجد والجلال والإنعام

على أهل العلم وارباب الأدب ، مدحه شائع عند شعراء الدنيا ، ومآثره في أفواه الخاص والعام ، جمع علماء العصر وفضلاء الدهر ، ليفسروا القرآن المجيد والكلام الأزلى للبارىء جل جلاله وعظم قدره وكماله تفسيرا مشتملا على اقوال المفسرين وتأويل المتقدمين والمتأخرين وبيان وجوه قراءة القرآن ، وعلل النحو واشتقاق الالفاظ المليئة بالشواهد والأمثال والأبيات وايراد الأخبار والأحاديث الشقلعق ، وقالوا : إنه انفق عشرين ألف دينار ، يعنى عشرين ألف مثقال ذهبا أحمرا على المؤلفين والمصنفين للكتاب ، وهذا التفسير كان محفوظا بمدرسة الصابونى بنيشابور حتى حدثت حادثة فى شهور سنة ٥٤٥ هـ ، وهذه النسخة بتمامها وكمالها الآن فى اصفهان بين كتب آل خجند متع الله المسلمين ورحم الماضين .

وقد استأنس هذا الضعيف المصنف المترجم ابو الشرف ناصح(١٠١) بر ياض هذا التفسير واقتبس من أنوار نكهته ودقائقه أثناء اقامته فترة بأصفهان راحلا عن وطنه ، وهذا الكتاب مائة مجلد ، وعلى كل حال فإن الإنسان يقضى كل عمره فى نسخه ، ودراسة هذا لايمكن إلا بسنوات طوال ، هذا وقد انتهى حديث مصنف ترجمة يمينى فى مجال خلف بن احمد(١٠٢) والسلام .

حاشية الدولة الصفارية

(١) يعقوب بن الليث بن معدل (گر يزى ١٠)

(٢) مبيض نحاس (شتايجس ٥٩٨) صفار (المسعودى ٤ / ٢٠٠) وكان الليث ابن صائغ نحاس وعندما رأى فى نفسه نخوة لم يهتم بمهنته ، وسلك طريق العيارية ، وقطع الطريق ، واستولى على خزانة درهم بن نصر بن رافع بن الليث ابن نصر بن سيار وحمل مالا لا حصر له (تاريخ گزيده لحمد الله المستوفى ٢)

(٣) ورد اسم يعقوب وعمرو فقط (گرديزى ١٤ — ١٩ ، ابن الأثير ٥/٣٣٨) .

(٤) كان يعمل اجيرا براتب شهرى خمسة عشر درهم (گرديزى ١٠) .

(٥) صالح المطوعى (ابن الأثير ٥/٣٣٧) — شذرات الذهب ٢/ ١٥٠) صالح بن النضر بن مالك (سجستان بين العرب والفرس ٢٥١) .

(٦) ورد أن يعقوب قد خرج على صالح ونصر ولدى درهم بن نصر ، واستولى على بعض ولايات سيستان (تاريخ گزيده ٤) .

(٧) انظر الكامل فى التاريخ لابن الاثير ٥/٣٣٨ .

(٨) ورد ضمن احداث ٢٤٨ أنه توجه من سجستان إلى هراه (الطبرى ٩/٢٥٥) .

(٩) وردت ضمن احداث سنة ٢٥٥هـ (الطبرى ٩/ ٣٨٢) .

(١٠) بوشنج (گرديزى ١٢ ، ابن الاثير ٥/٣٣٨) وقيل استولى على كل سيستان (حمد الله المستوفى ٥) .

(١١) اهدى له هدية جيلة منها عشر بازات بيض و بازأبلق صينى (ابن الاثير ٥/ ٣٤١) وجه يعقوب إلى المعتز دواب و بزاة ومسك هدية (الطبرى ٩/ ٣٨٦) .

(١٢) نوع من الكيال والميزان يختلف من عصر إلى آخر ومن اقليم إلى آخر (شتايجس ١٣١٦) وحدة قياسية للوزن مختلف فى تقديرها (النرشخى هامش ص ١١٣) .

(١٣) كان المعتز قد جعل على بن حسين بن شبل والى فارس حاكما على كرمان ايضا ، وتباطأ على فى ارسال خراج فارس فكتب المعتز إلى يعقوب بن الليث بولاية كرمان ايضا ، وكان كل منها يظهر طاعة لا حقيقة لها ، والمعتز يعلم ذلك ، وسبق يعقوب على بن الحسين إلى كرمان وحكمها (ابن الأثير ٥/ ٣٤٠) وقيل أرسل على طوق بن المغلس (الطبرى ٩/٣٨٢) .

(١٤) وظيفة بمثابة مشير أووزير (انظر شتايجس ٧٧٦) .

(١٥) كان علي بن المستعين حاكما على فارس ، وقد ارسل طوق بن قيس من خوزستان لمحاربة يعقوب ، فهزمه واسره (حمد الله المستوفى ٧) .

(١٦) ولاه الموفق بلخ وطخارستان وسجستان والسند (ابن الاثير ٥/٣٦٣) .

(١٧) المنزل : مسافة ، مرحلة ـ رحلة يوم (شتايجس ١٣٢٦) .

(١٨) بلخ : مدينة عظيمة من امهات بلاد خراسان ، بناها منوچهر بن ايرج بن افريدون كان بها معبد النوبهار، اعظم بيت من بيوت الأصنام (آثار البلاد ٣٣١) .

(١٩) كابل : مدينة مشهورة تقع بافغانستان (آثار البلاد ٢٤٣) وقد ارسل يعقوب عدة اصنام ذكر انه اخذها من كابل (الطبرى ٩/٤٧٦) .

(٢٠) صار يعقوب الى هراة ثم قصد نيسابور، وحبس محمد بن طاهر واهل بيته (الطبرى ٩/٥٠٧) .

(٢١) عندما وصل يعقوب إلى معسكر حسن وجده خاليا (گرديزى ١٣) انتصر يعقوب على الحسين بن زيد الباقر (حمد الله المستوفى ٨) .

(٢٢) آمل : مدينة بطبرستان (آثار البلاد ٢٨٦) .

(٢٣) كان عبدالله السجزى ينازع يعقوب الرياسة بسجستان ، وقهره يعقوب فهرب الحسن بن زيد بطبرستان ، فسار اليه يعقوب سنة ٢٦٠ هـ (ابن الاثير ٥/٣٧١) .

(٢٤) طاشتمر (الطبرى ٩/٥١٢) .

(٢٥) موسى بن بغا (الطبرى ٩/٥١٢ ـ مروج الذهب ٤/٢٠٦ ـ ابن الاثير ٦/٨ ـ ابن كثير ١١/٣٢) .

(٢٦) أرسل الخليفة منشور حكومة خراسان وجرجان وطبرستان والرى وفارس وشرطة بغداد (ابن الاثير ٦/٧ خراسان وجرجان (الطبرى ٩/٥١٨ ـ شذور الذهب ٢/١٤٥) .

(٢٧) كان القتال فى واسط ودير العاقول (الطبرى ٩/٥٢٢ ـ گرديزى ١٤ ـ المسعودى ٤/٢٠٠ ـ ابن الاثير ٩/٨ ـ ابن كثير ١١/٣٥) .

(٢٨) قال له الطبيب : لادواء لك إلا بالحقنة فامتنع منها (شذرات الذهب ٢/١٥١) .

(٢٩) توفى فى جندى سابور ١٤ شوال ٢٦٥ هـ (گرديزى ١٤) ٢٣ شوال ٢٦٥ هـ (المسعودى ٤/٢٠٢ ضمن احداث سنة ٢٦٥ هـ (الطبرى ٩/٥٤٤ ـ ابن الاثير ٦/٢١ ، حمد الله المستوفى ٨ ابن كثير ١١/٣٨ ـ شذرات الذهب ٢/١٥١) .

(٣٠) انظر مروج الذهب للمسعودى ٤/٢٠٣ .

(٣١) شارة ، علامه توضع على الرأس أو الكتف ، وتصنع من معادن مختلفة منها الحديد والذهب والفضة .

(٣٢) انظر مروج الذهب ٤/٢٠٥ .

(٣٣) سنة ٢٦٥ هـ (الطبرى ٩/٥٤٥ ـ گرديزى ١٥ ـ ابن الاثير ٦/٢٢ ـ ابن كثير ١١/٣٨) .

(٣٤) شحنگى : رئيس الشرطة (شتايجس ١١٣٦) ورد انه تولى اصبهان وسجستان وكرمان والسند وشرطة بغداد وسامرا (الطبرى ٩/٥٤٥) وقال حمد الله المستوفي تولى خراسان والعراق وفارس وكرمان وسيستان وقهستان ومازندران وغزنه (تاريخ گزيده ٨) أما الكامل فكان شرطة بغداد وسامرا (ابن الاثير ٦/٢٢) .

(٣٥) دار السلام : بغداد بناها الخليفة المنصور على شاطىء دجلة (آثار البلاد ٣١٤) واطلق المنصور على بغداد دار السلام نسبة إلى نهر دجلة المسمى بنهر السلام أونسبة إلى قوله تعالى « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون (يونس ٢٥ أنظر معجم البلدان لياقوت ١/٦٧٨ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ١/١١ والعوامل التاريخية لنشأة المدن العربية الاسلامية لمصطفى عباس الموسوى ص ١٢٩ وما بعدها) .

(٣٦) قزو ين: مدينة كبيرة وعامرة وهى مدينتان احداهما فى وسط الأخرى المدينة الصغرى تسمى شهرستان، قيل بناها شايور ذو الأكتاف و بنى الرشيد سورها و بين قزو ين والديلم جبل (الآثار ٤٣٤ ــ ٤٣٥).

(٣٧) الري: مدينة من مدن ايران الشهيرة ــ قيل بناها هوشنگ بن گيومرث وقيل بناها راز بن خراسان ولهذا فالنسبة اليها رازى (الآثار ٣٧٥).

(٣٨) اصطخر: مدينة بأرض فارس، بها بيت نار عظيم للمجوس (الآثار ١٤٧).

(٣٩) توفى الموفق ٢٧٨ هـ (شذرات الذهب ٢/١٧٢ ــ ابن الأثير ٦/٦٧ وابن كثير ١١/٩٣ .

(٤٠) عزل عمرو بن الليث، وأمر بلعنه على المنابر سنة ٢٧١ هـ (الطبرى ١٠/٧ ــ ابن كثير ١١/٤٨ ــ ابن الاثير ٩/٥٨ .

(٤١) قيل احمد بن عبد العزيز بن أبى دلف (ابن الأثير ٦/٥٨) وقيل انه صاعد بن مخلد والأحداث سنة ٢٧٢ (المسعودى ٤/٢٠٩) ارسل الموفق صاعد بن مخلد ثم قبض عليه وارسل احمد بن عبدالعزيز (الطبرى ١٠/١١).

(٤٢) جرح الدرهمى مقدم الجيش عمرو، وقتل مائة رجل، وأسر ثلاثة آلاف (ابن الاثير ٦/٥٨).

(٤٣) كان الخليفة قد ولى محمد بن طاهر خراسان، فاستخلف رافع بن هرثمة عليها (حمد الله المستوفى ١٠ ــ ابن الأثير ٦/٥٨).

(٤٤) محمد بن زيد العلوى أخو الحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان (ابن كثير ١١/٤٧).

(٤٥) أمر الخليفة بطرح المطارد والأعلام والترسة التى كانت فى مجالس الشرطة التى عليها اسم عمرو بن الليث (الطبرى ١٠ / ١٧) كان عمرو بن الليث قد حارب عسكر الموفق سنة ٢٧١ هـ وهزم، وعزم محاربة الموفق سنة ٢٧٤ هـ ولكن لم يحاربه (ابن الاثير ٦/٦٢).

(٤٦) فى شوال سنة ٢٧٦ هـ (ابن الاثير ٦/٦٦) وقيل فى المحرم (ابن كثير ١١/٥٦) وذكر ابن كثير ايضا انه كتب اسمه على الفرش والمقاعد والستور ثم اسقط اسمه وعزله وولى عبيد الله بن طاهر، ثم رضى الخليفة على عمرو بسبب قتله لرافع بن هرثمة سنة ٢٨٣ هـ على يد ابى سعيد الدرغانى الذى قتله، وقدم رأسه لعمرو الذى ارسلها إلى المعتضد بالله (الكامل ٦ / ٧٥).

(٤٧) كانت ماوراء النهر تحت سيطرة اسماعيل السامانى (الطبرى ١٠/٦٧ ــ ابن الاثير ٦/٥٨ ــ تاريخ بخارى لفامبرى ترجمة د . احمد الساداتى ٩٨).

(٤٨) حرض الخليفة عمرا لحرب السامانيين فى ماوراء النهر (تاريخ بخارى لفامبرى ١٠٠) ورد فى أحداث ٢٨٥ هـ عزل اسماعيل بن أحمد عن ماوراء النهر وتولية عمرو (الطبرى ١٠/٧٦ ــ ابن الاثير ٦/٩١ ــ حمد الله المستوفى ١٠).

(٤٩) ارسل عمرو بن شروان لحرب السامانيين فاسروه مع بشر، ثم اطلق اسماعيل سراحهما، وحملها بالهدايا لعمرو (تاريخ بخارى لفامبرى الترجمة العربية للساداتى ١٠٠/١٠١ واورد ابن الاثير وگرديزى ان محمد بن بشير قائد عمرو قد قتل (الكامل ٦/٩٥) (زين الأخبار ٥).

(٥٠) ارسل اسماعيل إلى عمرو « انك قد وليت دنيا عريضه وانما فى يدى ماوراء النهر وانا فى ثغر، فاقنع بما فى يدك واتركنى مقيما فى هذا الثغر (الطبرى ١٠/٧٦ ابن الاثير ٦/٩٥ ــ ابن كثير ١١/٨١).

(٥١) ربيع الأول سنة ٢٨٧ هـ (گرديزى ١٩) جمادى الآخر ٢٨٨ هـ (تاريخ بخارى ١٠١) احداث سنة ٢٨٧ هـ (ابن الاثير ٦/٩٦ ــ ابن كثير ١١/٨٠).

(٥٢) قيل ان ادوات مطبخة كان يحملها ستمائة جمل (ابن كثير ١١/٨١).

(٥٣) انظر تاريخ گزيده ص ١٢ .

(٥٤) انظر الكامل ٦/٩٦ والبداية والنهاية ١١/٨١ .

(٥٥) مدح المعتضد اسماعيل وذم عمرا (الطبرى ١٠/٧٧) قال الخليفة لعمرو: الحمد لله الذى ملكنى منك وكفى شغلك (حمد الله المستوفى ١٤ ــ گرديرى ١٩).

(٥٦) ارسل المعتضد الخادم وقتله ، و برواية نسيه ولم يطعمه فمات جوعا (حمد الله المستوفى ١٤) وقيل ان عمرا يوم دخل بغداد قتله المكتفى وقيل ان المعتضد قد أمر صافيا الحرمى بقتله ، فلم يفعل لعلمه بقرب وفاة المعتضد ، وكره قتل عمرو ، ولما وصل المكتفى بغداد سأل عنه قيل حي ، فسر ، واراد الاحسان اليه فكره الوزير ذلك فبعث من قتله (ابن الاثير ٦/١٠١ — ابن كثير ١١/٩٥) وقيل انه ظل بالسجن سنتين حتى قتل سنة ٢٨٠ هـ (تاريخ بخارى للنرشخي ترجمه امين عبدالمجيد بدوى ونصر الله مبشر الطرازى ص ١٢٢) .

(٥٧) مات سنة ٢٨٩ هـ (الطبرى ١٠/٨٨ — گرديزى ١٩ — ابن الاثير ٦/٩٦ ابن كثير ١١/٩٥ شذرات الذهب ٢/٢٠٢) .

(٥٨) حكم اثنتين وعشرين سنة (حمد الله المستوفى ٨) .

(٥٩) ابو الحصين — وردت القصة بالكامل ٦/٩٦ .

(٦٠) أورد القصة بنفس المضمون گرديزى (زين الأخبار ١٦) .

(٦١) اوردها ابن الاثير (الكامل ٦/٩٦) .

(٦٢) غلبه اسماعيل (حمد الله المستوفى ١٦) .

(٦٣) عقد المكتفى لطاهر على أعمال فارس ، وحملت اليه خلع مع العقد (الطبرى ١٠/٩٨) .

(٦٤) ابو قاموس (روضة الصفا ٧) ابو قابوس (الطبرى ١/١٢١) .

(٦٥) سبكرى (الطبرى ١٠/١٢١ — ٦/١١٤) .

(٦٦) سبب الوحشة بين ابى قابوس وطاهر أن الأخير قد تشاغل باللهو فغلب الليث بن على بن الليث وسبكرى على الأمر فى فارس (تكملة تاريخ الطبرى لمحمد بن عبدالملك الهمذانى ١١/١٩٧ — ابن الاثير ٦/١١٤) .

(٦٧) انظر الطبرى ١٠/١٢١ ، صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد القرطبى من الجلد ١١ لتاريخ الطبرى ص ٣٥ — الكامل لابن الاثير ٦/١١٥) .

(٦٨) يعقوب بن محمد بن عمرو (الطبرى ١٠/١٤١ — ٦/١٣٥) .

(٦٩) حكم سنة وعدة اشهر (حمد الله المستوفى ١٦) .

(٧٠) بعد اسر طاهر بن محمد تولى سبكرى على فارس وسيطر الليث بن على على فارس فقاد الليث الجيش واستولى على فارس وقتل سبكرى ، وفى سنة ٢٩٨ هـ ، استولى احمد بن اسماعيل السامانى على سيستان وبها المعدل بن على واسر المعدل (الطبرى ١٠/١٤١ — ١٤٣ — ابن الاثير ٦/١٣٧) حكم سيستان بعده طاهر حفيده احمد ثم انتقلت إلى ابنه خلف ، وبعد خلف حكم نصر بن طاهر بن خلف حتى سنة ٢٥٨ هـ (حمد الله ١٦) .

(٧١) محمد بن هرمز المعروف بالمولى الصندلى ، وكان من اهالى سيستان واقام ببخارى وكان خارجى المذهب (ابن الاثير ٦/١٤١) .

(٧٢) عارض ، مير عرض ، عرض لشكر ، عرض ممالك : اى المسئول عن الشئون المالية للجيش (شتايجس ٨٢٩) .

(٧٣) نيمروز هى نفسها سيستان (روضة الصفا ١٨٦) .

(٧٤) انظر ابن الاثير ٦/١٤١ .

(٧٥) سنة ٣٠٠ هـ (ابن الاثير ٦/١٤٢) .

(٧٦) ورد بالمخطوط ابن اسير (روضة الصفا ٨ والصواب ابن الاثير صاحب الكامل الذى اورد ان خلف بن احمد هو ابن بانو بنت عمرو بن الليث الصفار (ابن الاثير ٧/١٤٩ واورد حمد الله المستوفى ان طاهر بن محمد بن عمرو كان له حفيد يدعى أحمد ثم ابنه خلف وبعد خلف جاء نصر (تاريخ گزيده ١٦) .

(٧٧) بديع الزمان الهمذانى صاحب المقامات ، ولد بهمذان سنة ٣٥٨هـ ، تربى تربية ادبية على يد أحمد بن فارس اللغوى ، كان محبا للرحلة ، رحل إلى الصاحب ابن عباد ، وحضر مجالسه ، ومدحه ببعض اشعاره ، ثم توجه إلى جرجان عند ابى سعيد بن منصور الاسماعيلى ، ثم توجه إلى نيسابور ، ورعاه بنوميكال اعيان نيسابور ، الذى رعاه واعجب به ، وقد مدحه بديع الزمان كثيرا فى قصائده ورسائله ، ثم اتجه إلى هراه عند الغزنويين وبها توفى سنة ٣٩٨هـ (انظر اليتيمة ٤/٢٥٦ — معجم الادباء ٢/١٦١ ، دمية القصر ٢/٣٤٦ ، ابن خلكان ١/١٢٧ ، المقامة لشوقى ضيف ص١٣ ومابعدها ، الفن ومذاهبه فى النثر العربى لشوقى ضيف ٢٣٨ تاريخ الأدب العربى — عصر الدول والامارات لشوقى ضيف ٦٦٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ١١/٣٤٠) .

(٧٨) ابو الفتح البستى : على بن محمد من كبار الأدباء الايرانيين فى عصره ، كان يحسن الكتابة باللسانين العربى والفارسى ، كان كاتبا لأمير بست حتى فتحها محمود الغزنوى فصار كاتب ديوانه ، كان سياسيا بارعا وشاعرا رقيقا ، عاش فى القرن الرابع الهجرى ، له ديوان شعر (انظر يتيمة الدهر ٤/٣٠٢ ، المنتظم ٧/٧٢ — وفيات الاعيان ٣/٣٧٦ ، طبقات الشافعية للسبكى ٥/٢٩٣ — النجوم الزاهرة ٤/١٠٦ — الوافى بالوفيات ٢/١٦٣ ابوالفتح البستى لمحمد مرسى الخولى) .

(٧٩) وردت ضمن احداث سنة ٣٥٤هـ (ابن الاثير ٧/١٤ — ١٥) .

(٨٠) كان ابو الحسن بقهستان ، وعندما استدعاه منصور لحرب خلف توجه اليه وطلب منه ان يسلم قلعة ارك لحسين بن طاهر حتى يكون لديه الحجة ليعود إلى بخارى ، فاذا تفرقت العساكر عاود محاربة الحسين ، فقبل خلف رايه (ابن الاثير ٧/١٥١) .

(٨١) الهندوستان بلاد الهند وهذه الترجمة الحرفية للكلمة المكونة من « هند » ولاحقة مكانية (ستان) إلا أن الهندوستان هو اسم علم يطلق على الشمال الهندى فقط فى مقابل الجنوب الذى يسمى باسم (الدكهن) وهى كلمة هندية تعنى الجنوب .

(٨٢) كانت بست تحت سيطرة الدولة الغزنوية التى بدأت تظهر إلى الوجود فى غزنه ، وقد فتحت بست سنة ٣٦٧هـ (روضة الصفا) .

(٨٣) ناصر الدين سبكتگين : كان غلاما تركيا لألبتگين صاحب جيش خراسان فى عهد منصور بن نوح السامانى ، ولما مات البتگين خلفه ابنه اسحق فسلم أمور الحل والعقد لسبكتگين ، وسرعان مامات ، فاختار الجيش والرعية سبكتگين (روضة الصفا ٢٨) ارتقى سبكتگين ملك غزنه واعمالها فى سنة ٣٦٦هـ (ابن الاثير ٧/٨٦ — ابن كثير ١١/٢٨٦) .

(٨٤) تولى صمصام الدولة أمر الديالمة بعد موت عضد الدولة سنة ٣٧٢هـ (ابن كثير ٧/١١٥) .

(٨٥) ورد تمرتاشى (ابن الاثير ٧/١٥٠) .

(٨٦) برد سير (الكامل ٧/١٥٠) .

(٨٧) بدارزين (الكامل ٧/١٥٠) .

(٨٨) سيرجان قصبة ببلاد كرمان — ابهى من شيراز بها دور لعضد الدولة (آثار البلاد ٢٠٤) .

(٨٩) انظر الكامل ٧/١٥٠ .

(٩٠) نرماسير (الكامل ٧/١٥٠) .

(٩١) بردسير اهل بلاد كرمان — مصرها (ابن الاثير ٧/١٥٠) .

(٩٢) سنة ٣٨٤هـ (الكامل ١٥٠) .

(٩٣) سنة ٣٩٠هـ (الكامل ٧/٢٠٥) .

(٩٤) بوشنج (الكامل ٧/٢٠٥) .

(٩٥) انظر الكامل ٧/٢٠٦ .

(٩٦) وردت خطأ ٣٠١هـ (روضة الصفا ٩) .

(٩٧) ابو موسى سياهجيل (ابن الاثير ٧/ ٢١٠) .

(٩٨) تاريخ يميني للعتبي .

(٩٩) جوزجان (ابن الاثير ٧/ ٢١٦) .

(١٠٠) تاريخ يميني للعتبي .

(١٠١) ابو الشرف ناصح العتبي .

(١٠٢) اورد ابن الاثير انه سيتحدث عن خلف بن احمد في سنة وفاته ٣٩٩هـ (الكامل ٧/ ٢١٦) إلا انه اهمل ذكره ضمن احداث سنة الوفاة .

فصـــل

ملوك السامانية رحمهم الله وبيان بعض دولهم وحكومتهم فى الاسلام

(المخطوط ص ١٠ ــ ٢٥)

قالوا فى نسب سامان : أنه من أولاد بهرام چوبين(١) ، وأن بداية دولتهم قد حدث فى خلافة المأمون(٢) ، وتفصيل هذا الإجمال هو أنه عندما كان الخليفة المأمون فى مرو ، أعطى حكومة خراسان وماوراء النهر لغسان بن عباد(٣) ابن عم الفضل بن سهل « ذو الرياستين »(٤) ، وارسل اليه أسد بن سامان ؛ ــ الذى كان فى ذلك الحين يعمل فى خدمة الخلافة ــ فى سفارة(٥) ، وقال : « إن هذه الجماعات ذات نسب ؛ فأكرمهم بالأعمال » ، فجعل نوح بن اسد واليا على سمرقند ، وارسل أحمد بن اسد حاكما على فرغانة(٦) ، وأعطى نشاس واشروسنه(٧) ليحيى بن أسد ، وجعل زمام أمر هرات فى كف الياس بن اسد(٨) .

عزل المأمون بعد ذلك غسان ، وأعطى خراسان لطاهر بن الحسين « ذى اليمينين » ، وترك طاهر آل سامان على حالهم ، وعندما توفى طاهر ، وانتقل منصبه إلى ابنه طلحة ، أرسل المأمون أحمد بن أبى خالد إلى خراسان وماوراء النهر ليعمل على ضبط وتعمير وزراعة هذه الولاية ، و يطّلع على كيفية حكومة طلحة ايضا ، وجاء جميع بنى اسد إلى أحمد بن أبى خالد ، فشملهم برعايته ، ولمّا كان المخالفون قد انتزعوا فرغانة من أحمد بن اسد ، فقد قاد أحمد بن أبى خالد الجيش اليها ، وطرد أعداء الدين من فرغانة ، وولى أحمد بن أسد على نفس النظام السابق على تلك البلاد وعاد .

وعندما توفى نوح بن أسد ، أعطى طلحة بن طاهر سمرقند لاخوته يحيى وأحمد ، وكان أحمد غاية فى العفة والرحمة والعدل والصلاح ، وكان لديه سبعة أولاد وهم : نصر و يعقوب ويحيى وأسد واسماعيل واسحق وحميد ، و بعد فترة عزل احمد بن اسد عن حكومة سمرقند ، وعين طلحة بن طاهر ابنه نصراعليها ، وعموما كانت حكومة ماوراء النهر متعلقة بحكم أولاد اسد بن سامان لفترة طو يلة فى عهد الدولة الطاهر ية .

وعندما خرج يعقوب بن الليث وضعف الطاهر يون ، وفى شهور سنة ٢٦١ هـ أرسل الخليفة رسولا بمنشور ولاية ماوراء النهر إلى نصر بن احمد السامانى(٩) ، والقى فى سمرقند رحل اقامته ، وجعل أخاه نائبا عنه فى بخارا ، وفى تلك الاثناء وقعت مراسلات بين رافع بن هرثمة ــ الذى كا ن صاحب شوكة فى خراسان ــ و بين اسماعيل بن احمد وتوطدت أسس المحبة بينهما ، والتمس اسماعيل من رافع ان يعطيه خوارزم ، وحقق رغبته ومد نفوذه إلى حدود خوارزم ، وانتهز الفرصة جماعة من الوشاة ــ عليهم اللعنة ــ وابلغوا نصرا من ان محبة اسماعيل لرافع بن هرثمه تستوجب أن يخرج من وراء النهر لمساعدته ، واستاء نصر من اسماعيل(١٠) ، واهتم بتجهيز أمور بخارا ، واطلع اسماعيل على هذا المعنى ، فأرسل حمو يه ابن اسد بن على إلى خراسان ، ليطلب المساعدة من رافع ، ووصل حمو يه إلى مقعده ، وتوجه رافع بنفسه إلى ماوراء النهر ، وعندما عبر آمو يه(١١) ظن أن رافع بهذا الجيش الذى معه ــ ير يد أن يستولى على جميع مملكة ماوراء النهر ، ويحتال لدفع نصر و يقبض على اسماعيل ، وربما اعطاه المملكة ، وعلى هذا يجب ان يكون اسماعيل تابعا لرافع ، وهذا المعنى عار كبير ، وسعى حمو يه برأيه لحل هذه الواقعة ، فقال لرافع : أيها الأمير المصلحة هى أن تسعى لعقد الصلح بين الأخو ين ، لانك لو تقدمت للحرب من الممكن ألا يتفق الأخوان سو يا ، و يصاب الأمير بتعب فى مملكة غر يبة ، ووافق تدبير حمو يه مزاج رافع ، فأرسل الرسل إلى نصر واسماعيل من أن الصلاح فى الصلح ، وضرب على هذا الوتر كثيرا حتى تصالح الأخوان(١٢) ، وعاد رافع إلى خراسان .

وعرض حمو يه كيفية تفكيره وحيلته على اسماعيل فقدره اسماعيل ورفعه إلى درجة عالية ، وظل بساط الصداقة ممدودا بين نصر واسماعيل فترة طو يلة ، حتى طواه المفسدون(١٣) ، ووصل العداء إلى درجة أن جمع نصر جيشا ، واتجه إلى بخارا ، وجهز اسماعيل ايضا جيشا ، وجاء لمواجهته و بعد القتال ، ظفر اسماعيل ، وأسر نصر ، وأحضروه إليه ، فأجلس اسماعيل نصر على العرش ، وقبل يده(١٤) ، وقدم له رسوم الطاعة والتكريم إلى درجة أن ظن نصر أن اسماعيل يستهزىء به ، وحينئذ حمل اسماعيل أخاه ومن معه جميعا إلى سمرقند ، وقال له عند الوداع : إننى سأظل فى بخارا نيابة عنك لضبطها وربط أمورها(١٥) .

قال ارباب التواريخ : ان اسماعيل كان ملكا خيّرا كريم الطبع ، كان الفضلاء والعلماء مكرمين فى أيام دولته(١٦) ، و يقول ابن كثير(١٧) : ببركة هذا السلوك الطيب بقيت الحكومة فترة فى أسرته، و يقولون: ان أحد العلماء جاء يوما لز يارته، وعند عودته ودعه سبعة أقدام ، فرأى ذات ليلة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : يا اسماعيل إنه سيكون من نسلك سبعة أفراد ملوكا بهذه السبعة اقدام التى شايعت بها هذا العالِم ، وعندما توفى نصر سنة ٢٧٩ هـ(١٨) ، دخلت جميع بلاد ماوراء النهر تحت سيطرة عمال اسماعيل ، واستقل تماما بجميع مهام المملكة ، وقد ذكر المؤرخون أنه أول شخص من آل سامان يعد من زمرة السلاطين كان اسماعيل ، لأنه لم يستقل أحد قط من قبله من آل سامان ، وكان البعض يحكم نيابة عن الطاهر يين ، والبعض يحكم بمنشور ولاة ماوراء النهر.

سلطنة اسماعيل بن احمد السامانى

قاد اسماعيل الجيش إلى التركستان بعد وفاة أخيه سنة ٢٨٠ هـ(١٩) ، وأسر والد ملك التركستان وزوجته مع عشرة آلاف شخص(٢٠) ، وجاء إلى سمرقند ، وسقطت غنائم لاحصر لها بيد جنود اسماعيل ، لدرجة أنه نال كل فارس عند القسمة ألف درهم ، ولم يكن الجياد والإبل والأغنام فى الحسبان ، و بعد ذلك عبر اسماعيل جيحون ، وأسر عمرو بن الليث ، كما هو مكتوب فى أمر الصفارية .

ومذكور فى تاريخ گزيده(٢١) : أنه بعد أسر عمرو بن الليث أرسل اسماعيل حاجبا اليه واستماله من ان الله تعالى أراد أن أخلصك من غضب الخليفة ، فشكر عمرو اسماعيل وقال : « انني أعلم انك لن تخلصنى من الخليفة » ، ولمّا كان اسماعيل قد جرى على لسانه مايوجب المروءة فانه بعد قول هذه الكلمات ، أسر عمرو(٢٢) ، وسلمه للحاجب ، وقال عمرو: أربع أولادى ، وقل له : « إنني أعلم ان جيشك فى حاجة إلى المال » ، وفى هذه النسخة مسطور: « كنوزى وكنوزاخى ومن الأفضل ان تصل هذه الأموال إلى اتباعك وان تكون مصدر رفاهية وخير لهم ، واتوقع من كرم الأمير، أن يكون فعله مثل قوله ، و يبرأ يده من دمى ، و يرسلنى إلى الخليفة »(٢٣) ، وظن الحاجب انه قدم للأمير اسماعيل تحفة كبيرة ، فعاد مسرورا مبتسما ، وقال : إن عمرو بن الليث قال كذا وكذا ، فصاح الأمير اسماعيل فى وجهه وقال : « احمل هذه النسخة، وأعطه إياها ، وقل له : إن اسماعيل يقول لك من أين جاءت خز ينتك وخز ينة أخيك ، انه معلوم لدى الناس جميعا ، انكما أولاد صفار، وقد سعدكم الزمان فترة ، وفى الحقيقة كانت عن الشقاء ، واستقليتم ، وجمعتم

الأموال بالظلم والجور، وتريد أن تعلق الظلم الذى فى عنقكم من هذه الأموال فى عنقى لست أنا من هؤلاء الناس الذين ينخدعون بكلامك، ليس بينى و بينك دم حتى أبادر بقتلك» ([24]).

و يقول كاتب هذه الكلمات: إن قول حمد الله المستوفى صاحب تاريخ گزيده، لاتخلو من ضعف فمع أنه قال: أن عمرو قال للحاجب: لاخلاص لى من الخليفة، فكيف يتجاوز ذلك و يلتمس عمرو من اسماعيل أن يرسله إلى الخليفة([25])، والدليل على رجحان الأولى على الأخرى هو أن خواجه نظام الملك الطوسى([26]) رحمه الله، وكان فى عهد قريب من عهد السامانيين، قد ذكر فى وصاياه، انه عندما تقابل الأمير اسماعيل السامانى فى نواحى بلخ مع عمرو بن الليث، وكما هو مشهور فانه أسر عمرا، وأنشغل بتفحص الخزائن التى معه، ولما فحصها لم يجد أثرا منها، ولم يعرف أحد من رجال الجيش عنها شيئا، فأمر أن يسألوا عمرا عنها، قال: إن شخصا من اقاربى يدعى سام متعهد الخزائن ربما حملها إلى هرات، و بعد عدة أيام وصل الأمير اسماعيل إلى هرات، وطلب أهل هرات الأمان، فأمنهم، واستعلم عن حال سام وقرينة عمرو، ولم يذكر أحد منهم خبرا قط عنها، وتبرأ المشاهير والجماهير بالايمان والعهود وسائر وسائل التحقيق من ذلك، ولما لم تقع هذه الأموال فى يده، ولم يحظ الجيش ايضا باغتنامها قالوا: انه من الصواب أن نحمل على اهل المدينة، وعرضوا ذلك على الأمير اسماعيل الذى كان لديه فى هرات ونواحيها مائة ألف رجل شجاع فى أنه لوساعدنا كل واحد من هؤلاء بمثقالين ذهبا يكون مائتان ألف دينار، ولوساعدنا كل واحد بدينار واحد يكون مائة ألف مثقال، ويمكن بهذا المبلغ إصلاح الجيش، قال الأمير اسماعيل: طالما أمنت ألف مؤمن مسلم، وأكدت ذلك بالعهد والقسم، فلايمكن تبديل ذلك مطلقا، وخرج من هرات على عجل، حتى لايفتحوا هذا الكلام مرة أخرى، وألا يسول له الشيطان بنقض العهد.

وعندما نزلوا بمكان شرع أعيانه بترديد نفس الحكاية، وقالوا: اننا لم نحقق شيئا من المملكة التى ستدخل تحت سيطرتنا، وقد خرجنا بلا استعداد وهو أمر بعيد عن صلاح الملك، فأجابهم الأمير اسماعيل نفس الجواب، وقال: إن الله الذى ساق إلىّ جواد عمرو ابن الليث بسوء قدرته، قادر على أن يهيىء لى أمتعة الجيش دون نهب وسلب المظلومين، وخرجت هذه الجماعة يائسة قانطة من عنده.

فى تلك الأثناء خلعت جارية من جوارى الأمير اسماعيل الخواص حمائلها المرصعة من قطع الياقوت من عنقها و وضعتها على ملابسها، ودخلت بيت الطهارة، وظن غليواجى أن هذه الحمائل هبطت من السماء، وسرقها، وركب المقربون وهجموا على غليواجى، وعندما اراد أن ينزل تجمع حوله الفرسان من جميع جوانبه، وقبض غليواجى على الحمائل، وتصادف

أن كان على حافة بئر، فسقط فيه فأحضروا حبلا وربطوه فى وسط شخص ، وانزلوه فى البئر ، وكان هناك طريق إلى بئر آخر، وظهرت صناديق ، فذهب هذا الشخص إلى الصناديق ، وكانت هذه هى خزانة عمرو بن الليث التى كان سام قد قربها من بلخ ، وحملها عبر السهول والجبال إلى طريق غير مطروق للناس ، وكان قد أخفاها فى هذا المكان على حدود هرات ، المهم ظفر بما كان فى خزانة عمرو بن الليث ، وما كان قد أقره على أهالى هرات أضعافا مضاعفة(٢٧) .

و يقول خواجه نظام الملك بعد ايراد هذه الحكاية : أن الغرض من هذا التقرير هو أن تنفيذ العهد والميثاق له فوائد جمة وثمرات لاحصر لها ، و يقولون إنه بعد إرسال عمرو بن الليث إلى بغداد ، ارسل الخليفة المعتضد إلى الأمير اسماعيل خلعا قيمة والأحكام والمناشير، وفوضه على حكومة سيستان وخراسان حتى مازندران والرى واصفهان(٢٨) ، وألبسوه خلع الخليفة ، و بعد ارتداء كل خلعة أدى ركعتين ، و بعد أن لبس جميع الخلع ، قبّل مناشير الخليفة وقدم لها شروط التعظيم ، واعطى لحامل الخلع والأحكام سبعمائة ألف درهم .

وفى تلك الأثناء وصل إلى سمع الأمير اسماعيل خبر توجه محمد بن زيد العلوى صاحب طبرستان ، فأرسل شخصا اليه ، ونصحه ، ولكن لافائدة ، فأرسل الأمير اسماعيل محمد بن هارون لمحاربته ، وحارب محمد حاكم طبرستان ، وهزمه ، وجُرح العلوى فى المعركة ، توفى بأثرها وحكم محمد بن هارون نيابة عن الأمير اسماعيل فى جرجان وطبرستان ، و بعد ذلك استدعاه الأمير اسماعيل ، فتخلف وأبدى العصيان ، وتوجه إلى ناحية الرى باستدعاء من اهلها ، وحارب عامل الخليفة ، وقتله مع اخوته وأبنائه ، فأرسل المكتفى رسولا إلى الأمير اسماعيل واعطاه رسالة من أن ضبط الرى يتعلق بك ، فأقصر يد سيطرة ابن هارون عنها ، فجمع الأمير اسماعيل الجيوش ، وتوجه إلى تلك الناحية ، وعندما بلغها ترك ابن هارون الرى وذهب إلى قزوين وزنجان ، ومنها جاء طبرستان(٢٩) ، واستولى الأمير اسماعيل على الرى ، وأسرع من هذا المكان إلى قزوين ، وكان فى هذه الناحية حدائق مملوءة بالفاكهة والعنب ، فأمر بألا يقترب أحد من الحدائق فلا ينبغى أن يأخذ أحد «منا» من الشعير دون سعر ورضى صاحبها ، وأعطى الأمير اسماعيل حكومة الرى لابن أخيه أبى صالح بن اسحق ، وقد كتب محمد بن زكريا الطبيب الرازى كتاب «منصورى» باسمه ، وقد حكم هذه الولاية ست سنوات .

وعندما عاد الأمير اسماعيل من العراق ، وقاد الجيش إلى التركستان ، وفتح أماكن كثيرة ، وعاد بغنائم وفيرة ، وفى منتصف صفر سنة ٢٩٥ هـ سعد بفراديس الجنان(٣٠) ، و بعد الوفاة أطلقوا عليه الأمير الماضى(٣١) ، ومُدة سلطنة الامير اسماعيل بعد انقراض حكومة عمرو بن الليث سبع سنوات ، كان ملكاً وصلت عدالته درجة ــ أنه بلغ سمعه ذات

مرة أن هناك حجرا فى الرى يزنون به ذهب الخراج ، وهو زيادة عن الأحجار الأخرى ، فأرسل الأمير اسماعيل فى الحال رسولا إلى الرى وأمهر الأحجار وأحضرها إلى بخارا ، وعندما عاد الرسول إلى الرى خاف الناس لأنه أثار ضجة ثم مهّر الأحجار، وحملها معه إلى بخارا ، وأغلق باب الديوان ، وتعطل اصحاب الدواوين ، وعندما وصل الحجر إلى بخارا ، احتاطوا فى ألايزيد عن الوزن المقرر، وأمر أن يسقطوا الزيادة بترا ، وارسل الحجر المعدل إلى الرى ، وأمر أن يعيدوا كل زيادة أخذوها فى الأيام الماضية .

ويقولون : انه كان لأحمد ابن الأمير اسماعيل معلما ، وذات يوم غضب المعلم من أحمد فقال له فى حضور ابيه : لابارك الله فيك ولا فيمن ولدك ، فخرج الأمير اسماعيل من المجلس وأعطى عطاء لهذا المعلم ، ليسرى عنه(٣٢) .

وذات مرة تحدث أمام الأمير اسماعيل عن الحسب والنسب ، فقال : كن عصاميا ولاتكن عظاميا(٣٣) ، ولم يفهم المخاطب ، فقال : الأمير: من الأفضل ان تفخر بمواهبك لا بأصلك وفصلك .

ويقول يحى بن زكريا الرازى(٣٤) : ان الأمير اسماعيل سألنى ذات يوم : ماالسبب فى أن آل معاذ(٣٥) لمازالت دولتهم بقيت عليهم آثار النعمة مع سوء سيرتهم وظلمهم ، وأن آل طاهر لمازالت دولتهم زالت معهم نعمتهم مع عدلهم وحسن سيرتهم ؟ اجبته : لما كانت نعمة ونعيم آل معاذ قد وصل إلى نهايته ، وأستولى عليهم آل طاهر، ولما كانوا ملوكا أهل عدل ، أرادوا أن يجبروا كل فساد صدر من آل معاذ ، وبقى كل خير كان موجودا فيهم ، ولمّا كانوا أصلاء فقد رعوا الأسر القديمة ، ولما انتقلت دولة الطاهريين إلى الصفاريين الذين كانوا بلا أصل ولاهمة ، بمقتضى الأصل لايخطىء ، فقد سعوا لتغير الأمور السابقة واحكام الأسر السابقة ، ليطمسوا آثارهم ويدرسوا رسومهم(٣٦) .

يقول يحيى : وعندما قلت هذا الكلام ، صدقه الأمير اسماعيل ، وأوصلنى ، وقال : لقد أرحت خاطرى ـــ بهذا الجواب الصواب ـــ من التفكير، ويذكرون : انه عندما توفى نصر، وصار اسماعيل سلطانا ، فتح كسابق عهده أبواب المراسلات مع الأحباء وأهل الحق ، ولم يقلل من ألقابهم ونصحه الناصحون : أنه طالما وصلت إلى السلطنة فلا حاجة لك بالتواضع ، أجاب إننى اعلم انه من الواجب واللازم لى ألا أقلل من درجة الأصدقاء فى ايام القوة والعظمة ، بل انه يجب رفع شأنهم ليخلصوا لك أكثر ويحمدوا الله جل وعلا ، ويجب أن يعمل الأصدقاء المخلصون ايضا من أجلنا .

سلطنة أحمد بن اسماعيل بن أحمد الساماني

عندما رحل الأمير اسماعيل إلى رياض الرضوان(٣٧) ، تصدى أخوه أحمد لأمر الحكومة ، وأرسل الخليفة المكتفى له(٣٨) العهد واللواء ، وأراد أحمد فى بداية السلطنة أن يتوجه إلى خراسان ، وقال له ابراهيم زيد(٣٩) : يجب أن تتوجه أولا إلى سمرقند ، لتريح خاطرك من عمك اسحق ، وهوعدو أسرى ، وأيد أبونصر أحمد الرأى ، وأسرع ابراهيم إلى سمرقند ، وقبض على اسحق واحضره إلى بخارا ، وحبسه ، وتوجه إلى خراسان(٤٠) ، ووصل إلى نيشابور، ففر پارس كبير الذى كان يحكم جرجان نيابة عن أبيه ، وتوجه إلى بغداد .

وتفصيل هذا الإجمال هو أن تجمع لپارس مال وفير من خراج الرى وطبرستان وجرجان ، ولما كان فى خزينته ثمانون ألف حمل من الذهب الاحمر المسكوك ، وبها ايضا من العملة الذهبية (الفلورى) والفضة والأجناس والامتعة لاحصر لها ، وقد حصل پارس هذه الأموال فى آخر أيام الأمير اسماعيل ، وتوجه لخدمته ، وسمع فى أثناء الطريق بخبر وفاته فعاد(٤١) ، واستولى على هذه الأموال ، ولعب الاستقلال برأسه ، وعندما سمع خبر توجه احمد بن اسماعيل ، أرسل رسولا إلى المكتفى ، واستأذن منه ان يسرع لخدمته ، فسمح له المكتفى ، وتوجه پارس بأربعة آلاف شخص وخزينة ثقيلة إلى بغداد ، وعندما وصل ، مات المكتفى ، وجلس المقتدر على الخلافة وفى بداية الأمر اعتبر المقتدر پارس والأموال والرجال غنيمة ، واهتم برعاية پارس ولكن أمراء الخليفة خشوا منه ، واحتالوا على غلام من مماليكه ليدس له السم ، وارتاح خاطرهم جميعا من همه .

وقد فوض أحمد بن اسماعيل أبا العباس عبدالله بن محمد بن نوح على حكومة طبرستان ، بعد توجه پارس إلى دار السلام ، وفى ذلك الوقت استولى حسن بن على الأطروش العلوى(٤٢) على ممالك الديالمة ، وحرضهم لمحاربة عبدالله ، ولم يرضوا بمعاش عبدالله بإيعاز من حسن ، حتى يعزله احمد بن اسماعيل عن طبرستان ، وعين محله سلام ، وجاء الاطروش مع الديالمة لحرب سلام ، وهزموا ، وعزل سلام عن حكومة هذه المملكة ، ومرة أخرى جعل حكومة طبرستان لعبدالله ، وعمل عبدالله لضبط وربط هذه الديار حتى توفى ، فجعل أحمد ابن اسماعيل محمد صعلوك محله .

وفى سنة ٢٩٨هـ استولى احمد بن اسماعيل على سيستان كما وضحه القلم فى أمور الصفاريين وفى هذه السنة أطلق أحمد عمه اسحق من الحبس ، وأعطاه سمرقند ، واندجان(٤٣) ، وفى سنة ٣٠٠هـ ارسل احمد بن اسماعيل ابن عمه منصور بن اسحق على

حكومة نيشا بور، وفى نفس السنة صار السيستانيون وأرسل أحمد مرة أخرى جيشا إلى هذه البلاد، وجعلهم فى طاعته.

وفى سنة ٣٠١هـ توجه أحمد بن اسماعيل للصين، وعسكر بعد مسافة، وعندما رحل عن هذا المكان أمر أن يشعلوا النار فى المعسكر، وعند عودته من جرجان سمع أن الاطروش قد استولى على طبرستان وكان نائبه صعلوك قد خرج من هذه المملكة، فاستاء أحمد بن اسماعيل من هذا الخبر وقال: «إلهى لو كان القدر سيسلب من هذه المملكة كلها، فأمتنى»[٤٤]، وبعد ذلك نزل فى نفس المكان الذى كان قد اشعل فيه النار، وتشاءم الناس من هذا المعنى[٤٥]، ودخل الغلمان خيمته فى هذه الليلة ايضا وقتلوه.

وواضح من هذا المقال أن أحمد بن اسماعيل كان يجالس العلماء أكثر الأوقات، ولهذا نفر منه الغلمان، وقصدوا قتله، وكل ليلة كانوا يربطون اسدين[٤٦] على باب خيمة السلطان حتى لايدخلها الأعداء، وحسب الاتفاق لم يراعوا الحذر فى تلك الليلة[٤٧]، ودخل الغلمان — الذين كانوا ينتظرون الفرصة — الخيمة، وقتلوه، وقد حدثت هذه الحادثة فى ليلة الخميس الثالث والعشرين من جماد الآخر سنة ٣٠١هـ[٤٨] وفى اليوم التالى نقلوا نعشه إلى بخارا ودفنوه، وحينئذ اطلقوا عليه السلطان الشهيد، وقتلوا بعض الغلمان قتلة السلطان ممن وجدوهم، ويقولون أن الأمير أحمد بن اسماعيل كان رجلا شجاعا انانيا سيىء الخلق، امتدت فترة حكمه برواية إلى ست سنوات وأربعة أشهر وسبعة أيام[٤٩].

سلطنة نصر بن أحمد بن اسماعيل السامانى

عندما قُتل أحمد بن اسماعيل، حمل أحمد بن محمد بن الليث والى بخارا أبا الحسن نصر ابن أحمد — وكان صغير السن، على كتفه[٥٠]، ليبايعه الناس، فخاف نصر وقال: هل تريدون قتلى مثل أبى! قالوا: نريد أن نجلسك محل ابيك أميرا، وفى البداية لم يهتم الناس بنصر، وفكروا ماذا يستطيع هذا الطفل أن يفعل مع وجود عمه اسحق شيخ السامانية وحاكم سمرقند؟! ومال جميع أهالى ماوراء النهر ماعدا اهالى بخارى إلى اسحق السامانى واولاده[٥١]، وساعده الزمان وحالفه الحظ بل ساعدته عناية الحق عز وعلا والتوفيق الالهى، ووصل نصر بن أحمد — الذى كانوا يسمونه الأمير السعيد — إلى درجات عالية، بلغ درجة آبائه وأجداده، وتفصيل هذا الإجمال هو أن أبا عبدالله محمد بن أحمد الوزير المتكفل بأمور الملك قام بضبط المهام حتى بلغ سن الرشد والعقل، واستقام نظام الملك بيد الملك والوزير، وعندما وصل خبر — وفاة الأمير أحمد بن اسماعيل ومبايعة الأهالى لابنه الأمير

السعيد — إلى سمع اسحق الساماني ، سعى لاعداد الجيش ، وترك ابنه نائبا عنه فى سمرقند ، وتوجه بنفسه بجيش جرار إلى بخارا ، وعين الأمير السعيد حمويه لحربه ، وعندما تلاقى الفريقان ، وقعت حرب ضروس ، وهُزم اسحق ، وعاد حمويه ظافرا منتصرا إلى بخارا ، وعندما وصل اسحق إلى سمرقند ، أعد الجيش مرة أخرى وجمع جيشا جرارا ، وتوجه إلى بخارا ، وارسل الأمير السعيد مرة أخرى لمحاربته ، وفى هذه المرة انتصر ايضا حمويه ، وفر اسحق ، وتعقبه حمويه إلى سمرقند ، ودخلت هذه البلاد فى سيطرته ، واختفى اسحق فى سمرقند ، وتوجه ابنه إلياس إلى فرغانه ، واخلى حمويه الطرق ، وعين العيون لكى يظهر اسحق وخرج اسحق الخائف ، وطلب الأمان من حمويه ، فارسله حمويه إلى بخارا ، وظل محبوسا هناك حتى توفى .

مخالفة منصور بن اسحق السامانى مع الأمير السعيد نصر بن أحمد وبيان بعض القضايا التى حدثت فى تلك الفترة

أبدى منصور بن اسحق بن اسد العصيان والمخالفة فى أيام دولة الأمير السعيد ، ولما كان حسين بن على المرورودى قد فتح سيستان فى عهد سلطنة الأمير الشهيد أحمد بن اسماعيل واعتقد أنه قد فوضه على هذه الولاية ، وأعطى أحمد ولاية سيستان لسيمجور دواتى على خلاف ظن حسين ، استاء حسين من هذا المعنى ، وفر من الأمير الشهيد ، ووضع أس الفساد ، وحرض منصور بن اسحق على العصيان ، وأثناء ذلك قُتل أحمد بن اسماعيل ، وبعد قتله أبدى حسين الخلاف ، واتجه من هرات إلى نيشابور ، وقرأ الخطبة باسم منصور بن اسحق ، وعلم الأمير السعيد بهذا الخبر ، فأرسل حمويه (٥٣) من نيشابور ، وتوفى منصور بن إسحق ، وترك حسين بن على المرورودى فى نيشابور ، وتوجه إلى هرات ، والتحق محمد بن جنيد حاكم بخارا — خوفا من الأمير نصر — بالحسين ، وترك الحسين بن على أخا المنصور فى هرات ، وعاد مرة اخرى إلى نيشابور ، وعندما اطلع الأمير نصر على هذا الأمر ، وعد أحمد بن سهل — الذى كان مِنْ أمرائه الكبار ومن نسل يزدگرد شهريار ، وكان الأمير اسماعيل السامانى لايحيد عن رأيه الصائب فى أمور المملكة — بأن يرسله إلى خراسان ، وأسر أحمد بن سهل حسين بن على المرورودى ومحمد بن جنيد ، وارسلهما إلى بخارا ، فأرسل الأمير نصر محمد بن جنيد إلى خوارزم ، فقدم خدماته فى تلك الديار حتى مات ، واطلقوا سراح حسين ابن على من سجن بخارا (٥٤) .

ولما لم يف الأمير نصر بوعده ، ثار أحمد بن سهل ، وأرسل رسولا إلى الخليفة المقتدر(٥٥) والتمس حكومة خراسان ، وحقق التماس أحمد ، وبعد ذلك قوى نفوذه فى نيشابور ، فاتجه إلى

جرجان ، وحارب قراتكين حاكمها ، وأخرجه من هذه الولاية ، وجاء من هناك إلى مرو وبنى سورا محكمًا ، فأرسل الأمير السعيد حمويه لحربه ، وقبض حمويه على أحمد بن سهل بعد محاصرته ، وارسله إلى بخارا ، وتوفى أحمد بن سهل فى حبس الأمير نصر(٥٦) .

فى نفس هذه الفترة جاء ليلى بن نعمان ــ الذى كان من أمراء الأطروش ــ إلى جرجان من عند قاسم بن حسن الداعى والى طبرستان ، وكان اولاد الاطروش العلوى يكتبون فى القابه « المؤيد لدين الله المنتصر لآل رسول الله ليلى بن نعمان » ، وكان يذكرون على هذا النمط اسمه بعد اسماء والقاب السلاطين فى الخطبة ، وتوجه ليلى بعد ضبط جرجان إلى دامغان وحارب أهالى هذه الولاية ، وقتل عددا كبيرا منهم ، ولما كان يتصف بالسخاء والشجاعة فقد لجأ إلى بلاط أمراء الأطراف ، وعلى هذا لم يف دخله نفقاته ، وباشارة قاسم ابن حسن الداعى توجه إلى خراسان ، وجاء نيشابور ليخطب باسم قاسم فى هذه الولاية ، فعلم الأمير نصر بهذا الأمر ، فأرسل حمويه بجيش جرار اليه ، وتصادف أن تلاقى الفريقان فى نوقان من أعمال طوس ، وفى البداية انهزم جيش بخارا ، لكن ثبت حمويه ومحمد بن عبدالله البلعمى وابو جعفر صعلوك وخوارزمشاه سيمجور دواتى ، وقاتلوا قتالا شديدا ، وهجموا على جيش ليلى ــ الذى كان مشغولا بالسلب والنهب ــ وعلى الرغم من أن ليلى قد خرج من المعركة لكنه أسر فى النهاية وقُتل .

ويروون أن على بن حسين ظل فترة حبيسا ببخارا ، وبعد فترة أخرجه واحد من النواحى المعتبرين للأمير نصر من الحبس ، ولازم البلاط ، وذات يوم طلب الأمير نصر ماء « فأحضروا ماء فى كوز غير حسن الصنعة ، فقال حسين بن على المروروذى لعلى بن حمويه : أبوك حاكم نيشابور ، وهناك يضعون أكوازا جيدة ، فلما لا يهديك منها ؟ فأجابه على بن حمويه : انما يهدى أبى إلىّ أمير مثلك أنت وأحمد بن سهل وليلى بن نعمان ! فخجل حسين ابن على من هذا الرد أيما خجل(٥٧) .

استيلاء الأمير السعيد نصر بن احمد على بلاد الرى ونواحيها

استولى فاتك غلام يوسف بن أبى الساج على الرى فى شهور سنة ٣١٣ هـ ، وثار ضد الخليفة المقتدر ، فأرسل رسالة إلى الأمير نصر : « لما كنا قد عيناك على الرى ، فتوجه بنفسك إلى هذه الناحية » ، فقاد الأمير نصر الجيش ، وتوجه إلى الرى(٥٨) ، وعندما اقترب من حدودها ، لجأ فاتك إلى ناحية فأقام الأمير السعيد فى هذه الولاية شهرين ، وسلمها لسيمجور دواتى ، وعاد من هناك إلى خراسان وماوراء النهر ، وبعد ذلك استدعى سيمجور ، وعين محله

محمد بن صعلوك ، واهتم صعلوك بحكومة الرى حتى مرض سنة ٣١٦هـ ، وفى اثناء المرض استدعى حسن بن حسن بن القاسم بن حسن الدلعى وماكان ابن كاثى(٥٩) من طبرستان ليسلمهم الرى ، وكانوا يكتبون ألقاب الداعى « الموفق بطاعة الله المعترف بحق آل رسول الله » ، وقرأوا فى الخطبة أيضا بهذه الألقاب وتوجها إلى الرى ، وأوفى صعلوك بالوعد ، وتوجه صعلوك إلى خراسان ، وعندما وصل إلى دامغان توفى .

و بعد عدة أيام قُتل الداعى، و بعد قتله استولى اسفاربن شيرو يه على الرى وطبرستان وقزو ين وقم وكاشان ولر الصغيرة ، وقرأ الخطبة باسم الأمير نصر(٦٠) ، وظلم اسفار كثيرا فى ولايته ، وصادر الناس ، وعصى الخليفة المقتدر، فكتب اليه الأمير السعيد لكى يكف يده عن الحركات غير المقبولة ، فخاف اسفار من الأمير نصر فأعلن عليه العصيان أيضا ، فأرسل الخليفة جيشا لمحاربة اسفار، فهزمه اسفار.

وفى سنة ٣١٧هـ خرج الأمير السعيد من بخارا وتوجه إلى الرى ، ووصل إلى نيشابور و بعد قطع المسافات ، توقف هناك عدة أيام من أجل تدبير المصالح الملكية ، فسمع اسفار هذا الخبر فاستعد للحرب ، وفى أثناء ذلك قال مطرف بن محمد الجرجانى الوزير لأسفار: المصلحة أن ترسل رسولا للأمير نصر ، وتظهر الإخلاص ، فاذا قبل المال قبلت ، فطالما أعتقد فى ذلك أنا وجماعة من الأتراك الذين فى هذا الجيش فلا عذر لهم ، وسمع اسفار كلام الوزير فأرسل رسولا إلى الأمير السعيد ، وفى البداية رفض الأمير نصر المصالحة ، فنصحه اصحابه وقالوا : لامصلحة فى الحرب لأنه لا أحد يعلم الغيب ، فقبل الأمير نصر كلام ناصحيه ، فسلم هذه الولاية لأسفار، وأقره على ان يرسل ماهو مقرر سنو يا إلى الخزانة العامرة ، وأطلق الأمير نصر اخوته من الحبس ، فأثاروا الفتنة فعاد الأمير، وسكن هذه الفتنة(٦١) ، ولايخفى على الأذكياء أنه فى أيام سلطنة الأمير السعيد وقعت فى طبرستان وخراسان وماوراء النهر أمور لا تعد ولاتحصى ، ولو أن القلم ذكرها جميعا ، فسيمتلأ هذا الدفتر بها .

وفاة الأمير السعيد نصر بن احمد السامانى

استولى مرض السل على جسد الأمير السعيد ، فلازم الفراش ثلاثة أشهر ، والتحق بجوار ربه الملك الغفور فى رجب سنة ٣٣١هـ وكانت مدة حياته ثمانية وثلاثين عاما ، وأمدت فترة حكومته إلى ثمانية وعشرين عاما (٦٢) ، كان كريما ورحيما وعادلا وعاقلا جدا .

رووا أمامه أن فلانا التاجر لديه جوهرة نفيسة ، كان قد اشتراها بثلاثة عشر الف درهم وهذه الجواهر لائقة بخزانة الأمير، فأمر أن يحضروا التاجر بالجواهر فتعرف الأمير نصر على

الجواهر التي كانت قد سرقت من خزانته ، فسأل التاجر ممن اشتريت هذه الجواهر؟ ، قال : من فلان غلام الأمير ، فأمر أن يحضروا الغلام ، وطلب منه ثمن الجواهر ، وعرف انه أنفق أكثر ثمنها ، فأخذ الأمير نصر الجواهر من التاجر ، وأعطاه أربعة عشر ألف درهم ، وعرف التاجر جريمة الغلام ، فقال الأمير : انني أهبك دمه أو أحله معك وقُدم الغلام لهذا التاجر(٦٣) .

يقولون : فى أثناء استعراض الجيش أحضروا لديه شخصا ، يسمى نصر بن أحمد ، فسأله الأمير عن اسمه ، فوقف صامتا ، فسأله مرة ثانية ، فلم يحر جوابا ، فقال أحد ملازميه إنه يسمى نصر بن أحمد ، ولا يستطيع أن يذكر اسمه تعظيا ورعاية للأدب ، فقال : الأمير نصر وجب علينا رعايته ، وأمر أن يضاعفوا حقه .

و يقولون : إنه عندما خرج عليه اخوته(٦٤) ، وأطلقوا يدهم فى أموال الخزائن ، فلما تمكن الأمير نصر من كرسى الحكم مرة ثانية ، قالوا له : إن فلانا وفلانا قد حملوا مبلغا كبيرا من الخزائن ، والآن نستطيع أن نأخذ هذه الأموال وزيادة منهم ، قال الأمير السعيد : كل ماوصل إلى أى شخص هو حق له ، لايجب أن يتعرض له أى انسان ، إلا أنه ذات يوم باع شخص سكينا نفيسة كان قد أخذها من الأمير نصر بمائتى دينار ، فأحضروه وقال الأمير : اعطوا هذا المبلغ لصاحب السكين ، قال هذا الشخص : لن آخذ أقل من ألف دينار ، وقال الحاضرون عجبا إن الأمير يشترى منك سكينة بما كنت قد اشتريتها به ، فتتضايق ، وارادوا أن يأخذوا السكين منه عنوة ، قال الأمير نصر : ارضوه ولا تسيئوا اليه ، و يروون أنه أمر فى أيام مرضه أن يبنوا على باب قصره بيتا ، اسماه بيت العبادة ، وانشغل بالعبادة فيه أكثر الأوقات بملابس طاهرة حتى أنهى بها زمانه السعيد ، ومن بعده بايعوا ابنه الأمير نوح الذى كان ملقبا بالأمير الحميد(٦٥) .

سلطنة نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل السامانى

كان الأمير نصر قد جعل ابنه الأكبر اسماعيل وليا للعهد فى ايام دولته ، ولما كانت الإرادة الازلية قد اقتضت أن يتوفى ابنه قبله ، فاتفق أركان الدولة بعد وفاة الأمير نصر على سلطنة ابنه الثانى نوح ، وفوض ضبط مهام المملكة لأبى الفضل محمد بن أحمد الحاكم ، فطارد أبو الفضل بن أحمد حمويه ــ الذى كان من أهل ثقة الأمير نصر ، وسبب ذلك هو انه فى ذلك الوقت الذى كان الأمير السعيد قد جعل اسماعيل وليا للعهد ، وعين أبا الفضل نيابة عنه ، ففر أبوالفضل من نوح ، وعلم الأمير نصر بهذا المعنى ، فقال لأبى الفضل : حين يأتنى

الذى لامفر منه ، فاحذر من نوح ، وعندما انتقل نصر إلى دار البقاء عبر ابوالفضل آمو يه ، وتوجه إلى ناحية آمل ، فاستماله نوح برسالة ، فعاد أبوالفضل من آمل وتوجه إلى بخارا ، وقدم له نوح لزوم الرحمة والعاطفة(٦٦) .

وفى أواخر سنة ٣٣٢هـ ارسل الأمير نوح أبا على بن محمد محتاج إلى الرى ، وذلك لأن ركن الدولة الديلمى قد استولى على هذه الولاية ، فتوجه أبوعلى بجيش جرار إلى الرى ، وعندما وصل إلى سبزاور ، أسرع وشمگير من طبرستان لخدمة نوح ، ولحق به فى مرو ، فأكرمه الأمير نوح كل الاكرام ، وقدم له شروط التعظيم والاحترام كما يجب و ينبغى ، عندما عبر أبوعلى حدود سبزاور ووصل إلى دامغان ، تخلف منصور قراتكين — وكان من جملة المقربين لنوح — مع جماعة عن أبى على ، وتوجهوا إلى جرجان ، وتحارب حسن فيروزان — حاكم هذه الولاية — مع منصور وهزم ، فعاد إلى نيشابور ، فتوجه أبوعلى مع بقية الجيش إلى الرى ، وخرج ركن الدولة من المدينة ، وتلاقيا على ثلاثة فراسخ من الرى ، وذهب جماعة الأكراد الذين كانوا فى جيش أبى على إلى ركن الدولة ، وهزم أبوعلى ، فتوجه إلى نيشابور ، وسقطت امتعته واحماله بيد الديالمة ، وجاء أبوعلى إلى نيشابور ، ووصل وشمگير من عند نوح اليه ، وحملوا أمرا إلى أبى على مضمونه : ألا يساعد وشمگير حتى ينتزع جرجان من يد حسن فيروزان ، فنفذ أبوعلى الفرمان ، وتوجه مع وشمگير وطائفة من الجنود الذين جعلهم نوح بصحبته ، إلى جرجان ، واستقبلهم حسن فيروزان ، ووقعت حرب قوية بين الطرفين ، وهزم حسن ، واستولى وشمگير على جرجان(٦٧) .

وفى صفر سنة ٣٣٣هـ عاد أبوعلى إلى خراسان ، وجاء الأمير نوح إلى نيشابور ، وأعد جيشا عظيما ، وأرسل أبا على مرة اخرى إلى الرى(٦٨) ، ووصل إلى هدفه فى جمادى الآخر من السنة المذكورة ، فترك ركن الدولة المدينة ، واستولى أبوعلى على الري ونواحيها ، وارسل عماله إلى سائر أعمال الجبال(٦٩) ، وألقى الأمير نوح رحله فى نيشابور فترة ، وضج طائفة من عوام خراسان من أبى على ونوابه ، فأرسل الأمير نوح ابراهيم بن سيمجور واليا على خراسان ، وتوجه إلى بخارا فى رمضان من السنة المذكورة(٧٠) ، وجاءت ولاية ابراهيم على مزاج أبى على لمّا كان يطمع فيه بسبب إخراج ركن الدولة من الرى ، فكان من الواجب أن ترتفع درجته ، وبعد ذلك ارسل أبوعلى أخاه أبا العباس فضل بن محمد إلى بلاد الجبال ، واعطاه همدان وأقطاعها ، وجعله خليفة له ، وتوجه إلى دينور ، فدخل جميع الأكراد فى طاعته .

مخالفة أبي علي بن محمد بن محتاج مع الأمير نوح بن نصر

في شهور سنة ٣٣٤هـ أبدى أبوعلي بن محمد محتاج العصيان على الأمير نوح ، وكان سبب ذلك هو أنه عندما كان أبوعلي مشغولا بتجهيز الجيش ليتوجه من خراسان إلى الري ، ارسل الأمير نوح عارضا(٧١) يحمل مرسوما إلى جماعة الجيش ، وناقش العارض أبا علي مناقشة حامية ، واسقط بعض متعلقاته من الدفتر، فنفر أبوعلي من ذلك ، و بعد ذلك استخلص الري وهذه النواحي ، وأرسل الأمير نوح شخصا لضبط مال هذه الولاية ، فكتب إلى أبي علي بألا يتدخل في المال ، فازداد حنقه بسبب هذا ايضا ، و بالاضافة إلى هذه الأسباب كان تفويض إمارة خراسان لسيمجور، ولهذا أبدى أبوعلي مخالفة نوح ، وارسل يستدعي ابراهيم بن أحمد اسماعيل الساماني ــ الذي كان قد ذهب في تلك الأيام لسبب من الاسباب إلى الموصل ــ عمل بملازمة الأمير ناصر الدولة ، وتوجه ابراهيم بتسعة عشر فارس من الموصل إلى العراق والتحق بأبي علي في همدان ، وجاءا متفقين إلى الري ، وارسل عمالها على جميع اعمال ولاية العراق التي كانت تحت تصرفهما ، وتوجها إلى خراسان ، وعلم الأمير نوح بصورة الحادثة فعبر بجيش ماوراء النهر النهر، وجاء إلى مرو(٧٢) .

في تلك الأثناء اشتكى رؤساء الجيش وسائر الجنود من محمد بن أحمد بن الحاكم الوزير وعرضوا على الأمير نوح «أن الوزير قد عقد عصابة العصيان وأبدى حركات غير لائقة ، واخذ مبلغا من رواتبنا ، فلو تركه السلطان لنا خدمناه ، ورحلنا ، وإلا ذهبنا إلى عمه ابراهيم » . واضطر الأمير نوح تسليم الوزير للأمراء ، فقتلوه في جمادى الأول سنة ٣٣٥هـ(٧٣) ، وعندما اقترب المخالفون من مرو ، اعتذر أكثر جيش الأمير نوح عن الالتحاق بهذه الجماعة ، ولم يبق لدى نوح مجالاً للمقاومة ، فركب مركب ، وعبر النهر، وتوجه إلى بخارا ، واستولى ابراهيم الساماني وأبوعلي على خراسان ، وتوجها إلى بخارا بعد ضبط هذه المملكة ، وتوجه نوح من هناك إلى سمرقند ، ودخل أبوعلي بخارا وأمر أن يقرأوا الخطبة باسم ابراهيم ، وخلال هذه الاحوال ، خاف أبوعلي من ابراهيم ، فتوجه إلى التركستان ، فقال له المفسدون : إن ابراهيم سيقصدك وظل الأمير ابراهيم وحيدا في بخارا ، وكان منصور قراتكين من امراء نوح قد قبض عليه أبوعلي في نيشابور، وحبسه ، فاطلق سراحه ، وفر منصور، وتوجه إلى نوح ، وعجز الأمير ابراهيم عن ضبط أمور المملكة ، و بناء على هذا قرر أن يكون الأمير نوح حاكما ، والأمير ابراهيم قائدا للجيش ، وسعيا لاستئصال أبي علي .

وقد سُر أهالي بخارا جميعا من هذا الاتفاق ، فارسلوا الرسل إلى الأمير نوح ، وخرج الأمير نوح من سمرقند ، فتوجه ابراهيم بجيش بخارا لخدمته ، وتعانقا(٧٤) ، وتوجها لمهاجمة أبي علي وهزما ، فلجأ الأمير نوح إلى قرية ، وهجم عليه أبوعلي مرة أخرى ، فتفرق

البخاريون ، وعادوا منهزمين شر هزيمة إلى بخارا ، وتعقبهم أبوعلى ، ودخل المدينة وتشفع بعض البخاريين عند أبى على الذى أشعل النار فى بخارا حتى أتت عليها ، واستدعى الأخ الأكبر لنوح أبا جعفر محمد بن نصر ، و بايعه ، وخطبوا الخطبة باسمه فى جميع البلاد .

فى تلك الأثناء اختلف أبوعلى مع بعض أعيان الجيش ، ليتعلل بالخروج إلى سمرقند وخرج من بخارا وتوجه اليها ، وفى غيبته كتبت جماعة إلى الأمير نوح من أن البلاد خالية وليس هناك وقت ، فعزم الأمير نوح التوجه إلى بخارا ، وأسرع ابراهيم السامانى وأبوجعفر لاستقباله ، والتحقا بالأمير نوح ، واعتذرا ، وندما على مافعلا ، وقبل نوح عذرهم ، ودخل بخارا وجلس على سرير الحكم ، وقتل الأمراء الطغاة ، وسمل عينى عمه وابراهيم وولديه أبا جعفر وأحمد ، وأرسل منصور قراتكين إلى حكومة خراسان(٧٥) .

فى نفس هذه الفترة فر وشمگير من حسن فيروزان وجاء إلى خراسان ، و بعد ضبط هذه الولاية أمره الأمير نوح بأن يعاون وشمگير لينتزع جرجان من حسن فيروزان ، و يسلمها له وبموجب الأمر توجه جيش إلى جرجان ، وتصالح مع حسن ، وخرج حسن من جرجان ، واستقر وشمگير فى مقر عزه ، وعاد منصور قراتگين من تلك الديار ، و بعد عودة منصور توجه ركن الدولة الديلمى صوب جرجان ، وحاربه وشمگير ، وهزم ، وتوجه إلى خراسان ، ووقع قرابة ثلاثمائة وثلاثة عشر من أعيان جيش وشمگير فى يد ركن الدولة ، وفى سنة ٣٣٨هـ توفى عماد الدولة الديلمى(٧٦) ، وفى سنة ٣٣٩هـ توجه قراتگين بجيوش خراسان إلى الرى ، وفى ذلك الوقت كان ركن الدولة فى شيراز ، وكان على بن ما كان نائبا عنه فى الرى ، فخرج من المدينة وتوجه إلى أصفهان ، واستولى منصور على هذه الولاية ، وارسل عماله إلى الأطراف ، فارسل معز الدولة الديلمى أخاه ركن الدولة آهنگ لقتال منصور ، ووقعت بينهما حروب ، وفى سنة ٣٤٠هـ توفى منصور فى الرى ، وعاد الخراسانيون إلى وطنهم .

وفى أثناء ذلك تواترت الرسائل بين الأمير نوح وأبى على ، ورضى الأمير نوح عنه ، و بعد وفاة منصور قراتكين(٧٧) ، دخل أبوعلى إمارة خراسان بفرمان من الأمير نوح ، وفى شهور سنة ٣٤٢هـ ارسل الأمير نوح أبا على إلى الرى ، والتحق وشمگير به فى جرجان ، وعندما وصلا إلى الرى ، رأى ركن الدولة لاطاقة له بمقاومتها ، فلجأ إلى قلعة طبرى(٧٨) ، وحاصر أبوعلى طبرك ، وامتدت فترة الحصار وحل الشتاء ، ونفقت أكثر دواب الخراسانيين ، ومل الفريقان الحرب فتقدم للوساطة عبدالرحمن الخازن وهو صاحب مصنفات فى العلوم الرياضية ، ومن مؤلفاته « زيج صفائح » ، وتقرر ان يرسل ركن الدولة سنويا مبلغ مائتى ألف دينار إلى خزانة الأمير نوح ، ونهض أبوعلى عن ظاهر قلعة طبرك ، فأرسل وشمگير رسالة إلى الأمير نوح مضمونها : « ان أبا على قد تساهل فى حرب ركن الدولة بناء على المحبة التى

يكنها له » ، واستاء الأمير نوح من أبى على لهذا السبب ، وعندما عاد أبوعلى ، ووصل إلى نيشابور قاد ركن الدولة الجيش إلى جرجان ، وفر وشمگير ، وجاء إلى خراسان .

عندما سمع الأمير نوح بصورة الحادثة ، عزل أبا على عن طبرستان وعين أبا سعيد بكر بن مالك الفرغانى على امارة تلك البلاد ، وجاء أبوعلى معتذرا ، وارسل الرسل إلى الأمير نوح ، ولكن لم يقبل عذره ، وارسل الأمير نوح إلى وشمگير وحسن فيروزان وامراء خراسان رسالة ليتفقوا على صد أبى على ، وصار أبوعلى يائسا من الأميرنوح ، فأرسل رسائل إلى ركن الدولة ، واستأذنه فى اللحاق به ، واكرم ركن الدولة سفارته ، وتوجه أبوعلى إلى الرى وعندما وصل إلى ركن الدولة ، وكان أبوعلى يتوقع ان يقدم له ركن الدولة التعظيم والاحترام(٧٩) ، وطلب أبوعلى منه أن يطلب منشور الولاية خراسان من الخليفة باسمه فأرسل ركن الدولة رسولا إلى اخيه معز الدولة وكان صاحب اختيار فى بغداد لهذه المهمة ، وأرسل معز الدولة منشور الخليفة فى هذا الصدد ، وفى اوائل سنة ٣٤٣هـ دخل خراسان ، وزين المنابر باسم ولقب المطيع العباسى(٨٠) ، وفى خلال تلك الأحوال توفى الأمير الحميد نوح بن نصر ، وكانت مدة سلطنته ثلاث عشرة سنة .

وفاة نوح بن نصر بن أحمد الساماني وجلوس عبد الملك محله

التحق نوح بن نصر بن أحمد السامانى إلى جوار رحمة الملك الغفور فى ربيع الآخر من السنة المذكورة أى سنة ٣٤٣هـ(٨١) وكان يتمتع بأخلاق حسنة وسلوك طيب ، وبعد وفاته سعى بكر بن مالك الذى كان واليا على حكومة خراسان ، ولم يكن قد ذهب اليها ، بكل جهده ليقر هذا الأمر الخطير لعبدالملك ، وبعد ذلك أرسل عبدالملك اليه فى خراسان ، وفى تلك السنة ظهر وباء عظيم فى خراسان وقهستان ، حتى انه فنى أكثر خلائق هذا المكان(٨٢) .

وفى سنة ٣٤٤هـ توجه بكر بن مالك بالجيش من خراسان إلى الرى ، وفى المحرم من هذه السنه ، عاد ركن الدولة من جرجان ، وكان قد ذهب إلى الرى ، وعندما سمع أن جيشا غريبا قد توجه إلى هذه الناحية ، ارسل مكتوبا إلى معز الدولة يمده بالمدد ، فأرسل سبكتگين الحاجب لمعاونة أخيه ، وفى نفس هذه السنة توجه محمد بن ماكان بجيش من خراسان إلى اصفهان ، وبمجرد ان سمع أبومنصور بويه ابن ركن الدولة هذا الخبر حتى حمل دفائنه وخزائنه وعياله وأطفاله وأبيه ركن الدولة وتوجه إلى الرى ، وتعقب محمد بن ما كان بويه بعد الاستيلاء على اصفهان ، ولحق به ، وتصادف أن التحق وزير ركن الدولة

أبو الفضل بن العميد فى تلك الفترة ببو يه ، وهزم جيش الوز ير بعد محار بة الخراسانيين ، وسقطت خزائن وحرم ركن الدولة بيد اتباع محمد بن ماكان ، وانشغل جيش خراسان بالنهب والسلب(٨٣) .

وفى تلك الاثناء فكر الوزير مع نفسه بأى وجه يتوجه اليه وقد سقطت خزانة واهل وعيال ركن الدولة بيد الأعداء ؟ و بأى عين يستطيع أن ينظر اليه ؟ فالموت أفضل من الحياة فاضطر لحمل الروح على اليد ، وهجم على جيش محمد بن ماكان ، وعندما أدرك المنهزمون أن الوزير ثابت فى المعركة ، و يقاتل بنفسه ، عادوا ، وهجموا على جيش خراسان ، وطردوهم واسروا ابن ماكان ، وتوجه أبوالفضل بن حميد إلى اصفهان ، وطرد الخراسانيين من هناك واخيرا انتهى الأمربين ركن الدولة وعبدالملك بن نوح السامانى بالمصالحة .

وفى سنة ٣٥٠هـ وقع الأمير عبدالملك فى اثناء لعب الصولجان(٨٤) من فوق الجواد ومات ، وكانت سلطنته سبع سنين ونيف(٨٥) ، وكنيته أبوالفوارس ، وكان لقبه فى حياته « المؤيد »(٨٦) واطلقوا عليه بعد وفاته الموفق ، رعى قاعدة الانصاف فى أيام دولته ، وترك اسماً طيباً فى الدنيا .

سلطنة منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل السامانى

عندما توفى عبدالملك ، صار أخوه منصور بن نوح حاكما على حراسان وماوراء النهر ، وقبل مبايعته أرسل أمراء واركان الدولة رسولا إلى البتگين(٨٧) ـــ الذى كان قد وصل إلى درجة الإمارة بل كان قدوتهم ومرجع أمرهم ليعرفوا رغبته فيمن يكون جديرا بالملك من ورثة آل سامان ليرسله اليهم ، فقال : منصور شاب وعمه أهل لهذا الأمر الخطير ، وقبيل وصول هذا الخبر إلى الأمراء ، أجلسوا منصور على كرسى السلطنة(٨٨) ، فخاف البتگين من منصور وأراد أن يميل خاطره بالتحف والهدايا ، وكلما أرسل الهدايا ، لا فائدة .

وعندما استقام الأمر لمنصور أرسل الرسل لاستدعاء البتگين ، أنه لاخير فى ذهابه فاضطر إلى التوجه صوب غزنين ، وفى أثناء الطريق استشار الأمراء على سبيل الامتحان : هل تظهرون مخالفة منصور أم لا ؟ فقالوا متفقين : نحن فى طاعة أميرنا ، فشكرهم البتگين وأمر هؤلاء القوم بأن يتوجهوا إلى بخارا ، وسار بثلاثة آلاف من خاصته إلى غزنين ، فأحل منصور محله أبا الحسن سيمجور ، فتوجه المشار اليه إلى خراسان ، واهتم بحكم هذه المملكة .

وأرسل منصور خمسة عشر ألف فارس عقب الپتگين ، وتقاتل الپتگين مع البخار بين قرب بلخ ، وهزمهم(٨٩) ، وعندما توجه من بلخ إلى غزنين اعترضه حاكمها ، فانشغل الپتگين بالحصار ، واستولى على غزنين بالقوة ، ومرة أخرى ارسل منصور جيشا جرارا لمحاربته ، وهزمه الپتگين فى هذه المرة أيضا .

وفى سنة ٣٥٦هـ فر أبو على بن الياس والى كرمان ، وذهب إلى بخارا ، وعرضوا على منصور أنه يمكنه أن يضم مملكة الديالمة بأقل قوه إلى مملكته ، وكان وشمگير قد عرض هذا الكلام من قبل على منصور ، المهم كتب منصور رسالة إلى وشمگير وحسن فيروزان مضمونها : « كما كان يجرى بخلدكم أن أسيّر جيشا إلى الرى ، والمهمة الملقاة على عاتقكم أن تجهزوه وترافقوه إلى أن يصل إلى هذه الناحية » ، وعين أبا الحسين بعد ذلك أميرا لجيوش خراسان ، وأمره أن يفعل الصواب ولايدع وشمگير يتجاوز .

ولما وصل هذا الخبر إلى ركن الدولة ، أرسل أولاده وزوجاته من الرى إلى اصفهان ، وطلب من اخيه عضد الدولة ، و بعض القواد أن يتوجهوا إلى خراسان لأن أمير الجيوش محمد ابن ابراهيم سيمجور(٩٠) متوجه إلى الرى ، وقد خلت ساحة خراسان ، فتوجه عضد الدولة إلى هذه الناحية ، و بلغ حدود خراسان ، وتعقب وشمگير ومحمد بن ابراهيم ، وجاء إلى دامغان ، وخرج ركن الدولة من الرى ، حيث توجه الخراسانيون ، وفى أثناء ذلك توفى وشمگير(٩١) ، وسعى أبو الحسين سيمجور كثيرا ليقر الصلح بين الأمير منصور وركن الدولة على أن يرسل ركن الدولة سنو يا مائة وخمسين ألف دينار ذهبا أحمرا إلى الخزانة العامرة ، ومن أجل تأكيد المصالحة تروج ابنة عضد الدولة ، وفى الحادى عشر من رجب سنة ٣٦٥هـ(٩٢) رحل منصور وكانت مدة حكومته خمس عشرة سنة ، وكانوا يسمونه فى حياته الأمير « المؤيد » ، و بعد وفاته بالأمير « السديد » .

ذكر سلطنة الأمير نوح بن منصور بن نوح الساماني

حل أبو القاسم نوح بن منصور محل ابيه بعد وفاته ، وفى بداية ملكه مات الپتگين واتفق اتباعه على امارة سبكتگين وكان غلاما له .

وفى سنة ٣٦٦هـ توفى بيستون بن وشمگير فى جرجان ، فاستولى أبو المعالى قابوس بن وشمگير على جرجان وطبرستان ، وفى سنة ٣٦٧هـ استولى عضد الدولة بعد وفاة ابيه ركن

الدولة على جميع بلاد العراقين (٩٣) ، وفى سنة ٣٦٩هـ توجه عضد صوب اخيه فخر الدولة ، ففر فخر الدولة ، ولاذ بقابوس ، فقابله قابوس بالتكريم والتعظيم بل أنه أشركه فى ملكه (٩٤) .

وفى سنة ٣٧١هـ عزل الأمير نوح محمد بن ابراهيم سيمجور عن امارة خراسان ، وعين محله حسام الدولة أبا العباس تاشى (٩٥) ، وفى نفس السنة أرسل عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة لحرب فخر الدولة ، وفى نواحى استراباد تحارب فخر الدولة وقابوس مع مؤيد الدولة ، وهزما ، وجاءا إلى خراسان عند حسام الدولة تاشى ، وحررا رسالة عن حالهما واستيلاء الاعداء على ملكهما الموروث ، وأرسلوها إلى الأمير نوح فى بخارا ، فكتب الأمير نوح رسالة مملوءة بانواع الإعزاز والاحترام إلى حسام الدولة ، لأنه أكرم قدومهما ، وعمل على تعظيم وتكريم هذه الأسرة الكريمة ، وطلب أن يرسلهما إلى مقر العز والشرف ، و يرد خصومهما و يدفع أعداءهما ، فامتثل حسام الدولة للأمر ، وجمع الجيوش المتفرقة ، وتوجه من نيشابور إلى جرجان ، ليستخلص أولا دار ملك قابوس ، و بعدها يتوجه لأمر فخر الدولة .

وعندما وصل حسام الدولة وفخر الدولة الديلمى وقابوس — وكان من أهل الثقة عند الأمير نوح — إلى حدود جرجان ، تحصن مؤيد الدولة فى المدينة ، وسعى لاحكام الأبراج ، وصابر مدة شهرين فى هذا الحصار ، وثبت الجيش فى هذه المحنة ، وأبدى بطولات ، وفى هذه المعارك لم يتراجعوا خشية السيف أو رعبا من الرماح والسنان ، ولما امتدت فترة إقامة الخراسانيين فى جرجان ، ظهر قحط شديد فى المدينة ، وصل درجة أن أكل أهالي جرجان نخالة الشعير المتخمرة بالطين (٩٦) ، وكان أبو الفضل المنجم يقول لمؤيد الدولة : « فلتصبر فى هذه الحادثة حتى يصل المريخ إلى درجة الهبوط و بعدها اعزم واجتهد فربما يتيسر القمح فيها ، واذا لم يحدث فاخرج بالجنود من هذا المضيق إلى الفضاء ، وارض بالقضاء .

أخفى مؤيد الدولة هذا السر ، وانشغل بإعداد أدوات الحرب حتى رمضان سنة ٣٧١هـ ، خرج بجميع الجيش من المدينة ، وظن الخراسانيون انه يتجول كسابق عهده فى الأيام الأخرى ، وسيعود ، وتوالت هجمات الديالمة عليهم خلاف ماظنوا ، وفى أول هجوم فر فائق — الذى كان قد أخذ الرشوة من مؤيد الدولة مقابل المساهلة يوم الوغى — وثبت حسام الدولة تاشى وفخر الدولة ثباتا عظيما ، حتى تفرق معظم الجيش ، واقترب الليل ، وخارت قوى الأعداء ، فاضطروا إلى ترك المعسكر بخزائنه ونفائسه الكثيرة ومواشية العديدة ، وسلكوا طريق الفرار ، ولم يقر لحسام الدولة وفخر الدولة وقابوس قرار إلا فى نيشابور ، فأرسلوا رسولا إلى بخارا ، وعلم نوح بهذه الواقعة النكراء ، فطيب خاطرهم ، ووعدهم بأن يرسل إليهم

خـزائـن كثيرة وجيشا جرارا لمساعدتهم ، وأرسل أبوالحسين العتبى بموجب امر نوح بن منصور الرسل إلى اطراف واكناف الممالك المحروسة ، ليجمعوا الجيوش فى مرو ، حتى يتحرك بنفسه لإصـلاح هـذا الخـلل وتـدارك هـذا الـفـسـاد ، وخلع الأمير نوح على أبى الحسين الوزير خلعة ثـمـيـنـة ، وقاد الجيش بنفسه بأبهة القيادة وعظمة الوزارة ، ولما كان أمره فى علو الشأن ونفاذ الأمر وكمال الاقبال وحصول الغاية قد بلغ نهايته ، فقد بدأ يتراجع « اذا انتهى الأمر بالكمال فهو إلى زوال » وخلع خلعة الحياة(٩٧) .

وتـفـصـيـل هـذا الاجمـال هـو أن أبا الحسين سيمجور قد سعى لعزله من امارة خراسان ، ودائما ما كان يكتب لفائف فى تقبيح حاله ، حتى حرض فائق جماعة من غلمانه ، واتفقوا فى هـذا المجال وانتظروا الفرصة ، وعلم أبوالحسين بهذا الحال ، فخاف ، وعرض الأمر على الأمير نـوح فـعين جماعة من خواص خدمه لحراسة الوزير ، وظن أنه يمكن دفع سهم القدر السماوى بـالـتدبير الانسانى ، وحسب الا تفاق توجه الوزير إلى قصر الإمارة ذات ليلة ، وتعقبته جماعة مـن هـذه الـطـائـفة ، وطعنوه طعنات ، ففر الحراس بسهولة ، ولم يذكر لنا التاريخ قط وزيرا مثله ولن يذكر.

وظـل حـسـام الـدولـة تـاش وفـخر الدولة وقابوس ينتظرون وصول الوزير ، وفجأة وصل هذا الخبر المفجع ، فانفرط عقدهم ، واستولت قوافل الغم والحزن على خاطرهم ، وطلب الأمير بـبـخـارا مـن حـسـام الـدولة أن يتلافى هذه الحادثة ، وأن يعود من عند شمس المعالى وفخر الدولة فتوجه إلى بخارا .

وظهر بعض قتلة أبى الحسين العتبى ، فمثل بهم وتفرق الآخرون فى أقطار البلاد ، وفوض الـوزارة لأبى الحسين مزنى ، وفى تلك الأثناء كان أبوالحسين سيمجور قد عاد من سيستان ، وجـاء خراسان دون استئذان ، وترصد الفتنة والفساد ، وطمع فى أن يستغل حادثة جرجان ، ليستحل بخارا و يروج أمره ، ولامه أبوالحسين مزنى على هذا التصرف ، وقال له على سبيل الـنـصيحة والإرشاد : « يجب أن تخرج من ساحة خراسان إلى قهستان فهى من أقطاعك » ، وقـبل ابو الحسين سيمجور التماس الوزير ، وأضاف الوزير بادغيس وكنج رستاق إلى اقطاعه وقـال : « لو صدقت العهد واطعت وضعت عقيدتك فى الخدمة وثبتت قدمك فى موالاة الدولة سأختصك بأنواع الإكرامات ومزيد من الاقطاعات » .

ومـسـطـور فى بعض كتب التاريخ أنه عندما توجه حسام ا لدولة تاش إلى بخارا ، أخلى أبـوعـلـى سـيـمجور ساحة خراسان ، وكاتب فائق ورغبه فى مخالفة تاش ، ومن اجل ارضائه لامه على تقديم (أبى على سيمجور) عليه على الرغم من كبر سنه وحقوقه القديمة على دولة آل سـمـامـان ، ودعاه لموافقته لاصلاح ذات البين ، فوافقه ، وجعله يوافقه على هذا الأمر ، وعقد

بينهما مواثيق مؤكدة ، وقبض ابوعلى على عمال تاش الذين كانوا يعملون فى خراسان وصادرهم وتوجها سويا إلى مرو ، وبادرا باعلان كلمة العصيان(٩٨) .

وعندما وصل هذا الخبر إلى تاش ، جمع الجيوش ، وتوجه إلى خراسان ، ووقع بينه وبين الثائرين قتال ، انتهى بالصلح على أن تكون زعامة الجيش ونيشابور لتاش ، وبلخ لفائق وهرات لأبى على ، وتوجه كل منهم إلى ولايته ، وعند العودة كان حسام الدين الدولة تاش قد عزل عن وزارة بخارا ، وأخذ منصبه أحد ملازميه يدعونه بعبدالرحمن پارسى ، وبعد ذلك جاء تاش إلى خراسان .

وعزل نوح بن منصور پارس وعين عبدالله عزيز على هذا المنصب ، وعندما تولى عبدالله منصب الوزارة عزل حسام الدولة تاش عن إمارة وزعامة خراسان بسبب العداء الذى كان يكنه له ، ومنّ على ابن الحسين سيمجور بهذا المنصب ، وكلما حاول حسام الدولة ارضاء خاطر الملك والوزير ، لايجد فائدة ، وعرض عبدالله عزيز على الأمير نوح أن حدوث الوهن والضعف فى الدولة كان بسبب ضعف رأى وسوء تدبير الوزراء السابقين ، ولا يمكن تدارك هذا الفساد إلا بهذا التغيير والتبديل(٩٩) .

وفى أثناء ذلك أرسل فخر الدولة الذى كان قد جلس على العرش بعد وفاة أخويه عضد الدولة ومؤيد الدولة(١٠٠) طبقا لما سنذكره ان شاء الله ضمن وقائع وأحداث الديالمة ، أرسل رسالة إلى تاش من أن « أيام المحن وعهد الشدة قد انتهى ، وانتظمت الأمور واستقامت وفق المرام ، وتطهر الملك الموروث من الكدر ومزاحمة الأعداء » ، وأجابه تاش فهنأ فخر الدولة بعرش المملكة ، وضمنها بعض مكايد الحساد وعدم أهتمام الأمير نوح ، فكتب فخر الدولة لحسام الدولة رسالة طويلة وقال : « لما كان الله قد رفعنى بفيض لطفه فاننى أشركك فى الممالك والخزائن والدفائن وغير ذلك ، وكل ما اقترحه عليك من مال وجيش وعتاد ليس هراء ، وذكر إننا لاننسى أيادى ومكارم حسام الدولة تاش فى أثناء اقامتنا بخراسان ، ولا يمكن ان نقصر عن شكره » ، وسمح فخر الدولة لرسول تاش بالانصراف معززا مكرما ، وأرسل الفى فارس وهدايا لائقة لمساعدته وتوجه تاش إلى أبى الحسين .

تحصن أبوالحسين سيمجور فى نيشابور ، وسعى تاش لمحاصرته ، وفى أثناء ذلك وصل ألفان آخران من فرسان الديالمة لمعاونة تاش ، وعندما علم أبوالحسين سيمجور بهذا الأمر سلك طريق الهزيمة تحت حجب الظلام ، وعرف جيش تاش فتعقبه ، واستولوا على كثير من أحمال واثقال الخراسانيين ، واستولى تاش على نيشابور ، وأرسل رسائل إلى بلاط نوح ، وكلما حاول إصلاح الحال وطلب المغفرة والاعتذار عن العثرات السابقة وقال : « إذا كنت لم

اعتـد الخيانة فلم تغلق باب العفو؟ وسعى فى هذا الأمر، ولكن لم يهتم الأمير نوح بكلام أبى العباس تاش بسعاية عبدالله عزيز .

وفى اثناء ذلك ارسل سيمجور رسولا إلى كرمان ، وطلب المساعدة من الأمير أبى الفوارس ابن عضد الدولة ، فارسل اليه عشرة آلاف فارسا لمعاونته ، والتحق فائق ايضا بجمع غفير بأبى الحسين ولما جمع جيشا ملأ السهل والجبل ، اتجه إلى نيشابور، وخرج أبوالعباس تاش من المدينة ، واستعد فى مواجهة الأعداء ، و بعد قتال عنيف انهزم ، وعاد جيش الديلم من عنده ، والتف الخراسانيون حولهم ، وأفرطوا فى قتلهم ، وأسروا بعض الديالمة وأهل خراسان الذين كانوا بخدمة تاش ، وأرسلوهم إلى بخارا ، وأدخلوهم المدينة فى ذلة وسوء حال فأسرع مخنثو المدينة بالدفوف وأمثالها من آلات الملاهى لاستقبالهم ، وسقطت نساء هذه الجماعة فى ايديهم ، فأهانوهم ثم حبسوهم جميعا فى قلعة قهندز حتى لقى بعضهم حتفه لسوء الحال واطلقوا سراح بعضهم .

وصول أبى العباس حسام الدولة تاش إلى جرجان وماحدث له فى هذه المملكة

عندما انتهى تاش من محاربة أبى الحسين سيمجور، توجه إلى جرجان ، كان فخر الدولة قد أعد قصر الامارة وتركه له بفرشه الفاخر وآلات الطرب وأوانى الفضة والذهب وآلات المطبخ والشراب وأنواع أخرى وخزائن ، وتوجه إلى الرى ، ومن هناك أهدى اليه خمسين جوادا عربيا و بغال والجمة وسروج ذهبية وعتاد واسلحة ودروع وتروس مذهبة وسيوف هندية وأنواع من الأسلحة محلاة بالذهب والفضة ، وسلمه خراج جرجان ودهستان وابسكون(١٠١) ، وكان يرسل دوما التحف والهدايا لدرجة أن نصحه الصاحب عباد ذوالمقام الرفيع بعدم التبذير، فقال لابن عباد : ان سوابق الإنعام التى قدمها لى تاش تعادل جميع ماورثته واكتسبته بما فيها هذا القميص الذى ارتديه لو انفقته فى مصلحة له لا تكفى قضاء مكرمة واحدة من كرمه ، ولا ترقى نعمة من نعمه ، ومن جملة هذه النعم أننى أقمت عند حسام الدولة تاش فى خراسان هربا من جور وظلم الأخوة ، وأرسل الأخوان رسائل اليه من انه لو سلمنى اليهما سيرسلان مالا كثيرا إلى خزانة الأمير نوح ، ومثله لتاش ، وأرسلا من تحف بلاد العراق من الأقمشة الفاخرة والجياد العربية والهدايا الأخرى لهذه البلاد من قبيل تقديم الخدمة كى لايكون هناك مجال للاعتذار، وعندما وصل مضمون رسالتهم إلى سمعى وأظلمت الدنيا فى عينى، وانقطع أملى فى الحياة، وكان طريق الموت ميسرا

ولامفر ، وفى أثناء هذا التفكير، جاءنى حاجب تاش واستأذن ، ودخل مجلس ودعانى للضيافة ، وترددت لأن الضيافة إما بلاء أوعداء ، قلت لنفسى : غالبا سيصيبنى سهم خداع اخوتى هناك مكيدة لاحضارى ، وركبت وأنا فى غاية الاضطراب والقلق ، ولا تستطيع يدى إمساك العنان ولا يمكنها القبض على السوط ، وعندما وصلت إلى مجلسه قدم لى تعظيما واحتراما وتوقيرا لاحدود له ، وزال الخوف الذى إستولى على للطف مجالسته ومؤانسته وفجأة سلمنى مكتوب اخوتى وقال : اريد أن أخفى هذه الرقاع حتى لايصاب خاطرك بأذى لكن رأيت ابعاد أمر التهمة والريبة عنك وعملت أكثر على سكون قلبك وفراغ خاطرك ، وبعد ذلك أقسم بالايمان الغليظة اننى لن أسلم فى شعرة من شعرك بل فى خيط من ثوبك بجميع خراج العراق ، وكل ماتحت يدى من صامت وناطق تحت تصرف مماليكك ، ولن نكف عن اكرامك واعزازك انت وعشيرتك وكل من هو تابع لك بصدق واخلاص ، حتى لو انفقت قيصى هذا الذى على كتفى من اجل دفع الحوادث عن ساحة مجدك والانتقام من منازعيك فى ملكك الموروث ، فلن اتوانى ولن اقصر مطلقا فى مجال مساعدتك حتى تصل إلى حقك معززا مكرما ، والآن الشخص الذى كان بمثل هذه المودة وقدم هذا الكرم بلاطمع كيف يجوز لى أن اتهاون فى كرمه ، لاوبحق الكعبة لن أنسى هذه المساعى ولن أكفربهذه الأيادى ، ولن أقصر فى حقه ، ولوبقدر ماوجدت من مكافأة ومجازاة ، وقد كفانى البارىء تعالى معونته ومؤنته » .

أقام تاش فترة فى جرجان حتى سنة ٣٧٩هـ حدث وباء عظيم فى هذه الولاية ، وفنى معظم جيش تاش وكبارقواده وحجابه وكتابه ، وسقط تاش نفسه ايضا فى هذا المرض عدة ايام ومات فى هذه الغربة بقلب حسير(١٠٢) .

وفاة أبى الحسين سيمجور وتقلد ابنه أبو على منصبه ومخالفته لنوح بن منصور وبيان قضايا بغراخان

ذات يوم ذهب أبو الحسين سيمجور للتنزه ، وكان يحمل معه جارية من سراريه ، ومال السيد لمعاشرتها والتحم بالجارية ، وفى أثناء المعاشرة فارقت روحه بدنه ، وتوقفت آلة المعاشرة عن عملها(١٠٣) .

وتصدى ابنه ابو على لامارة خراسان على سبيل الارث واسترد من بخارا حكومة نيشابور وأعطوا امارة هرات لفائق ، ووقع نزاع بين أبى على وفائق ، وانتهى القتال وهزم فائق امام

أبي علي ، واستعد في مرو الرود بجيشه ، ودون ان يحصل على اذن من نوح بن منصور توجه إلى بخارا ، وظن الأمير نوح ظن السوء بفائق ، وارسل اينانج و بكتوزن لصده ، وحاربا فائق ، وهُزم فائق ، فتوجه إلى بلخ ومن هناك إلى ترمذ ، وأرسل رسائل إلى بغراخان وحرضه على عداوة الأمير نوح .

وفي أثناء ذلك أرسل أبو علي سيمجور إلى بخارا رسالة عارضا المصالحة ، والتمس أن تكون امارة خراسان له بلا شريك ، وعرض فيها ايضا خدمات آل سيمجور التي صدرت منهم لسلاطين السامانية ، وأمل ان يجاب طلبه بفرمان نوح بن منصور أمير الأمراء المؤيد من السماء .

وعندما علا وارتفع نجم ابي علي إلى غايته ، اطلق يد التصرف في جميع بلاد خراسان ، وقسم أموال هذه البلاد على اتباعه ، وطلب نوح بن منصور منه أن يترك بعض ممالك خراسان لعماله الخواص ، فلم يلتفت أبوعلي لقوله ، ورد عليه « إن خلقا كثيرين من المجندين مجتمعون هنا ، وأموال هذه الولاية لا تفي لمرتباتهم ، وربما اضفت ممالك أخرى من الممالك المحروسة لهذه الاقطاع الناقصة » ، و بعد ذلك برز العصيان وظهر العداء في صورة صداقة ، ثم ارسل رسائل إلى بغراخان ملك الترك ، وجاء برسائله لو أن الأمير توجه إلى ماوراء النهر، وتحركت انا من هنا ، وهجمت عليه على أساس ان نقسم المملكة بعد القضاء على نوح إلى قسمين ؛ يكون ماوراء النهر للأمير وتكون خراسان لي ، وعض بغراخان بأنياب الطمع ، وجرد الجيش إلى نوح فأرسل نوح اينانج حاجب بجيوش لاستقباله ، وأسر بغراخان اينانج ، واتجه إلى التركستان ، ولهذا السبب اصاب الوهن تماما حال نوح ، و بعد ذلك اضطر نوح استدعاء فائق ، وسلم الجيش لفائق وعينه على حكومة سمرقند ، ليصون هذه المملكة من أضرار الترك ، وعندما وصل فائق سمرقند ، سمع أن بغراخان متوجه بجيش كان برفقته ، وخرج من المدينة ، وتقدم لاعداد الصفوف واستعمال السيوف فاتجه إلى بخارا ، ولم يعد عند أي شخص قط شبهة من أن فرار فائق مبني على خبث عقيدته وكفران نعمته(١٠٤) .

واضطرب نوح من وقوع هذا الأمر، فترك أمر الحكم وترك المملكة ، وتوارى في ركن ، و بعد ضبط سمرقند ، اتجه بغراخان إلى بخارا ، واسرع فائق لاستقباله ، وانتظم في زمرة خواصه ، وعندما استقر بغراخان على عرش سلطنة ماوراء النهر استأذن فائق في أن يذهب إلى بلخ ، ويجبي مال هذه المملكة من الرعايا حتى يضربوا السكة ، ويخطبوا للأمير في هذه الولاية ، فأذن له بغراخان ، فتوجه فائق إلى هذه الناحية ، فانتهز نوح الفرصة وخرج من مستقره متنكرا ، وعبر جيحون ، ونزل شط آيل ، وسر جميع خدمه ومماليكه الذين كانوا هناك في حيرة واضطراب ، عندما علموا بخبر وصول ملكهم ، بل انه ظهرت حياة جديدة بين هذه

الجماعة الذابلة ، وجمعوا من الأطراف والنواحي الجيوش المتفرقة تحت ظل رايته الظافرة ، ومنذ بداية الفتنة وحدوث الهجوم الغادر كان الأمير نوح يراسل أبا على سيمجور، ودعاه لنصرته وقضاء حقوق نعمته وحماية بيضة دولته ، وكان يداوم بالقول الكاذب والمواعيد المخالفة على الأمير نوح ، وعندما نزل الأمير نوح بشط « ايل » ، وارسل رسولا إلى أبى على وقال : لقد مر وقت انتظار، ووصل الأمر إلى غايته ، وحان الوقت للقيام بقضاء الحقوق السالفة الذكر، وتعاون آل سامان السابقين ، وهكذا استمر أبوعلى فى عادته الذميمة وخلقه اللئيم حتى كفى الله تعالى أمور نوح بلامنة من مخلوق ، ووصل إلى مقره الشريف وجعل غدر ومكر اعدائه سبب حرمانهم وخذلانهم وماذلك على الله بعزيز(١٠٥) .

رحيل بغراخان عن بخارا وعودة نوح بن منصور إلى مملكته واتفاق الأمير ناصر الدين سبكتكين معه على قلع وقمع أبى على وفائق وبيان الحروب التى وقعت فى ذلك الوقت بينها

تأذى بغراخان من هواء بخارا ، وشمله شؤم الطمع الذى سرى فى اسرته ، وأُصيب بمرض عضال لاعلاج له إلا باستنشاق هواء تركستان ، واضطر الخروج من بخارا ، وتوجه إلى هذه الناحية ، وتطاول البخاريون على مؤخرة جيشه ، وقاموا بالغارة والنهب ، وسلم بغراخان الروح لقابضها بعد عدة منازل .

وعندما وصلت هذه البشرى إلى مسامع الملك نوح ، سار على جناح السرعة ، واسرع البخاريون جميعا لاستقباله ، وسعدوا كسعادة الصائم برؤية الهلال والظمآن بالشراب الزلال ، ومرة أخرى عادت سمرقند و بخارا إلى ديوان الملك نوح ونفذ أمره ونهيه على القاعدة السابقة في هذه المملكة(١٠٦) .

وعندما رأى أبوعلى أن سفينة نوح قد استقرت على الجودى ، انطفأت شعلة رأيه فى ظلمات تلك الكارثة ، وذبلت روضة عيشه من عاصفة الحادثة ، وشاور خاصته فى هذا المجال واستفسر من العقلاء عن المخرج ، فقالوا جميعاً : إن طينة آل سامان معجونة بزلال اللطف والكرم ، وعفوهم عن زلات وعثرات خدمهم عادة قديمة ، ولايمكن أن تصل إلى بر النجاة من هذا الغرق إلا بسفينة عناية نوح ، ولايمكن أن تهرب فى الأرض من سيل المحن إلا بيمن دعوته ، والحل هو أن تسعى لاسترضاء خاطره الشريف بأى شكل كان ، ووافق هذا القول مزاج أبى على ، وأعد الهدايا وجمع التحف اللائقة ، واراد أن يرسلها مع رسول لبق ليفك بسحره عقدة الوحشة من ضميره ، وأخيراً تبدل رأيه وقال لنفسه : طالما زرعت كل هذا

الجفاء فكيف اطمع في الموافقة في نفس المكان الذى نمت فيه اغصان الخلاف ؟ وتردد فى ارسال الرسول الذى كان يريد ارساله والأموال واظهار الاعتذار والاستغفار.

وفى أثناء ذلك التحق فائق به وراودته الوساوس كثيرا فى أن يتفق مع أبى على على مخالفة ولى النعمة ، و بيان هذا الكلام هو أنه عندما انتظمت أحوال الأمير نوح بعد وفاة بغراخان ، اضطرب خاطر فائق ولم يجد تدبيرا إلا أن يقضى على الملك نوح قبل ازدياد قوته وشوكته ، واضطر لاعداد الجيش ، وتوجه من فوره إلى بخارا ، وارسل الأمير نوح جيشا لاستقباله وتلاقى الفريقان ، و بعد اعداد الصفوف ، وقع قتال عنيف ، وهلك خلق كثيرون ، وآخر الأمر فر فائق بروحه من المعركة ، ولمّا لم يجد ملجأ آخر ، لجأ إلى أبى على ، وشرع فى الفساد وسُر أبوعلى من قدومه ، وظن أن حضوره سبب فى استغنائه عن رضا نوح ابن منصور ، وأعطى الهدايا التى كان قد أعدها للملك نوح ، وتوطدت بينهما أسس المحبة والصداقة .

عندما علم الأمير نوح باتفاق أبى على وفائق ، فكر فيمن سيروض هذين العاصيين ؟ ومن الصياد الذى يمكنه اصطياد هذين الحوتين ؟ و بعد المشورة ، وقعت قرعة الاختيار على الأمير سبكتگين الذى كان معروفا بالوفاء والمرؤة ومتصفا بالقوة والشوكة(١٠٧) ، وفى تلك الأيام التى كانت خراسات وماوراء النهر يحدث فيها هذه الأمور كان الأمير سبكتگين يقوم بغزو الهندوستان ، وحصل على غنائم كثيرة .

وعندما استقر رأى الأمير نوح على الاستعانة بسبكتگين ، أرسل أبا نصر الفارسى بسفارة إليه ، وعرض عليه بعضا من قبائح أفعال وفضائح أعمال أبى على وفائق فغار على ضعف سليل سامان ، ودق طبل الرحيل فورا ، وتوجه صوب بخارا وماوراء النهر ، وجاء الأمير نوح لاستقباله حتى ولاية كش ، وقبل ملاقاة الأمير سبكتگين اعفاه من تكلف النزول وتقبيل الأرض لضعف شيخوخته ومراعاة كبر سنه ، وقبل ملك نوح عذره ، ولكن عندما وقعت عين ناصر الدين سبكتگين على خلعة نوح افلتت هيبة السلطان الزمام من يده واضطر النزول وقبل ركاب ملك نوح ، فاحتضنه نوح باعزاز وسرور تام ، وانشرحت قلوب الاثنين من الزيارة ، وسُر الجميع الخاص والعام ، وأكرم الجميع بما هو ليس مكتوب ومذكور فى أى تاريخ .

و بعد تقديم واجبات الضيافة ، تحدثا فى مجال تنظيم المملكة ودفع المنازعين ، وقررا أن يعود الأمير سبكتگين إلى غزنين ، و يقوم باعداد الجيش وفتح الأمير نوح يد الانعام ، وأكرم الأمير سبكتگين واتباعه بالخلع الفاخرة والهدايا السلطانية ، وعاد سبكتگين إلى غزنين ، واسرع الأمير نوح إلى بخارا

وعندما علم أبو على بهذا الأمر زادت الحيرة فى رأسه ، وشاور خواصه فى هذا المجال ، من انه لو وقعت الواقعة وأصابته العين ، فإلى أى ولاية نذهب ؟ وإلى من نلجأ ؟ قالوا جميعا : يجب أن تسلك طريق المحبة والمودة مع فخر الدولة ، ويجب أن توطد عروة موالاته ، فأرسل أبو على أبا جعفر ذا القرنين بسفارة إلى جرجان ، وارسل ماتيسر من نفائس خراسان وتحف تركستان إلى فخر الدولة ووزيره الصاحب عباد ، ليمحو من بينهما اساس العداء و يفتح أبواب المراسلات والمكاتبات .

وفى أثناء ذلك صعد النجم الظافر للأمير ناصر الدين سبكتگين من أفق بلاد بلخ ، وتحرك الأمير نوح من بخارا ، والتحق به شار(١٠٨) حاكم غرجستان وابو الحارث فريقوبى والى جورجان(١٠٩) والتحق الأمير ناصر الدين بقرابة مائتين من الأميال والجيوش المنظمة بالأمير نوح ، وعندما علم أبو على وفائق بتوجههما ، خرجا من هرات بجيوش خراسان وألفين من الديلم الذين كان فخر الدولة قد أرسلهم للمساعدة ، واستعدا للحرب وكان داراء شمس المعالى قابوس بن وشمگير قد جاء من جرجان لمعاونتها ، واختار الأمير ناصر الدين صحراء شاسعة ، ونظم الميمنه والميسرة ، ووقف على القلب بنفسه مع الأمير نوح وسيف الدولة محمود غازى ، وسعى أبو على ايضا فى اعداد جيشه اعدادا جيدا ، فأرسل فائق على الميمنة ، وسلم الميسرة لأخيه أبى القاسم سيمجور ، وعندما تلاقى الفريقان ، غلبت ميمنة وميسرة فائق ميمنة وميسرة ملك نوح ، وجاء فائق وهجم عليهم ، وكاد امر الحرب يخرج من يده ، و وقع خلل كبير ، لأن داراء بن قابوس هجم من قلب ابى على وعندما توسط الجيشين احتمى بالدرع ، و التحق بخدمة ملك نوح ، وقاتل جيش خراسان ، واضطرب الأمراء العصاة وجميع جيوشهم لأن غدر داراء لم يكن موافقا لهم ، ولهذا السبب وهنوا ، وعندما رأى الأمير سبكتگين آثار الضعف على وجنات المخالفين ، هجم بجماعة من الفرسان الشجعان ، واضطرب اصحاب أبى على من نهاية هذه الواقعة ، ففروا ، فتعقب السلطان محمود الفارين ، فقتل جمعا وأسر جمعا ، وترك المخالفون من الأموال والأسلحة والعتاد لو أنهم وقوا بعشره عرضهم لسلموا من مصائب الدهر ، وفر أبو على وفائق ، واتجها إلى نيشابور ، وتوقف الأمير نوح وسبكتگين وابنه محمود للراحة وتقسيم الغنائم بضعة ايام فى هرات ، ولقب ملك نوح الأمير سبكتگين بناصر الدين ، وشرف وارث ملكه محمود بلقب سيف الدولة ، وعين سيف الدولة على امارة الجيوش وكان منصب أبى على ، وعاد ظافرا منتصرا إلى بخارا ، وتوجه الأمير ناصر الدين وسيف الدولة محمود بكوكبة عظيمة إلى نيشابور(١١٠) .

وعندما سمع أبو على بخبر عودتهم ، توجه إلى جرجان ولجأ إلى فخر الدولة ، وتشاور فخر الدولة مع الصاحب عباد فى مجال رعاية أبى على ، وأنعم فخر الدولة عليه بمبلغ ألف ألف درهم لينفقها على مصالحه ، وقضى أبو على وفائق الشتاء فى جرجان ، وأرهقا فخر الدولة

بكثرة طلباتها ، فتغافل عن هدفها ، وتأذى خاطر أبى على وفائق وفخر الدولة وتشاوروا مع خواصهم فى مجال ما يصلح الأمر، قال بعضهم : الصلاح هو أن نظهر شعار دولة الأمير نوح فى جرجان ، ونزين المنابر والدنانير باسمه ولقبه ، و بذلك نتقرب إلى خدمته ، استاء فائق من هذا المعنى وقال لقد ذهب سبكتكين إلى غزنين ، وظل محمود وحيدا فى هذه الولاية ، وليس لديه طاقة للمقاومة ، ولما كان الوقت مناسبا لكى نذهب إلى نيشابور ونطرد محمود من هذه الولاية ، ونقيم مطمئنين ، ولو هزمنا والعياذ بالله ، نعود إلى جرجان ، ويجب أن نعجل بالتوجه إلى هذه البلاد لأن هواء جرجان عفن حتى لا يصيبنا ما أصاب حسام الدولة تاش وجيشه ، واستحسن عامة الجيش هذا الرأى بسبب حب الوطن والأهل، ووافقه أبو على سواء شاء أم أبى ، وعزما التوجه إلى نيشابور.

وعلم سيف الدولة بتوجه المخالفين ، فتوجه إلى غزنين وعرض الأمر على أبيه ، وعسكر بالجيش فى ظاهر نيشابور، وانتظر المدد ، ووصل أبو على وفائق بجيشهما قبيل وصول جيش غزنين فى سنة ٣٨٥هـ(١١١) ، وهجما عليه ، وهزم محمود بعد القتال ، وسقطت احماله وأمواله فى يد أبى على وفائق ، واستوليا على نيشابور، فقال جماعة من بعيدى الفكر لأبى على : يجب أن تسرع عقب محمود قبل أن يلحق الأب بالابن و يصل مدد بخارا اليهما ، ويجب أن تريح الخاطر من الأمور الملكية ، ولم يصغ أبو على لسوء حظه لكلمات المشفقين عليه ، وتغافل فى هذا الأمر وارسل رسالة إلى الأمير ناصر الدين فى بخارا ليتقبل عذره ، ونسب هذه الجسارة والجرأة لفائق ، فلم يهتم الأمير نوح وسبكتگين بكلامه ، ولم يكتبوا ردا .

بعد هزيمة سيف الدولة محمود ، ارسل الأمير ناصر الدين رسائل إلى النواحى ليجمعوا الجيوش فى مكان محدد ، وأرسل أبا نصر بن أبى زيد ليستدعى خلف بن احمد ، واستدعى أبا الحارث فريقونى من جرجان ، وجمع فى فترة وجيزة خلائق يعجز المحاسب عن حسابهم ، و بعد تجمع الجيوش ، سار الأمير ناصر الدين إلى نيشابور، وتحرك أبو على إلى طوس ، وعسكر على حدود هذه الولاية ، ووصل الأمير ناصر الدين بعد قطع المسافات والمنازل ، ونزل بطوس قرب معسكر أبى على ، وقضى الجيشان تلك الليلة حتى إذا انبلج الصبح ، تقلد رجال الجيشين وأهل الفريقين السيوف والحراب ، وفى أثناء ذلك اشتعلت نار الحرب ، ودارت جماعة كبيرة خلف ميسرة أبى على ، ولما مزقتها ، ظهر سيف الدولة محمود مع جماعة كبيرة من المقاتلين الشجعان ، وظل أبو على بين الجيشين حائراً مضطرباً ، ولم يجد بدأ من ضم الجناحين إلى القلب ، وهجم على قلب ناصر الدين لينجو بنفسه من هذا الهلاك ، وواجه ناصر الدين بحزم متين وقدم راسخ هؤلاء جميعا ، ووصل سيف الدولة محمود ، وعمل السيف فى المخالفين وأهلك كثيرا منهم حتى انثنت ظهور البقر من حملهم ، وانتقشت الأرض من

دمائهم ، وهلك خلق لاحصر له تحت أرجل الأفيال ، وأسروا من ملازمى أبى على المشهور ين بغرا وحاجب وسبكتگين فرغانى وارسلان بيگ وأبا على بن نوشتگين وأبا جعفر ديلمى ، وفر أبوعلى وفائق من هذه المعركة وذهبا إلى قلعة كلات وهذه القلعة فى مكان موحش ، وقام باستضافتهما عدة أيام من حوادث الزمان أميرك طوسى حتى علم العصاة بحال الجيش وحياة وممات وهلاك ونجاة كل واحد ، والتحق بهما شرذمة ممن نجوا من هذا الهلاك ، وحيئذ توجه أبوعلى وفائق إلى بايتور ومن هناك توجها إلى سرخس ، ومن هناك عزما التوجه إلى مرو .

و برواية الأمير ناصر الدين و بقول سيف الدولة محمود أن مثيرا الفتنة توجها إلى مرو ، ووصل أبو على وفائق إلى شط بامل ، ومرة ثانية قدما العذر وأرسل أبو على أبا الحسين كثير وفايق عبدالرحمن الفقيه بسفارة إلى الملك نوح ، وذهبا إلى بخارا ، وسعيا لارضاء واستعطاف نوح بن منصور ، فرد فايق وقبل عذر أبى على ، وأمر ملك نوح أن يذهب أبا على إلى جرجانية ليحكم اقطاعها ، وارسل رسالة إلى والى جرجانية مأمون بن محمد مضمونها : « إن يكرم أبا على و يعد له مايحتاج اليه تبعا لمقتضى رأينا فى هذا الشأن » (١١٢) .

وعندما عاد أبو الحسين كثير قال فايق لأبى على : هل الهدف من توجهك إلى جرجانية مساعدتنا ، فالآن الأقرب إلى الصواب هو أن ترافقنى إلى ايلك خان حتى تنجو من هذا الغرق ، فلم ينصت اليه أبوعلى ، وودع فايق ، وتوجه إلى جرجانية وعبر فايق النهر ، وانتظم فى سلك ايلك خان ، وعندما وصل ابو على إلى « هزار راسب » (١١٣) ، أرسل أبو عبدالله خوارزمشاه رسولا اليه ، واعتذر عن استقباله وقال « سأصل لخدمتك غدا » ، وعندما حل المساء ، و بناء على الحقد الذى يكنه لأبى على ، ارسل جماعة أسروه مع خاصته ، وحملوهم إلى خوارزم فأمر خوارزمشاه بحبس أبى على ، وأودعوه قصرا من القصور.

وعندما وصلت صورة واقعة أبى على إلى سمع محمد بن مأمون والى جرجانية ، تحرك غرق حميته ، وابدى قلقا واضطرابا ، وجمع خشمه ، وأمر بلنكو غلام أبى على و باقى خدمه بأن تكون ربقة طاعتهم له ، ويهاجموا خوارزمشاه وعملوا بأوامره ، وعندما دخلوا مدينة كات التى كانت مقرا له . قتلوا بعض اتباع خوارزمشاه ، وفرقوا البعض الآخر ، وأسروا خدمه ، وفكوا قيود أبى على ، ووضعوها على قدم خوارزمشاه ، واسروا الأمير ، وحملوا إلى جرجانية أبا على باعزاز واحترام تام ، وخوارزمشاه فى لباس الإذلال والنكال ، و بالغ مأمون فى تعظيم وتكريم أبى على ، وقدم الهدايا اللائقة .

وكان سبب عداء عبدالله خوارزمشاه ومحبة مأمون لأبى على هو أنه عندما عبر نوح بن منصور النهر بسبب سيطرة وغلبة بغراخان قدم خوارزمشاه ومأمون بن محمد خدمات جليلة له

وعندما استقر ملك نوح على عرشه ، كافأ عبدالله خوارزمشاه ، بمنحه لبيورد ونسا لمأمون ، وذهب عمال الحاكمين إلى هاتين الولايتين ، وسلم أبوعلى نسا لمأمون ، ورد على رسل خوارزمشاه من أن ابيورد هى اقطاع أخى ولن يعوضه عنها الديوان الأعلى ومن المحال أن يدخلها خوارزمشاه ، فعادوا ، وحكوا هذا الخبر السيء لخوارزمشاه .

عموما بعد ان وصل أبوعلى إلى جرجانيه ، أعد له مأمون بن محمد ضيافة لم يكن مثلها فى العهود السابقة واحضروا الشراب فى هذه الضيافة ، وعلى الرغم من أن أبا على كان قد تاب عن المحرمات ولكن أقدم على شرب الخمر لاحتفاء مأمون بن محمد .

« ان اساس التوبة عندما يستحكم مثل الحجر ، انظر كيف يكسر حساؤه الجام الزجاجى » (١١٤) .

وكلما شرب عدة اقداح ، اثرت فيه سورة الشراب ، واحضروا خوارزمشاه ، وكلما تحدثوا اليه وألحوا فى سلامته لم يحر جوابا ، ولا يرفع رأسه خجلا ، وأخيرا ضربوا رأسه بضربة سيف فى المجلس(١١٥) ، وتخلص (مأمون من خوارزمشاه) وارسل مأمون تحفا وهدايا كثيرة إلى بخارا وتشفع بأن يعفوعن جرائم أبى على ، قال نوح : « إننا فى البداية تسامحنا عن ذنوبه فأرسله إلينا » ، وفى أثناء ذلك استدعى نوح أبا على وكان غافلا عما يخطه القدر ، فهل يسير فى الطريق ؟ وعندما اقترب من دار الملك ، اسرع عبدالله عزيز والخواص والمقربون لاستقباله ، وذهبوا بأبى على مع الأمراء والأعيان إلى العرش ، فنكس رأسه خجلا لكفرانه بالنعمة ، وعندما احضروا بلنكو وقواده الآخرين واخوته واصحابه ، وادخلوهم المجلس وأمر الملك بأسرهم جميعا ، وتقييدهم بالأغلال ، واطلق يد السلب والنهب فى اموالهم ، وفى ذلك الوقت كان الأمير ناصر الدين سبكتگين مقيما فى مرو ، وعندما سمع بخبر أسر أبى على توجه إلى بلخ ، واستدعاه ، وأمر نوح أن يحملوا أبا على إلى الأمير ناصر الدين ، وحبسه سبكتگين إلى أن توفى(١١٦) .

ولما كان فايق قد وصل إلى ايلك خان ، اتفقا على أن يهاجما ماوراء النهر ، وصمم ايلك بتحريض فايق على التوجه إلى هذه الناحية ، واضطرب الأمير نوح عند سماع هذا الخبر ، ولم يجد بدا من طلب المساعدة من الأمير ناصر الدين ، فأرسل رسولا وسلمه رسالة ، من أن ايلك خان قد جاء إلى ماوراء النهر ، وأساء إلى عمال الولايات المحروسة والتمس « أن يأتى مرة أخرى بجيشه ، وتصد هذا الخائن عن ساحة مملكتنا ، وتقوم بنظم حال ملكنا » ، وأرسل ناصر الدين إلى اقطار وأطراف الممالك المحروسة خراسان وغزنين وزابلستان لاستدعاء الجيوش ، واستعد بنفسه ، ونزل بين كش ونسف ، وتوقف هناك حتى جاء سيف الدولة محمود من نيشابور والتحق به جيوش الآفاق والأمصار ، وأرسل ملك نوح جميع الأمراء والأعيان والجنود الخاصة لمعاونته ، وتوالت الرسل بين ايلك خان والأمير ناصر الدين ،

وتباحثا فى مجال الصلح وعندما طلب سبكتگين من الأمير نوح أن يحضر بنفسه فى هذه المعركة ، منعه عبدالله عزيز برأيه الفاسد من الذهاب ، فاستاء الأمير سبكتگين ورضى بالصلح ، وتنازل عن الحرب ، وبشفاعة ايلك خان تقرر أن تكون ولاية سمرقند لفايق ، وكتبا معاهدة صلح على هذا ، وزينوها بشهادة أئمة ومشايخ ماوراء النهر ، وبعد اتمام الصلح عاش الأمير نوح هادىء البال حتى رجب سنة ٣٨٧هـ(١١٧) حيث توجه بمرض بضع ايام إلى وادى الصامتين ، عاقبتنا وادى الصامتين .

ذكر سلطنة منصوربن نوح بن منصور السامانى

عندما توفي الأمير الرضا نوح ، اجلس الأمراء والأعيان ابنه أبا الحارث منصور على العرش ، فوزع الأموال التى كانت فى الخزائن على الجنود ، وعين بكتوزون على رياسة وامارة الجيش ، ووصل خبر موت ملك نوح إلى ايلك خان ، فتوجه إلى سمرقند ، وخرج فائق إلى بخارا ، وعندما وصل إلى هذه الحدود ، اضطرب منصور ، وترك بخارا ، وعبر آموية متعجلا ، ودخل فائق المدينة ، وأبدى أنه جاء لنصرة ومعاونة منصور ، ليرعى حقوق اسلافه ، وأرسل أكابر ومشايخ بخارا رسلا إلى منصور ، ليأمنوه من جانب فائق ، وعاد منصور إلى بخارا ، وقبض على المهام بواسطة فائق ، وارسلوا بكتوزون لامارة خراسان ، وفى أثناء ذلك توفى الأمير سبكتگين ، ووقع نزاع بين سيف الدولة محمود واسماعيل(١١٨) ، وعندما استراح خاطر محمود من ناحية اسماعيل ، طبقا لما سنذكره ضمن قضايا الغزنويين أن شاء الله تعالى ، جاء إلى خراسان ، وأرسل رسولا إلى بخارا والتمس فى أن يعيد اليه منصبه الذى كان قد عهد لبكتوزون على النظام السابق ، وأمر أبو الحارث منصور بن نوح فى رده على سيف الدولة باننا سنسلمه إمارة بلخ وترمذ وهرات ، أما بكتوزون فهو مملوك الدولة ، وقد ابعده عن القيادة والخدمة وعزله بلا اسباب على الرغم من خدماته القديمة .

وعندما سمع محمود بهذا الخبر ، فكر فى أنه لاشك أن حساد وأعداء منصور قد حملوه على هذا ، لأنه تغاضى عن التماسي وبعد تأمل أرسل أباالحسن حمولى بتحف وهدايا غالية لاتعد ولاتحصى إلى بخارا ، وسلم منصور رسالة أنه من المتوقع ألاتظلم وتسىء إلى الموالين ولاتنقص المساعدات والانعامات عن الرسم المعهود ، وحقوقنا وحقوق أبينا ثابتة فى ذمة آل سامان ، ولاتضيع بكلمات الوشاة حتى لاينفصم نظام الألفة ولاينهدم أساس الطاعة(١١٩) .

وعندما وصل حمولى إلى بخارا ، وسلمه منصب الوزارة فاغتر بهذا المنصب ، وأهمل السفارة التى كانت منوطة به ، وعندما رأى الأمير سيف الدولة محمود ضعف عقل وفتور رأى وسوء تدبير القوم ، وأدرك أن ملك السامانيين أشرف على الزوال ، ودولتهم بصدد الانتقال وأن هذه الجماعة المسئولة عن الدولة ومدبريها يهتمون بصلاح أمرهم ، ولا يهتمون بانتظام أحوال ولى النعمة ، فاضطر التوجه إلى نيشابور ليستولى على منصبه القديم ، وعلم بكتوزون بعزمه وقصده ، فعبر النهر وترك نيشابور ، وخرج إلى ناحية ، وارسل رسالة إلى بخارا ، وعرض صورة الحال ، وجمع أبو الحارث منصور بسبب غفلة الشباب وعدم التجربة ــ طائفة ــ ووجههم إلى خراسان ، ليقصروا يد سيف الدولة محمود عن التصرف فى هذه الولاية ، وعجلوا بالسير ولم يتوقفوا بمكان قط إلا فى سرخس ، وكان سيف الدولة يدرك أن الأعداء ليس لديهم طاقة للمقاومة ، لكنه فكر فى كفران النعمة ، ورعاية جانب أبى الحارث ، فعاد إلى نيشابور ، وتوجه إلى مرو الرود التى تشتهر بمرغاب حتى لايساء به الظن ، و بعد ذلك يأتى لمقابلتهم بحجة قاطعة ، ولايدع فرصة لطعن الحساد وملامة الأعداء فى هذا المجال و يعذره الأقاصى والأدانى .

غدر فائق بمنصور بن نوح وجلوس عبد الملك بن نوح محل أخيه

عندما وصل بكتوزون لخدمة أبى الحارث منصور بن نوح ، وكان يتخيل انه لن يحظ بانعامه وعواطفه ، ولهذا لم يستاء ، وشكا لفائق ، ولما كان فائق خشن الطبع وسىء فقد أيده ، وأخذا فى تعداد عيوب منصور ، ودعيا الجميع لخلعه وعزله ، و وافقوهم جميعا ، ورتب بكتوزون للدعوة ، وأخرجه من بيته لسبب هام فى حاجة لحضور منصور ، وقبض على هذا الأمير ، وسمل عينيه(١٢٠) ، واجلسوا أخاه عبد الملك الذى كان فى سن الطفولة على العرش ، وكانت مدة سلطنة منصور سنة وسبعة أشهر ، وانطلق الجميع الخاص والعام والوضيع والشريف بلسان التوبيخ ، وانكروا هذه الوقاحة والجسارة .

وفى هذه الاثناء وصل الخبر إلى الأمير سيف الدولة محمود ، وكان ينزل على جسر راغول ، فخاف فائق و بكتوزون ، وتوجها إلى مرو ، فأرسل سيف الدولة رسولا ليلومهما على إضاعة حق ولى النعمة ، وازالة الحشمة وهتك الحرمة ، فسلك فائق و بكتوزون طريق الخداع ووعدا بالرعاية ومزيد من العناية لعبد الملك بن نوح ، ووعدوه بزيادة الاقطاعات وحكومة الولايات ليرضياه .

ولم يقبل سيف الدولة محمود ذلك لحميته الاسلامية وغيرته الدينية ، ولم يتوان فى مواجهة هذه الحركات السخيفة والأفعال الذميمة ، واضطر التوجه من جسر راغول وجاء إلى مرو ،

ليحادثها فى هذه القضية ، واحتار فائق و بكتوزون من قدوم السلطان محمود ، فاستولى عليها الرعب والخوف واضطربا على مافعلا ، لكن اظهرا تجلدا ، وأخرجا عبدالملك من المدينة ، ونزلا فى مواجهة جيش سيف الدولة محمود ، وعندما تيقنا انها يسعيان لهلاك انفسها فى مصارعة الفيل ، آثرا الشفاعة وارسلا الرسل ، وشرعا فى المصالحة والتضرع ، وأراد السلطان محمود البعد عن الملامة من أجل السلامة حتى لا ينهدم قصر الملك ، ودق طبل الرحيل .

وعندما سار مرحلة ، اطلق الأو باش والأراذل يد السلب فى مؤخرة جيشه ، ونهبوا بعض الأمتعة ، وعندما اطلع السلطان محمود على هذه الحادثة ، ورأى طمعهم الكاذب وحرصهم على نهب وسلب اتباعه ، فكر فى الانتقال ، ولمّا كان الأعيان لم ينكروا حركات الأو باش أدرك سيف الدولة أن رضاءهم مرتبط بهذه الوقاحة ، فاستشاط غضبا ، وأمر أن يلتف جماعة من الجيش حول هؤلاء الأشرار ، و يقتلوهم جميعا ، وأعد القلب والميمنة والميسرة ، واتجه إلى الخصم ، ودق المخالفون مضطرين طبل الحرب ، واصطفوا بالملابس الملونة والمزينة ، ولكن نظرا لكثرة عدد الجيش سواء الذين جمعوا من أطراف خراسان وماوراء النهر أو الفرسان والمشاة الكثيرين الذى التحقوا به . و بعد الحرب والجدال . شمل شؤم كفران النعمة حالهم ، وهبت نسائم الظفر والنصر على راية سيف الدولة ، وسار أهل العصيان فى بادية الخسران ، ووصل عبدالملك إلى بخارا ، وانشغل فائق بضبط أمور الأهالى ، و بعد فترة توجه بكتوزون ايضا إلى بخارا خوفا من سطوة سيف الدولة محمود ، وجمع الجيوش المتفرقة ، ومرة أخرى غرس فى رءوسهم الفساد ، وسيطر خيال الاستقلال والجدال والقتال والمفاخرة والمبارزة على مزاجهم .

وفى أثناء ذلك لبى فائق الذى كان عمدة القوم داعى الحق ، ولهذا السبب صارت أحوال بقية أركان عبدالملك السامانى إلى اضطراب ، وفى نفس الوقت توجه ايلك خان من كاشغر إلى بخارا ، وارسل فى البداية رسولا إلى عبدالملك ، وسلمه رسالة من انه عند الشدائد تذهب الأحقاد ، فاذا كان قد اصابك من قبل ضرر ، بسبب وساوس شياطين الانس وحدث لك مكروه فالان ارتفع عنك غبار هذه الحاشية تماما ، وحالا يجب أن أقوم بصد هؤلاء الأجانب الذين دخلوا مملكة آل سامان نظرا لقرب جوارى ، واقطع أيدى تعدى المعتدين عن ذيل الممالك المحروسة ، لكى يصلك إرثك وحقك ، وصدق عبدالملك بن نوح وأعيانه كلمات ايلك خان ، واغتروا بزخارف قوله ، وأسرع بكتوزون و بنالتگين والقواد والأمراء الآخرون لاستقباله ، وعندما استقر هذا الغدار فى المجلس ، أمر أن يقيدوهم جميعا .

لم يستقر لعبد الملك قرار عند سماع هذه الحادثة ، فاختفى فى ناحية ، ودخل ايلك خان بخارا يوم الثلاثاء العاشر من ذى القعدة سنة ٣٨٩ هـ ، وعين العيون لتقبض على عبدالملك ،

وأسروه وارسلوه إلى آركند ، وخمدت شعلة حياته فى هذه البلاد ، وبعد أسره تنقل اخوه منتصر عدة أيام فى أطراف ونواحى ماوراء النهر ، ولما كانت دولة أقبال هذه الأسرة قد قاربت النهاية فلا فائدة من ذلك .

خروج منتصر أبى إبراهيم اسماعيل بن نوح السامانى وبيان ماوقع بينه وبين ايلك خان ونصربن ناصر الدين سبكتگين

عندما استولى ايلك خان على بخارا(١٢١) قبض على أبى الحارث منصور المسمل العينين ، وأبى ابراهيم ـــ الذى سيطلقون عليه منتصر ـــ وأبى يعقوب اولاد نوح من اعمامهم أبى زكريا وأبى صالح وباقى أرومة السامانى ، وفصل كل منهم فى مجلس حتى لا يجتمعوا ، ومن حسن طالع منتصر أُخرج من حبسه فى ملابس جارية كانت تخدمه ، وتوارى فى منزل عجوز من عجائز بخارا ، إلى أن سكنت ثورة طلبة ، وارتدى طالبوه لباس اليأس ، وقطعوا الأمل فيه ، وفر إلى خوارزم بلباس حراس السجن ، واخذ يستعد للانتقام من ايلك خان ، وتوجه اليه بقية أولياء آل سامان ، وجمع جيشا كبيرا ، وهجم ارسلان بالوا حاجبه على بخارا ، وأسر جعفر تگين وسبع عشرة من معارف الأمير ، وارسلهم إلى جرجانيه ، وذهب الآخرون منهكين إلى ايلك خان ، واقتفى ارسلان آثارهم حتى حدود سمرقند ، وعندما وصل إلى قنطرة صغيرة ، قطع تكين خان الذى كان واليا لسمرقند من قبل ايلك خان ، بجماعة كبيرة ـــ الطريق ، لم يتراجع ارسلان عن مواجهتهم ، ووقف لمحاربتهم ، وهزم تگين خان ، واستولى على غنائم كثيرة ، وعاد منتصرا إلى بخارا ، وسُر الاهالى لقدومه ، وعندما علم ايلك خان بهذا الأمر ، جمع جيشا وتوجه إلى منتصر ، والتحق ارسلان بالوبموكب منتصر ، وبعد تقديم المشورة عبروا النهر ، ونزلوا بآمل ، وبعد تحصيل أموال تلك البلاد توجهوا من الصحراء إلى أبيورد ومن هناك توجهوا إلى نيسابور ، ووقعت بين منتصر ونصر بن ناصر الدين قتال فى نيشابور .

وعندما احتجبت الشمس فى خيمة آل عباس ، توجه الأمير نصر صوب مرو ، ومن هناك توجه إلى هرات ، وعندما وصل هذا الخبر إلى السلطان محمود ، رحل على الفور ، وسار إلى نيشابور ، وعندما علم منتصر باقبال الرايات الظافرة ، عزم التوجه إلى اسفراين ، واراد أن يحصل أموال هذه الولاية كمرتب لملازميه ، ولم يتيسر ، فتوجه إلى ولاية شمس المعالى بن وشمگير ، وقدم قابوس بن وشمگير خدمات جليلة له من جملتها : عشرة حياد عربية بسرُج وألجم ذهبية ، وثلاثين آخرين بأسرج فضية ، وثلاثين بعقد حريرية ، وثلاثين بغلا بأسرج

ذهبيـة ، وثـلاثين جملا محملة بالفرش الفاخرة والأمتعة النادرة ، وألف ألف درهم وثلاثين ألـف دينـار وخمسين ثـوبـا ملـونـا وأمـتعة وأدوات عظيمة أخرى ، وارسل إلى اتباعه أموالا أخرى ، وقـال لـه : المصلحة هى أن تذهب إلى الرى حتى أرسل ابناى دارا ومنوچهر فى ظل رايـتـك ، فـطالما عرش هذه المملكة خال من ملك يملكها وحالها غير مستقر فهى فى حاجة إلى مـلـك قوى وحاكم شديد ، فيجب أن تستقر فى هذه الناحية ، وتدخل هذه الولاية فى حوزتك وتـتـمكن من منصب الإمارة ، وتجمع الجيش بالتدريج ، وتعود إلى خراسان وتطالب بملكك المـوروث ، فـقـبـل مـنتصر هذا القول ، وخرج من جرجان ، و بعد قطع المنازل ، عسكر حول الـرى ، وخـرج الجيش الذى كان يعسكر فى المدينة ، وأقاموا المعسكر فى المواجهة وارسلوا إلى أبـى الـقـاسـم سـيـمـجور وأرسلان بالو وسائر الأمراء رسلا ، وسلموهم الذهب ، وخافوا من نـسـيـان الـوعـد ، وعـرضـوا على مـنـتـصر بـأن جـلالـة قدرك اكثر منهم ، فليدخلوا فى جماعتك و يـطـيـعـوك و يـسـعـدوا بـخـدمـتك ، وترتفع درجتك عنهم ، ولكى تنزل فى هذه الصحراء : « العرش هو عشك ، لن يصيبه أذى وسيصبح مقرا لولايتك » (١٢٢) .

يـريـد قـابوس أن يقبض عليك بيد اعوانك وانصارك ، فان حدث ذلك ، عادت الفائدة اليه ، ولوحدث أن أصبت بمكروه والعياذ بالله بقى هذا العار على جبين الدولة .

وقـال عـدد مـن القوم قولا على هذا النحو ، وقبل منتصر قولهم ، ورحل من الرى ، وتوجه مـن طـريـق دامـغـان ، وانـفـصل عنه دارا ومنوچهر ، وذهبا إلى جرجان ، و وصل منتصر إلى حـدود نـيشابور ، وغادر الأمير نصر ناصر الدين نيشابور ، واسرع إلى ناحية بوزجان ، واستولى مـنـتصر مـرة أخـرى على نيشابور فى شوال سنة ٣٩١ هـ ، وأرسل العمال على رأس الأعمال ، و بـدأ بـالمطالبة بالأموال ، وطلب الأمير نصر من أخيه المساعدة ، فأرسل السلطان محمود والى هـرات الـتـونتاش حاجب لمعاونته ، وقوى الأمير نصر بمساعدة اخيه ، وتوجه إلى نيشابور وتحير منتصر ، (١٢٣) وأدرك أن أخاه قد أخطأ فى ظنه واتضح مضمون (تركت الرأى بالرأى) .

ولـما كـان ارسـلان بـالـوقـد خالف منتصر فى المهام الملكية ، وحدث منه شطط فى الأمور و بـالـتـدريج ازداد الحقد فى قلب منتصر ، وقد ابلغوه فى ذلك الوقت أن ارسلان بالوقد أهمل فى محاربة نصر بن ناصر الدين بسبب الحسد الذى يكنه لأبى القاسم سيمجور ، وهذا السبب أثـار مـنـتـصر ، فـقـتـل ارسلان ، واضطرب الجيش من هذه الفعلة ، وانطلقت الألسنة فى لومه وانـكـاره ، فـتـلـطـف أبـو القاسم سيمجور وأطفأ النار ، وهدأ الجميع ، وتوجهوا إلى سرخس ليطلبوا المدد من زعيم هذه المنطقة المشهور بابن الفقيه .

ولـما كـان ابـن الفقيه مواليا لمنتصر ، و يتقرب اليه بالخدمات الجليلة ، فعندما وصلوا إلى سـرخس قام ابن الفقيه بمراسم الخدمة كما يجب و ينبغى ، وفى أثناء ذلك توجه نصر بن ناصر

الدين بجيش قوى إلى سرخس ، وأسرع منتصر بملازميه الخواص لاستقباله ، و بعد القتال الشديد هبت نسائم النصر والظفر على راية الأمير نصر ، وقبض على أبى القاسم سيمجور وعدد من الأمراء الآخرين ، وأحضروهم أمامه ، وحملوهم جميعا بناء على أوامره فى ذل وخسار إلى غزنين ، وتوجه الأمير نصر منتصرا إلى مستقر العز والشرف ، وقطع منتصر بعد هزيمته آلصحارى حائرا ، حتى وقع بين التركمان الغز ، وكانوا دائما من انصار آل سامان ، وكانوا يفاخرون و يتباهون بذلك ، ولاشك أن قدومه فرصة عظيمة ، فتقلدوا سيوفهم فى ولاء واخلاص ، وقوى منتصر بمعاونة جيش الغز ، وتوجه بجماعته طمعا فى ولاية ماوراء النهر ، وعلم ايلك خان باتجاهه ، فجمع جيشا ضخما ، وجاء إلى حدود سمرقند ، وهجم الغز على ايلك خان ليلا ، واسروا جماعة من كبار جيشه ، قتلوهم جميعا ، وسقط فى يد جيش الغز مال كثير وغنائم وفيرة من جيش ايلك ، وكان ذلك فى شوال سنة ٣٩٣ هـ .

وعاد الغز إلى بلادهم ، ولم يسلموا الأسرى لمنتصر ، وقالوا إنهم ندموا لمقاتلتهم ايلك خان ، وسيطلقون سراح الأسرى اعتذارا له ، فاغتاظ منتصر من هذا الأمر ، واختار سبعمائة شخص من خواصه وثقاته ، وخرج من بين جيش الغز ، ووصل على وجه السرعة إلى شاطىء النهر ، ولما كان جيحون متجمدا من البرودة ، وكانت صفحته ثلجا ، عبروا النهر ، واضطر جيش الغز إلى العودة بعد أن ارتفعت الشمس وذاب الثلج ، ونزل منتصر على آمل وكتب رسالة إلى السلطان محمود ، وذكره بحقوق اجداده واسلافه ، واستعطفه من تمادى أيام المحنة وتراكم الكرب ، وقال : « طالما لجأت اليك فأعطنى مكانا فأنا فى ظلك » .

ورحل منتصر خوفا من الترك الغز ، وتوجه إلى مرو ، وارسل شخصا إلى أبى جعفر ابن اخته الذى كان مقيما فى مرو فى تلك الفترة ، وطلب المساعدة بالسلاح والعتاد ، وكان أبو جعفر من جملة الأراذل ، وصل إلى درجة كبيرة فى أيام دولة آل سامان ، ولدناءته ولؤمه رفض التماس منتصر ، بل أنه خرج من المدينة ، وصف الجيش فى مواجهته ، وجمع منتصر جميع ملازميه ، وسلك طريق ابيورد ، وابدى السلطان محمود اكراما ولطفا لرسوله ، وارسل تحفة لائقة ، وكتب إلى أبى جعفر ابن اخته بألا يهمل دقيقة قط فى خدمته وارضائه ، واضطر ابن اخته بالقيام بالمطلوب رغم انفه ، وقدم أبو نصر حاجب من امراء السلطان الخدمة إلى منتصر حين وصل إلى هذه الحدود ، وانكر أهل نسا ذلك الأمر ، وتحرزوا من اقامة منتصر فى هذه الحدود ، وأرسلوا رسالة إلى خوارزمشاه ، وطلبوا المساعدة ، وأرسل خوارزمشاه أبا الفضل حاجب وكان من مشاهير رجاله لمعاونة أبى نصر ، وتوجه أبو نصر حاجب لاستقبال منتصر ، وفى ذلك الوقت كان الليل مظلما والهواء قاريا ولايمكن للبصر مشاهدة الأشخاص ، سل الفريقان السيوف ، وتحاربا حتى تباشير الصباح ، وقتل وجرح أغلب أهالى الفريقين ، ومن جملتهم : قُتل أبو نصر وسائر أنصار منتصر ، وفر الآخرون ، وجاء منتصر إلى سفراين ،

واستعد الناس هناك لمنعه، ولوى منتصر العنان من هذه الناحية، ووصل إلى سرخس، وتوقف هناك عدة أيام حتى لحق به اتباعه، وعبر جيحون من هناك، فتوجه والى بخارا اليه بجيش، ولما لم يكن هناك مهرب لمنتصر، وقف يقاتل ووقع قتال شديد بين الجانبين، وخرج منتصر من هذه الورطة باعجوبة، حتى توقف فى مكان فى بندنور، وتوجه والى بخارا إلى سغد، وانشغل بجمع الجيش الذى كان هناك، وفى أثناء ذلك أغار منتصر، فتفرق شمل جماعة والى بخارا.

وفى نفس الحال علم علمدار قائد جيوش سمرقند بانتصار منتصر، فالتحق به بثلاثة آلاف رجل، وأرسل اعيان سمرقند ثلاثمائة غلام تركى ومالا وافرا اليه، والتحق به جمع غفير من الجيش، ومرة اخرى ارتفعت نار اقبال منتصر، وعندما علم ايلك خان بانتظام احوال منتصر، توجه لمحاربته، واصطفا فى حدود سمرقند، وهُزم الخان، واستولى جيش الغز من جيش ايلك على غنائم كثيرة، وأموال وفيرة، وقد حدثت هذه الحادثة فى شعبان من سنة ٣٩٤هـ.

وعندما عاد ايلك خان إلى ولايته، جمع الجيش المتفرق واسرع إلى منتصر، وفى ذلك الوقت كان جيش الغز قد تفرق، وعادوا إلى اوطانهم، وانشغلوا بتقسيم الغنائم، ولما اصطف الجيشان فى المرة الثانية للقتال، غدر أبو الحسين طاق — وكان فى ظل رايته خمسة آلاف رجل — بمنتصر، والتحق بايلك، وسلك منتصر طريق الهزيمة، واعمل ايلك سيف الانتقام، وقتل جمعا كبيرا من اتباعه، وفر منتصر إلى شاطىء النهر، ولم يجد مركبا فجمع عدة اشجار وعبر نهر جيحون، وقسم عدة حيوانات كانت فى هذه الناحية على جيشه وجاء من طريق الصحراء إلى جسر راغول، واخبروا السلطان محمود بخبر وصوله، وجاء السلطان من غزنين إلى بلخ من اجل انتظام امره والتئام حاله، وعين فريقول بن محمد مع أربعين نفرا من اعيان جيشه لدفع فتنته، فتحاشى منتصر محاربتهم وتوجه إلى قهستان، وتعقبه نصر بن ناصر الدين وارسلان جاذب والى طوس وطغانجق حاكم سرخس، وتوجه منتصر خشية هذه الجماعة إلى بكند، ومن هناك إلى بسطام، وارسل قابوس ابن وشمگير ألفين من الرجال ليخرجوا منتصر من بسطام، فتوجه من بسطام إلى نسا، وارسل ابن سرخك السامانى رسالة، وأرعب منتصر بالمواعيد الزور والأقاويل الفاسدة، ووعده بمساعدته ومقاومته لايلك خان، فرحل إلى بخارا على أمل هذا الوعد، ووصل جميع الجيش إلى هذا المعسكر منهكين من هذه الرحلة، ووصلوا ساعة الغروب، وذهب اهل الغدر الى سليمان وصافى حاجبا ايلك خان وأخبروهما بسوء حال منتصر، وعندما علم هذا الخبر التف جماعة من أهل الغدر حول خيمته، ووقف منتصر لحظة للدفاع ثم سلك طريق الفرار، وقبضوا على اخوته وخاصته وأرسلوهم إلى أوزكند، وسقط منتصر بحلة ابن بهيج الأعرابى، وحرض ماه روى. وكان حاكما عليها من قبل

السلطان محمود . جماعة على قتل منتصر، وعندما حل المساء، هجم جماعة من أجلاف العرب، وأهدروا دم هذا الأمير، واراقوا دمه الشريف على الأرض، وقد وقعت هذه الحادثة فى ربيع الأول سنة ٣٩٥هـ، وعندما وصل خبر هذه الواقعة إلى السلطان محمود قتل ماه روى جزاء فعلته وانتهبُ حلة ابن بهيج، وانطفأت شعلة دولة آل سامان نهائياً وهبط كوكب اقبالهم وشرفهم، وكان الله على كل شيء قديرا .

ذكر حال وبيان مآل شمس المعالى قابوس بن وشمگير.

لما كان اسم قابوس وشمگير قد ورد ضمن .... آل سامان، وكان ملكا فاضلا كريم النفس أديبًا، فانه من المناسب أن نذكر بعض حالاته ايضا بعد ايراد قضايا السامانية ومنه الاعانة والتوفيق .

مذكور فى بعض التواريخ أن قابوس بن وشمگير ظل بخراسان مدة ثمان عشرة سنة، وصبر على تغير الحال وحوادث الزمان والأيام، وخلال هذه المدة لم تجد شائبة النقصان طريقها إلى علوهمته، ولم ينقص شيء من رونق حاله وجاهه، ولم يبق أحد قط من كبار أمراء خراسان واعيانها دون أن يحظى باحسانه وامتنانه، ولم يسلم عليه أحد إلا ونال الانعام ولبس الخاص والعام لباسه وخلعته الشريفة، وتجرع كأس كرمه الوضيع والشريف وكان ملوك السامانية يريدون أن يعاونوه و يرفعوه إلى مستقر عزه وجلاله، ولكن لم يصب سهم امنياتهم الهدف بسبب نوازل المحن وعوارض الفتن وعوائق الأيام وعلائق الزمان، وتحمل مثل الجبل الراسخ لطمات العواصف وصدمات الأزلال .

وعندما جاء الأمير ناصر الدين سبكتگين إلى خراسان، ورفع يد أبى على عن هذه الولاية، ابدى ارتياحا وسرورا لمقابلة قابوس، واراد أن يقوم بنصرته ومعاونته، لاستخلاص مملكته، وفجأة توجه إلى بلخ وحالت شواغله دون ذلك، وعندما عاد الأمير ناصر الدين مرة ثانية، إلى خراسان لدفع أبى القاسم سيمجور، جدد العهد مع قابوس، وابدى كل منهم للآخر ارتياحا كبيرا، وفى ذلك الحين كان فخر الدولة الديلمى واليا على جرجان ولديه جيش كبير، وكان يبدو قويا بهؤلاء الحشوية وجماعة كبيرة من قومه، وأراد الأمير ناصر الدين أن يجمع جيشا من الترك لمعاونة شمس المعالى ومقاومة اعدائه، وعندما استحكم هذا الأمر فى ضمير الأمير ناصر الدين، ارسل التونتاش حاجب برسالة إلى ايلك خان، وطلب الفى فارس مددا، وتوجه بنفسه إلى بلخ مترقبا ومترصدا الرد، ولكن حال القدر دون عودة الأمير ناصر الدين، وعندما توفى فخر الدين الدولة، أرسل ابو القاسم سيمجور ـــ الذى كان

مقيما فى تلك الفترة فى منطقة قومس . رسولا إلى قابوس ، واخبره بخلو ساحة الولاية و وفاة فخر الدولة ، والتمس منه أن يتوجه فورا ليذهب إلى جرجان و يطرد حسن فيروزان الذى جاء بجيش كبير من الكرد والديلم ــ بناء على فرمان خلفه المسمى بمجد الدولة الذى تكفل بأمور السلطنة .

وعندما وصل قابوس وأبو القاسم إلى جرجان ، أخلف أبو القاسم وعده ، وتوجه إلى قهستان ، لأنهم ارسلوا اليه فى ذلك الحين إلى بخارا بأن يذهب إلى هذه الولاية ، ويهتم بالقيام بمهام هذه البلاد ، وعاد شمس المعالى قابوس إلى نيشابور ، وانتظر الفرصة وعندما أدرك أن دولة آل سامان تتجه إلى الزوال ، اهتم بشئونه ، وأرسل اصفهبد بن شهر يار لصد رستم بن مرزبان خال مجد الملك بن فخر الدولة حاكم كوره شهر يار ، وتوجه اصفهبد بناء على أوامره إلى هناك ، وحارب رستم ، وهزم جيشه ، واستولى على غنائم كثيرة ، وقرأ الخطبة فى هذه النواحى باسم قابوس ، واستولى جماعة من أمراء طبرستان على آمل ايضا ، وأظهروا شعار فرعونيته ، وكتب قابوس لاصفهبد بأنه يذهب إلى آمل ، و يقوم بمساعدة الأمراء المذكورين ، وتوجه اصفهبد بموجب أمره إلى هذه الناحية .

وعندما علم حسن فيروزان بخبر تجمعهم ، توجه بجيش جرار من جرجان إلى آمل ، ووقعت بين الفريقين معركة شرسة ، وقبض على حسن وعشرين شخصا من كبار رجال جيشه ، و بشروا قابوس بهذه البشرى ، فأدرك أن أيام المحنة قد ولت ، وانتهى زمان الشدة ، فتوجه بقلب مستريح وصدر منشرح إلى جرجان ، وفى سنة ٤٠٨ هـ جلس على كرسى المملكة ، و بعد ذلك وقعت معارك بين قابوس والديالمة الذين كانوا قد اتفقوا على سلطنة مجد الدولة بن فخر الدولة ، وكانت نسائم الظفر تهب فى أكثر الأحيان على رأية قابوس ، وفى النهاية تصالح مجد الدولة مع قابوس و بالتدريج نمت اغصان شمس المعالى حتى دانت له مملكة گيلان باسرها وولاية جرجان وطبرستان فاعطى گيلان لابنه منوچهر ، وسعى شمس المعالى لتأسيس بنيان المودة وتأكيد اسباب المحبة مع السلطان محمود ، فأرسل رسلا اليه ، وتقرب اليه بارسال التحف والهدايا حتى تبدلت وحشة العداوة بألفة الصداقة ، وانتظمت جميع بلاد طبرستان والديلم حتى ساحل البحر تحت أمره ونهيه ، وكان شمس المعالى فى حياته معروفا للملوك الأطراف وأكابر الآفاق بشرف نفسه ومكارم ذاته ومحاسن شيمه وكمال فضله وجلال قدره ، وكان مستقيما على منهاج الحكمة وجادة الشريعة ومنزها مبرءاً عن ارتكاب المناهى ، ومتصفا بالعدل والانصاف ، ومتبحرا فى فنون العلوم والآداب ورسائله مشهورة فى أطراف واكناف العالم ، وكمال براعته و بلاغته فى تأليف الكلمات معروفة ، ومذكورة ، كل نقطة تسقط من سن قلمه على ديباجة كتاب لاتخلو من فضله وكماله ، وكان قلم ذى القرنين يخرج من ظلمات الدواة ، كأنه درة فى قلادة زمان الجواهر ، كل من يرى

سطرا من سطوره يقول هذا خط قابوس أم جناح طاووس ، ومع كل هذه الفضائل كان حادا مع أمراء الجيش ، و يفرط فى العقاب وما من أحد قط يأمن خشونة سطوته ومرارة كأس بأسه ، كان يعاقب عقوبات قاسية على أقل خطأ ، ولم يكن يخشى إراقة الدماء وملأ الدناء بالدماء ، ولم يكن يؤدب إلا بالسيف القاطع ، ولم يكن حبسه إلا فى لحد مطمور تحت الثرى ، ولهذه الأسباب نفرت القلوب وامتلأت الصدور بحقده .

وكان نعيم حاجبه رجلا طيبا صالحا ، وكان معروفا من بين خدمه وحشمه بسلامة الذات فوضه لضبط اموال استراباد وأعمالها ، فاتهمه حساده والوشاه بتهم عديدة ، فأصدر قابوس بدون تفكر أمرا بقتل نعيم ، وكلما أراد أن يمهله فترة ليبرأ ذمته من هذه التهمة أبى ، وأزداد نفور الجيش لقتله ، واتفقوا جميعا على الخلاص .

وفى تلك الأثناء خرج قابوس من جرجان ، واقام خيمة الاقامة فى بعض متنزهات مملكته ، وكان غافلا عن حوادث الزمان وفكر أهل العصيان والطغيان ، وفجأة التقوا حول قصره ، وأطلقوا يد السلب فى امواله ، و وقف خواصه للدفاع وحموه من ضرر الأعداء ، ولمّا لم يفز الأمراء العصاة بالمقصود توجهوا إلى جرجان ، واستولوا عليها ، واستدعوا منوچهر بن قابوس من طبرستان ، وتوجه على عجل من أجل مصلحة الملك ، وعندما وصل إلى جرجان ، رأى جيشا ، فاضطرب ، وفقد السيطرة ، وسلمه جميع الحشم رسالة وهى اذا وافقتنا على خلع وعزل ابيك سنسعى جميعا برغبة صادقة لخدمتك ونطيعك ، وألا نبايع آخر ، ولم يجد منوچهر بدا من المداراة ، وفكر فى أنه إذا رفض ستزداد الفتنة والفساد ، وسيزول الملك القديم من يده .

وعندما رأى شمس المعالى اجماعهم على الطغيان والعناد ، توجه إلى بسطام بأهله وخواصه ومماليكه و باقى امتعته وانتظر خاتمة أمره ومآل حاله ، وعندما علم الأمراء والجيش بهذا الأمر ، كلفوا منوچهر بطرد قابوس من هذه الناحية ، وتوجه مضطرا إلى بسطام ، وعندما وصل هناك ، استدعاه قابوس لرؤ يته ، وعندما وصل الابن إلى مجلس ابيه قبل الأرض ، ووقف بكل تواضع ، وتحدثا فى أمر هذه الحادثة النكراء ، وتناقشا فى مصالح الملك ، وقال منوچهر لقابوس : اذا سمحت لى أن أصد هذه القلعة العاصية فاننى أجعل نفسى فداء لك وحماية لذاتك ، فأجابه شمس المعالى إجابة أب شفوق : « إن هذا هو غاية أمرى ونهاية حالى ، وقد تعلق رتق الأمور الملكية بك ، وهذا الأمر مرتبط بك فى حياتى و بعد مماتى وسلمه خاتم الملك ، واعطاه مفاتيح الخزانة ، واتفقا على أن يذهب قابوس إلى خباشك ، و ينشغل بالعبادة ، وأعطوا شمس المعالى قصرا بالقلعة ، وذهب جماعة من خواصه وقاموا بخدمته .

وذكروا أن أحد الأمراء العصاة ، رافق قابوس إلى القلعة ، ليوصله إلى القلعة و يعود ، وسأله قابوس : ماسبب هذه الفتنة ؟ فأجابه عندما أفرط فى القتل ، اتفقت مع خمسة من الأعيان لنزيحك من السلطنة ، ونجلس شخصا آخر على العرش وهذه المحنة بسبب ما اقدمت عليه من كثرة اراقة الدماء ، قال قابوس : هذا قول خاطىء إذا كان مواجهة هذه البلية يتم باراقة الدماء فصداق ذلك انه لوقتلتك والخمسة اشخاص الآخرين ماكان قد اصابنى ابدا الزمان بما أصابنى » .

وعموما عندما وصل الأمير منوچهر إلى جرجان ، انشغل بسد الخلل وتدارك الذلل ، وعاش مع جماعة العصاة على سبيل المداراة ، ولم يهمل لحظة قط فى مراعاة الشريف والوضيع ، ولكن العصاة لم يأمنوا جانبه بسبب خوفهم من سطوة قابوس واحتالوا عليه وذهبوا إلى القلعة ، وقتلوه ، وأمنوا صواعق سيفه وسنانه ، ودفنوه فى القبة التى كانت بظاهر جرجان ، وحتى الآن هذه القبة مشهورة على ألسنة وأفواه الناس بقبة قابوس ، وقام منوچهر على عادة الديلم بالمأتم ثلاثة ايام ـ و بعد ذلك اهتم بأحوال الجيش والرعاية .

حكومة منوچهر بن قابوس بن وشمگير

أرسل القادر بالله العباسى منشور حكومة طبرستان وسائر البلاد التى كانت فى يد قابوس باسم منوچهر ، ولقبه فلك المعالى وحمى البارىء سبحانه وتعالى منوچهر حتى تمسك بحبل أولاد سيف الدولة محمود ، فساعدوا على قوة دولته ، وضمدوا جراح حادثة ابيه . فأرسل جماعة من اعيانه بهدايا ونفائس لاحصر لها إلى بلاط السلطنة ، وابدى صدق النية وصفاء الطوية فى اطاعة السلطان ، فقبل السلطان هذه الهدايا والرسائل بقبول حسن ، واجابة على مطلبه ، واختبر قوة موالاته ، وأرسل أبا محمد بن مهران بسفارة إلى جرجان وارسل رسالة جاء فيها : « اذا كان منوچهر صادقا ومخلصا فى محبتنا ، يجب أن يسك السكة ويخطب الخطبة بألقابنا » .

واستمع الأمير منوچهر لفرمان السلطان بأذن العقل ، وأظهر شعار دولة السلطان على منابر ممالك جرجان وطبرستان وقومس ودامغان وغير ذلك ، وقرر أن يرسل سنويا خمسين ألف دينار ذهبا إلى الخزانة العامرة ، وسُر السلطان من مساعيه الجميلة ، وارسل أحد فضلاء مملكته إلى غزنين ، وخطب إحدى بنات السلطان ، وسُر السلطان محمود ، وعاد هذا الرجل الفاضل مسرورا إلى جرجان ، وعرض مارآه من إنعام واكرام السلطان ، وأرسله فلك المعالى مرة أخرى مع قاضى جرجان ـ وكان فريد زمانه وعلامة عصره ـ إلى السلطان محمود

لا تمام هذا الأمر، وحملوا هدايا لائقة ، فأدخل السلطان فلذة كبده وكانت زهرة سماء السلطنة فى سلك زواج فلك المعالى ، وعاد الرسولان بعد قضاء المرام إلى جرجان ، وارسل فلك المعالى جماعة من خواصه وثقاته بأموال وأمتعة كثيرة ليقدموها إلى صاحبة العصمة فى استراباد بعد عدة ايام .

وعندما استقام أمر فلك المعالى بهذه المصاهرة ، سعى لتدبير أحوال الجيش والانتقام من الذين سعوا فى دم أبيه المعالى ، وقضى عليهم جميعا بالحيلة ، وحكم بقلب مستريح حتى لبى دعوة الحق جل وعلا .

ذكر دارا بن شمس المعالى قابوس بن وشمگير

و بعد ان اجتنب دارا مصاحبة أبى على سيمجور، والتحق بموكب ملك نوح ، ولازم خدمته وعندما تمكن قابوس من كرسى الحكم ، أسرع إلى ابيه ، ولازمه ، وظل دارا منتظرا عطف ابيه حتى ارسله قابوس إلى طبرستان ، وقام فترة هناك بقيادة الجيش والرعية ، ومحاربة المتنازعين ، واستدعاه قابوس ليطلعه على خطأ ارتكبه ، واسرع دارا إلى ابيه ليبرأ ساحته ، وارتضى قابوس ، واكرمه وعطف عليه و بعد عدة ايام أستدعاه مرة أخرى ، واستاء دارا من الذهاب ، وتوجه إلى خراسان لخدمة السلطان محمود ، فأكرمه بكل انواع الكرم والتعظيم والتبجيل ومايعد من هذا القبيل ، ولكنه لغرور الشباب صدر منه عدة أمور جعلت السلطان يهمل فى العطف عليه ، وشعر بتغير فى مزاج السلطان ، فهرب من طريق غرجستان فى جوف الليل نظرا لأواصر المحبة والمودة بينه و بين شار حاكم هذه الولاية .

وعلم السلطان بفرار دارا فأرسل جماعة لملاحقته ولما لم يلحقوا بمركبته ، عادوا ، فأرسل السلطان إلى شار، وقدم له الوعد والوعيد لاستعادته ، فأرسل شار دارا إلى السلطان خوفا منه ، وقضى فترة فى محنة وشدة ، وانتهز الفرصة ذات مرة ، وفر من حبسه ، فتعقبته جماعة وأسرته ، وحبسوه هذه المرة فى مكان أكثر حصانة حتى زالت وحشة السلطان ، فتعطف عليه ، واطلق سراحه ، ونال رعاية السلطان مرة أخرى ، وصدر فرمان السلطان بأن يتوجه ارسلان جاذب إلى ولاية طبرستان لمعاونة دارا ، و ينتزع هذه المملكة من منوچهر و يسلمها له ، وفى تلك الاثناء توطدت أواصر المصادقة بين السلطان ومنوچهر، كما هو مسطور، فاستدعى السلطان دارا ، فعاد بناء على الأمر، وسلك فى سلك ندماء وخواص السلطان ، ولم يغب لحظة عن مجالس انس ورحلات صيد وأوقات فراغ ولهو وطرب السلطان ، إلى أن وصل

الأمير أبو الفوارس بن عضد الدولة من كرمان إلى عرش السلطان طالبا المساعدة لعدائه مع اخيه ، وذات يوم كان أبو الفوارس ودارا مجتمعين عند السلطان ، وجرى الحديث فى مجال شرف العائلة واصالة القبيلة ، فجرت كلمات على لسان دارا غير لائقة فى حضرة السلطان ، وكلما انكروا عليه ذلك أصر حتى وصل الأمر إلى درجة أن خرج كل أهل العقل من المجلس وقد أصابتهم الاهانة ، ومرة أخرى حبسوه فى قلعة من قلاعه بموجب الفرمان ، وضبط عمال ديوان السلطان عقاراته وضياعه حتى شفع له الوزير ، فسلموا ممتلكاته إلى وكلائه ، ليتصرفوا فيها .

حاشية الدولة السامانية

(١) ان نسب السامانيين هو: سامان خداه بن خامتا بن نوش بن طمغاسب بن شاول بن بهرام چوبين ... و يصل گرديزى نسبهم إلى گيومرث اول سلطان على الأرض (ز ين الاخبار ١٩) دخل سامان خداه الاسلام فى عهد ولاية اسد بن عبدالله امير خراسان واطلق على ابنه اسم « اسد » ورزق أسد باربعة ابناء ، نالوا رعاية أمير خراسان فى عهد المأمون (تار يخ بخارى فامبرى الترجمة العربية للساداتى ٩٣) وذكر النرشخى ان سامان خداه قد فر من بلخ إلى اسد بن عبدالله القسرى (القشيرى) وجاء إلى مرو واكرمه اسد ، وآمن سامان على يديه ، و يسمى سامان خداة لأنه بنى قر ية اسماها سامان فدعوه بذلك الاسم كما يدعى امير بخارى « بخارى خداه » (تار يخ بخارى الترجمة العربية ص ٨٦ ، ١٠٥) وسامان قر ية فعلا من قرى سمرقند (ياقوت معجم البلدان ١١/٥) وبهرام چوبين قائد كسرى ابرو يز ثار على كسرى ، ففر ابرو يز إلى الروم واستعان بهم لاستعاده ملكه ، وتمكن كسرى من قتل بهرام جوبين ، وقد نسبهم حمد الله المستوفى إلى بهرام چوبين ايضا (تار يخ گز يده ٢٠) و يزعمون ان سامان ينسب إلى بهرام جور (ياقوت معجم البلدان ١٢/٥) .

(٢) عبدالله بن هارون ١٩٨ هـ — ٢١٨ هـ .

(٣) جاء سامان الى اسلام حاكم ماوراء النهر واسلم (حمد الله المستوفى ٢٠) وذكر النرشخى ان بداية أمر أولاد سامان كان فى عهد هارون الرشيد وانهم ساعدوا ،هرثمة بن اعين فى حرب رافع بن الليث (تار يخ بخارى الترجمة العربية ١٠٥) .

(٤) الفضل بن سهل « ذو الر ياستين » وز ير المأمون ، قتله بعض اعدائه فى حمام بسرخس ، كان من مسلمة المجوس ، وقيل انه سرخسى كان يلقب بذى الر ياستين (ر ياسة السيف والقلم) كان عالما بالنجوم (شذرات الذهب ٥/٢) .

(٥) اورد گرديزى ان سامان خداه قد اسلم على يد المأمون حين جاء خراسان (ز ين الأخبار ٢٠) وذكر حمد الله المستوفى انه اسلم على يد اسلام حاكم ماوراء النهر (تار يخ گز يده ٢٠) واستعان المأمون باولاد اسد لمحاربة رافع بن الليث واجبر الابناء رافعا على عقد الصلح فارتاح الرشيد (النرشخى ١٠٥) .

(٦) احمد بن اسد تولى مرو (النرشخى ١٠٦)

(٧) چــاچ اشروسنـه (گـرديزى ٢٠) واشروسنه من قصبات ماوراء النهرمن اعمال بخارى (آثار البلاد ٥٤٠) وچاچ : نـاحيـة من وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك وهى اكبر ثغر فى وجه الترك (آثار البلاد ٥٤٨) وچاچ هى طشقند الحالية (تاريخ بخارى لفامبرى الترجمة العربية ٩٤) وقد وردت اشناس بالروضة انشاس) وصوابها اشناس (حمد الله المستوفى ٢٢) .

(٨) سنة ٢٠٢ هـ (النرشخى ١٠٦)

(٩) صارت جميع الولايات لاسماعيل سنة ٢٦١ هـ (گرديزى ٢٢)

(١٠) انظر تاريخ گزيده ص ٢٢

(١١) آمويه : نهر جيحون (شتا يجس ١٠١)

(١٢) ترجل وتقدم نحوه وقبل يديه واعتذر له واعاده الى سمرقند معززا مكرما مع جميع الحشم والحاشية (گرديزى ٢٢)

(١٣) ورد أن سـبب الجفوة هو أن نصرا كان قد فرض على اسماعيل كل سنة خمسمائة الف درهم من اموال بخارى ، ولم يستطع اسماعيل ارسال شيء فطالبه نصر ، ولم يرسل الأمير اسماعيل شيئا ، فظهرت الجفوة وارسل نصر جيشا النرشخى ١١٢ ـــ ١١٣) .

(١٤) ترجل اسماعيل وقبل ركاب نصر (النرشخى ١١٥)

(١٥) توفى نصر سنة ٢٧٩ هـ (الطبرى ١٠/٣٠ ـــ گرديزى ٢٠ ـــ ابن الاثير ٦/٧٤ ـــ حمد الله المستوفى ٢٤) .

(١٦) كان ذا علم وعدل وشجاعة ورأى وكان يعرف بالأمير الماضى ابى ابراهيم ، جمع بعض الفضلاء شمائله فى كتاب (شذرات الذهب ٢/٢١٩) .

(١٧) انظر ابن كثير ١١/١٠٤

(١٨) ورد تـاريخ الوفاة خطأ ٢٥٩ هـ (روضة الصفا ١١) والصواب ٢٧٩ هـ (ابن الاثير ٦/٧٤ ـــ النرشخى ١١٦ ـــ فامبرى ٩٨) .

(١٩) ارسل الخليفة المعتضد بالله منشور الخلافة له سنة ٢٨٠ هـ (النرشخى ١١٧)

(٢٠) غـزا اسـماعيل مدينة ملك الترك ، وأسر أباه ، وامرأته خاتون وعشرة آلاف وقتل خلقا كثيرا (الطبرى ١٠/٣٤ ـــ ابن الاثير ٦/٧٧ ـــ حمد الله المستوفى ٥٤ ـــ فامبرى ١٠٤) .

(٢١) تاريخ گريده لحمد الله المستوفى ١٢ ، ١٤

(٢٢) وردت قصة الأسر كاملة فى تاريخ بخارى للنرشخى ١٢١

(٢٣) ارسل الخليفة رسالة الى اسماعيل يطلب ارسال عمرو اليه (النرشخى ١٢٢)

(٢٤) ذكر النرشخى ان اسماعيل بعث شخصا ، واتوا بالخزانة وأرسلها إلى عمرو ولم يقبل منها شيئا (النرشخى ١٢٢) .

(٢٥) ذكر ابن الاثير أن عمرا طلب التوجه إلى المعتضد (الكامل ٦/٩٦)

(٢٦) نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقى سترد اخباره ضمن اخبار الحسن الصباح وملكشاه السلجوقى .

(٢٧) ورد فى تاريخ بخارى لفامبرى ان عمرا قد افضى إلى اسماعيل بخزينته (١٠٢)

(٢٨) اضاف النرشخى التركستان والسند (تاريخ بخارى ١٢٣)

(٢٩) انظر ابن الاثير ٦/٩٦ ـــ گرديزى ٢١ ـــ ٢٢ ـــ ابن كثير ١١/٨٣ .

(٣٠) مات ١٥ صفر ٢٩٥ هـ/٩٠٧م (النرشخى ١٢٣)

(٣١) ورد بـالمخطوط الامير القاضى (روضة الصفا ١٢) وذكر الطبرى وحمد الله المستوفى وابن العماد الحنبلى انه الامير الماضى (الطبرى ١٠/١٣٧ ـــ تاريخ گريده ٢٤ ـــ شذرات الذهب ٢/٢١٩ ـــ النرشخى ١٢٤)

(٣٢) انظر ابن الأثير ٦/١١٨

(٣٣) وردت بالمخطوط كلمة عصاميا : عظاميا (الروضة ١٢) كن عصاميا ولا تكن عظاميا كن العصام الذى قيل فيه (حمدان الله المستوفى ٢٦) (انظر ابن كثير ١١/١٠٤)

(٣٤) النيسابورى (ابن الاثير ٦/١١٨)

(٣٥) آل معاد (روضة الصفا ١٢)

(٣٦) انظر ابن الاثير ٦/١١٨ ـ حمد الله المستوفى ٢٦

(٣٧) منتصف صفر سنة ٢٩٥ هـ (ابن الأثير ٦/١١٧) ١٤ صفر ٢٩٥ (حمد الله المستوفى ٢٦)

(٣٨) تولى المكتفى الخلافة سنة ٢٩٨ هـ وتوفى ٢٩٥ هـ (ابن الاثير ٦/١١٩ ـ شذرات الذهب ٢/٢١٩ ـ ابن كثير ١١/٩٤ ـ ١٠٤)

(٣٩) ابراهيم بن زيدويه (زين الأخبار گرديزى النسخة الفارسية ص ٢٢) ابراهيم ابن زيدون (زين الأخبار ترجمة د . عفاف زيدان ص ٢٣٦)

(٤٠) انظر زين الاخبار النسخة الفارسية ٢٣ ـ ٢٤/النسخة العربية المترجمة ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨)

(٤١) رد ابن الاثير سبب هروب بارس من جرجان إلى بغداد لخوفه من الأمير أحمد ، لأن الأمير اسماعيل كان قد استعمل ابنه أحمد عليها عندما أخذها من محمد بن زيد ثم عزله عنها واستعمل عليها بارس كبير (الكامل ٦/١١٨) .

(٤٢) حسين بن على بن عمرو بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب المسمى بحسين الأطروش (گرديزى ص ٢٤ ـ الترجمة العربية ٢٣٨) حسين بن العلاء (النرشخي ١٢٥)

(٤٣) الكامل ٦/١٣٧ ـ ١٣٨

(٤٤) « يا إلهى إذا كان هذا الملك سيذهب عنى فأمتنى » (النرشحى ١٢٥)

(٤٥) ولم يكن هذا فالاحسنا (زين الاخبار فارسية ٢٥/النسخة المترجمة ٢٣٨) قتله اخص غلمانه ذبحا (الطبرى ١٠/١٤٧) صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد القرطبى ١١/٤٧ ـ تكمله تاريخ الطبرى لمحمد بن عبدالملك الهمذانى ١١/٢٠٤)

(٤٦) كان له أسد يربطه على باب بيته كل ليلة (گرديزى ٢٥ ـ ابن الاثير ٦/١٤٤) كان يربط اسدين على باب خيمته (حمد الله المستوفى ٢٨) وقيل قتله اليتكين (حمد الله المستوفى ٣٠)

(٤٧) لما كان تلك الليلة ضيق الصدر شغل جميع خاصته ، فنسوا احضار الأسد ونام (النرشخى ١٢٥) .

(٤٨) قتلوه سنة ٣٠٠ هـ (حمد الله المستوفى ٢٨) ١١ جمادى الآخرة ٣٠١ هـ (النرشخى ١٢٦)

(٤٩) خمس سنوات (حمد الله المستوفى ٢٨) ست سنوات واربعة اشهر وخمسة ايام (النرشخى ١٢٦)

(٥٠) كان ابن ثمان سنين (گرديزى ٢٥ ـ ابن الاثير ٦/١٤٥ ـ النرشخى ١٢٧)

(٥١) انظر الطبرى ١٠/١٤٧ ـ ١٤٨ ، ابن الاثير ٦/١٤٥ ـ النرشخى ١٢٧

(٥٢) أبوعبدالله محمد بن احمد الجيهانى (گرديزى ٢٥ ـ ابن الاثير ٦/١٤٥ ـ النرشخى ١٢٧)

(٥٣) حمويه بن على (گرديزى ٢٦ ـ ابن الأثير ٦/١٤٥)

(٥٤) انظر الكامل ٦/١٤٦ ـ صلة تاريخ الطبرى ١١/٥٠ ـ النرشخى ١٢٧

(٥٥) تولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ ـ وخُلع سنة ٣١٧ هـ ثم عاد فى نفس السنة وقُتل ٣٢٠ هـ (ابن الأثير ٦/٢٢٠ ـ شذرات الذهب ٢/٢٨٤ ، ٢٨٥)

(٥٦) احمد بن سهل من كبار قواد الأمير اسماعيل بن أحمد وولده أحمد بن اسماعيل وولده نصر بن أحمد ، وكان خليفة عمرو بن الليث على مرو ، ونقله إلى سجستان ، وحبسه بها وفر من السجن إلى بخارى فأكرمه اسماعيل ، وسيره محاربه الحسين بن على عندما عصى ، وحدثت وحشة بينه و بين الأمير نصر ، ودعا جماعة الحسن الخروج فأجابهم ، ولكنه اسر سنه ٣٠٧ هـ ، ومات بحبسه (گرديزى ٢٧ ـ ابن الأثير ٦/١٦٤ ـ ١٦٥)

(٥٧) قال ابن الاثير إن الأمير نصر طلب من الحسين بن على ماء/فأتى بماء فى كوز غير حسن الصنعة ، فقال الحسين بن على لأحمد بن حمويه .... كما ذكر اسم ليلى الديلمى وليس ليلى بن نعمان (الكامل ٦/ ١٤٩)

(٥٨) سنة ٣١٤هـ (ابن الاثير ٦/ ١٨٥)

(٥٩) ما كان بن كالى (ابن الاثير ٦/ ١٨٥) صلة تاريخ الطبرى لعريب ١١/ ١١٩ حمد الله المستوفى ٣٤)

(٦٠) سنة ٣١٥هـ (ابن الاثير ٦/ ١٨٩ ـــ صلة تاريخ الطبرى لعريب ١١/ ١٣٢)

(٦١) انظر احداث أخرى بالكامل ٦/ ١٩٥ ـــ ١٩٨ ـــ وتكلة تاريخ الطبرى لمحمد بن عبدالملك الهمذانى ٣١/ ٣٥١)

(٦٢) حكم ثلاثين سنة وثلاثين يوما (شذور الذهب ٢/ ٣٣١) كانت ولايته ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوما (ابن الاثير ٦/ ٢٩٢) مات سنة ٣٢٩هـ (حمد الله المستوفى ٣٤ ـــ النرشخى ١٢٩)

(٦٣) اضاف ابن الأثير احداثا اخرى (الكامل ٦/ ٢٩٢) .

(٦٤) اخوه أبو زكريا (الكامل ٦/ ٢٨٢) .

(٦٥) انظر گرديزى ٣٢ ـــ ابن الأثير ٦/ ٢٩٣ ـــ ابن كثير ١١/ ٢٠٦ ـــ النرشخى ١٢٩ .

(٦٦) انظر الكامل ٦/ ٢٩٣ ـــ النرشخى ١٢٩ .

(٦٧) أورد ابن الاثير هذه الأحداث ضمن احداث سنه ٣٣٣هـ (الكامل ٦/ ٣١١) .

(٦٨) انظر تكلة تاريخ الطبرى لمحمد بن عبدالملك الهمذانى ١١/ ٣٥١ .

(٦٩) ناحية مشهورة يقال لها قهستان ، شرقها مفازة خراسان وفارس وغربها آذربيجان وشمالها بحر الخزر وجنوبها العراق وخوزستان (آثار البلاد ٣٤١) .

(٧٠) انظر زين الاخبار گرديزى ص ٣٣ ـــ الترجمة العربية ٢٤٨ ـــ ٢٤٩ .

(٧١) عارض ـــ ميرعرض ـــ مير بخش (المسئول عن رواتب الجيش ومايتعلق بأمور الجيش ـــ شتايجس ٨٢٩ ـــ ٨٤٣ ـــ ١٦٠) .

(٧٢) انظر زين الأخبار ٣٣ ـــ الكامل ٦/ ٣١٨ .

(٧٣) انظر زين الاخبار ٣٤ .

(٧٤) انظر تاريخ گزيده ٤٦ .

(٧٥) انظر زين الاخبار ٣٤ ـــ ابن الاثير ٦/ ٣٢٠ ـــ تكلة تاريخ الطبرى ١١/ ٣٦٦) .

(٧٦) توفى عماد الدولة الديلمى بشيراز فى جماد الآخرة ، ولم يكن له ولد ذكر فأرسل إلى اخيه ركن الدولة الذى انفذ ابنه عضد الدولة (الكامل ٦/ ٣٣٢) .

(٧٧) انظر زين الأخبار ٣٥ ـــ ابن الأثير ٦/ ٣٣٨ .

(٧٨) قلعة حصينة فى جرجان .

(٧٩) انظر زين الأخبار ٣٦ ـــ ٣٧ ـــ ابن الأثير ٦/ ٣٤٤ .

(٨٠) انظر تاريخ بخارى ١١٦ .

(٨١) وردت خطأ بالمخطوط ٢٤٠هـ (روضة الصفا ١٦) والصواب ٣٤٣هـ (گرديزى ٣٦ ـــ النرشخى ١٢٩) .

(٨٢) مات فيه من الخلق مالا يحصى ، وكان فيمن مات أبوعلى بن محتاج الذى كان صاحب جيوش خراسان ، ومات معه ولده (گرديزى ٤٠ ـــ تكلة تاريخ الطبرى ١١/ ٣٨٠ ـــ ابن الأثير ٦/ ٣٤٨ ـــ ابن كثير ١١/ ٢٢٨) .

(٨٣) انظر الكامل ٦/ ٣٤٨ .

(٨٤) لعبه الجوگان ــ اى البولو ــ كان اللاعبون فيها يضربون الكرة وهم يركضون بخيولهم وعليهم ان يقذفوها فى ضربتين خلال حافتين مثبتتين بأوتاد الواحدة خلف الأخرى وتستلزم هذه اللعبة مرونة فى الجسم أكثر مما تستلزمه لعبة جريد التركية (تاريخ بخارى فامبرى حاشية ص١١٧) وورد فى تكلة الطبرى (تمطر فرس عبدالملك بن نوح فات) ١١/٣٩٢ .

(٨٥) قيل انهم لقبوه بالرشيد (گرديزى ٤٢) مات سنة ٣٤٥ (حد الله المستوفى ٣٦ انظر أيضا ابن الأثير ٦/٣٥٩ وابن كثير ١١/٢٣٨) .

(٨٦) لقب بالرشيد وابو الفوارس والمؤيد والموفق (حد الله المستوفى ٣٦) .

(٨٧) الپگتين كلمة مركبة من (الپ) بمعنى البطل ، و(تگين) بمعنى المسمى والكلمة الأخيرة صحتها تكن أوتگن أوتين لا تزال تروج كاسم علم بين التركمان وتلحق لفظ تگين بكثير من الأسماء التركية مثل قره تگين ــ نوشتگين ــ اينالتگين سبكتگين (انظر تاريخ بخارى فامبرى حاشية ١١٧ وتاريخ گزيده ٣٦) .

(٨٨) اورد گرديزى ان الپتگين قد رد على اركان الدولة أن يولوا الأفضل ثم علم انهم اجلسوا منصور بن نوح .... (زين الاخبار ٤٣) .

(٨٩) كان هذا سنة ٣٥١هـ (ابن الاثير ٧/٥) .

(٩٠) محمد بن سمجور (تكلة تاريخ الطبرى ١١/٤١٠ ــ حد الله المستوفى ٣٨) .

(٩١) انظر الكامل ٧/٢٣ ــ تاريخ بخارى فامبرى ١١٧ .

(٩٢) ورد انه توفى فى منتصف شوال ٣٦٦هـ (الكامل ٧/٨١) انظر ايضا گرديزى ٤٧ ــ حد الله المستوفى ٤٠ ــ ٤٢ .

(٩٣) طلب عضد الدولة من بختيار أن يسير عن العراق إلى أى جهة اراد ، فاختلف اصحاب بختيار عليه فأجابه بضعف نفسه ، فأنفذ اليه عضد الدولة خلفه وخرج من بغداد إلى الشام ، وسار عضد الدولة إلى بغداد فدخلها ، وخطب له بها ، ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد ببغداد ، وضرب على بابه ثلاث نوب ، ولم تجر بذلك عادة من تقدمه (ابن الاثير ٧/٩٠ ــ ٩١ ــ ابن كثير ١١/٢٨٩) .

(٩٤) انظر الكامل ٧/١٠١ ــ ١٠٢ ــ ابن كثير ١١/٢٩٥ .

(٩٥) انظر تاريخ گزيده ٤٤ ــ تاريخ بخارى فامبرى ١١٨ .

(٩٦) انظر ابن كثير ١١/٣٧١ .

(٩٧) انظر زين الاخبار ٥١ .

(٩٨) انظر تاريخ گزيده ٤٢ .

(٩٩) راجع الكامل ٧/١١٨ .

(١٠٠) توفى عضد الدولة ٣٧٢هـ ومؤيد الدولة ٣٧٣هـ (ابن الاثير ٧/١١٣ ــ ١١٧) .

(١٠١) جرجان ودهستان واستراباذ (ابن الأثير ٧/١١٨) .

(١٠٢) انظر تاريخ بخارى فامبرى ١١٨ ــ ١١٩ .

(١٠٣) انظر احداث ٣٧٣هـ (ابن الأثير ١١٨ ــ ١١٩ ــ حد الله المستوفى ٤٤ تاريخ بخارى فامبرى ١١٩) .

(١٠٤) انظر زين الاخبار ٥٣ ــ حد الله المستوفى ٤٦ .

(١٠٥) انظر تاريخ بخارى فامبرى ١٢٠ .

(١٠٦) انظر زين الاخبار ٥٦ .

(١٠٧) انظر زين الاخبار ٥٦ ــ ٥٧ تاريخ گريده ٥٠ ــ تاريخ بخارى فامبرى ١٢٢ .

(١٠٨) كلمة شار لقب امراء غرجستان (شتايجس ٧٢٢) .

(١٠٩) ترد الكلمة جرجان ــ جورجان ــ گرگان .

(١١٠) انظر زين الاخبار ٥٧ .

(١١١) ربيع الاول ٣٨٥هـ (ابن الاثير ٧/١٦٤) .

(١١٢) انظر تاريخ بخارى فامبرى ١٢٢ .

(١١٣) هزا راسب ــ مدينة كبيرة وقلعة حصينة بارض خوارزم والماء يحيطها وهي كالجزيرة ليس لها إلا طريق واحد (آثار البلاد ٥٦٧) .

(١١٤) « اساس توبه كه در محكى چوسنگ نمود
بين كه جام زجاجى چگونه اش بشكست »

(١١٥) سنة ٣٨٥هـ (ابن الأثير ٧/١٦٩) .

(١١٦) مات سنة ٣٨٥هـ (ابن الأثير ٧/١٦٩) ٣٨٧هـ (حمد الله المستوفى ٥٢) .

(١١٧) أورد ابن كثير أن نوحا هو آخر ملوك السامانية (البداية والنهاية ١١/٣٢٣) (انظر زين الأخبار ٥٨ ــ ابن الأثير ٧/١٨٤) .

(١١٨) انظر زين الاخبار ٥٩ ــ ابن الأثير ٧/١٨٥ .

(١١٩) انظر الأحداث تاريخ گزيده ص ٥٦ .

(١٢٠) مات سنة ٣٨٩هـ (حمد الله المستوفى ٥٦) .

(١٢١) سنة ٣٨٩هـ (حمد الله المستوفى ٥٨) وايلك خان يدعى أبو نصر أحمد بن على ولقبه شمس الدولة (ابن الاثير ٧/١٩٧) .

(١٢٢) « عرش است نشيمن تو شرمت نايد .. كانى ومقيم خطة خاك شوى »

(١٢٣) انظر أحداث ٣٩١هـ (ابن الأثير ٧/٢٠٩ ــ ٢١٠) .

فصـــل

في بيـان أحوال الأمير ناصر الدين سبكتگين وسلطنة أولاده الذين يطلق عليهم الملوك الغزنوية(١)

(المخطوط ص ٢٠ ــ ٤٤)

كـان الأمير نـاصر الـديـن غـلاما تركى الأصل ، وكان مملوكا لألپتگين صاحب جيش خراسان(٢) وكان ناصر الدين متصفا بفيض الفضل الألهى ، متميزا بقوانين السلطنة والملك فهو يوم الوغى كالأسد في عنفه ، وعند العطاء كالسحاب في كرمه ، جواداً كالسحاب في كرمه على القوى والضعيف ، مضيئا كالشمس على الوضيع والشريف سخيا كالبحر في عطائه ، يعطى بلاتوان ، وفي شجاعته كالسيل الذى لايهمه تلاطم الأمواج وارتفاعها ، رأيه في ظلمه الحوادث كـالنجم الهادى ، وسيفه كالقضاء في مفاصل العدو ، آثار النجابه والشهامة ظاهرة وواضحة في شمائله ، دلائل اليُمن والسعادة بارزة في حركته وسكونه .

يقول أبو الحسن الخازن : ان نـاصر الـديـن قد وصـل إلى بخارا في أيام دولة نوح بن منصور(٣) السامانى(٤) مع أبى اسحق الپتگين(٥) ، الذى كان صاحبا لجيش خراسان ، عمل بحجابة أبى اسحق وحل وعقد أمور الأتباع والحشم والخدم(٦) ، وعندما ارسلوا أبا اسحق إلى غزنين ، وأحالوا اليه ولاية هذه النواحى سلم مقاليد ترتيب وتدبير الأعمال ، وتقرير وتقدير أمور الولاية المذكورة للأمير ناصر الدين(٧) ، لرأيه الصائب وفكره الصادق ، وعندما وصل أبو اسحق إلى غزنين لبى دعوه الحق بعد فترة وجيزة ، ولم يكن من بين أهله(٨) من هو جدير بمنصب القيادة والحكومة .

تشاور أعوان وأنصار أبى اسحق بشأن الشخص الذى يمكن أن يكون له يد بيضاء على الجيش والرعية ، وأصابت قرعة الاختيار الأمير ناصر الدين سبكتگين ، ورضوا جميعا بزعامته ورئاسته ، وعقدوا البيعة له ، وأحل ناصر الدين الجميع فى ظل حمايته ورعايته ، وقام بالأمور كما يجب ، وأقر كل شخص على مالديه من اقطاع(٩) .

توجه ناصر الدين بعد ذلك للقضاء على أعداء الدين ، وجعل ناحية الهندوستان ، وكانت مقاما لأعداء الاسلام ، وموطنا لعبدة الأوثان والأصنام ، دارا للغزو ، وكان يغزو أطراف وأكناف مملكة الكفرة الفجرة(١٠) باستمرار ، وأخمد نيران الشرك التى كانت تتأجج من معابد الهنادكة ، بطعنات السيف البتار ، ونثر تراب معابدهم ومعاهدهم فى الرياح ، وأسس مكانها المساجد ، وكان صبورا فى الشدائد والمحن إلى درجة تعجز عنها قوة البشر ، وكثيرا ماوقع فى محن ومآزق ليس فيها نجاة الا بتأييد ولطف الملك المنان .

وذات مرة اراد أن يعبر عن أحداث سفره وأن يخبر عن سيرة أحواله ، قال : عندما كنت فى مواجهة هؤلاء الملاعين ، وكانوا متفوقين علينا بكثرة العدد والعتاد وكنا أقل منهم بكثير ، وطالت مدة الجهاد ، ولم يبق لدينا زاد ، وظل طريق المدد مغلقا وبقينا فى متاعب هذه الشدة ومصائب هذه الكربة ، وضعف رؤوس القوم ووجهاء الأتباع لعدم وجود القوت ، وتضرعوا إلى السماء بسبب فقدان الطعام ، ولم يكن لدينا مناص إلا أن نقتسم كل شىء بسيط بالمطبخ وواصلنا النهار بالليل والليل بالنهار بما يسد الرمق وقضينا مدة على هذا المنوال حتى نصرنا الله(١١) ، وحققنا الوعد الذى تعاهدنا عليه على أن نعلى كلمة الحق وصار هؤلاء الملاعين بعضهم طعاما للسيف والأخرون فى قيد الأسر ، وارتدى جماعة لباس الخزى والخسران ، وعاد المجاهدون منتصرين ظافرين إلى أوطانهم .

فتح بست فى شهور سنة سبع وستين وثلاثمائة(١٢)
وهذا التاريخ يعد بداية دولة الغزنويين

كان والى هذه المنطقة والذى يحكم تلك القصبة شخص يدعى طغان ، وأثناء ولايته خرج شخص يدعى بايتوز(١٣) ، ولم يكن لدى طغان طاقة لمقاومته ، وأخلى عاصمة الولاية مضطرا ، واحتمى بالأمير ناصر الدين ، وطلب منه المعونة لكى يسترد ولايته من العدو ، وقبل تأدية الخدمة ، والتزم بارسال المال إلى الخزانة سنويا ، كما أنه انتظم فى سلك تابعيه ليكون تحت أمره وقتما شاء ، وقام بأداء الخدمة ، وترك ابنه رهينه فى خدمته ، ولهذا قبل ناصر الدين دعوة طغان ، ونزل بجيش جرار بظاهر بست ، وأبدى الجانبان شجاعة فى هذا القتال ، وهجم

الأمير ناصر الدين بقلب جيشه ، وفرق جيش العدو في حارات المدينة وقتل طائفة ، وفر الآخرون مهزومين ، وعاد طغان إلى مقر حكمه ، وقدم الشكر والهدايا للأمير ناصر الدين ، ونكث بالوعد الذى كان قد قطعه على نفسه ، وأغفل أداء المال المقرر ، وظهرت عليه مخايل المكر والخديعة (١٤) ، وذات يوم كانا (١٥) مجتمعان فى صحراء ، وطالبه ناصر الدين بما عليه بحدة ، فرد عليه رداً غير مناسب ، المهم انتهت المشكلة بأن سحب طغان السيف ، وأصاب يد ناصر الدين بجرح ، وعندما رأى ناصر الدين هذه الوقاحة ، وأصاب يده بجرح طعن طغان ، وهم بضربة أخرى لكن الجيشان اشتبكا ، وحال ازدحام الفريقين عن نيل المقصود ، وأصدر الأمير ناصر الدين أمرا بأن يخرجوا طغان واتباعه من هذا الأقليم (١٦) .

وخلال ساعة واحدة من ذلك اليوم استخلص هذه البلاد ، ونجا طغان و بايتوز برأسيهما ، وفرا إلى كرمان ، ولم يعد أى منهما يرى وجه المُلك مرة أخرى ولو فى حلمه .

وكان أبو الفتح البستى من عداد أفاضل هذه البلاد حين وصلها الأمير ناصر الدين وكان (البستى) لامثيل ولانظير له فى جميع الفنون خاصة فن البلاغة والبراعة ، فى عصره ، وكان كاتبا لبايتوز ، وعندما طردوا بايتوز من هذه الولاية اختفى ، وأخبر جماعة الأمير ناصر الدين عن مكانه وأحواله فأمر باحضاره ، وعندما جاء أبوالفتح إلى البلاط ، نال الرعاية والعناية ، وأمر ناصر الدين بأن يكون فى نفس العمل الذى كان يؤديه لبايتوز طالما هو فى خدمته ، يقول الشيخ أبوالفتح البستى : لما كان الأمير ناصر الدين قد عيننى بمنصب الكاتب وخصنى بهذا الشرف فان ديوان الرسائل وهو خزينة الأسرار سيؤل إلىّ ، وأعتقد أن السلطان لم يطلع بقدر كاف على أحوالي كما أننى كنت مخدوما لعدوك ، فلو فكر حاسد بشر فربما يصيب سهم فساده الهدف ، واننى أرى أن الانسان لايمكن أن يصل إلى هذا المنصب إلا اذا أراد الله ، ولكننى أرى من الصواب أن يسمح لى بخدمته عدة أيام ، وأن أظل بمكان يحدده لى فى كنف عنايته إلى أن يخلصنى الله مما علق بنفس من مهام بايتوز ، واسعد بشرف الولاء ، وأصبح أهلاً لهذا المنصب ، وأكون مبرأ من وصمة الشك (١٧) .

وأصاب هذا القول هوى الأمير ناصر الدين ، فأمر بأن اتوجه إلى ناحية رخج (١٨) وانتظر وصول الأمير ، وعندما يستدعينى أتوجه اليه ، وتوجهت إلى هده الناحية ، واسترحت فترة فى ظل ظليل حتى وصلنى أمر استدعاء السلطان ، واسرعت للخدمة ، ووجدت من بين ألطافه ماوجدت ، وحظيت بديوان الرسائل الذى فوضت عليه من بداية دولة السلطان محمود إلى أن مالت عنه الأسباب ، وسقط فى بلاد الترك ، ووصلت شمس حياته إلى حد الأفول والزوال .

فتح قصدار وبعض غزوات الأمير ناصر الدين التى وقعت فى نواحى الهند

كانت هذه المنطقة تقع بجوار مملكة ناصر الدين ، وكان واليها مغرورا بحصانة قلاعها ، ومسرورا بخصب ورفاهية بقاعها ، فقاد الأمير ناصر الدين الجيش ، وحاصره ، وأجبره على خدمته ، وبعد ذلك أكرمه لأخلاقه الحميدة ، وأقره على ولايته بشرط أن يرسل المال المقرر سنويا إلى خزانته ، ويسك الدنانير ، ويزين المنابر بألقاب الأمير ناصر الدين فى ولايته(١٩) .

وبعدما فرغ خاطره من أمر قصدار(٢٠) عزم غزو الكفار ، وتوجه إلى الهندوستان وفتح عده قلاع ، لم تكن رايات الأسلام قد بلغتها فى الأيام الخوالى ، وعندما رأى جيبال حاكم(٢١) ممالك الهند أن يد المجاهدين قد تطاولت على مملكته ، اضطرب ، ولم ينم له طرف ، وأدرك أنه اذا لم يتدارك الأمر فإن الملك الموروث عرضة للزوال وجمع مضطراً الأعوان والانصار ، وتوجه إلى بلاد الاسلام واثقا من قدرته وقوته ، ومغرورا بكثرة جيشه وغلبة اتباعه ، عندما بلغ لمغان ، وعلم الأمير ناصر الدين بهذا الأمر ، جمع جيشا ملأ السهل والجبال ، وخرج بهذا الجيش الكثير والجمع الغفير من غزنين ، وبلغا حدود مملكتيهما ، وتشابكا ، وتقاتلا قتالا إلى درجة أن صارت الأرض مخضبة من دماء القتلى ، ومل الأبطال من الجيشين والشجعان من البلدين القتال ، وأوشكا على الانكسار ولكن السلطان يمين الدولة محمود على الرغم من صغر سنه ، فان آثار الشجاعة والبطولة بدت عليه وأدرك أن عقول الأعداء قاصرة عن تحقيق النصر ، وكان بالقرب من جيش هؤلاء الملاعين عين ماء ، ولما كانت هذه العين لا تقبل نجسا ولاقذرا ، واذا القى فى هذه العين القاذورات تحدث صاعقة عظيمة ، وتهب الرياح الشديدة ، ويحدث صقيع شديد ، فأمر ناصر الدين بأن يلقوا فورا فى العين القازورات ، وأظلمت الدنيا ، وبلغ البرد درجة أن تجمد الدم فى العروق(٢٢) ، ولم يصبح لدى الهنود طاقة الاقامة ، وأدركوا أن الموت قد حل ، ففتح جيبال باب التضرع والابتهال ، والتزم بأن يقدم فدية ويرسل سنويا مبلغا كبيرا ، وقدم عدة أفيال وطلبات أخرى كان قد طلبها ناصر الدين ، وأن يكون حكمه نافذا فى ممالك الهند(٢٣) .

وقبل الأمير ناصر الدين لكرمه الذى جُبل عليه ؛ الصلح ، لكن يمين الدولة محمود رفض ، وقال : إن المصالحة مع هؤلاء الملاعين يأباه الدين ، وأصر على الرفض ، فعاد رسول جيبال مستاء مما سمعه من يمين الدولة ، ولما كان جيبال ليس لديه مناص فقد ارسل متضرعا متذللا رسولا :

« طالما طلبوا الأمان فأمنهم »
« لأن السلام أفضل من الحرب »
« فلتتعطف عليهم من الذلــــة »
« لكى لايهلكوا جميعـــــا » (٢٤)

وكانت خلاصة رسالته « انك تعلم جهل وتعصب المنادكة وتعرف أنهم لن يتوانوا فى قتل انفسهم وقت الشدة ، فان كان سبب الرفض للمصالحة الطمع فى أموالنا وجوار ينا وذراريـنا وافيالنا ، فانه عندما ينقطع طريق الخلاص وأمل النجاة ، فان كل ماهو فى أيدينا وما نملك نلقيه فى النار، ونقتل انفسنا ، ولن يبق منه سوى التراب والرماد » (٢٥) .

وعندما لم يدرك الأمير ناصر الدين مدى صدق جيبال ، استعطف يمين الدولة محمود بأن ينحى فكرة الانتقام من رأسه وقرر أن يقوم جيبال بتقديم ألف ألف درهم وخمسين فيلا فدية ، و بعد ذلك يترك عدة مدن وقلاع من بلاد الهند تحت تصرف ولاة الأمير ناصر الدين ، وأن يرسل بعض وجوه ومعارف جيشه رهينة حتى يفى بوعده ، وأن يصحب جيبال جماعة من الجيش الظافر، ليسيطروا على هذه البلاد والقلاع .

بناء على هذا عقد الاتفاق ، وانفصلا عن بعضهما ، وعندما قطع جيبال عدة مراحل ووصل إلى مأمن ، واستقر وسط مملكته ، ز ين له خبث اعتقاده ، نقض العهد واظهار الخلاف ، ولم يسمح للجماعة التى كانت قد ذهبت لحكم البلاد المشروط بتسليمها بالانصراف ، ولم يسلمهم ولاياتهم ، وقال : لن أدع هذه الجماعة حتى يترك ناصر الدين الجماعة التى أخذها رهينة ، وفى البداية بلغ هذا الخبر ناصر الدين فظنه من جملة الأراجيف ، وعندما برزت حقيقة غدر جيبال من حجاب الشبهة ، اشتعلت نار الغيرة والتهبت ، وصمم على الانتقام ، وأعد الجيش ، وتوجه صوب هذا الغادر الفاجر، ولم يدع لحظة تمر دون قتل ونهب وأسر فى كل مكان وصل إليه ، وخرب المعابد ، و بنى محلها المساجد ، و بلغت بشارة هذه الفتوح مسامع الأقاصى والأدانى ، واستولى على لمغان(٢٦) من بلاد جيبال ، وكانت عامرة ، وعاد إلى دار غزنين بعد أن أتم هذه الفتوحات . (٢٧)

وعندما رأى جيبال إشراف ممالكه على الزوال ، أرسل رسائل استغاثة إلى جميع ممالك الهند ، وطلب المعونة والمساعدة ، وجمع قرابة مائة ألف رجل ، وتوجه إلى بلاد الاسلام ، وعلم الأمير ناصر الدين بهذا الأمر، فتوجه بقلب قوى وأمل كبير إليه ، وعندما ضاقت المسافة بين الجيشين ، صعد الأمير ناصر الدين على تل يشرف على هؤلاء الملاعين ، ليطلع على أعدادهم ، وكيفية إعدادهم فرأى بحراً بلا شاطئ ، وجيشاً كالنمل والجراد فى كثرته ، ولكن وجد نفسه مثل الأسد الذى لايجد فرصة للتفكير من كثرة الصيد(٢٨) ، ومثل ذئب انبهر بالقطيع ،

فجمع قواد الجيش وشجعان العسكر، ووعدهم جميعاً بمزيد من الاقطاعات، ورغبهم وحرضهم فى القضاء على هؤلاء الملاعين.

وأصدر أوامره بأن يتناوب خمسمائة مقاتل من المقاتلين الشجعان الحرب، و يتبع كل جماعة من هؤلاء جماعات، و يقاتلون بشجاعة بموجب أوامره، حارب كل خمسمائة شخص بقدر المستطاع، وحل محلهم خمسمائة آخرون فى القتال، حتى اثخنوا المشركين، وحينئذ هجم حماة الاسلام بكامل هيئتهم، وأرسلوا خلقاً من هؤلاء المهزومين إلى جهنم، وتفرق من تبقى من السيف مهزوما، وسقطت غنائم لا حصر لها فى يد المسلمين، ودخلت معظم بلاد الهندوستان تحت سيطرة الأمير ناصر الدين، وطرزت القابه الميمونة خطبة وسكة هذه النواحي، وانخرطت جماعة الأفغان والخلج(٢٩) الذين كانوا فى هذه البلاد وأطرافها فى سلك جيش الأمير ناصر الدين، و بعد ذلك تنفس المنادكة الصعداء، ورضوا أن يعيشوا فى أمان بأقصى البلاد، ليتمكنوا من العيش فى اطمئنان من اعتداء المسلمين.

ولما فرغ فكر الأمير ناصر الدين من ضبط ممالك الهند، توجه باستدعاء الأمير الرضا أبى القاسم نوح بن منصور السامانى إلى خراسان وما وراء النهر ليقدم المساعى المشكورة فى نصرته ومعاونته، وطبقا لما خطه القلم، و بعد أن انتظم أمر الملك والدين بيمن رعايته، فقد خرج هادم اللذات من مكمنه فى كتيبة، وأسرع الأمير المجاهد الغازى ناصر الدين سبكتگين إلى فراديس الجنان فى شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة(٣٠)، رضوان الله عليه.

سلطنة الأمير اسماعيل ابن الأمير ناصر الدين وماوقع بينه و بين أخيه سيف الدولة محمود.

ولى الأمير ناصر الدين سبكتگين ابنه الأمير اسماعيل ولاية العهد فى أيام المرض(٣١)، وفوضه على أهله وعياله وحكم ماخلفه، وعندما وصله الوعد الحق عقد كافة أعيان الدولة وجميع الجيش والخدم العزم على خدمته، وأنفق خزائن ودفائن أبيه على طبقات الجيش، وعلى الرغم من كل ما أنفقه على الجيش لكنهم تطاولوا طمعا فى المزيد، ولم يستطع أن يكفى طمعهم وطلباتهم حتى وصل الأمر إلى درجة أن ضاق الأمر باسماعيل، ولم يستطع القيام بالسيادة ضعفا. (٣٢)

ولما علم سيف الدولة بما حدث لأبيه، وكان يستعد للغزو فكتب رسالة عزاء إلى أخيه، وأرسل أبا الحسن حمولى برسالة إليه وسلمه الرسالة التى تقول: « إن الأمير ناصر الدين أفاض الله عليه شآبيب الغفران، لأنه كان حافظا للنوائب وقاصما لظهور الحوادث، قد

رحل ، ولا يوجد لدىّ الآن من هو أفضل منك من بين الناس وكل ما أتمناه لك حسن البصيرة ، فلا تأسى فى الحكم وخزائن الممالك وسائر الجيش ، لأن كبر السن وتجارب الأيام والوقوف على وثائق القيامة ومعرفة مقدار الحشم هى الأصل المبين والحبل المتين لثبات الملك ودوام الدولة ، فطالما أنت أهل لمباشرة هذا الأمر ، وصالح لهذا العمل الكبير ، فاننى أكون دائما راضياً ومطيعا ، مع أن أبى قد أوصى فى غيبتى ، بسبب بُعد المسافة وخشية سريان الآفة وتفرق الجمع وتشتت الحال ، والمصلحة هى أن تبصر بعين البصيرة وتعرف درجة الصواب من الخطأ ، وما هو من حطام الدنيا قسمه على بمقتضى الشريعة ، فدع لى غزنين التى هى مطلع السعادة ومنشأ السيادة ومستقر أولياء الدولة ، حتى أخلص لك ولاية بلخ وأقر لك بامارة وزعامة خراسان (٣٣) .

لم يصغ الأمير مسعود بسمع الرضا لهذه الكلمات الطيبة ، وأصر على العداء وسلوك طريق النزاع ، وانتظر الأمير سيف الدولة محمود على طريق هذا الأمر و بصدد هذا الحال وكلما أراد الوصول إلى المقصود ، لم يتمكن ، وفى النهاية ، اطلع على مضمون القول « آخر الدواء الكى » (٣٤) وفكر فى القضاء على أخيه ، وأرسل مع أبى الحارث السامانى إلى بخارا ، يخبره أنه متوجه مضطرا إلى غزنين ، ورحل من نيشابور ، وجاء إلى هرات ، وكتب إلى إسماعيل طالبا منه أن يتبعه طوعا أو كرها ، لكن لا فائدة ولم يقطع حبل الخصومة إلا بالسيف البتار ، وتبدل العتاب والخطاب بالطعن والضرب ودعا سيف الدولة محمود عمه بغراجق (٣٥) لطاعته ، فأسرع لخدمته دون تعلل ، وسلك نصر بن ناصر الدين (٣٦) أيضا فى سلك أولياء دولة محمود دون شائبة ، وتوجه مواليا مخلصا تحت رايته .

وعندما علم الأمير اسماعيل بتوجه السلطان محمود إلى غزنين بادر بالتوجه إلى بلخ ، وأرسل أركان دولة الأمير اسماعيل ومعارفه رسائل إلى الأمير سيف الدولة يخبرونه بصفاء طويتهم ، وعندما ضاقت المسافة بين الجيشين ، سعى السفراء والرسل سعياً جديا لاصلاح ذات البين ، لكن تقدير السماء غلب ، واشتعلت نار الشر ، أمر الأمير سيف الدولة أنصاره وأعوانه بصف الصفوف ، وتقدم الأمير اسماعيل مع مواليه ومماليكه واتباع وأصحاب أبيه فى مواجهته ، ووضع على قلب وجناح الجيش الأفيال الضخمة ، وسل كلا الفريقين السيف من الغمد ، وكلما هجموا أدمى السيف الحديدى قلب المقاتلين الشجعان ، وهجم سيف الدولة بنفسه ، وتزلزلت أقطار الأرض والزمان من قوته ، وهزم جيش اسماعيل ، وتحصن خدمه فى قلعة غزنين ، وأنزله الأمير سيف الدولة من القلعة بالعهود والمواثيق ، وأخذ منه مفاتيح الخزائن واستولى على ذخائر ودفائن القلعة ، وتدارك الوهن الذى حدث وعين العمال والولاة على الأعمال ، وأعاد شحنة (٣٧) قاهر صاحب وجود لحراسة غزنين ، وكانت مطلع سعد لهذه الأسرة ، وجعل اسماعيل تحت حمايته ورعايته وجاء إلى بلخ بجيش جرار . (٣٨)

سلطنة يمين الدولة وأمين الملة محمود بن سبكتگين .

عندما فرغ السلطان محمود من أمر اسماعيل ، لم يستقر قط بمكان من أجل امتلاك امارة خراسان وزعامة الجيوش حتى بلخ ، وما كان من تدخله بين الأمير أبى الحارث منصوربن نوح وأخيه عبدالملك مشروحا ضمن قضايا آل سامان بشكل مفصل ، وعندما تطهرت بلاد خراسان من نوائب الأعداء ، و بلغت جلبة طبول دولته أطراف وأكناف العالم أرسل خليفة بغداد القادر بالله العباسى خلعة غالية لم يرسل مثلها قط أى خليفة إلى سلطان ، اليه(٣٩) ، ولقبه يمين الدولة وأمين الملة(٤٠) والتف أمراء خراسان وأعيان الأطراف فى مجلسه وعقدوا العزم على الطاعة له ، وأكرم السلطان كل واحد منهم بالهدايا العظيمة والعواطف الكريمة ، ومد بساط العدل والانصاف ، واستقرت قلوب الخواص والعوام على الولاء والوداد له ونذر أن يتوجه إلى الهند كل سنة ، و يقوم بالغزو .

وأثناء تلك الأحوال استولى ايلك خان(٤١) على ما وراء النهر(٤٢) وقبض على سلوك السامانية وأخلاقهم وأولادهم طبقا لما سبق ذكره ، وأرسل رسالة نصر إلى السلطان(٤٣) وهنأه بوراثة ملك خراسان ، وسلك سلوك الولاء والطاعة له ، وتوطدت بين السلطانين أواصر الصداقة ، وجاء السلطان خلال ذلك الولاء إلى نيشابور لدفع فتنة المنتصر وأرسل أبا الطيب سهل بن سليمان صعلوكى ، وكان إماماً للحديث ، برسالة إلى ايلك خان ، راغبا فى خطبة كريمة من كرائماته ، وأرسل بصحبته نفائس لاحصر لها وأموال من سبائك الذهب واليواقيت القيمة وعقود الدر والمرجان ، وصناديق ملابس ، وعنبر ، وأوانى فضة وذهب مملوءة بالكافور ، وهدايا أخرى من بلاد الهند من أشجار الحناء والسيوف البتارة وأفيال الحرب ، والملابس الموشاة التى تحتار العين من لمعانها والجياد السريعة بالسروج المذهبة .(٤٤)

وعندما وصل الامام أبو الطيب إلى بلاد الترك ، بالغوا فى تعظيمه وتبجيله وأقام أبوالطيب فى أوزكند حتى أتم الأمر ، وعاد محملاً بالدر والنفائس وتحف هذه الولاية من ذهب خالص وفضة نقية وجوارى الخطا وحسان الصين والسمور وكلاب البحر وتحف أخرى محبوبة ، وأسرع إلى السلطان ، وامتد بساط الصداقة فترة بين السلطان وايلك خان حتى كدرت عين صائبة أيام السعادة ، ونمّام سيء مشاريع المودة ، وتبدلت المحبة بالعداوة .

غزو بهاطيه وتوجه السلطان بعد ذلك إلى المولتان

توجه يمين الدولة محمود بعد ضبط خراسان وفتح سيستان من المولتان(٤٥) ونزل بظاهر بهاطيه(٤٦) وكان لهذه المدينة سور لاترقى النسور إلى موازاة شرفاته ، وكانوا يقيمون خندقاً

حوله مثل البحر المحيط بعدا وعرضا ، وكان حاكم هذه الديار بجيرا([47]) مغرورا بكثرة رجاله وأفياله وكل ما لديه ، وعندما شاع خبر نزول السلطان خرج مع أتباعه وأشياعه من المدينة ، وصف الصفوف فى مواجهة عساكر الاسلام ، واستمرت الحروب ثلاثة أيام بين السعداء والأشقياء وفى اليوم الرابع هجم السلطان بنفسه على قلب الكفار ، واستولى على عدة أفيال ، وانهزم كفار المدينة ، ودخلوا القلعة وملأ أتباع الدين الخندق ، ولجأ بجيرا بتبة من تباب ولايته ، وأمر السلطان جماعة من المجاهدين أن يقتفوا أثره ، وأحاطوا هذه التبة ، وطعن بجيرا نفسه بالخنجر من الخوف ، ومزق صدره .([48])

استولى السلطان وجيشه على مائة وعشرين فيلا([49]) وأموالاً لا حصر لها من غنائم الكفار ، وأضيفت هذه البلاد إلى سائر بلاد السلطان ، لكن هلك كثير من جنود الاسلام بسبب هذا السفر ، وعندما فرغ السلطان من هذا الغزو ، توجه إلى الملتان([50]) ولما كان قد وصل إلى سمع السلطان من أن والى هذه المملكة المسمى بأبى الفتح([51]) قد قام بحركات غير لائقة ، ولما كان الوقت ربيعا وتعذر اختراق بعض الطرق بسبب غزارة المطر ، أرسل السلطان رسولاً إلى جيبال([52]) ملك معظم ممالك الهند ، والتمس منه أن يمر وسط مملكته بجيش الاسلام ، ورفض جيبال التماس السلطان ، وسلك طريق التمرد وغضب يمين الدولة محمود من هذا التصرف ، ونوى الغزو وبدأ فى الاستعداد ، وأمر أن يطلقوا يد النهب والسلب والهدم والاحراق بدياره وأمصاره ، وضيقوا على جيبال حتى اضطر التوجه إلى كشمير ، وعندما رأى أبو الفتح والى الملتان ما حدث لرئيس ملوك الهند ، حمل خزائنه ودفائنه على الأفيال والجمال ، وصحبها إلى سرانديب([53]) وعندما وصل السلطان إلى الملتان ، إطلع على عقائدهم ، ووقف على معتقداتهم الفاسدة ، فحاصر المدينة التى كانت موطنا ومسكنا لهذه الجماعة ، واستولى على هذه المدينة قهراً وقسرا([54]) ، وحدد عليهم مبلغ عشرين ألف درهم فدية لعدوانهم وجزية لطغيانهم وارتكابهم المعاصى وشاعت حميته فى نصرة الدين المبين فى الآفاق ، وحل مهابة سيفه فى خاطر الأقاصى والأدانى بديار الهند ، وقطع أس الفساد والكفر والالحاد والعناد فى هذه النواحى .([55])

مخالفة ايلك خان مع السلطان محمود بن سبكتكين وهزيمته بسيف المجاهدين فى الدين وسالكى طريق اليقين .

كان بساط الصداقة والمودة ممدودا بين السلطان وايلك خان مدة ، حتى حدث فساد المفسدين فى نور وعندما وصل السلطان إلى نواحى المولتان وابتعدت راياته ، وخلت بلاد

خراسان من مهابة الشجعان ، أرسل ايلك خان سياسى تگين(٥٦) صاحب جيشه ، على رأس جيش جرار إلى خراسان ، وعين جعفر تگين والياً على دار المُلك بلخ .

وأثناء ذلك كان أرسلان جاذب مقيما فى هرات من قِبل السلطان واتجه إلى غزنين ليواجه الحادثة(٥٧) ، ويحمى هذه البلاد من اعتداء الأعداء ، وعندما وقعت هذه الواقعة توجه أرسلان إلى غزنين ، وجاء سياسى تگين إلى هرات ، وأرسل حسن بن نصر إلى نيشاپور للاستيلاء على الأموال ، وسلك جماعة من أعيان خراسان طريق مصادقة وموالاة الأعداء بسبب امتداد أيام غيبة السلطان وانقطاع الأخبار وكثرة الأكاذيب ، وقام أبو العباس فضل بن أحمد بحفظ الممالك ، وضبط نواحي البلاد من غزنين وحتى باميان ، وسلم مداخل ومخاج هذه النواحي لرجال أكفاء وحراس أشداء ، وأرسل الرسل إلى الملتان وأخبرا السلطان بالحقيقة ، فأهمل السلطان أمر هذه النواحي ، ونزل بغزنين خلال عدة أيام ، وجمع جيشا جرارا وعساكر كثيرة مثل بحر مائج ، وتوجه إلى بلْخ ، وفر جعفر تگين هارباً كالشيطان الذى لاحول له إلى ترمذْ ، وأرسل السلطان ارسلان جاذب على عشرة آلاف رجل لقطع الطريق عليه ، وأثناء ذلك وصل سياسى تگين إلى شاطئ جيحون فوجد النهر هائجا ، فسار على الشاطىء ، ووصل إلى ماوراء النهر مسرعاً عبر الصحراء ، ولما كان الهواء حاراً جداً والآبار مطموسة ، توجه إلى سرخس ، وقطع محسن بن طارق طريقه ، فانتصر سياسى تگين على محسن ، وفرق جمعه ، وهلك الكثير من الجانبين ، ولم يتوقف سياسى تگين فى سرخس بسبب اتباع ارسلان ، وتوجه إلى أبيورد ومن هناك توجه إلى نيشابور ، وتعقبه ارسلان جاذب فى كل مرحلة رحلها ، و بسبب كثرة الارتحال والتنقل ، و بسبب الحراسة فى كل مكان تلف كثير فى هذه الهزيمة ، وتعقبه ارسلان جاذب ، و بلغ اتباعه جرجان وأطلق الوكلاء يد النهب والقتل ، وأصاب أصحابه وأتباعه بنكاية عظيمة ، ولجأ جماعة من رجاله بشمس المعالى قابوس ، وجاء من طريق دهستان إلى نسا ، وأرسل بقايا أملاكه إلى على بن مأمون خوارزمشاه فبالغ فى الحفاظ عليها ، واتجه من طريق صحراوى إلى مرو ، وانتظر السلطان ارسلان فى مرو ، وعندما علم أن سياسى تگين متوجه من طريق صحراوى توجه صوبه ليقبض عليه ، وسقط فى شرك الانتقام .

وعندما قطع يمين الدولة ثلاثة منازل ، كان سياسى تگين قد سبقه ، فأرسل السلطان أبا عبدالله الطائى بجيش العرب خلفه ، ولحق أبو عبدالله وجيش العرب بسياسى تگين فى وسط الصحراء لم يكن بها ماء سوى لعاب الشيطان ، ولا يبدو فيها خضرة إلا على صفحة السيف ، فأغمد السيف فى جيشه ، وأسر أخاه مع سبعمائة شخص من الجيش ، وأمر السلطان بأن يحمل كل واحد معه ما أسره إلى غزنين وعبر سياسى تگين مع عدد محدود النهر ، والتحق بايلك خان .(٥٨)

لم يستقر لايلك خان قرار، فأرسل رسالة استغاثة إلى قدرخان ملك الختن وطلب المساعدة، واستدعى قدرخان جيشه من أقصى الممالك، واجتمع جيش تركستان وما وراء النهر، ورافق ايلك، وعبر ايلك النهر بمساعدته، ووصل خبر هجومهم على طخارستان إلى يمين الدولة محمود، فاتجه إلى بلخ ليقطع حبل الأمل لهؤلاء الغرباء والأفغان وجيش الغز، ونزل بمكان فسيح على مسافة أربعة فراسخ من بلخ، وترك ايلك خان وقدرخان فى مواجهة السلطان، واشتبك الفتيان من الجانبين فى ذلك اليوم حتى أسدل الظلام أستاره، وانفصل كل منهم عن الآخر.

وفى اليوم التالى دق ترك رومى طبول الهجوم، واعتنى السلطان بحال جيشه الظافر، وجعل أخاه الأمير نصر ووالى جوزجان وأبا نصر فريغونى وأبا عبدالله الطائى على قلب الجيش، وأرسل التونتاش حاجب على الميمنة، وفوض إدارة الميسرة لأرسلان جاذب، وأحكم القلب بخمسمائة فيل، ووقف ايلك خان بنفسه على القلب، وعين قدرخان على الميمنة وسلم الميسرة لجعفر تگين، وفجأة اشتبك الجيشان وبلغ صهيل الجياد آذان السماء، وأظلمت الدنيا من غبار حوافر الدواب، وارتفع الصياح والنواح فى مأتم الراحلين، وجرى نهر دم فى تلك الصحراء من كثرة القتلى. (٥٩)

كان ايلك خان قد جعل على مقدمة جيشه خمسمائة غلام تركى من حملة السهام، الذين يمزقون حتى الشعرة بنصل سهامهم، حتى أحدثوا صدعا فى هذا الجيش بسبب طعناتهم، وعندما رأى يمين الدولة شدة الجيوش التركية فى القتال، توجه إلى اعتاب السلطان الذى لا وزير ولا ستير له، وصعد تلا، وخفض الجبين متضرعا، وطلب النصر والظفر من جلال عظمته، ونذر تقديم الصدقات، والتزم بالاحسان، وركب على فيل خاص، وهجم على قلب ايلك خان بعزم ثابت ونية خالصة، هجم الفيل على صاحب راية ايلك، وقذفه فى الهواء، وجذب خلقا كثيرين بخرطومه من فوق الجياد، ووضعهم تحت قدمه، ومزق جمعا بأنيابه، وانتهز أولياء الدولة الفرصة، وهجموا، وأفنوا الأعداء بالسيف والسنان، وترك جيش الأتراك أموالهم خوفاً على أرواحهم وفروا، ولم يبق لهم أثر فى هذه الناحية، وسقطت غنائم كثيرة فى هذه المعركة بأيدى جيش السلطان، وقد وقعت هذه الواقعة فى شهور سنة سبع وتسعين وثلثمائة. (٦٠)

وعندما فرغ خاطر يمين الدولة من أمر ايلك خان، توجه إلى بلاد الهند، ليؤدب نواسه شاه (٦١)، وهذا الشخص كان واحدا من أولاد ملوك الهند، رباه السلطان، وكان قد تركه نائبا له فى بعض بلاد الهندوستان، وأثناء غيبة السلطان خرج عن الاسلام وارتدى رداء الكفر وصار مرتدا، وبمجرد توجه السلطان إليه فر من هذه البلاد (٦٢)، وعادت تلك الولاية مرة ثانية فى حوزة ولاة السلطان.

توجه السلطان محمود إلى قلعة بهيم غاز يا

عاد السلطان محمد بعد هذين الفتحين المؤزر ين إلى غزنين ، وارتاح عدة أيام من تعب ومشقة السفر، ثم توجه إلى بلاد الهند ليرفع أعلام الاسلام فى تلك البلاد و ينكس راية الكفر. (٦٣)

وعندما وصلت راية النصر إلى ساحة الهند ، جاء بال بن آندبال (٦٤) بجيش جرار لمواجهته ، ومنذ أن طار نسر الصبح من عش الأفق وحتى أسدل الليل سدوله ، كانت نيران الحرب مستعرة حتى قتل وجرح جمع لا حصر له فى هذه المعركة ، وكاد حزب الشيطان يفوز على جيش الرحمن ولكن لما كان قد وعد الحق فى اعلاء كلمة الاسلام فإن السلطان قد هجم مع غلمانه الخواص ، ورأى الكفار علامات القيامة ، فسلكوا طر يق الفرار، ووقع ثلاثون فيلا فى هذه المعركة فى يد السلطان ، وهجم يمين الدولة بالنفس والنفيس على الأعداء وسقط خلق كثير من أهل الشقاق والنفاق على الأرض .

وحاصر السلطان قلعة بهيم (٦٥) وكانت هذه القلعة قد بنيت على قمة تل عال يحيط به المياه ، و يعتقد أهل الهند فى أنها مخزون الصنم الأعظم ، وكانوا ينقلون الذخائر والخزائن إليها قرناً بعد قرن ، وملأوها بالنقود والجواهر والنفائس ، ولهذا الأمر حاصر السلطان القلعة تقر با وزلفى إلى الواحد الأحد ، و بدأ الحرب بقلب قوى وعزم صادق ، ولما لم يجد المتحصنون بالقلعة من قدرة على المقاومة ، واستولى عليهم الرعب والخوف ، والتف حبل هول وفزع الأمر حول أعناقهم ، فطلبوا الأمان ، وفتحوا القلعة ، ورموا بأنفسهم أمام جواد السلطان ، ودخل يمين الدولة مع والى جوزجان وخاصة القلعة ، ومن جملة الغنائم التى أمكن حصرها كان سبعون ألف ألف درهم وسبعمائة ألف دينار وسبعمائة « منّ» ذهبا وفضة (٦٦) ، ومن أنواع الأقمشة التى وجدوها فى تلك القلعة عدد عجز كتبة السلطان عن حصرها وكان من الجواهر والدر واللآلىء أيضاً ما لا يمكن حصره .

وكان من جملة الغنائم منزل كبير مصنوع من الفضة بطول ثلاثين ذرعا ، مقام على قواعد عر يضة مر بوطة بعلامات لكى يسهل و يتيسر جمعها وتفر يقها ونشرها وحطها عين السلطان جماعة من الشقاة لحفظ وحراسة القلعة ، وتوجه منتصرا ظافرا إلى غزنين ، وعندما استقر فى ساحة دولته ، أمر أن يمدوا بساطا بين القصر ين و ينثروا هذه الدرر الفلكية واليواقيت الحمراء وسائر الجواهر عليه ، وعض رسل الملوك الذين حضروا هذا المجلس أناملهم تعجباً وتحيراً ، وقال رسل طغان خان ملك التركستان الذين كانوا فى هذا الحقل « هذه الأنواع لا تحصها إلا الظنون ولا تبلغ خزانة قارون عُشرها » . (٦٨)

غـزوة نارين

عـزم السلطان ، ايفاءً للنذر الذى كان قد قطعه على نفسه ، التوجه إلى مملكة الهند بجيش جرار ق شهور سنة أربعمائة ، وعندما وصل إلى وسط هذه المملكة ، أمر الجيش بتخريب الديار وتعذيب الكفار، وأرسلوا عدداً من زعماء ورؤساء هؤلاء المخذولين إلى جهنم ، وتفرق القوم الأرازل ، وعاد سالما غانما إلى مقره ، وعندما علم ملك ملوك الهند أن الرايات الظافرة قد وصلت إلى أطراف وأنحاء هذه البلاد ، ورأى عجزه عن مقاومة جيش الإسلام ، ووجد أنه من الأفضل أن يرسل خواصه وأعيانه إلى السلطان ، و يتوسل إليه بأن يقبل أن يرسل إليه خمسين فيلا من أفياله الضخمة إلى السلطان وأن يرسل سنويا مالاً كثيراً إلى الخزانة العامرة ، وأن يجعل ألفين من الفرسان يتناوبون ملازمة المعسكر الظافر، وسوف يفى بهذه العهود دائماً وأبدا ، وأنه سوف يسلك أى ولد من أولاده وأعقابه ومن سيخلفه على بلاد الهند على نفس الطريق ، ورضى السلطان بهذا الصلح ، وأرسل جماعة لتحصيل أموال هذه الجماعة ، وفتح طريق التجار، وقام التجار بعمليات التجارة ، وعاد محمود الغزنوى سالما إلى دار ملكه . (٦٩)

غـزوة الغـور

قاد السلطان جيشاً إلى الغور(٧٠) سنة إحدى وأربعمائة ، وصف محمدبن سورى(٧١) حاكم هذه الناحية ، عشرة آلاف رجل فى مواجهة السلطان، وظل الجهاد مستمراً بين الجانبين حتى الظهر وعند زوال شمس دولة الأعداء ، أمر السلطان أن يتقهقر جنوده على سبيل الخدعة ، واعتقد الغوريون هزيمة السلطان ، وخرجوا من الخندق الذى كانوا قد حفروه حولهم ، وعندما وصلوا إلى الفضاء الصحراوى ، أطلق جيش السلطان العنان ، وجعلوا هؤلاء جميعا طعاما للكلاب والذئاب فى هذه الصحراء ، وأسروا ابن سورى ، وحملوه إلى محمود ، فتجرع السم لضجره ، وأسلم الروح لبارئها . (٧٢)

أورد العتبى فى تاريخ يمينى أن حكام ورعايا الغور لم يكونوا قد اعتنقوا الاسلام فى ذلك الزمان ، ولكن ما أورده صاحب طبقات ناصرى وفخر الدين مباركشاه المرورودى الذى نظم تاريخ سلاطين الغور وهو ان أهل الغور قد أسلموا فى عهد خلافة أمير المؤمنين على عليه السلام . (٧٣) وكان حاكم الغور فى ذلك الوقت شخصا من نسل الضحاك ، وكان المنشور بخط أسد الله الغالب باسمه فى مجال حكم الغور، وأولاده يفخرون بذلك ، وكان هذا المنشور بأيدهم حتى عهد بهرامشاه بن مسعود الغزنوى .

وذكر بعض أصحاب التواريخ أنه لما كان أشرار بنى أمية يأمرون الخطباء على المنابر بسب امام المتقين وأولاده عليهم السلام، وكان أمرهم ينفذ فى جمع بلاد الاسلام ماعدا الغور، و يقول فخر الدين مباركشاه فى هذا المجال (٧٤) : مثنوى

« لم يبق منبر فى الاسلام قط »

« يعتليه خطيب يخطب »

« لا يلفظ باللفظ القبيح على آل ياسين »

« ولا يلعنهم صراحة »

« وصينت الديار العالية من هذا السوء »

« وخرجت من يد الأخساء »

« لم يقل شخص بهذا القول مطلقا »

« سواء فى العلن أو فى السر »

« ولم تجر لعنة للأسرة »

« لها الفخر على الجميع »

« هؤلاء السلاطين أهل الدين والعدل »

« يفخرون بهذا على كل أصيل » .

وأورد بعض المؤرخين قصة محمد بن سورى بشكل آخر وهى أنه لما حاصر السلطان محمود محمد سورى ، ولم يظفر به ، وقبض عليه مؤخرا بالعهد والميثاق ، وقيده ، وحمله معه إلى غزنين ، و بعد مرور فترة من حبسه ، قال له السلطان : استدع ابنك حسن من ولايته ليلازم البلاط ، وأتعهد حينما يأتى حسن سأدعك تذهب إلى ولايتك ، فاستدعى محمد ابنه ، وتوجه حسن من الغور إلى غزنين ، وقيده السلطان أيضا ، ولكنه فر من الحبس بعد فترة من الزمن وذهب إلى الغور، وظل العداء قائما بين أولاد سورى وأحفاد السلطان محمود ، وسيذكر جملة من هذا الأمر فى محله إن شاء الله تعالى .

وفى هذه السنة (٧٥) حدث قحط شديد فى خراسان عامة وفى نيشابور خاصة حتى أنه لم يبق للناس مايقتاتون به ، وقيمت حبة القمح والشعير بحبة اللؤلؤ، ولم يبق أثر لكلب أو قطة ، بل إن الأم تغذت من لحم ابنها ، وتناول الأخ لحم أخيه ، وقتل الزوج زوجته وأكلها وفى نيشابور لم يبق لشخص قط فرصة لكي يتردد على القرى البعيدة لأن البعض كان يحمل السلاح . (٧٦)

و يروون أنه فى تلك الأيام ذهب عالم من أئمة الحديث إلى الإمام أبى الطيب الصعلوكى ، سأله الإمام : منذ متى لم تختلط ؟ قال العالم : إن قصتى من غرائب القصص وعجائب الأحوال ، استفسر الامام عن كيفية ذلك ، قال العالم : خرجت مرة بعد صلاة

المشاء إلى شارع من الشوارع ، وفجأة ضربني شخص بسهم في رقبتي ، وضغط على حلقي حتى كاد أن يقطع نفسي ، و يقتلني ، وسحبني إلى حارة وخرجت امرأة عجوز من منزل ، وسحقت أذناي ، ففقدت الوعي ، و بعد فترة أحسست ببرودة ماء صبوه على وجهي فأفقت ، رأيت جماعة يجلسون حولي ، بدأوا الكلام ، واعتذروا لما حدث لأذني ، وأخبروني بأنهم جماعة كانوا يمرون إلى مساكنهم حين رأوني في غير وعيي ، وعندما رآهم هذا الغدار فر ، وتركني على هذا الحال ، المهم لما كان لدى رمق من الحياة ذهبت إلى المنزل ، ومكثت بالفراش عشرين يوما من هول هذه الحادثة ، وذهبت إلى المسجد بعد أن استرددت صحتي وقت الفجر لصلاة الفريضة ، وتقدمت إلى الرحبة ، فجأة طار سهم بجانبي ، ومع أنه كان يقصد حلقومي لكن لطف الله شمل حالي ، وأصاب السهم عمامتي ، ونجت روحي ، ونذرت ألا أخرج من البيت إلا في الأيام القمرية ، وتعجب الحاضرون من هذه الواقعة الخطيرة ، وطلبوا العافية من الله ولجأوا إلى رحمته وعنايته .

أحوال ايلك خان وطغان خان بعد هزيمة ايلك خان من السلطان يمين الدولة محمود

عندما أصيب ايلك خان بالهزيمة في ميدان القتال مع السلطان ، توجه إلى ما وراء النهر ، و بث السلطان يمين الدولة محمود الجواسيس في هذه الولاية ليكشفوا حال ايلك خان وأخيه طغان خان ، فتوجهوا إلى هذه الناحية (واطلعوا) على ثبات قدم طغان خان في اطاعة وصداقة السلطان ، وأنكروا فُجر وجسارة أخيه ، وأرسل طغان خان الرسل وسلمهم رسالة إلى السلطان من أننا ... « مصراع » « على العهد والوفاء الذى قطعناه »(٧٧) ، واعتذر عن الحركات غير اللائقة لأخيه ، وقال : « انه لا يحجب على السلطان من أنني لا أوافقه . (٧٨)

وعندما رأى ايلك خان نفاق أخيه واتفاقه مع السلطان ، قرر بنفسه أن يحسم أول أس لفساده وهو العداء الأسرى ، وجمع جيش ما وراء النهر ، واتجه إلى ولاية طغان خان ، وعبر أوزكند ، واضطر للعودة نظرا لأن الثلوج سدت الطريق .

وعندما أذاب الربيع الثلوج الفضية في مسام الأرض ، اتجه ايلك باتباعه وأشياعه عازما الانتقام من أخيه ، وأرسل الاثنان في نفس الوقت الرسل إلى اعتاب السلطان ، و بعد نزاعهما وجدا لهما في مجلس السلطان أمر السلطان بأن يعدوا محفلا لم ير مثله في أى قرن لأى انسان ، وتفصيل هذا الاجمال أنه كان في مقر السلطان وبموجب أمره يصفون ألفين من

غلمان قبائل الترك بملابسهم الملونة فى صفين متواجهين ، و يقف خمسمائة غلام من المماليك الخاصة قرب المجلس ، وهم يرتدون العباءات الرومية و يتمنطقون بالنطاقات الذهبية المرصعة بالجواهر اللامعة والسيوف الهندية فى أغمدتها المذهبة على الأكتاف ، و يقف أربعون فيل مغطاة بالحرير الرومي والعصابات المذهبة أمام المجلس ، و يقف سبعمائة فيل ضخم عليهم الأقمشة المصورة والأسلحة النفسية وسائر أنواع الرياش الأخرى خلف كل مائدتين ، و يرتدى عامة الجيش جميعا الدروع الدورية ، و يلبسون الخوذ الافرنجية ، و يقف المشاة أمامهم وعليهم الدروع ومسلولى السيوف والسنان ، وأمام مجلس السلطان جمع الحجاب يقفون مثل القمر والشمس أيديهم على قبضة السيف ، وعيونهم وآذانهم ينتظرون الإشارة .

وفى هذا المحفل سمحوا للرسولين بالمثول ، و وصلا خاضعين تماما من هيبة هذا المقام إلى العرش ، وقدما شروط الطاعة والولاء ، و بعد ذلك استدعى الرسولان إلى المائدة وأجلسا ، فرأيا الجنة مفروشة بأطباق ذهبية وفضية وصحون مرصعة وفرش رومية وحريرية و وضعوا فى الصدارة طبقا كبيرا ، وقسموا حوله المربع والمسدس والمدور، وزينوا كل ركن بنوع من الجواهر يحير شعاع نورها العيون ، وأمام كرسى السلطان ضربوا قبة ربطوا ألواحها وعوارضها بالمسامير الذهبية ، أجمع الناظرون على أنه لم ير قط فى أى عهد من عهود الأكاسرة العجم وقياصرة الروم وحكام العرب وملوك الهند مثل هذه النفائس ، وكانوا قد وضعوا فى كل مجلس أطباق ذهبية مشحونة بالمسك الأذفر والعنبر الأشهب والكافور القيصورى والعود القمارى والاترنجيات المصنوعة والنارجيات المصبوغة وأنواع الفواكه والثمار المصنوعة من الذهب الأحمر، وكان جماعة من الحسان الخواص مثل لؤلؤ مكنون ودر مخزون يصبون الشراب الوردى فى كاسات بلورية ، و يقدمونها للحاضرين ، وظل الرسولان فى دهشة وتعجب من رياش هذا الحفل وزينة هذا المجلس ، واستئذنا العودة ، وعادا بتكريم سلطانى .

وأرسل السلطان محمود إلى ايلك خان وطغان خان رسالة من أن المحبة الأخوية تقتضى أن تغمدا سيف الانتقام فى غمده ، وتقنعا بما قدره الله القادر ذو الجلال لكما من الملك والمال ، و ينبغى أن تسلكا بعد ذلك طريق المحبة والود ، وتغلقا أبواب النزاع والجدال .

و بعد وصول الرسولين إلى بلاد الترك ترك الأخوان طريق الحرب وعملا بأمر السلطان ، و بعد أن ودع السلطان الرسل ، توجه إلى قصدار(٧٩) حيث كان حاكمها قد أعلن العصيان ، وهاجمه وحاصر القلعة قبيل طلوع الشمس ، واضطرب الوالى فى قصره ورأى الموت ، وخرج طالبا الأمان ، والقى بنفسه فى مركب السلطان ، والتزم بأداء مبلغ أحد عشر ألف حمل وألف درهم(٨٠) مما كان عليه من خراج سابق وسلم ما كان عنده من نقد وأخذ يمين الدولة محمود خمسة عشر فيلا آخرا منه ، وعاد إلى دار الملك غزنين فى حماية وعناية الملك الديان . (٨١)

و يطلق أهل غرجستان على حاكمهم لقب «شار» كما يدعوه الأتراك «خان» والهنود «راى» ، وفى عهد سلطنة نوح بن منصور السامانى وحتى أيام دولة يمين الدولة محمود وحكومة هذه البلاد تتعلق بشار أبى نصر ، وعندما بلغ ابنه أبومحمد إلى سن الرشد ، استولى على الملك ، فترك له أبونصر الحكومة ، وانشغل بمطالعة الكتب ومجالسة أهل العلم ومصاحبة أرباب الفضل ، وفضل النعيم الباقى على اللذة الفانية وقصد أهل الفضل وأهل الحاجة بلاطه ، وتيمموا من أطراف وأكناف العالم إلى بلاده ، وسعى بقدر المستطاع لإنجاح مآربهم وتحقيق مطالبهم .

فى تلك الأثناء أظهر أبوعلى سيمجور العصيان للملك نوح ، وأراد أن يُدخل كلا «الشارين» فى طاعته ، ولكنهما رعيا حقوق نِعَم آل سامان ، ورفضا إطاعة أبى على فأرسل أبا القاسم فقيه مع جماعة من المحاربين الأشداء لقتالهما ، وقطع أبوالقاسم عدة جبال كانت تطاول السماء وتوازى الجوزراء ، وقاتل هذين الشارين مرات ومرات ، حتى أخرجهما من دار الملك ، وتحصن الأب والابن فى أقصى مملكتهما فى قلعة منيعة حصينة واستولى أبوالقاسم على خزائنهما ودفائنهما وتوقف فى غرجستان. (٨٢)

وعندما جاء الأمير ناصر الدين سبكتگين إلى خراسان ، وطلب أبوعلى سيمجور أبا القاسم ، وانخرط الشاران فى زمرة أعوان وأنصار الأمير ناصر الدين ، وقاما بشروط إطاعة نوح بن منصور ، وعندما انقرضت أيام دولة السامانيين ، ووصل كوكب إقبال يمين الدولة إلى ذروة الاقبال ، أرسل العتبى مؤرخ تاريخ يمينى برسالة ليدعو الشارين لمبايعة السلطان ، وبالغ الشاران فى تعظيم وتبجيل أسس الصداقة بحسن مساعى العتبى بين الشارين والسلطان ، وجاء ابن شار أبى نصر المسمى بشاه شار إلى السلطان ، ولم يدع السلطان لحظة فى اكرامه واحترامه ، وجعله من عداد المقربين إليه

وفى الأيام التى كان شاه شار ملازما يمين الدولة محمود ، أقدم على حركات غير لائقة بسبب غرور الشباب ونخوة السلطان ، وأبدى المستشارون رغبة فى زجره وتأديبه وأغفل السلطان ذلك للطفه ورحمته ، حتى استأذن شاه شار فى الانصراف ، وأكرمه السلطان بالانعام والخلع الثمينة ، وودعه ، وظل حاكما لغرجستان حتى خطر ليمين الدولة محمود خاطر الغزو ، فاستدعى شاه شار ، وتعلقت يد الخذلان بثوب ذلته ، واعتذر بأعذار غير لائقة ، ولما كان السلطان قد عزم التوجه إلى بلاد الهند فقد أهمل ذلك وتوجه إلى الهند ، وعندما عاد إلى مقر عزه ، أرسل رسالة استمالة إلى شاه شار ، ولم يرد أن يضيع خدماته السابقة بزلة واحدة ، وأصر شار على العصيان ، ولم يلتفت إلى ملاحظة السلطان ، وعندما ظهر تمرده أمام الجميع ، أرسل يمين الدولة التونتاش حاجب وارسلان جاذب لدفع فتنة شار ، وتوجها إلى

الغرجستان ، وأخذا معهما أبا الحسين منيعي زعيم المرورود الذى كان يقف على مداخل ومخارج هذه القرى ، وكفّا يد شاه شار عن هذه الديار، وتعلق شاه أبو نصر بذيل عاطفة التونتاشي لادراكه خاتمة ما اقترفت يداه ، وتبرأ من عقوق ومخالفة ابنه ، وقبل التونتاش شفاعته ، وسمع السلطان عذره ، فأمر باحضاره معززا مكرما إلى هرات ، وتحصن ابنه فى قلعة كان قد احتمى بها فى عهد دولة أبي على سيمجور، وحاصر التونتاش حاجب وارسلان جاذب هذه القلعة ونصبا العرادات والمجانيق وسويا ناحية القلعة بالأرض ، وكلما صاح شار بالأمان لاتصل صيحته وظلت هذه الفتنة قائمة حتى قبضا عليه ، وأخرجاه من القلعة ، وسلبا أموال وذخائر القلعة ، واسرا وزيره وأذياه حتى أقر بمكان خزائن ودفائن شار، فى تلك الأثناء وصل رسول السلطان لاحضار شاه شار، فقيده التونتاش ، وسلمه لرسول السلطان .

يحكون أن الغلام الذى كان موكلا بشار أراد أن يكتب رسالة إلى أهله قبل أن يصل إلى غزنين و يبلغهم بأحواله فى هذه الرحلة وكلف شار بكتابة عدة أسطر، واستاء من تحكم الغلام ، فأخذ القلم فكتب « أيتها الفاجرة العاهرة قليلة الحياء التعسة هل تتصورين أن سلوكك فى طريق الفسق والفساد ، وتبذيرك فى الأموال من أجل رغبتك لم تصل إلى مسمعي ؟ هل تعتقدين أننى لاأعلم أنك تقضين وقتك فى شرب الخمر وجميع المناهى والملاهى ، وتقضين كل يوم مع نديم وكل مساء مع ظريف ، وتضيعين مالى هباء وتذلين شرفى وتسعين لهتك ستر عرضى ، ولاترعين حرمتى ، فإذا ضمنت السلامة سأعاقبك وأجزيك على سوء فعلك » ، واطنب فى ذلك ، وأمهر الرسالة ، وسلمها للغلام ، وعندما وصلت هذه الرسالة إلى منزل الغلام ، وعلمت زوجته بمضمونها اضطربت ، ولم تشك فى أن الأعداء والحاسدين قد اتهموها أمام زوجها بهذه القبائح ، وخرجت من المنزل خائفة من هذه الواقعة واختفت فى زاوية ، ووصل الغلام بعد عدة أيام إلى المنزل ووجد قصره الذى كان قد تركه مثل جنة آدم قد صار مثل صحراء لوط ، ولم ير أثرا للخدم أو سيدة المنزل ، وظل حيرانا ، واستكشف الأحوال من جيرانه ، فذكروا له صورة الرسالة والقبائح التى وصُمت بها ، فصاح الغلام ، واهتم برعاية خاطر زوجته وتهدئة هذه الفتنة ، وأقسم أنه لم يعلم خبر هذه الرسالة ، وأحضر الزوجة ، وعرضوا هذه الكلمات الهزل على السلطان فى مجلس كان مليئا بالخواص فتبسم السلطان من حركة شار وقال : « كل من يكلف بمثل ما كُلف به شار وما فعله معه من سوء أدب ، جزاؤه هذا » .

وعندما أدخلوا شار بلاط السلطان ، وبموجب أمره ضربوه عدة سياط لتأديبه واعتباراً للآخرين ، وصدر أمر السلطان أن يحبسوه ، وهيئوا له كل مايحتاجه دون أن يعلم أن هذا برضا السلطان حتى لايتجرأ و يتجاسر، والتمس شار، وهو فى حبسه ، ألا يضايقوا أحداً من غلمانه ، وأن ينفقوا من أملاكه بقدر حوائجه ، وسعى وكلاء السلطان لتحقيق مطالبة ،

واستدعى السلطان أباه من هرات إلى غزنين ، ورعى خاطره ، واشترى منهم الضياع والعقارات التى كانت لديهم فى غرجستان ، وسلمهم ثمنها نقدا ، ينفقوا منها على أحوالهم ، وجعل خواجه أحمدبن حسن الميمندى شارأبانصر فى حمايته ورعايته حتى التحق بالملك الغفور فى سنة ست وأربعمائة .

فتح آخر توجه إليه السلطان فى أقصى الهند

توجه السلطان يمين الدولة محمود فى أوائل فصل الخريف من غزنين إلى أقصى بلاد الهند ، ورجع إلى غزنين بسبب كثرة الثلوج ، وعندما حل موسم الربيع توجه ثانية بجيش جرار إلى الهندوستان ، واستعد ملك من ملوك الهند ، كان السلطان قد توجه إلى ولايته ، للحرب وعندما اقترب يمين الدولة محمود ، سلم الميمنة للأمير نصر وجعل الميسرة لأرسلان جاذب ، وجعل أباعبد الله الطائى على مقدمة الجيش ، ووضع الأمير التونتاش حاجب على قلب الجيش ، وتحصن ملك الهند خوفا من الجيش بين جبلين حصينين ، وأحكم مداخل ومخارج هذا الممر بالأفيال الضخمة ، وأرسل إلى أقطار وأطراف ممالكه رسائل استغاثة ، وجمع مشاة وفرسان ممالكه ، وأخذ يرجأ أمر الحرب لعل المسلمين يضجرون من طول الأيام ، ولما اجتمع جيش الهند كله ، ولم يبق هناك عذر ، دق راى(٨٣) الهند طبول الحرب ، ونظم الجيش أمام الجبل(٨٤) ، ودار حول الجيش بسد من الأفيال الضخمة ، وأشعل نيران الحرب وانطلق المحاربون يطنون كالنحل ، ويمزقون صدور بعضهم بالخناجر ، و يطيحون رءوسهم بالسيوف ، وكلما تقدمت الأفيال للحرب ، رشق المسلمون خرطومها وحلقومها بالرماح والحراب ، وعندما رأى ملك الهند جرأة وشجاعة عبد الله الطائى فى سفك الدماء وممارسة الحرب ، أرسل جماعة من أهل الحرب والضرب لصده ، وتوجهوا بموجب أمره إلى الطائى ، وجعلوا جسده كالغربال من الطعنات العنيفة ، ولم يتحول قط عن هذه الجماعة بأى حال من الأحوال ، وعندما رأى السلطان أباعبد الله فى محنة الوغى ، أرسل جماعة من غلمانه الخواص لمعاونته ومعاضدته ، ليخرجوا هذا البطل من هذا الهلاك ، وأمر السلطان أن يركبوه فيلا لكى يستريح من ألم الجراح ، وأشعل نار القتال ، وفى النهاية هبت نسائم نصر يمين الدولة محمود ، وانهزم جيش الكفار، وتعقبهم مجاهدو الدين ، وقتلوا أكثر هؤلاء الملاعين ، وغنموا أموال وأفيال هؤلاء الأنجاس . (٨٥)

وقد حملوا من معبد هذه الناحية حجرا محفورا بدقة إلى السلطان ، ومما أثبت عليه أنه منذ أربعين ألف سنة(٨٦) وضع أساس هذا المعبد ، وتعجب محمود من عقيدة الهنود الفاسدة ،

لأن علماء الشريعة متفقون على أن بداية خلق آدم على نبينا وعليه السلام لاتزيد عن سبعة آلاف سنة ، وسأل أعيان العلماء والفضلاء والحكماء الحاضرين عن هذا الأمر فأجابوا جميعا : إن شهادة الصخور كاذبة تماما(٨٧) ، وعاد جيش الاسلام بهذه الغنائم التى لا حصر لها ، والنفائس التى لاحد لها ، وجاء غزنين ، واختفى سواد جيش الاسلام بين جنود الهنود ، وحمل كل واحد من الناس مائتين أوثلا ثمائة أسير.

وبعد أن استراح المجاهدون من عناء السفرعدة أيام ، توجه السلطان مرة ثانية إلى بلاد الهند(٨٨) ، ومما بلغ المسامع العلية أن هذه النواحى غنية بالأفيال التى يطلقون عليها أفيال المسلمين(٨٩) ، ووالى هذه الناحية كافر مشهور ، ووصل السلطان إلى هذه البلاد بعد أن قطع الصحارى ، وحارب حاكمها ، وانتصر عليه ، وعاد إلى غزنين بغنائم كثيرة وأموال وفيرة .(٩٠)

انقراض دولة خوارزمشاه وانتقال ملكها إلى يمين الدولة محمود سبكتگين

عندما انتقل حكم خوارزم من المأمون إلى ابنه أبى على ، وتزوج أبوعلى أخت السلطان محمود ، وامتد أمر الصداقة إلى المصاهرة ، واستمر هذا الأمر حتى آخر عهد أبى على ، وبعد انتهاء الحكم تصدى لأمر الحكم أخوه المأمون بن المأمون ، فأرسل سفارة إلى السلطان وأبدى اخلاصا وولاء له ، وخطب أرملة أخيه ، وقبل السلطان محمود هذا ، وتولدت أواصر المحبة والوداد بينهما .(٩١)

وفى آخر أيام المأمون أرسل إليه السلطان رسولا وطلب منه أن يقرأ الخطبة باسمه فى ولاية خوارزم ، واستشار المأمون أعيان دولته فى هذا الأمر ، فرفض أكثرهم ، وقالوا طالما أن ملكك مصون من المشاركة فنحن فى خدمتك ، واذا أردت حكم آخر ، وصرت مغلوبا على أمرك ، فنحن نسل السيوف ونعزلك ، ونجلس غيرك على العرش ، فعاد رسول السلطان ، وعرض ما رآه رأى العين .

وبعد ذلك اضطرب وجوه رجال خوارزم من الوقاحة التى أبدوها لولى النعمة ، وخافوا سوء عاقبة رفض طلب السلطان ، واهتم نيالتگين(٩٢) قائد جيش خوارزم ورأس أهل الخسران بتدبير الأمر ، وذات يوم هجم مع جماعة من العصاة على المأمون ، وخرج بخبر قتله ، لم يعلم أحد قط بكيفية حدوث هذا الفعل الخطير ، وبعد هذه الحادثة بايعوا ابن المأمون ،

وعندما أدرك جماعة الفجور أن السلطان لن يدع سر هذه الجريمة يمر، وسيسل سيف الانتقام من غمده ، ويجزى كل منهم جزاء فعلته ، لذا تعاهدوا إذا جاء محمود للانتقام منهم ، يردون عليه جميعا .

وعندما علم يمين الدولة بغدر هؤلاء الأخساء ، أعد الجيش بعد مشورة القواد ، وتوجه صوب خوارزم ، وهجم نيالتگين وجماعة من اتباعه وقاتل ببسالة مقدمة السلطان وكاد ان يصاب فى عينه ، وعلم سلطان البر والبحر بخبر المقدمة ، فتحركت راية الفتح ، وقام الجيشان بالقتال مع طلوع الشمس حتى استوائها ، وأفنى خلق لا حصر لهم من هجمة خيول وأفيال محمود فى هذه المعركة وحتى وقت الزوال ، وأسر قرابة خمسة آلاف رجل ، وسلك من تبقى طريق الفرار، وركب نيالتگين مركبا ليعبر نهر جيحون ، وأثناء ذلك ولسبب من الأسباب تشاجر مع واحد من راكبى المركب ، المهم أدى الشجار إلى أن قام بالقبض على نيالتگين ، واستولى على زمام المركب والملاح حتى أرسله إلى معسكر السلطان ، وسأل السلطان نيالتگين وعددا آخر من أهل البغى والفساد ، لماذا صدر هذا الفعل الشنيع منكم ؟ ولما كان نيالتگين يعلم أنه لا نجاة له ، رد رداً غليظا ، وأحنى باقى الأسرى رؤسهم خجلا من فعلتهم ، فأصدر السطان أمره أن يقيموا على قبر خوارزمشاه المقاصل ، وأمر أن يعدموا نيالگتين مع من كانوا لهم دور فى هذه الفتنة ، وأمر أن يكتبوا على قبر خوارزمشاه « هذا قبر مأمون بن مأمون بغى عليه حشمه ، وتجرأ على دمه خدمه ، فقيض الله السلطان يمين الدولة وأمين الملة حتى اقتص منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين وآية للعالمين » .

وسلم أمر حكومة خوارزم للحاجب الكبير التونتاش (٩٣) وأرسل جمعاً كبيراً من الأسرى إلى غزنين ، وحبسهم ، و بعد فترة من الزمن أنعم عليهم جميعا ، وأدخلهم ضمن الجنود المتوجه إلى الهند .

فتح مهـــره وقنــــوج

عندما انتهى السلطان من أمر خوارزمْ ، قضى الشتاء فى بست وتكناباد ، واستراح الجيش من مشاق السفر وعندما حل الربيع ، واستوى الليل والنهار، انتظر الجيش الخاص وعشرون ألف رجل آخرون من المتطوعين المسلمين الذين كانوا قد جاءوا من أقصى بلاد ما وراء النهر بنية مثوبة الغزو، انتظروا تحرك السلطان صوب مهرة وقنوج . (٩٤)

ومشهور بين أرباب التواريخ أنه لم يستول على قنوج سلطان أجنبي من قبل ما عدا گشتاسب الذى كان زعيم ملوك عصره ، والطريق من غزنين حتى هذه الولاية ثلاثة شهور ، وعموماً عندما وصل السلطان محمود إلى نواحي كشمير ، التحق واليها ، وسار على طليعة الجيش وقطع المسلمون الصحارى والمسالك ، وعبروا الوديان والأنهار العظيمة حتى وصلوا إلى قلعة من القلاع المنيعة التى كانت لملك ذى شوكة نافذة هناك ، وعندما رأى حاكم (٩٥) القلعة كثرة رجال الدين نزل مع أتباعه وملازميه ، ونطقوا بكلمة التوحيد ، وسعدوا بالهداية ، وتوجه السلطان من هناك إلى القلعة التى كانت تحت سيطرة كلخند (٩٦) ، وكان كلخند هذا مغروراً بكثرة ماله واتساع ملكه ، وكان مشاهير ملوك الهند عاجزين عن مقاومته وبسبب مناعة وحصانة القلاع التى ظلت محفوظة من حوادث الأيام ومصائب الأزمان ، ولم تصل يد منازع قط إلى ذيل حشمته وابهته ، وتحصن بغابة لا يمر ضوء الشمس من تشابك أشجارها ، كما أن الرياح لا يمكنها الهبوب من كثرة أغصانها وأوراقها .

وعندما وصل السلطان إلى هناك أمر الجنود أن يختفوا فى هذه الغابة ، وشق ممرا ، وهجم على الكفار ، وقام قتال شديد ، وتنسم السلطان نسيم النصر ، وقتل بعض جنود كلخند بالسيف ، ورمى بعضهم بالنهر ، وغرقوا فى بحر الضلالة ، وسقط قرابة خمسة آلاف رجل من هؤلاء الملاعين فى بحر الفناء وورطة العناء ، وسل كلخند خنجرا وضرب زوجته أولا ، ومزق صدره ، وذهب إلى جهنم ، وسقط مائة وخمسة وثمانون فيل وغنائم أخرى فى يد السلطان . (٩٧)

وعندما انتهى يمين الدولة محمود من أمر كلخند ، توجه إلى مدينة كانت بعيدة وهى معبد لأهالى الهند ، وعندما وصل المسلمون إلى هناك ، تعجبوا من غرائب مبانيها ، ومن جملتها ألف قصر بُنيت من الحجر الرخام والمرمر ، والمعابد لا يمكن حصرها لكثرتها ، وكتب السلطان محمود رسالة إلى أشراف غزنين ، ذكر فيها : « لو أن شخصا أراد أن يبدع مثل هذه المبانى ، لا يمكنه أن يتمها ، وإن أنفق مائة ألف حمل — ألف ألف دينار خلال مائتى سنة — وبسعى البنائين المهرة » ، ووجدوا من جملة الأصنام خمسة أصنام ، مصنوعة من الذهب الأحمر ملأوا مكان عين كل واحد منها بياقوتتين لو أن أحدا عرض مثلها على السلطان لاشتراها مسرورا بمبلغ خمسين ألف دينار .

وكان على صنم آخر قطعة ياقوت زرقاء لامعة ، بوزن أربعمائة مثقال ذهبا ، وكانت الأصنام الفضية تزيد عن مائة ، وأمر السلطان بأن يشعلوا النار فى المعابد ، وتوجه إلى قنوج ، وترك الجيش خلفه حتى إذا رأى جيبال راى قنوج قلة أعوانه وأنصاره ، يثبت ولا يفر عاراً لأنه كان على رءوس ملوك الهند ، وكان السلطان يخرب كل بقعة وقلعة يصل إليها معسكره ،

وعلم جيبال بخبر توجه السلطان انزوى بناحية دون قتال وجدال ، ووصل السلطان فى الثامن عشر من شعبان سنة سبع وأربعمائة ، ورأى على شاطىء نهر الگنگ سبع قلاع تساوى كل منها فى رفعتها الأفلاك ، ووجد فى هذه القلاع عشرة آلاف معبد أصنام ، وكان الهنود يعتقدون اعتقادا راسخا انه قد مر على تاريخ بناء هذه المعابد ثلاثمائة أو أربعمائة ألف سنة ، وسخر السلطان فى يوم واحد السبع قلاع لأن معظم القوم فروا خوفا من جيش الاسلام ، وتوجه السلطان بعد نهب قنوج إلى قلعة منج ، وأغلق أهل القلعة الأبواب ، وأبدوا تمردا ، وعندما رأوا انه ليس لديهم طاقة للمقاومة ، ألقى بعضهم نفسه من الشرفات ، وطعن بعضهم نفسه بالخنجر والسيف ، وذهبوا إلى دار البوار ، وتوجه محمود من هناك إلى قلعة « جندبال بهور » التى تمتاز باتساع الملك وكثرة الجنود ، وقاد راى قنوج الجيش إليه أكثر من مرة وكان يعود عاجزا ، وعندما رأى جندبال صولة جيش الاسلام ، ترك القلعة وفر هاربا وتعقبه جيش السلطان ، ووقع فى يد المسلمين كثير من الأموال والأفيال ، وعندما استقرت قلعة جندبال فى يد أتباع السلطان ، توجه السلطان إلى جندراى وكان متهوراً مغروراً بنفسه وترك أيضا ولايته على الرغم من كثرة عدده وخزائنه ، وفر إلى غابات الهند ، وتوجه السلطان إلى مكمن جندراى ، وبعد قطع أحد عشر فرسخا وصل إليه فألقى الأعداء أحمالهم وأثقالهم ، ليفروا بأرواحهم من هذا الموت ، ولم يهتم الغزاة بهذه الأحمال وتعقبوهم ثلاثة أيام بلياليها ، وقتلوا الكفار ، واستولوا على أموالهم وأسلحتهم ، وأخذوا بعض الأفيال قسرا ، وتوجه عدد من الأفيال برغبتهم إلى « فيل خانه » السلطان ، وأطلقوا عليهم اسم « خداى آورد » أى هبة الله ، وقدموا مبلغ ثلاثة أحمال — ألف ألف دينار — إلى السلطان من خزانة جندراى ، ووصل عدد الأسرى كثرة إلى درجة أن ثمن الواحد لم يزد عن عشرة دراهم ، ووصل خبر هذا النصر إلى أقصى حدود الشرق وأقصى الغرب .(٩٨)

وعندما عاد السلطان من بلاد الهندوستان ، وبنى جامعاً كبيراً وسط غزنين ، ونقل من نواحى الهند والسند الأشجار ، وأحضروا من المعادن ما هو مناسب ومن الأحجار المرمر والرخام المربع والمسدس والمثمن ، وأنشأوا مسجداً مزيناً بألوان وأصباغ مثل حديقة وزينوه بالنقوش مثل روضة الربيع ، وبنى جوار هذا المسجد مدرسة ، ملأها بنفائس الكتب وغرائب النسخ ، وأوقف عليها القرى والضياع ، وسعى كل واحد من الأمراء والأعيان ببناء مبانى البر ، وبقاع الخير فى هذه الديار تزيد عن الحصر(٩٩) .

توجه السلطان محمود إلى سومنات وعودته
بعناية واهب العطيات

يقول أرباب التواريخ أن سومنات (١٠٠) كما يقولون صنماً ، و بزعم أهل الهند أعظم أصنامهم ، ولكن من كلام الشيخ فريد الدين العطار قدس سره يعرف أن سومنات اسم مكان ولات اسم صنم هذا المكان ، ولهذا يقول :

« وجدوا هذا الصنم الذى كان اسمه لات »
« وجده جيش محمود فى سومنات » (١٠١)

كما يقول أملح الشعراء مصلح الدين سعدى رضى الله عنه :

« رأيت صنماً من العاج فى سومنات »
« مرصع مثل مناة فى الجاهلية » (١٠٢) .

عموماً قال المؤرخون أنهم كانوا قد وضعوا سومنات فى معبد أصنام على شاطىء البحر، وكان أهل الهند يزورون هذا الصنم فى ليلة الخسوف ، وفى تلك الليلة يجتمع أكثر من مائة ألف شخص حول هذا المعبد ، وكان الهنود يعتقدون أن الأرواح تأتى لخدمة سومنات بعد مفارقة الأجساد ، و يقوم بتحويل الأرواح المجتمعة إلى الأبدان المتفرقة على سبيل التناسخ ، وهكذا اعتقد أهل الهند أن البحر يعبد سومنات والمد والجزر هو عبادتها (١٠٣) ، وكانوا يحضرون النذور إلى هذا المعبد من أقصى مملكة الهند ، وكان هناك قرابة عشرة آلاف قرية عامرة وقفاً لسدنة هذا المعبد ، وكان يجتمع كثير من الجواهر القيمة التى لا يوجد بخزانة أى ملك قط عشرها ، فى هذا المعبد وكانوا يعلقون جنزيراً من الذهب بوزن مائتى من الأجراس وكان خدام المعبد يحركون هذا الجنزير فى أوقات معينة ، وتصدر الأجراس صوتاً ، وكان البراهمة مشغولين بالعبادة وكان مقرراً له ثلاثمائة حجام وثلاثين مغن وخمسمائة جارية من الراقصات اللائى كن يلازمن المعبد ، وكانوا يدفعون لهذه الجماعة من النذور والأوقاف ، ونهر الگنگ نهر يقع فى شرقى قنوج ودهلى و يزعم الهنود أن هذا النهر ينبع من عين الخلد وعندما يحرقون موتاهم الهنود ينثرون رمادهم على صفحة هذا النهر، و يعتبرون هذا الأمر مزيلاً لسيئاته ، والبراهمة يلقون بأنفسهم فى هذا النهر، و يعتبرون أن هذا سبباً فى نجاتهم ورفع درجاتهم ، و بين هذا النهر وسومنات مسافة بعيدة (١٠٤) .

الهدف من هذه المقدمة هى أن ملوك الهند كانوا قد اعتادوا أن يرد الخلق تباعاً هذا النهر، و يغسلون سومنات يومياً بهذا الماء ، المهم عندما قاد السلطان محمود الجيش إلى بلاد الهند فى سنة ست عشرة وأربعمائة ، حطم المعابد ، وكسر الأصنام قال المعتقدون فى

سومنات : إن سومنات من الأصنام التى تلحق الضرر بمن يعتدى عليها ، وإلا قضى عليها الأعداء(١٠٥) ، وعندما علم يمين الدولة بهذا القول اللغو، صمم التوجه إلى هذه الناحية وقال : « عندما يتأكد للهنود بطلان صنم سومنات من الممكن أن يميلوا إلى الاسلام » .

وفى العاشر من شعبان من السنة المذكورة(١٠٦) ، توجه السلطان إلى الملتان بثلاثين ألف فارس غير المتطوعين الذين جاءوا بلازاد من أجل إحراز ثواب الغزو، ووصل إلى وسط الملتان ، ولما كانت الصحراء بلا ماء وعلف ، جمع الماء والعلف عدة أيام ، ويذكرون بالاضافة إلى ماكان لدى كل واحد من الجنود من زاد وراحلة ، كان السلطان يحمل عشرين ألف جمل آخرين ايضا بالماء والعلف ، وعندما عبروا من هذه الصحراء المهلكة ، رأوا عدة قلاع على أطراف الصحراء مملوءة بالمحاربين المسلمين ، فألقى الحق سبحانه وتعالى الرعب فى قلوب الكفار حتى سلموا جميع القلاع ، وقتل الجنود بموجب الفرمان رجالهم ، وأسروا أولادهم وزوجاتهم ، وحطموا المعابد .

وبعد الانتهاء من هذه الأمور، وصل جيش الاسلام الى بهواره فترك حاكمها المدينة ، وسلك طريق الفرار، واستولى محمود على هذه المدينة ، وأعد ماكان الجيش فى حاجة اليه ، وتوجه إلى سومنات ، وكلما رأوا معبدا خربوه ، ولم يقصروا فى السلب والنهب وقتل الأعداء ، حتى وصلوا إلى سومنات فى ذى القعدة من السنة المذكورة ، ورأوا قلعة كبيرة على شاطىء البحر، وبينما كان موج البحر يصل إلى فواصل القلءة ، كان الناس يرتقون الأسوار، ويتفرجون على المسلمين ، وكانوا جيعا على ثقة من أن معبودهم سيهلك الذين يقصدون هذه البلاد ، وفى اليوم التالى وصل جيش الاسلام إلى سفح القلعة ، وقاموا بالقتال ، ورأى الهنود الحرب التى لم تكن إلا فى خيالهم ، ولاجرم أن أخلوا الجدران خوفا من السهام ، واغتنم الغزاة هذه الفرصة ، وفردوا السلالم ، وصعدوا على جدار القلعة ، وكبروا بصوت عال .

وعندما سمع الهنود صوت التكبير، بدأوا حربا ضروسا ، وتقدم جماعة منهم إلى سومنات ، ومرغوا وجوههم فى التراب ، وطلبوا متضرعين من هذا الصنم النصر والظفر، وعندما حل المساء ، عاد الغزاة إلى معسكرهم .

وفى اليوم التالى حيث قضى الهنود ليلتهم خجلا ، توجه المسلمون لمحاربتهم وكلما تقدم هندى أطاحوا برأسه ، وقذفوه إلى أهله وادخلوه المعبد ، وقام الهنود بالقتال على باب المعبد ، وأخذ الهنود يتناوبون على باب المعبد ويحتضنون سومنات ، ويبكون ويخرجون ويقاتلون ويقتلون حتى قُتل كثير من الهنود ، وركب من بقى من السيف مركبا ، وفر هاربا ، وأعد السلطان محمود عدة مراكب أركب فيها الرجال ليسدوا طريق البحر .

ومعبد سومنات الذى كان هناك كان طويلا وعريضا لدرجة أن كان هناك ست وخمسون عمودا يرفعون سقفه ، وكان سومنات صنم من حجر منحوت طوله خمسة أزرع ظاهرة وزراعان تحت الأرض ، ودخل يمين الدولة إلى المعبد وحطم بدبوس كبير حجر سومنات وأمر أن يحملوا مقدارا من هذا الحجر المكسر إلى غزنين ، و يضعوه فى عتبة المسجد الجامع وجملة ماوصل من معبد سومنات إلى خزانة السلطان كانت زيادة عن عشرين ألف دينار أحمرا ، وجميع ماكان فى هذا المعبد ، وست وخمسون عمودا مرصعا بالياقوت والزمرد ، وكان كل واحد من هذه الأعمدة ينسب إلى ملك من عظماء ملوك الهند ، وقتل أكثر من خمسين ألف مشرك حول المعبد ونفس القلعة .

واثناء ذلك وصل الخبر أن صاحب بهواره(١٠٧) الذى كان قد فر أثناء توجه الجيش الظافر ، متحصنا حينئذ فى القلعة ، وكانت هذه القلعة على بعد أربعين فرسخا وأبدى السلطان استعدادا لفتح هذه القلعة ، وتوجه هناك ، وعندما وصلوا إلى هذه النواحى رأوا قلعة يحيط بها نهر عظيم من أطرافها ، وقبضوا على غواصين فأستفسروا منهما عن عمق هذا النهر ، قالا : أنه من الممكن العبور من المكان الفلانى ، لكن اثناء العبور لوماج النهر سيهلك الجميع وتوكل محمود بعناية الله بعد الاستخارة ، وقفز فى النهر بفرسه مع الجنود ، ووصل إلى سفح القلعة سالما ، وعندما رأى صاحب القلعة هذا الحال ، فر هاربا ، وسقطت غنائم كثيرة فى أيدى الجيش من هذه القلعة وقتلوا أهالى القلعة .

وعندما فرغ خاطر السلطان محمود من أمر القلعة ، قاد الجيش إلى بهاطيه ودخل أهالى هذه البلاد فى طاعته ، وقبلوا دفع الأموال ، وعاد السلطان ظافرا منتصرا إلى دار الملك غزنين(١٠٨) .

يقول الكاتب(١٠٩) أنه عندما وصل الكلام إلى هذا الحد ، فليس بعيدا أن نذكر حكاية وردت فى بعض الرسائل فى هذه الأوراق ، وهى أنه عندما تيسر للسلطان محمود فتح سومنات أراد أن يقيم هناك عدة سنوات نظرا لطول وعرض المملكة ، ومن غرائبها الكثيرة كان هناك مناجم فى هذه الولاية تنتج الذهب الخالص ، وكان ياقوت مملكة الهند كلها من معادن سرانديب التى كانت من توابع هذه المملكة ، فقال أركان الدولة : ان ترك خراسان التى استوليت عليها بعد حروب كثيرة وجعل سومنات دارا للملك أمر مستحيل .

عموما عزموا على العودة وأمر السلطان بأن يعين شخصا لحمايتها وضبطها ، قال الأعيان : ان الشخص المختار على هذه الولاية وعلى تلك المملكة لن ينال امتيازا أكثر ومن المناسب أن تفوض واحدا من نفس أهالى المملكة ، فاستشار السلطان فى هذا الأمر المستشارين واتباع الدولة ، قال بعضهم : انه لاترقى طائفة قط على سلاطين هذه الأسر

البلاد من نسب وحسب دبشليم ، وقد بقي واحد من هذه الأسرة حتى الآن ، وهو مشغول بالحكمة والرياضة على هيئة البراهمة ، فلوا أعطى السلطان هذه المملكة له ، فهو أهل لها وأنكر آخرون هذا الكلام وقالوا : ان هناك شخصا هو دابشليم مرتاض ، كافر وكفره ليس باختياره بل أنه أسر أكثر من مرة بيد اخوته ، وطلب الأمان ولجأ إلى هذا المكان ، ولكن هناك دابشليم آخر من أقاربه عاقل وعالم تماما ، والبراهمة يعتقدون فى حكمته ، وهو الآن ملك فى ولاية فلان فلو أصدر السلطان مرسوما يجعل هذه المملكة له ، وارسل منشورا باسمه ، فانه سيأتى إلى هنا ، و يعمر ويحكم هذه الممالك طبقا لحقه فيها ، وطالما هو صادق القول وصحيح العهد سيرسل الجزية والخراج الذى يأخذه من الذميين على الرغم من بعد المسافة ، إلى خزانة غزنين سنويا .

قال السلطان إنه لوجاء اليه سيحقق هذه الرغبة ، ولكن الشخص الذى يكون له السلطنة فى الهند ولا يؤدى الخدمة كاملة ، ويخرج عن الطاعة ، فلماذا يسلم اليه ملكا بهذه العظمة ؟ المهم استدعى دابشليم مرتاض وأعطاه المملكة ، واخذ الخراج منه وقال : اننى لن أخالف أمركم مادمت حيا ، وسأرسل الذهب والياقوت ومعادن الهند إلى خزانة غزنين ، ولكنه بينى و بين دابشليم الآخر عداوة مستحكمة ، ووقعت معارك بينى و بينه عدة مرات ، ولاشك انه عندما يعلم بعودة السلطان سيقصدنى ، ولما لم أزل ليس لدى عدد وعدة فسأُغْلب ، وسيستولى على مملكتى ، والآن لوتوجه السلطان اليه ودفع شره عنى فاننى سوف ارسل إلى خزانة غزنين سنويا مايعادل خراج زابلستان وكابلستان .

قال السلطان : طالما كنا قد خرجنا بنية الغزو ، وقد مرت ثلاث سنوات لم نعد إلى غزنين فلتكن ثلاث سنوات وستة أشهر ، وتوجه إلى هذه الولاية ، قال أهالى ولاية سومنات لدابشليم مرتاض إنك لم تفعل خيرا لأنك حرضت السلطان على قصده ، والشخص الذى أعزه الله جل وعلا وجعله أهلا للعزة ، لن يذل بسعيك ووشايتك ، ووصل هذا القول إلى السلطان ، فتردد كثيرا ، ولكن لما كان قد أمر بالتوجه ، فلم يرض بنقض ماسبق وعلى كل حال توجه إلى هذه المملكة ، وفتح ولاية دابشليم ، وأسره ، وسلمها إلى دابشليم مرتاض ، وقال له : إن قتل الملوك فى ديننا ومذهبنا عيب عظيم وعار متين وجميع الجيش ينفر و يتمرد على الملك الذى يرضى بدم ملك ، وقانون سلاطين هذا الاقليم هى انه طالما تمكنت من عدوك ، ابن تحت عرشك غرفة مظلمة ، واجعلها وراء مسندك وسد أبوابها ومداخلها ماعدا فتحة يدخلون منها الطعام يوميا إلى هذه الغرفة ويحكمونها جيدا ، وهكذا يكون النهج طول مدة حياة الملك الذى يكون على العرش ، وعندما لا يكون لديك طاقة لذلك فاننى احبسه على هذه الصورة ، ولا تبعده عن كرمك حتى تحمله معك إلى غزنين ، وطالما تم ضبط هذه المملكة فيمكننى أن أحمله معى حتى اعذبه بهذه الصورة .

المهم بعد أن أقر السلطان هذه المهام ، دق طبل الرحيل ، وجلس دابلشيم مرتاض على عرش السلطنة فى سومنات وارسل التحف والهدايا متوالية عقب السلطان ، وأنعم على أركان الدولة بالخدمات الجليلة ، حتى تمكن من الملك ، وأعد خزانة الجواهر وارسلها إلى السلطان وطلب عدوه ، وتردد السلطان فى ارساله ولم يرد أن يترك هذا البرىء لعدوه ، لكن لما كان دابشليم مرتاض بذل الأموال على أعيان البلاط ، قالوا جميعا لماذا تترحم على كافر ومشرك ؟ كما انه لن يخالف ايضا وعد السلطان ، وربما هذا الأمر يدفع دابشليم مرتاض إلى المخالفة ، وتخرج المملكة من يده وسلم السلطان هذا الفتى بناء على أمر الأمراء إلى اتباع دابشليم مرتاض وأرسل الرسل الى ملوك الهند لكي يحددوا له سومنات ، وعندما أرسلوا اليه حدودها أمر دابشليم أن يهيأ الحبس الذى كان قد أُقر له تحت عرشه .

كانت عادة ملوك سومنات هى أنه عندما يستقرون على عرش العدو ، يخرجون لمسافة و يضعون على رأسه طستا وابريقا خاصا ، ويجر يانه حافيا أمام جواده حتى البلاط ، و بعد ذلك يجلسونه على عرشه ، ويحملون العدو إلى حبسه المعهود ، و يتكأون على الكرسى ، وخرج دابشليم مرتاض عن هذه القاعدة ، وحدث تأخير فى وصول العدو ، وكان مشغولا بالصيد ، وانتشر السلطان والجنود فى كل ناحية حتى التهب الجو ، ونزل كل جيش فى ناحية ، ونزل دابشليم ايضا فى ظل شجرة ، وغطى وجهه بمنديل أحمر ، ونام وفى الهندوستان حيوانات صيد غابية ذات منقار حاد جدا ، كان أحدها يطير ، وظن أن المنديل الأحمر لحما فهبط من الجو فقبض بمخلبة المنديل ونقر بمنقاره فأعمى عين دابشليم من ضربه منقار هذا الحيوان ، وقامت جلبة بين الجنود ، وفى اثناء هذا الأمر وصلوا بهذا الشاب ، وعندما رأى أعيان الدولة أن دابشليم صار معيوبا ، و بدا شكله عجيبا ، ولم يكن هناك شخص أهلا وجديرا بالسلطنة من هذا الشاب ، سلموه السلطنة وقضوا على عدد من مخالفيه ، ووضعوا الطست والأبريق الذين كانا قد أحضرها لهذا الشاب على رأس دابشليم مرتاض واسرعوا به إلى بلاط السلطنة ، وأرسلوه إلى سجنه المعهود .

توجه السلطان محمود بن سبكتگين إلى الرى وعودته من هناك إلى غزنين ووفاته فى هذه البلاد

توجه يمين الدولة فى آواخر ايامه إلى ناحية الرى ، وأسر سلطانها مجد الدولة بن فخر الدين الديلمى(١١) ، وقيده ، وارسله إلى غزنين ، وسوف أعرض هذه القصة ضمن أمور الديالمة بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

لما كان السلطان محمود قد ترك ابنه مسعود فى الرى وأصفهان فقد عاد من معسكر العراق إلى غزنين فى سنة احدى وعشرين وأربعمائه ولحق برحمة الملكة المغفور، وكان قد ابتلى خلال العامين السابقين بمرض السل أو سوء الهضم أو الاسهال على اختلاف الأقوال(١١١) ، وكان يتحرك ايام المرض بنفس أيام الصحة ، وكلما كان الأطباء يمنعونه عن الركوب ، كان يرفض ، و يقولون : ان السلطان أصدر أمرا قبل وفاته بيومين بأن يحضروا من الخزينة صرر الذهب الأحمر والأسباب وأنواع الجواهر النفيسة والهدايا التى كان قد جمعها فى عهد السلطنة ، و يفردونها جميعا فى الساحة على شكل بساط عريض يبدو فى نظر الناظر بستانا مزينا بالورود الملونة من الأحمر والأصفر والبنفسج وغير ذلك ، وكان السلطان ينظر اليها متحصرا ، و يبكى متألما ، و بعد البكاء المرير أمر أن يحملوها جميعا إلى الخزانة ولم يعط مقدار فلس من هذه الأموال لمستحق(١١٢) مع انه كان يدرك أنه خلال عدة ايام ستصيب روحه الطيبة مرارة حتى أن كاتب هذه الأوراق كان يستاء جدا عند الأطلاع على هذه الحكاية فى التوار يخ عن هذا السلطان الغازى و يتمنى ألا يصدقها أحد قط ، وألا تكون هذه القصة معبرة عن هذا السلطان رفيع الشأن .

على كل حال بعدما شاهد محمود نفائس خزائنه ، جلس على المحفة ، وحُمل إلى الميدان الأخضر وهناك عرضوا عليه جميع مماليكه الخاصة ، وأنواع الدواب من جياد عربية و بغال قيمة وغير ذلك ، و بعد أن أمعن النظر فيها ، ناح ، وندب ، وتأسف ، وتحسر وعاد إلى قصره .

يقول أبو الحسن الميمندى أن السلطان محمود سأل يوما أبا طاهر السامانى : مامقدار ما كان آل سامان قد جمعوه من جواهر قيمة ؟ فأجابه : انه كان لدى الأمير الرضا نوح بن منصور سبعة أرطال جواهر فى خزينته ، فوضع محمود وجهه على الثرى وقال : الحمدلله أن الحق عز وعلا قد أكرمنى بأكثر من مائة رطل .

يروون أن يمين الدولة محمود فى أوائل مرضه سأل ابنه محمد : إذا واجهنى مالا مفر منه فما هو الأمر الذى ستهتم به من بعدى ؟ قال محمد : « الصلاة والصوم والتصدق وملازمة قبر الأب وقراءة القرآن على روح أبى » ، ثم سأل ابنه الآخر مسعود نفس السؤال ، فأجاب : ماسأفعله هو ما فعلته مع أخيك اسماعيل .

اضطرب السلطان من هذا الجواب لأن أمر محمود من اخيه اسماعيل كان على هذا النحو ، وهو أنه عندما أخرجه السلطان من قلعة غزنين بالعهود والمواثيق ، سأله فى جلسة من جلسات الأنس من أنه لوكنت قد وقعت فى ايدك أسيرا ماذا كنت ستفعل بى ؟ قال اسماعيل بطيبة وسذاجة ، نيتى كانت أنه لوظفرت بك ، أرسلك إلى قلعة ، وأعدلك ماترغبه نفسك من غلام وجارية ومتطلبات الحياة ، و بعد فترة من الزمن ولسبب من الأسباب التى

ذكرها تاريخ يمينى ، سجن اسماعيل عند والى جوزجان ، وفعل ما كان يفكر فيه ، وأمر أن يرعوه فى قلعة من قلاعها ، وأمر الوكيل أن يعد مايحتاج اليه اسماعيل من أسباب الحياة طبقا لارادته ورغبته ، ولا يجوز أن يهمل فى أداء ما يتمناه .

و يروون أن هدف محمود من التوجه إلى الرى هو أن يشغل مسعود بحكومة هذه البلاد ، و يقر محمد على ملك خراسان وغزنين والهندوستان ، و يذكرون أنه عندما استولى محمود على العراق ، وأخذ أموالها ، عرض هذه الممالك بعد ذلك على مسعود ، فقال مسعود : الآن وقد عاقبت هذه الولاية وجعلتهم فقراء تجعلنى حاكما عليهم ، اننى مستاء من حكومة هذه البلاد ، وسأحضر معك إلى خراسان ، فاستمال محمود اسماعيل ، وجعل سبعة عشر ألف شخص من جيش غزنين وخراسان فى خدمته ، وقبل أن يجعل الرى دارا للملك حينئذ قال له محمود : يجب أن تقسم بألا تتعرض لأخيك محمد ، قال مسعود : هل اذا قسمت هذا القسم سترضى عنه ، قال مسعود : يابنى لماذا تقول هذا الكلام ، قال مسعود اذا كنت ابنك أليس لى حق فى أموالك وأملاكك ؟ قال محمود : ان اخيك سيرسل لك حقوقك فأقسم الآن بألا تحارب وتعاديه ، قال مسعود : لوجاء وأقسم بأن يرسل الى حقى أقسم أنا ايضا ، أقسم على أن يكون هو فى غزنين وأنا فى الرى ، كان مسعود جبارا ، فكان يحاور اباه بمثل هذه المحاورات ، وكان يسمع و يرد على هذه الأسئلة بجرأة .

و يروى عن أبى بكر على بن حسن الذى كان كاتبا لمحمد بن محمود بن سبكتگين انه قال : انتقل السلطان محمود يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة احدى وعشرين وار بعمائة من دار الفناء إلى دار البقاء ، وكان عمره ثلاث وستين سنة (١١٣) وكان يجلس فى أيام مرضه على العرش ، و يصدر الأوامر ، ودفنوه فى قصر « فيروزه » بغزنين فى ليلة مظلمة ممطرة .

كان السلطان محمود رجلا متعصبا فى دينه ومذهبه ، وقد صنف العلماء المصنفات باسمه ، وقد غزا غزوات كثيرة فى بلاد الهند طبقا لما هو مسطور فى هذه الأوراق ، وكان عيبه هو أنه كان يحرص على الأستيلاء على أموال الأغنياء ، وذات مرة أخبروه أن شخصا فى نيشابور لديه أموالا كثيرة ، فأستدعى هذا الشخص إلى غزنين ، وقال له : لما كان قد وصل إلى سمعنا أنك على مذهب القرامطة ، فأجاب الرجل الغنى : أنا لست قرمطيا ولكن الله تعالى قد أغنانى من متاع الدنيا الدنية ، وكل مالدى خذه ، ولا تلقبنى بهذا اللقب فأخذ السلطان أمواله ، وأمر أن يعلنوا حسن عقيدته .

إن أول شخص وزره السلطان محمود كان أبو العباس فضل بن أحمد وكان هذا الوزير ظالما قاسيا جدا ، و بسبب ما استاء منه السلطان فعزله من منصبه ، وصادره ، وقُتل على يد

جماعة من الأمراء كان قد ظلمهم ، و بعد أبى العباس ، وزر خواجه أحمد بن حسن الميمندى ، وقد قام بهذه المهمة الخطيرة كما يجب مدة ثمان عشرة سنة ، وأخيرا استاء منه السلطان وعزله ، وارسله إلى خادمه بقلعة من قلاع الهندوستان ليحبسه فيها ، وجعل الأمير حسنك ميكال وزيرا له ، وكان حسنك رجلا مهذبا ومؤدبا ، وكان ملازما للسلطان منذ عهد الطفولة ، وظل وزيرا له حتى آخر عهد السلطان ، مع أنه كان ضعيفا وعاجزا عن الفصل فى القضايا وتنفيذ أمور الوزارة .

وأوردوا أنه عندما استدعى الأمير نوح بن منصور السلطان لمحاربة أبى على سيمجور بخراسان ، قالوا له فى منزل من الأماكن : انه بالقرب من هذا المكان شخص يقولون انه مشغول بالعبادة ومنقطع عن الدنيا وزاهد ، ولما كان السلطان يميل إلى المتصوفة والدراويش ميلا عظيما ، فقد مال إلى رؤيته ، ولم يكن حسنك ميكال صافى الاعتقاد بهذه الطائفة ، وكان ملازما للسلطان فى هذه الرحلة ، وقال له السلطان : لما كنت أعلم أنك لا تألف المشايخ والمتصوفة وارباب الرياضة ، فاننى أريد أن تذهب معى إلى صومعة الزاهد ، وتوجه الأمير حسنك فى ركاب السلطان ، زار السلطان الزاهد وهو متواضع تمام التواضع ، وعند توديع الزاهد وقال له : ماذا تريد من أموال لكى يقدمها لك الخازن ، رفع الزاهد يده فى الهواء ، ووضع قبضة ذهب مسكوكة فى كف السلطان ، وقال : لا يمكن لأى شخص أن يأخذ من خزانة الغيب مثل هذه النقود ، فما الحاجة إلى مال الخلق ؟ فوضع السلطان هذا الذهب فى يد حسنك ميكال ، وعندما رأى حسنك هذا الذهب ، وجده مسكوكا بسكة أبى على سيمجور ، وعندما خرج السلطان من صومعة الزاهد نظر الى الأمير حسنك وقال : ماذا تقول فى هذه الكرامة ؟ وهل تنكر مثل هذه العادات الخارقة ؟ فأجابه حسنك : ما يقوله السلطان عين الصواب وصدق محض ، ولا يمكن لأى شخص أن يتكلم فى هذا المجال ، لكن لا يجوز للسلطان أن يذهب لمحاربة شخص يكون العملة باسمه فى الغيب ، فسأل السلطان عن تفسير هذا القول ، فأظهر حسنك للسلطان الذهب المسكوك ، فسكت خدمه المتعصبون .

و يروون أنه ذات يوم كان السلطان محمود جالسا فى قصره ، وكان ينظر يمنة و يسرة من نافذة ، وفجأة وقع نظره على قدم بلا رأس تمسك زوجين من الطير ، وعندما رأى هذا الشخص السلطان متوجها اليه ، فأشار ليتركه السلطان ، فقال لنفسه طالما يقدر فليكن العفو ومرة أخرى رمقه محمود ، فأشار اليه ثانية ، واغفله السلطان ايضا ، و بعد الاشارة الثالثة ، طلبه وسأله من أنت ؟ وما هذان الزوجان من الطيور ؟ قال هذا الشخص : أنا رجل مقامر ، واليوم شاركت السلطان القمار ، وأحمل هذين الزوجين من الطيور وأقدم زوجا إلى السلطان ، فأمر السلطان بأن يأخذوا الطائرين منه ، وفى اليوم التالى جاء المقامر ، وأحضر طائرين آخرين فقال السلطان : هل هذا حق الشريك وفى اليوم الثالث جاء على نفس

النظام المعهود إلى السلطان ، وفى اليوم الرابع خلت يد هذا الشخص فجاء حزينا أمام نافذة السلطان ، ووقف ، وعندما رآه السلطان فقال : إن حادثا قد أصاب شريكنا ، لأننى أفهم آثار ماعلي وجهه من حزن فاستدعاه واستفسر منه وقال : ماسبب حزنك ؟ فأجاب اننى شاركت السلطان فى لعب القمار اليوم ، فأخذ الندماء منى ألف درهم ، فابتسم السلطان وأمر أن يعطوه خمسمائة درهم ، وقال : لاتشركنى لعب القمار ثانية مالم أكن حاضرا .

ويروون عن السلطان محمود حكايات ونكات كثيرة ولكن ايرادها ليس مناسبا لسياق التاريخ .

الأمير نصر بن ناصر الدين سبكتكين وماحدث له

عندما أسر السلطان محمود ملك خراسان ، قام الأمير نصر بخدمته لكبر سنه ، وعينه السلطان على إمارة جيش خراسان وولاية نيشابور ، وظهرت الآثار الطيبة والمساعى الحميدة للأمير نصر بن ناصر الدين خلال سنوات حكم هذه المنطقة ، وسعى جديا فى صد المعتدين ثم استدعاه السلطان لخدمته ، وأنس برؤيته ، ولازمه فى الحل والترحال ، ولم يسمح له بالابتعاد ، وبنى الأمير نصر مدرسة ، وجعل التدريس فيها خاص باصحاب أبى حنيفة ، وأوقف الضياع والعقارات الكثيرة عليها ، وكان متحليا بمكارم الأخلاق إلى درجة أنه لم تجر كلمة فحش على لسانه طوال العمر ولم يظلم أو يجور أو يعتد على أحد قط ، وودع الدنيا الفانية وهو فى شبابه ، وحزن احبابه ورفاقه حزنا شديدا على فراقه(١١٤) .

سلطنة محمد بن محمود سبكتكين وأسره بعد خروجه من دار الملك غزنين

عندما توفى يمين الدولة محمود ، جلس ابنه محمد على عرش السلطنة بناء على وصية الأب(١١٥) ، وبايعه اركان الدولة وأهالى المملكة ، واثناء ذلك كان أخوه مسعود حاكما للعراق العجمى(١١٦) ، وعندما وصل خبر موت محمود توجه من همدان إلى خراسان ، وعين العمال والنواب فى هذه الولاية ، وعندما علم الأصفهانيون بسفره ، أبدوا العصيان ، وقتلوا عماله ونائبه ، وانعطف مسعود إلى هناك ، وحاصر الأصفهانيون ، وبعد عدة أيام استولى على المدينة بالقوة ، وقضى على أهل الفتنة ، وترك أحد نوابه على حكومتها وتوجه إلى خراسان وكتب رسالة إلى اخيه ، وجاء بالرسالة : اننى لا أطمع فى هذه الولاية التى أوصى بها الأب

لك ، ولما كنت قد استوليت على بلاد الجبال وطبرستان بسيفى ، فهى تكفينى ، ولكن التمس أن تقدمنى فى الخطبة ، فرد محمد بلهجة قاسية وانشغل باعداد ادوات الحرب ، وكلما سعى أهل الخير لكى يصالح مسعود يأبى ، وأرسل عمه يوسف بن سبكتكين فى المقدمة ، وخرج من غزنين ، ووصل تنكناباد(١١٧) فى غرة رمضان ، وتوقف هناك شهر رمضان كله ، وفى ليلة الثلاثين من شوال حاصر الجنود خيمة محمد ، وأخرجوه من حجرة نومه ، وحبسوه فى قلعة تنكناباد ، واتهموا واحدا من هذه الجماعة التى سعت فى حبس محمد وهو الأمير على خو يشاوند(١١٨) ، من اقرباء السلطان محمود ، وكان السلطان محمود يحب عليا حبا جما لدرجة أنه لقبه بلفظ خو يشا وند ، وايضا اتهموا يوسف سبكتگين بهذا الفعل ، و بعد سجن محمد أسرع أركان دولته لاستقبال مسعود(١١٩) ، وكان منهم الأمير حسنك ميكال ، وكان يثير العداء فى أيام دولة السلطان محمود مع مسعود ، وقد توجه فى نفس ذلك الحين إلى حتفه ، ووصل إلى موكب مسعود فى نيشابور ، وعندما وقعت عينا مسعود على خو يشاوند و يوسف ابن سبكتگين ، سجن مسعود يوسف ، وقل على خو يشاوند وتوجه إلى غزنين ، وسمل عينا أخيه السجين (١٢٠) .

سلطنة مسعود بن يمين الدولة محمود ابن ناصر الدين سبكتگين

ارسل السلطان مسعود أبا سهل الحمدانى(١٢١) ، لحكم ممالك العراق فى شهور سنة اثنتى وعشرين واربعمائة ، وكتب منشورا بأن يحكم علاء الدولة بن كاكو يه اصفهان لكى يكون ابن كاكو يه(١٢٢) مساعدا ومعاونا لأبى سهل ، وكان علاء الدولة هذا ابن خال مجد الدولة بن فخر الدولة الديلمى وكاكو يه بلغة الديلم تعنى خال .

فى ذلك الوقت الذى كان فيه السلطان مسعود حاكما مستقلا على العراق ، تزوج ابنة كاكو ية ، وتدخل ابن كاكو يه فى بداية الأمر نيابة عن مسعود فى حكومة العراق وقد انتهى الأمر باستبداده واستغلاله .

وعندما تمكن السلطان مسعود من عرش غزنين ، استدعى أحمد بن حسن الميمندى — الذى كان أبوه قد عزله من الوزارة ، وارسله الى قلعة من قلاع الهند — ووضع زمام تنظيم الأمور ومصالح الجمهور فى يد كفاءته ، واستقل صاحب التدبير مرة أخرى بالوزارة فى غزنين وخراسان(١٢٣) .

وفى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة أصدر مسعود أمرا بأن يتوجه التونتاش حاجب بجيوش خوارزم إلى ماوراء النهر ، ويحد من سيطرة راى تگين فى سمرقند و بخارا ، وعندما

وصل التونتاش إلى حدود بلخ التحق خمسة عشر ألف رجل من جيش مسعود به بموجب الأمر وعبر التونتاش نهر آمو يه (١٢٤) ، وتوجه إلى بخارا ، وعندما وصلت جيوش خوارزم وخراسان إلى هناك ، استولوا على المدينة فى هجوم واحد وتوجهوا إلى سمرقند ، وعبأ على تگين جيشه ، وأقام معسكرا كان على أحد أطرافه نهر وأشجار كثيفة ، ومن طرف آخر جبل ، و وصل الطرفان إلى بعضهما ، و وقعت معركة حامية الوطيس وعندما التهبت الحرب خرجت طائفة ــ كان على تگين قد اعدها فى كمين ــ من مكمنها وهجموا على جيش خوارزم لكن التونتاش أبدى شجاعة وجلدا ، وهزم الأعداء ، ولما كانت الغابة والأشجار قريبة فلم يجد على تگين مفرا من الهزيمة النكراء ، وعندما حل المساء ، ونزل التونتاش حاجب بمعسكره ، دخل على تگين بجيشه الغابة ، و يقولون أنه فى اثناء القتال أصابوا يد التونتاش ــ التى اصيبت من قبل بحجر اثناء محاصرة قلعة من قلاع الهند ــ بجرح ، فشلت حركته ، وقد أخفى التونتاش هذا الأمر على الجيش ، وأمر بعض غلمانه الخواص ليربطوها ، وعندما نزل بمكان ليلا استدعى أمراء وأعيان الجيش ، وقال لقد جرحت جرحا كبيرا ، ولا سبيل مطلقا ، فأنقذوا أنتم أرواحكم ، وارسل الأمراء بعد المشورة رسلا إلى على تگين ليحدثوه عن الصلح ، ولما كان قد قُتل وجُرح كثير من جيشه ، أنتهى الأمر بأن يعود الجيشان كل إلى وطنه فى نفس هذه الليلة وتوفى التونتاش فى اليوم التالى ، وعلم مسعود بهذا الخبر ، فنصب ابنه هارون مكانه (١٢٥) .

وفى سنة أربع وعشرين وأربعمائة أبدى أهل الرى والجبال عصياناً ، وأظهر نائب مسعود فى الهندوستان مخالفة (١٢٦) ، وفى نفس هذه السنة أيضاً توفى خواجه أحمد بن حسن الميمندى ، و بعد ذلك استدعى أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد الذى كان فى خوارزم نائباً و وزيراً لهارون بن التونتاش ، ونصبه مسعود مكان خواجه أحمد حسن .

وفى سنة ست وعشرين وأربعمائة ، قاد الجيش إلى طبرستان وجرجان وقوى من عضد عماله فى العراق ، وأرسل أبو السعود حمدانى الذى كان فى الرى من قبل مسعود الجيوش ليعيد أهل قم وساوه ــ الذين سلكوا طريق العصيان ــ إلى جادة الطاعة والولاء ، وكان السلاجقة قد أثاروا الفتنة فى خراسان ، وتوجه مسعود من جرجان إلى غزنين وأراد أن يتوجه من هناك إلى الهند فقال له الأمراء وأركان الدولة : المصلحة هى أن نتوجه أولاً إلى خراسان ونصد السلاجقة ، فقال مسعود : اننى نذرت فى مرضى أن أفتح القلعة الفلانية التى لجأ إليها جماعة من كفرة الهند ــ بعد استرداد صحتى ، وكلما منعه أهل الخبر ، لا فائدة وتوجه إلى هذه الناحية ، وفى غيبته قوى شأن التركمان فى خراسان ، وطرد علاء الدولة بن كاكويه أبا سهل الحمدانى من الرى أيضاً ، واستولى على هذه الديار ، وقوى أمر « أبى كالنجار » الذى كان مخالفا لمسعود فى طبرستان . (١٢٧)

وعاد السلطان مسعود من رحلة الهند فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة نادماً ، و بعد ذلك استولى طغرل بيك وجقر بيك السلجوقى على أكثر بلاد خراسان ، وخرج السلطان مسعود فى محرم سنة ثلاثين وأربعمائة من غزنين ، وقطع المراحل والمنازل حتى وصل إلى جوزجان وفى تلك الأيام جمع شخص جرىء جماعة من الأرازل والأوباش ، وقطع الطريق واستولى على قلعة قرب جوزجان ، وجعلها مقر قوته ومكان حشمه ، وعندما وصل مسعود إلى تلك النواحى ، تحصن كبير اللصوص فى القلعة ، وأخرجه مسعود من القلعة بخدعة ، وهجم على هذه القلعة بثمانين شخصا ، ثم توجه إلى بلخ ، وعرض أهالى هذه البلاد أن نورتگين قد تجرأ وتجاسر فى غيبة الحاكم ، وعبر النهر أكثر من مرة ، وأطلق يد القتل والسلب ، فقال مسعود : سأدفعه فى هذا الشتاء ، وعندما يأتى الربيع سأستأصل السلاجقة فصاح الأمراء والنواب وقالوا : ان السلاجقة يأخذون المال من خراسان منذ سنتين والناس قد انصاعوا لحكمهم ، فيجب دفع هؤلاء أولا ، ولم يهتم مسعود لنحس طالعة بهذا الكلام وعبر النهر ، وتوجه إلى نورتگين وفى هذا الشتاء سقطت الثلوج الكثيرة على جيوش مسعود ، ووصل إلى غزنين بصعوبة بالغة لايمكن وصفها .(١٢٨)

وأثناء ذلك سمع مسعود أن داود السلجوقى متوجه من سرخس إلى بلخ ، فاضطر للعودة ، وعلم نورتگين بخبر عودته ، فتعقبه وسلب بعض جياده وإبله الخاصة ، واضطرب حال مسعود تماما ، ولم يكن لديه مجالاً إلا لصده ، و بعد عودة مسعود من خلف نورگين وقعت بينه و بين السلاجقة حروب كثيرة ، وأخيرا فر مسعود من مقاتلتهم ، وتوجه إلى غزنين ، وسوف أعرض جملة من هذه الأمور فى تاريخ السلاجقة إن شاء الله تعالى .

وصول السلطان مسعود إلى غزنين وتوجه خدمه من هناك إلى الهندوستان ونهاية أمره فى تلك الفترة

عندما وصل السلطان مسعود إلى غزنين بحال سيئة ، قبض على أمراء الدولة ، وقتل بعضهم بحجة أن بعضهم قد قصر فى قتال السلاجقة ، وأرسل ابنه مودود مع جيش من جيوش أبى نصر أحمد بن محمد بن عبدالصمد الوزير إلى بلخ ، وتوجه مع أخيه محمد المسمل عينيه وأبنائه أحمد وعبدالرحمن وعبدالرحيم وجمع الأقارب والعشائر إلى الندوستان ، على أمل أن يعسكر الشتاء هناك ، و يعود فى موسم الربيع بجيش لاحصر له لدفع السلاجقة عن خراسان ، وعندما عبر مسعود نهر السند ، ولم تزل معظم خزائنه فى الطرف الآخر حيث كان نوشتگين قد اتفق مع غلمانه الخواص بأن يستولوا على الخزينة و يتوجهوا إلى محمد المسمل

العينين ، و يسلمونه السلطنة ، وامتنع محمد عن قبول هذا الأمر، فقال الغلمان : لقد أظهرنا العصيان من أجلك ، فلو أبيت سنقتلك ونبايع آخر، وعبر الغلمان النهر في ركاب محمد ، وتقاتلوا مع مسعود ، وانهزم جيش مسعود الذى كان قليلاً للغاية ، ولجأ مسعود إلى رباط ، كان في تلك الناحية ، وقبضوا عليه في النهاية ، وأحضروه إلى أخيه محمد ، فقال محمد : انني لا أقصد قتلك ، فاختر الآن مكاناً لسكناك ليصحبك حرمك وأبناؤك ، فذكر مسعود قلعة كبرى(١٢٩) ، فأرسله محمد مع جميع متعلقاته إلى هناك ، وأصدر مرسوما بالجماعة القائمة على حراسته .

و يذكرون أن مسعود طلب من أخيه أثناء توجهه إلى القلعة مالاً لينفق منه على مصالحه ، فأرسل محمد الضعيف خمسمائة درهم فبكى مسعود ، وقال : بالأمس كنت أملك ثلاثة آلاف حمل ، والآن ليس لدى درهم واحد ، وقد أعطى الشخص الذى حمل الخمسمائة درهم إلى مسعود ألف دينار من ماله الخاص ، وكان هذا الكرم سبباً في سعادته ، وقد ظهر أثره في أيام دولة مودودبن مسعود عليه .

ولما لم يكن لدى عين محمد نور من نور البصيرة ، فقد ترك السلطنة لابنه أحمد ولم يبق له من أمر الحكومة سوى الاسم ، وكان أحمد فيه خبط وهوج ، فقد اتفق مع ابن يوسف سبكتكين وابن على خو يشاوند بأن يتوجهوا دون رضاء محمد ، و يقتلون مسعود ، وكان هذا الأمر بغيضاً على محمد ، وقد قال البعض بأنهم توجهوا دون رضاء محمد ، وقال البعض بأن أحمد قد أغوى الأب بأن يرسل شخصاً وقتل مسعود(١٣٠) ، وكانت مدة سلطنة مسعود تسع سنين واثنى عشر شهراً . (١٣١)

كان السلطان محمود شجاعاً وكريم الخلق مفرطاً في الكرم يجالس العلماء والفضلاء و يصاحبهم ، و يصلهم بجميع ألوان الاحسان والاكرام ، وقد كتب جماعة من الأفاضل كتباً باسمه ، وكان يجزل العطاء متصدقاً ، و يروى أنه ذات مرة في رمضان أمر أن يرسلوا ألف ألف درهم إلى المستحقين ، وأنه قد بنى في عهده وفي ممالكه المحروسة بقاع خير من مدارس ومساجد وغير ذلك مما يعجز اللسان عن تعدادها ، وعموماً عندما قُتل مسعود ، أرسل محمد المسمل العينين رسالة إلى مودودبن مسعود ، مضمونها أن فلان وفلان قد أراقوا دم أبيك مسعود ، ولم يكن هذا برغبتي فأجابه مودود : أطال الله بقاء الأمير لقد حدد معاشا لهذا الابن المجنون ، لجنونه ، وقد ارتكب أمراً عظيما ، وأراق دم سلطان يسمى « أمير المؤمنين سيد الملوك والسلاطين » ، وسيصله جزاؤه سريعا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » .

و بعد مقتل مسعود ، خُربت الولاية ، ولم يهتم محمد وأبناؤه بالنظر في أمر الجيش والرعية ، وسلبت جميع أموال وممالك أهل پرشاور وكانت بلاداً واسعة وكبيرة ، وكانوا يبيعون الغلام بدينار واحد ، بل كان شراء الخمر زيادة عن شراء الغلام . (١٣٢)

محاربة مودود بن مسعود مع عمه محمد بن محمود
وانتقال دولته وملكه إلى مودود

عندما وصل خبر قتل مسعود إلى ابنه مودود ، رحل من ظاهر بلغ ، وتوجه إلى غزنين ، وصفوا الجيشين ، وانتصر مودود ، وأسر محمد(١٣٣) وأبناءه ونوشتگين البلخى الذى كان أسا لهذا الفساد والفتنة وابن على خويشا وند وقتلهم جميعا ، ولم يجد شخص قط خلاصا إلا عبد الرحيم بن محمد ، وسبب نجاته أنه كان فى ذلك الوقت الذى كانوا قد حبسوا فيه مسعود كان هو وأبناء أخيه عبدالرحمن وعبدالرحيم يذهبون لزيارته ، وقد أطلق عبدالرحمن يده ، ورفع تاج مسعود عن رأسه فأخذه عبدالرحيم من يد أخيه ، ووضعه على رأس عمه ، وأنب عبدالرحمن ، ولامه كثيرا ، وبذلك تخلص من القتل ، وأهلك عبدالرحمن مع الأخرين المتورطين .

« قليل الأدب لايسىء إلى نفسه فقط »
« بل إنه يشعل النار فى الآفاق » (١٣٤)

وعموماً بعد أن قتل أهل الفتنة جزاء عملهم ، بنى مودود فى هذا المكان الذى وقعت فيه الحرب ، قرية ورباطا ، وسمى القرية « فتح آباد » (١٣٥) وبعد ذلك دخل غزنين ، وجلس على سرير الحكم ، وأقر منصب الوزارة لأبى نصر أحمد بن محمد عبد الصمد(١٣٦) وسلك طريق العدل والانصاف مع الرعايا ، ونهج نهج الرحمة والعطف ولم يفكر قط إلا فى أخيه مجدود الذى كان قد أرسله مسعود إلى الهندوستان ، واستولى على المولتان وعدة ولايات أخرى وقوى جيشه ، وعندما سمع مجدود خبر قتل أبيه ، دعا دعوة الاستقلال والاستعلاء ، وبلغ هذا الخبر مسامع مودود ، فأعد جيشا ، وقبل أن يشعل مجدود نار الحرب ، أرسله لصده ، وتحرك مجدود من مكانه أيضاً بجيش جرار ، وبلغ لهاور ، وهناك قام برسوم عيد الأضحى وفى صباح اليوم الثالث وجدوه ميتاً فى الخيمة ، ولم يعرف كيف تم ذلك ، وبعد وقوع هذا الأمر تبعت تلك البلاد التى كانت تابعة لمجدود إلى مودود ، وأطاعه ملوك ماوراء النهر أيضاً .

ولكن السلاجقة كانوا دائما فى مقام العداء ، وقد أعد مودود فى سنة خمس وثلاثين وأربعمائة الجيوش ، وأرسل قائد جيشه إلى خراسان ، فأرسل جقريك(١٣٧) بن الب ارسلان لمواجهته ، وانتصر عليهم الب أرسلان ، وانهزم الغزنويون ، وتوجهوا إلى بلادهم .

وفى هذه السنة أيضاً توجه جيش من التركمان السلاجقة إلى گرمسير وقندهار ، وسلبوا هذه الولاية ، وأرسل مودود جيشا من غزنين لدفعهم ، والتقى الفريقان فى بست ، ووقعت معركة حامية وتقهقر التركمان ، وقتل كثير منهم .

وفى هذه السنة اتفق عدة ملوك من ملوك الهند ، وجمعوا جيشاً قو يا ، وحاصروا لهاور(١٣٨) ، وأرسل مودود جيشاً لمساعدتهم ، وقبيل وصول جيش غزنين وقع خلاف بين ملوك الهند المحاصر ين ، وأرسل جيش الاسلام فى فى لهاور رسلاً إلى غزنين ، ودخل بعضهم فى طاعة مودود ، واتفقوا مع أهل المدينة ، وتوجه البعض إلى بلادهم ، وقوى أهل لهاور بمساعدة الذين كانوا قد أطاعوا مودود ، وتعقبوا الأعداء ، وتحصن الهنود الذين كانوا خمسة آلاف فارس وخمسة وسبعين ألفا من المشاة بقلعة منيعة وجبل حصين ، وأحاطهم المسلمون من كل جانب ، وظلوا يحار بونهم ليل نهار ، وقتل جماعة كبيرة من مشايخ الهنود ، وطلب من بقى من السيف الأمان ، وقبلوا أن يسلموا القلعة ، فقال أهل الاسلام : إذا أردتم أن نعطيكم الأمان ، دعوا القلاع التى تحت سيطرتكم كلها ، فسلم الهنود جميع القلاع لضعفهم وخوفهم ، وعندما علم جميع ملوك الهند بهذا النصر المبين ، قدموا الولاء ، وعاد إلى لهاور المسلمون بغنائم لا حصر لها وخمسة آلاف مسلم كانوا محبوسين فى قلاع الكفار .

وفاة مودود بن مسعود ابن السلطان محمود

توفى صاحب غزنين مودود بن مسعود فى العشر ين من رجب سنة احدى وأر بعين وأر بعمائة وفى هذه السنة كان ملوك النواحى قد قبلوا أن يمدوا مودود بجيش ومال ليسترد خراسان من السلاجقة وفى منتصف رجب من السنة المذكورة خرج مودود بجيش جرار من غزنين فأصيب فى أول منزل بمرض القولنج (١٣٩) ، فعاد إلى غزنين ، وأرسل وز يره عبدالرازق بن أحمد الميمندى إلى سيستان حيث كان السلاجقة قد توجهوا بجيوشهم إلى هذه الناحية وكانوا قد استولوا على هذه الولاية ، وعندما نزل مودودبغزنين ، اشتد عليه المرض ، وتوفى(١٤٠) ، وجلس ابنه علىّ على الحكم .

و بعد خمسة أيام أحضر أركان الدولة علىّ بن مسعود ، و بايعوه وكان مودود قد حبس عبدالرشيدبن مسعود فى أول حكومته بقلعة بين بست وغزنين ، وفى ذلك الحين توفى مودود ، وعلم وز ير مودود بهذا الخبر ، وكان قد نزل قرب هذه القلعة ، فأخرج عبدالرشيد من حبسه ، ودعا الجيش لطاعته ، وتبعه الجيش ، وتوجه الوز ير فى صحبه عبدالرشيد إلى غزنين ، وعندما اقترب عبدالرشيد من دار الملك ، فرّعلىّ بن مسعود ودخل عبدالرشيد المدينة ، وحكم ، وكان رجلاً ضعيف الرأى والهمة ، ولم يكن يقضى أمر سلطنته بما يجب .

قتل طغرل كافر النعمة لعبد الرشيد(١٤١) وأكثر أولاد يمين الدولة محمود، وبيان قتله

كان طغرل حاجباً من ربائب دولة مودود بن مسعود، وكان مودود قد تزوج اخته، وكان طغرل دائما يحرضه لكي يقود الجيش إلى خراسان لدفع السلاجقة، وعندما وصلت النوبة إلى عبدالرشيد أعطى طغرل ألف فارس لكثرة الحاجة لكي يسترد سيستان من السلاجقة، وكان أبوالفضل حاكما فى سيستان من قِبل داود السلجوقى، وكان يقيم فى قلعة «طاق»، ودخل طغرل سيستان، وحاصر أبا الفضل ودعاه لطاعة عبدالرشيد، وأبدى أبوالفضل امتناعه، وطالت مدة الحصار، وتوجه طغرل إلى مدينة سيستان دون فتح، وكمن على مسافة فرسخ من المدينة ليفتح المدينة على غرة، وفى أثناء ذلك وصل بيغو السلجوقى الذى كان أبوالفضل قد طلب منه المساعدة، عقب طغرل، وتشاور مع جيشه بصدد الحرب، قالوا جميعا، انه لامناص لنا من الموت فى هذا البلاء الذى أوقعنا أنفسنا فيه، ونموت بالسيف فى عزة، وليس هناك تدبير آخر، لأن غزنين بعيدة ونحن قلة والعدو فى كثرة، ووضعوا قلوبهم على الموت، وهجموا على بيغو وهزم بيغو، وتعقب طغرل الفارين قرابة فرسخين، وعاد واستولى على المدينة، وعرض الأمر على عبدالرشيد، وطلب المساعدة لكى يتوجه إلى خراسان، وأرسل عبدالرشيد فرسانه لمساعدة طغرل.

وعندما استقل طغرل بسيستان، وضبط أطراف ونواحى هذه الولاية وشاور خاصته فى مجال دفع عبدالرشيد، فأثنوا جميعا على رأيه، وتوجه طغرل على أمل القضاء على عبدالرشيد، وعندما وصل على مسافة خمسة فراسخ من المدينة، أخبروا عبدالرشيد بمكره وغدره، فدخل مع أتباعه قلعة غزنين، واستولى طغرل على المدينة، وأرسل إلى حكام القلع رسولاً، ليعدهم و يتوعدهم لكى يسلموا عبدالرشيد وقتل طغرل كافر النعمة عبدالرشيد وجميع أولاد محمود الذين وقعوا بيده، وكان من بينهم ثلاثة أشخاص محبوسين فى قلعة من القلاع لم يتمكن طغرل من قتلهم، استدعى كافر النعمة هذا أخت مسعودبن محمود بالإكراه، وجلس على عرش السلطنة، وأرسل رسالة إلى خرخير واطلع على حادثة عبدالرشيد، وطلب منه أن يأتى لمبايعته، وكان خرخير يبجل سلاطين الغزنوية السابقين، وكان عبدالرشيد قد أرسله بجيش جرار إلى الهندوستان وعموماً عندما وصلت رسالة طغرل كافر النعمة إلى خرخير، واطلع على حادثة عبدالرشيد أنكر ذلك إنكاراً شديداً، وكتب رسالة شديدة اللهجة وأرسل إلى أخت مسعود بأنه يجب القضاء على طغرل، وأرسل رسائل إلى القواد أيضا يلومهم على تقصيرهم فى الأمور القبيحة التى ارتكبها طغرل، وشجع جماعة كانوا مخالفين لطغرل، واتفق مع جماعة من الشجعان وذات يوم كان هذا الغدار كافر النعمة يجلس على العرش و يصدر الأوامر فتقدموا نحوه، وطعنوه بالسيف، وقامت جلبة عظيمة، ولما قتل طغرل وصل خرخير الى غزنين بعد

عـدة أيام ، وجمع أكابر وأشراف هذه الولاية ، وشاورهم حول من هو جدير بالسلطنة من بقى من آل سبكتكين ، ووقعت القرعة على فرخ زادبن مسعود(١٤٢) وكان محبوساً فى قلعة من القلاع .

سلطنة فرخ زاد ابن السلطان مسعود ابن السلطان محمود

عندما قُتل طغرل ، دخل خرخير(١٤٤) غزنين ، وأطلق سراح فرخ زاد من القلعة ، وأجلسه على عرش السلطنة ، وقام خرخير بتدبير أمور المملكة ، وتتبع كل من سعى فى قتل عبدالرشيد وقبض عليهم وقتلهم جميعا .

وعندما علم داود السلجوقى بخبر انقلاب ملك ودولة الغزنويين قاد الجيش إلى غزنين ، واستقبله خرخير بالجيوش ، وتقاتل الفريقان وهزم داود ، وسقطت أحمال وأمتعة التركمان فى يد الغزنويين ، وعندما استقر فرخ زاد على الحكم ، جمع جيشا عظيما توجه إلى خراسان ، وأرسل السلاجقة كلسارق ــ وكان من أعظم أمرائهم ــ بجيش قوى لمواجهتهم وهزم أصحاب كلسارق فى هذه المعركة ، وأسر كلسارق مع عدد آخر من الأمراء ، وبعد ذلك قاد ألب ارسلان جيشا بموجب أمر أبيه ، وحارب الغزنويين ، وأسر عدداً من أعيانهم وعندما رأى فرخ زاد الأمر على هذا المنوال ، أطلق سراح كلسارق وخلع عليه الخلع ، وأطلق السلاجقة أيضاً أسرى غزنين .

ولما مرت ست سنوات من حكم فرخ زاد ودع الدنيا الفانية فى ريعان شبابه وجلس أخوه محله . (١٤٥)

سلطنة ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين

كان سلطانا عادلاً زاهداً صاحب دولة ، وكان يصوم شعبان مع رمضان ، وكان يصوم ثلاثة أشهر فى العام(١٤٦) ، تصالح مع السلاجقة على أساس ألا يتعرض أى منهما لولاية الآخر ، وكتبوا بذلك معاهدة أثبتوا عليها أسماء أشرافهم ، وبعد تمام أمر الصلح ، قاد إبراهيم بن مسعود الجيش إلى الهندوستان ، وفتح أماكن كثيرة لم يكن قد تيسر لأجداده وآبائه

فتحها ، كان من بينها قلعة فى أقصى بلاد الهند على قمة جبل عال ، وكان على أحد جوانبها بحراً واسعاً لايمكن للسفينة أن تعبره ، وعلى جانبها الآخر غابة لا ينفذ من كثرة أوراقها شعاع الشمس ، مملوءة بالأفيال الضخمة ، والهنود الشياطين المدججين بالعُدد ، وقد امتازت هذه البقعة عن سائر البقاع بالحصانة والمتانة ، ولم يكن هناك مجال للوقوف والقتال حول هذه البقعة ، قاد السلطان ابراهيم الجيش صوبها وفتح القلعة الحصينة بتوفيق الله ، وعاد بغنائم لاحصر لها إلى دار الملك غزنين .

وفتح مكاناً آخر فى آخر بلاد الهند المعمورة(١٤٧) كان أحفاد وذرية الخراسانيين قد استوطنوا بهـ حيث كانوا قد طردوا فى الأزمنة القديمة أيام افراسياب(١٤٨)، من خراسان ، وبنوا مدينة حصينة جداً كان قطر حوضها نصف فرسخ ، وكلما كان الناس والحيوانات تشرب من مائه ، فلا يحس بنقص فى هذا الماء ، وعندما علم ملوك الهند أن الاستيلاء على هذه القلعة ضرب من المستخيل ، فلم يتعرضوا لهم وتوجه السلطان ابراهيم بنية الغزو إلى هناك ، ووقعت بين الطرفين حرب ، وانتصر ابراهيم ، وقتل طائفة كبيرة من هؤلاء ، وتفرق بعضهم وأسر قرابة مائة ألف شخص من نساء وأبناء الكفرة وعاد .

وفى مرة أخرى أخبروه أن هناك جماعة بين خليجين من خلجان بلاد الهند قد اعتادوا عبادة الأصنام والفسق على الدوام ، فتوجه السلطان بالجيوش الجرارة إلى هناك ، وواجه فى طريقه عقبات لاتعد ولاتحصى منها الأشجار المتشابكة ، ووصل السلطان بعد أن قطع عدة منازل ومراحل ، وتوقف ثلاثة أشهر فى مكان قريب من مقر الكفار وعانى أهالى غزنين من كثرة الأمطار ، وأخيراً نصره الله جل وعلا على أعداء الدين .

وفاة السلطان أبى المظفر ابراهيم بن مسعود
وحكومة ابن مسعود

توفى السلطان ابراهيم فى سنة احدى وثمانين وأربعمائة وقد حكم ثلاثين سنة برواية ، ويقول صاحب تاريخ گزيده(١٤٩) ومؤلف تاريخ بناكتى كانت مدة سلطنته اثنين وأربعين عاما .

كان ابراهيم سلطانا عادلا مجاهدا صاحب رأى ، ويروون أنه قبل المصالحة بين الغزنوية والسلجوقية كان السلطان ملكشاه السلجوقى قد عزم أن يتوجه بمعسكره إلى غزنين ، وبلغ هذا الخبر ابراهيم ، فكتب رسائل إلى أمراء ملكشاه ، مضمونها « انه يستحسن أن تأتوا

بملكشاه إلى هنا لكى يتوجه إلى هذه الناحية ، والهدف من سعيكم أن تدخلوه بسرعة إلى هذه الولاية لنتخلص منه جميعا ، وطالما قد قبلتم فاننا سنضاعف لكم ، ونبذل فى حقكم الاكرامات الكثيرة » ، وسلم هذه الرسائل إلى أمير وقال : لما كان ملكشاه مشغولاً أكثر أوقاته بالصيد ، فأنتهز الفرصة لكى يحملوك إليه فى المصطاد وكان هدف السلطان ابراهيم أن تظهر الرسائل فى مكان لا يكون الأمراء فى ملازمة ملكشاه ، وكان ملكشاه فى ذلك الوقت قد نزل فى قصبة اسفرار، وتوجه للصيد ، و وصل الرسول إلى هذه النواحى ، فأخذوه ، وحملوه إلى السلطان ، فأستفسر ملكشاه عن أحواله ، فجرت كلمات ضجر على لسان الأمير، فأمر السلطان بأن يضربوه بالسياط لكى يقر ، وبموجب الأمر وعندما ضربوا الأمير أظهر الرسائل ، وعندما أطلع ملكشاه على هذا الأمر، لم يعتب على الأمراء ، وبهذا التدبير أثنى السلطان عن عزيمته .

و يروون أن السلطان إبراهيم كان يكتب خطا جميلاً جداً ، وكان يُتم كتابة مصحف كل سنة ، و يرسله بأموال كثيرة إلى مكة . (١٥٠)

وعندما توفى ، حل محله ابنه مسعود ، ولقب بجلال الدولة(١٥١) وكان السلطان ابراهيم قد خطب أيام دولته ، و بعد الصلح ــ اخت السلطان ملكشاه لمسعود ، وسعى خواجه نظام الملك فى هذا المجال مساعى جميلة ، وكانت أسس الصداقة بينهما وطيدة ، وحتى وفاة مسعود كانت مدة سلطنة مسعود ست عشرة سنة(١٥٢) ، وغير معلوم عن أحواله أكثر مما جاء فى هذا الكتاب .

سلطنة ارسلان شاه بن مسعود بن ابراهيم
ابن مسعود بن محمود سبكتگين

عندما جلس ارسلان شاه على عرش السلطنة ، قبض على اخوته وسجنهم ، وفر بهرامشاه أحد اخوته ، وذهب إلى خراسان عند السلطان سنجر(١٥٣) ، وكان والياً على هذه الولاية من قبل أخيه محمد بن ملكشاه آنذاك ، وأرسل السلطان سنجر رسولاً إلى ارسلان شاه ، ولكن منعه عن عداء اخوته ، وألح عليه فى أمر بهرامشاه ، ولكن ارسلان شاه لم يلتفت لهذا القول ، فأمر السلطان سنجر باعداد الجيش لكى يتوجه إلى غزنين ، وعلم أرسلان شاه بهذا الأمر، فأرسل سفارة إلى العراق عند محمد بن ملكشاه وشكا السلطان سنجر، فأرسل

السلطان محمد رسولاً إلى خراسان ، ليمنع أخاه من هذه الحرب ، وقال للرسول إذا كان أخى سنجر قد توجه فعلاً ، فلا تبلغه هذه الرسالة ، وعندما وصل السلطان إلى بست التحق به أبوالفضل والى سيستان بجيشه ، وعندما سمع ارسلان شاه بخبر توجه سنجر ، جمع جيشاً كبيراً ، وأرسله لمواجهته ، والتقى الجيشان ببعضهما ، ووقعت معركة حامية ، وقتل بعض الغزنويين ، وهزم البعض الآخر ومن بقى حياً عاد بحال سيء إلى غزنين ، ودخل ارسلان خاضعاً خاشعاً ، وأرسل أمه أخت السلطان سنجر مع مأتى ألف دينار أحمر وغير ذلك من التحف والهدايا إليه ، فطلب منها سنجر أن تعود إليه ، لكن بهرامشاه استاء من ظلم ارسلان شاه ، وسهل أمر تسخير غزنين فى نظره ، وتوجه سنجر بالرأي الصائب لبهرامشاه إليه ، وعندما وصل غزنين على مقربة من فرسخ ، تقدم ارسلان شاه بثلاثين ألف فارس ومشاة ومائة وستين فيلا لمواجهة السلطان سنجر ، وأعمد كل منها السيوف والرماح ، وأبدى صاحب سيستان أبوالفضل فى هذه المعركة شجاعة نادرة ، واستولى على عدة أفيال من أفيال الأعداء ، وهبت نسائم الظفر على راية السلطان سنجر ، وسلك ارسلان شاه طريق الفرار ، ودخل السلطان سنجر غزنين فى العشرين من شوال سنة عشر وخمسمائة ، ومنع الجميع عن السلب والنهب ، ووقعت أموال لاحصر لها من خزينة غزنين بيد السلطان سنجر ، من جملتها خمسة تيجان قيمة الواحد منها ضعف ألف ألف دينار ، ووجدوا من أسلحة ومنطقة مرصعة بالجواهر اللامعة ، فحول إلى الخازن ألف وثلاثمائة منها .

وخرج السلطان من غزنين بعد أربعين يوماً ، وسلم هذه المملكة لبهرامشاه ، وعندما علم ارسلان شاه بعودة السلطان سنجر جمع جيشاً جراراً من بلاد الهند ، وتوجه إلى غزنين ولم يكن لدى بهرامشاه طاقة للمقاومة ، فتوجه إلى باميان ، وطلب المساعدة من السلطان سنجر ، فتوجه مسرعا إلى دار الملك ، فأخلى ارسلان شاه عاصمة البلاد خوفاً وفزعا ، وانزوى بناحية ، وجد جيش سنجر فى طلب ارسلان شاه ، وقبضوا عليه ، وأراد أمير جيش خراسان أن يحمل أرسلان شاه إلى السلطان سنجر فخاف بهرامشاه ، وقدم له أموالاً كثيرة ليسلمه له ، وقتل بهرامشاه أخاه ، وكانت مدة سلطنة أرسلان شاه برواية ثلاث سنوات (١٥٤) .

سلطنة بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود

كان معز الدولة بهرامشاه سلطانا صاحب شوكة ، وكان دائما يجلس مع العلماء والفضلاء والحكماء ويحادثهم ، وقد ألف الأفاضل فى أيامه كُتباً باسمه الشريف ، منها كتاب كليلة

ودمنة وهو مزين باسمه العالى ، وارتاح خاطر الرعايا فى عهد سلطنته وقضوا أياماً سعيدة فى عيشة رغدة ، وفى يوم جلوسه نظم سيد حسن غزنوى قصيدة مطلعها :

« جاء النداء من السماء السابعة »

« أن بهرامشاه هو ملك العالم » (١٥٥)

وبعد ذلك تمكن من عرش السلطنة ، وقاد الجيش إلى بلاد الهند ، وفتح من تلك البلاد أماكن لم يكن أسلافه قد وصلوا إليها ، وعاد ظافراً منتصراً ، وترك واحداً من أمرائه لضبط ممالك الهند ، وبعد طول المدة سلك هذا الكافر للنعمة طريق التمرد والعصيان ، وقاد بهرامشاه الجيش لصد ودفع شره وفتنته ، والتقى مع هذا المتمرد فى نواحى المولتان ، وقد شمل الشؤم حال هذا الكافر للنعمة ، وسقط هو وأبناؤه وأتباعه فى ورطة الهلاك والبوار ، وسخر بهرامشاه ديار الهند مرة ثانية ، وعندما عاد من الهندوستان وقعت بينه وبين ملوك الغوريين (١٥٦) معارك كثيرة ، وشرح هذه الأمور يمكن التماسه فى تاريخ الغوريين ، وقد أورد بعض أصحاب الأخبار أنه فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة توفى بهرامشاه (١٥٧) ، وبناء على هذا الرأى فإن مدة سلطنته بعد قتل أخيه أرسلان شاه يكون ثلاث وخمسون سنة ، حيث واروه فى سنة اثنى عشر وخمسمائة فى سجن النسيان (١٥٨) .

سلطنة خشروشاه بن بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود سبكتكين

بعد وفاة الأب ، صار سلطانا ، وعندما توجه علاء الدين حسين جهانسوز إلى غزنين ، فر ، وتوجه إلى الهندوستان ، وانشغل بحكومته فى لهاور ، و يقول بعض المؤرخين « عندما عاد علاء الدين جهانسوز من غزنين ولم يكن لدى خشروشاه طاقة لمقاومتهم ، فاضطر العودة إلى لهاور ، وحل محله ابنه ، وكانت مدة سلطنته ثمانى سنوات (١٥٩) .

خسرو ملك بن خسروشاه آخر ملوك الغزنويين

بعد وفاة أبيه فى لهاور جلس على عرش السلطنة ، كان سلطاناً يتصف بالحلم والحياء ، وكان مفرطاً فى المرح والطرب ، ولذلك سرى ضعف تام فى جميع أمور الملك ، واستاء أمراء وأركان الدولة منه ، ووصل النساء والخدم فى عهده إلى درجة اصدار الأوامر ، وفى تلك الأيام اتخذ السلطان غياث الدين محمد سام غورى غزنين حاضرة له ، وكان يقود الجيوش

سـنـو يـاً إلى حدود الهندوستان حتى وصل إلى لهاور فى شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، واستـولى على هـذا الملك ، وجاء خسرو ملك إليه آمنا وأرسل غياث الدين سام خسرو ملك إلى غزنين (١٦٠) .

وعندما سقط جميع الغزنو يين فى يد الغور يين ، أفنوهم جميعاً واندرست أسرة سبكتكين ، ولم يبق من هؤلاء الملوك الأقو ياء من شىء سوى حكايات ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .

حاشية الدولة الغزنوية

(١) أربعة عشر ملكا ، مدة ملكهم ١٥٥ سنة (حمد الله المستوفى ٦٦) من ٣٦٧ هـ حتى سنة ٥٨٢ هـ (مائتان وخمس عشرة سنة خمسة عشر ملكا (نظام الدين أحمد ـ طبقات أكبرى ١/٤٣ الترجمة العربية للمترجم) كان بداية أمر الغزنوية ٣٦٦ هـ (ابن الاثير ـ الكامل ٧/٨٥) .

(٢) كان من غلمان ابن اسحق بن البتكين (ابن الأثير ٧/٨٦) كان غلاما لألپتگين مملوك السامانيين (حمد الله المستوفى فى تاريخ گزيده ٦٦) كان مملوكا لالپگتين غلام منصور بن نوح (ابن كثير فى البداية والنهاية ١١/٢٨٦ ـ نظام الدين أحمد فى طبقات اكبرى الترجمة العربية د. أحمد الشاذلى ١/٥) .

(٣) منصور بن نوح كرديزى فى زين الأخبار النسخة الفارسية ٤٧ ـ نظام الدين أحمد ١/٥) والأصوب نوح بن منصور .

(٤) حكم من ٣٥٠ ـ ٣٦٥ هـ (تاريخ بخارى فامبرى ترجمة د. الساداتى ١١٧) .

(٥) ابو اسحق بن البتگين (ابن الأثير ٧/٨٦ ـ نظام الدين أحمد ١/٥) .

(٦) استولى سبكتگين على غزنه وگرديز و پروان وكابل و بست وتلك هى الولايات التى كانت مع غلمان قراتگين (گرديزى النسخة الفارسية ٥٤ والترجمة العربية عفاف زيدان ٣٧١) .

(٧) لقب الأمير نوح سبكتگين بلقب ناصر الدين والدولة بعد نصره على أبى على (گرديزى ٥٦ ـ النسخة العربية ٢٧٣) .

(٨) لم يكن له وريث (نظام الدين أحمد ١/٥) لم يخلف من أهله وأقار به من يصلح للتقدم (ابن الاثير ٧/٨٦) ولما مات لم يترك أحداً يصلح للملك من بعده لا من ولده ولا من قومه (ابن كثير ١١/٢٨٦) .

(٩) سنة ٣٦٦ هـ (ابن الأثير ٧/٨٦ ـ ابن كثير ١١/٢٨٦ ـ نظام الدين أحمد ٢/٥) .

(١٠) بلاد الهند

(١١) قال لهم : اني استصحبت لنفسي شيئاً من السويق استظهاراً وأنا أقسمه بينهم قسمة عادلة على السواء إلى أن يمن الله بالفرج فكان يعطى كل انسان منهم ملء قدح معه و يأخذ مثله ... فرزقهم الله النصر (ابن الاثير ٧/٨٦) .

(١٢) انظر ابن الاثير ٧/٨٦ — حمد الله المستوفى ٦٦ — ابن كثير ١١/٢٨٦ .

(١٣) بابى تور (ابن الأثير ٧/٨٦) پايتور (نظام الدين أحمد ١/٥) .

(١٤) انظر ابن الأثير ٧/٥٦ — نظام الدين أحمد ١/٥ .

(١٥) نظام الدين : سبكتگين وطغان .

(١٦) وتركها لنائبه (تاريخ يميني للعتبى ١ / ١٧) .

(١٧) قال : ان همة مثلى من أرباب هذه الصناعة لاترتقى إلى أكثر مما رآنى أهلاً له من اختصاصه واستخلاصه ، وتقريبه واختياره لمهمات أموره وأسراره ، غير أن حداثة عهدى بخدمة من كنت به موسوماً واهتمام الأمير مابقى من شأنه يقتضيان أن أسأله الاعتزال فى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر هذا الأمر فى نصابه فيكون ما أليه من هذه الصناعة ، أسلم من التهمة وأقرب إلى السداد وأبعد من كيد الحساد (تاريخ يميني للعتبى (١/٥٧) .

(١٨) رخج : كوره من نواحي كابل (معجم البلدان ٣ / ٣٨) .

(١٩) انظر ابن الاثير ٧ / ٨٦ — حمد الله المستوفى ٦٦ نظام الدين أحمد ١ / ٥ .

(٢٠) قصدار : احدى مدن السند (المسالك والممالك لابن خرداذبه ٥٧) قزدار : ناحية بأرض الهند (اثار البلاد ١٠٤) .

(٢١) جيبال بن هيثال (حمد الله المستوفى ٦٦) اجيبال (گرديزى ٦٦) .

(٢٢) كانت هذه العين تفور اذا ألقى فيها نجاسة حتى تتطهر وكلما تطهرت يلقون بأخرى (ابن الاثير ٧/٨٧ — نظام الدين أحمد ١/٦ — ابن كثير ١١/٢٨٦) .

(٢٣) قرر أن يرسل خمسين فيلاً ومبلغاً كبيراً من المال وترك عدة أشخاص رهينة (ابن الأثير ٧/٨٧ — نظام الدين أحمد ١/٦ — ابن كثير ١١/٢٨٦) .

(٢٤) « چوزنهار خواهند زنهارده — كه زنهار دادن ز پيكار به »
« بر ايشاب مياور ز بيچارگى — كه جانرا بكوشند يكبارگى »
(روضة الصفا ٢٩)

(٢٥) تعرف هذه الطريقة باسم « جوهر » وهى عادة هندية قديمة .

(٢٦) لمغان : بفتح أوله وسكون ثانيه وعين معجمه بعدها ألف ونون وتسمى أيضا لامغان (ابن الاثير/٧/٨٧) .

(٢٧) سنة ٣٨٧ هـ (تاريخ گزيده ٦٦ — طبقات اكبرى ١ / ٦) .

(٢٨) كثرت كوران (النسخة المطبوعة من ١٦) كثرت صيد (المخطوط ص ٢٩) .

(٢٩) الخالاج أو الخلج يسميهم الأتراك قلج و ينسبهم الكشغرى إلى الغز و يذكر أن قسماً منهم فقد لغته وذاب فى الشعب الأفغانى ، ومازال بعض الخالاج فى ايران يتكلمون التركية (تاريخ الترك فى آسيا الوسطى لبارتولد ترجمة د . احمد السعيد سليمان ص ٩٩) ومن المعروف أن هؤلاء الخلج قد أسسوا دولة لهم فى الهند وهم برواية سلجوقنامه انهم نسبه إلى خلج بن ترك بن يافث وقيل انهم أحفاد قالج خان صهر جنكيزخان (طبقات اكبرى ١/٦٧) .

(٣٠) انظر زين الأخبار ٥٨ — الكامل فى التاريخ ٧ / ١٨٤ — تاريخ گزيده ٦٨ طبقات اكبرى ١/٦ .

(٣١) مع انه كان أصغر من أخيه محمود (ابن الاثير ٧/١٨٤) .

(٣٢) استضعفه الجند ولم يهتم بأخيه سيف الدولة محمود (ابن الاثير ٧/١٨٤ — حمد الله المستوفى ٦٨) .

(٣٣) طالبه محمود بالوفاق وانفاذ ما يخصه من تركة أبيه (ابن الأثير ٧/١٨٥) .

(٣٤) مثل عربى وهو «آخر الداء الكى».

(٣٥) فى هراة (ابن الأثير ٧/١٨٥).

(٣٦) فى بست (ابن الأثير ٧/١٨٥).

(٣٧) شحنه أو شحنگى بمعنى صاحب الشرطة وبمعنى حاكم أو والى.

(٣٨) ملك اسماعيل سبعة أشهر (ابن الأثير ٧/١٨٥) وقد أهمل گرديزى ذكر أخبار اسماعيل وركز على محمود.

(٣٩) سنة ٣٩٠ هـ (تاريخ گزيده ٧٢).

(٤٠) لقبه القادر بالله «يمين الدولة وأمين الملة أبا القاسم محمود ولى أمير المؤمنين» (زين الأخبار ٦٢ ــ الترجمة العربية ٢٨١) أمين الملة ويمين الدولة (طبقات اكبرى ١/٦).

(٤١) ايليك أو أيلك لفظ ايغورى بمعنى أمير أو وصى (تاريخ بخارى لفا مبرى ١٢٠).

(٤٢) على سمرقند (زين الأخبار ٦٤).

(٤٣) اتفقا على أن تكون ما وراء النهر لايلك خان والباقى للسلطان (طبقات أكبرى ١/٦).

(٤٤) أنظر تاريخ يمينى للعتبى.

(٤٥) غزا السلطان محمود پرشور، وهزم محمود عساكر جيپال ثم سار إلى ويهند ففتحها قهرا (ابن الأثير ٧/٢١٣ ــ ٢١٤ ــ ابن كثير ١١/٣٣٠) پرشاور ففتحها ٣٩٣هـ ثم فتح ويهند (زين الأخبار ٦٦ ــ طبقات أكبرى ١/٧).

(٤٦) بهت وبهتيان: قبائل تعيش فى السند العليا ومعربها بها طيه (زين الاخبار تعليق حبيبى ص ٢٨٦).

(٤٧) بجيرا (ابن الأثير ٧/٢٢٦) (طبقات أكبرى ١/٧) بجيراو (زين الأخبار ٦٧) بجهرا (تاريخ يمينى للعتبى).

(٤٨) ضمن أحداث سنة ٣٩٥هـ (ابن الأثير ٧/٢٢٦).

(٤٩) استولى على مائتى وثمانين فيلا (زين الأخبار ٦٧ ــ طبقات أكبرى ١/٧) مائة وعشرين رأساً من الفيلة (ابن الأثير ٧/٢٢٦).

(٥٠) الملتان: أو المولتان (تقويم البلدان للعماد بن اسماعيل بن أيوب الحموى) وجاء فى القانون الملتان فى السند وأهلها يقولون الملطان، وقال ابن حوقل الملتان أصغر من المنصورية وبها صنم تعظمه ويحجون إليه.

(٥١) أبو الفتوح، وهو من بقايا غزاة توطنوا هناك، وكان ينتحل مذهب الباطنية و يدعو الناس إليه (ابن الأثير ــ حاشية ٧/٢٢٧ ــ ٢٢٨) وهو داود بن نصر من غلاة الاسماعيلية (زين الأخبار ٦٨).

(٥٢) آنندبال بن جيپال (گرديزى ٦٧ ــ نظام الدين أحمد ١/٧) اندبال (ابن الأثير ٧/٢٢٨).

(٥٣) سرنديب: بفتح أوله وثانيه وسكون النون والدال مهملة مكسورة و باء و باء، وفى سرنديب الجبل الذى هبط عليه آدم (حاشية ابن الأثير ٧/٢٢٨).

(٥٤) صالحهم على عشرين ألف ألف درهم (زين الأخبار ٦٨ وأيضاً تاريخ يمينى للعتبى ألزم أهلها عشرين ألف درهم عقوبة لعصيانهم (ابن الأثير ٧/٢٢٨ ــ نظام الدين أحمد ١/٧).

(٥٥) سنة ٣٩٦ هـ (ابن الأثير ٧/٢٢٨ ــ نظام الدين أحمد ١/٧).

(٥٦) سباش تگين ترك (زين الأخبار ٦٨) سباش تگين (ابن الأثير ٧/٢٢٨).

(٥٧) أمره إذا ظهر عليه مخالف أن ينحاز إلى غزنه (ابن الاثير ٧/٢٢٩).

(٥٨) فر ايلك خان وتصالح معه مرة أخرى، وأقام فى ما وراء النهر (تاريخ گزيده ٧٦).

(٥٩) انظر تاريخ يمينى للعتبى وابن الاثير ٧ / ٢٣٣).

(٦٠) كان هذا ضمن أحداث سنة ٣٩٨ (زين الأخبار ٦٩ ــ الكامل ٧/٢٣٢ تاريخ گزيده ٧٦).

(٦١) نواسه صاحب الملتان (ابن الاثير ٧ / ٢٣٢) .

(٦٢) قتل السلطان محمود صاحب الملتان وجماعة من جيشه (تاريخ گزيده ٧٨) .

(٦٣) توجه إلى بهيم نگر (نغر) (ابن الاثير ٧/٢٣٨) إلى وسط وبهند (العتبى) سنة ٣٩٨ هـ (ابن الاثير ٧/٢٣٨) .

(٦٤) ابراهمن بال بن اندبال (ابن الاثير ٧ / ٢٣٨) آنندبال (زين الأخبار ٦٩) .

(٦٥) انظر زين الاخبار ٦٩ ـــ الكامل ٧ / ٢٣٩ ـــ تاريخ گزيده ٧٨ طبقات اكبرى ١ /٨ .

(٦٦) من الدراهم تسعين ألف ألف درهم شاهيه ومن الأوانى الذهبيات والفضيات سبعمائة ألف وأربعمائة منا (ابن الاثير ٧/٢٣٩) .

(٦٧) انظر زين الاخبار ٧٠ ـــ تاريخ گزيده ٧٨ ـــ طبقات اكبرى ١ /٨ .

(٦٨) كان هذا ضمن أحداث سنة ٤٠١ هـ (زين الأخبار ٧٠) وعندابن الاثير ضمن أحداث سنة ٣٩٨ هـ (الكامل ٢٣٩/٧) وعند نظام الدين أحد سنة ٤٠٠ هـ (طبقات اكبرى ١ /٨) .

(٦٩) انظر ابن الاثير ضمن أحداث سنة ٤٠٠ هـ (٢٤٧/٧) ولم ترد عند مؤرخى الفارسية .

(٧٠) كان حكام الغور من الكفار و يسمونهم سورى ، وقُتل سورى وأسر ابنه ، وقد لعق خاتمه المسمم ودخلت ولاية غور فى الاسلام (تاريخ گزيده ٦٨) .

(٧١) محمد سورى لم يظهر إلا فى أواخر الدولة الغزنوية .

(٧٢) انظر : تاريخ يمينى للعتبى .

(٧٣) كان أهل الغور على غير دين الاسلام ، وقد حرص محمود بن سبكتگين على نشر الاسلام بينهم (حبيب السير ـــ خواندمير ٢ / ٢٢) .

(٧٤)

در اسلام درهيچ منبر نماند	كه بروى خطيبى همى خطبه خواند
كه برآل ياسين بلفظ قبيح	نكردند لعنت بروجه صريح
ديار بلندش ازا آن بدمصون	كه ازدست آن ناكسان بد برون
ازاين جنس هرگز دروكس نگفت	نه در آشكار ونه اندرنهفت
نرفت اندرو لعنت خاندان	بدين برهمه عالمش فخر دان
همين پادشاهان باديسن وداد	بدين فخر دارند برهمه نزاد

(٧٥) سنة ٤٠١ هـ .

(٧٦) انظر : تاريخ يمينى للعتبى ، ابن الاثير ٧ / ٢٥٥ .

(٧٧) « برهمان عهد ووفايم كه بستيم بدوست » .

(٧٨) كان سبب حرب ايلك خان مع أخيه أنه اعتذر ليمين الدولة وتنصل من قصد أخيه ايلك خان إلى بلاد خراسان (ابن الأثير ٧/٢٥٣) .

(٧٩) ولاية مشهورة عند غزنة (ابن الاثير ٧ / ٢٥٩) وذكر ياقوت فى معجمه انها من نواحى السند ، وذكر القروينى انها ناحية بأرض الهند (اثار البلاد ١٠٤) وذكر ابن خرداذبه انها احدى مدن السند (الممالك والمسالك ٥٧) .

(٨٠) خمسة عشر ألف ألف درهم (تاريخ يمينى للعتبى) أخذ منه المال الذى كان قد اجتمع عنده (ابن الأثير ٢٥٩/٧) .

(٨١) سنة ٤٠٣ هـ (طبقات اكبرى ١ / ٨) .

(٨٢) انظر : زين الأخبار ٧١ ـــ تاريخ گزيده ٧٨ ـــ طبقات اكبرى ١ / ٨ .

(٨٣) رأى بمعنى ملك أو حاكم وهو مرادف لكلمة راجه أوراجا أورانا ومؤنث راى هو رانى وراجى، وهى ألفاظ هندية تطلق على حكام الهند فكلمة شار تستخدم عند الأو يغور وخان و بيگث عند الترك وميرزا وشاه عند الفرس .

(٨٤) اسم المكان تانيسر (ز ين الأخبار ٧١) وقيل ناردين (ابن الاثير ٧/ ٢٧٠) وماردين (تار يخ گز يده ٧٨) .

(٨٥) كان هذا فى خر يف سنة ٤٠٤ هـ (ابن الاثير ٧ / ٢٧١) .

(٨٦) انظر : العتبى فى تار يخ يمينى .

(٨٧) انظر : تار يخ گز يده ٨٠ .

(٨٨) تانيسر (ابن الاثير ٧ / ٢٧٢) .

(٨٩) فيلة الصيلمان (ابن الاثير ٧ / ٢٧٢) وقد وردت فى روضة الصفا « افيال مسلمانات » .

(٩٠) كان هذا سنة ٤٠٥ هـ (ز ين الأخبار ٧١) .

(٩١) كان هذا سنة ٤٠٧ هـ (ابن الاثير ٧ / ٢٨٢ — نظام الدين أحمد ١/ ٩) .

(٩٢) البتگين (ابن الاثير ٧ / ٢٨٢) .

(٩٣) انظر : ابن الاثير ٧ / ٢٨٢ .

(٩٤) فى سنة ٤٠٧ هـ (ابن الأثير ٧ / ٢٨٢) سنة ٤٠٩ هـ (تار يخ گز يده ٨٠) .

(٩٥) كوره (نظام الدين أحمد ١ / ٩) بكوره (ز ين الأخبار ٧٥) .

(٩٦) كلجند (ابن الاثير ٧ / ٢٨٢ — ز ين الأخبار ٧٥) .

(٩٧) انظر : ز ين الاخبار ٧٥ — ابن الأثير ٧ / ٢٨٣ — طبقات اكبرى / ١ / ١٠ .

(٩٨) انظر المصادر السابقة نفس الصفحات .

(٩٩) كان هذا ضمن أحداث سنة ٤٠٧ هـ (ابن الأثير ٧ / ٢٨٣) ٤٠٩ هـ (نظام الدين أحمد ١ / ١٠) ولم يحدد گرديزى سنة بعينها .

(١٠٠) سومنات : ببلاد اللار وهى فى ناحية داخله فى البحر، وهى بلدة مشهورة فى بلاد الهند على ساحل البحر بحيث تغلبه أمواجه ، من عجائبها هيكل فيه صنم اسمه سومناة ، كان الصنم واقفاً فى وسط هذا البيت لا بقائمة من أسفله تدعمه ولا بعلاقة من أعلاه تمسكه ، وكان أمر هذا الصنم عظيماً عند الهند ، من رآه واقفاً فى الهواء تعجب مسلماً كان أو كافراً ، وكان الهنود يحجون إليه كل ليلة خسوف يجتمع عنده ما يز يد عن مائة ألف إنسان وتزعم الهند أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه وهو ينشئها فى من شاء كما هو مذهب التناسخ وأن المد و الجزر عبادة البحر له ، وكانوا يحملون إليه من الهدايا كل شيء نفيس ، وكان له من الوقوف ما يزد على عشرة آلاف قر ية (آثار البلاد ٩٥/ ٩٦) .

(١٠١) « يافتند آن بت كه نامش بودلات   لشكــر محمود اندر سومنــات . »

(١٠٢) « بتى ديدم ازعاج در سومنات   مرصع چو در جاهليت منــات . »

(١٠٣) انظر آثار البلاد وأخبار العباد لزكر يا بن محمد القزو ينى ص ٩٥ — ٩٦ .

(١٠٤) مازالت هذه العادات باقية فى الهند حتى الآن .

(١٠٥) يقول الهنود : إن هذه الأصنام قد سخط عليها ، سومنات ولو انه راض عنها لأهلك من قصدها بسوء (ابن الاثير ٧/ ٣٢٠)

(١٠٦) سنة ٤١٦ هـ (ابن الأثير ٧ / ٣٢ — ٣٢١ .

(١٠٧) انهلواره (ابن الأثير ٧ / ٣٢١ .

(١٠٨) سنة ٤١٦ هـ (طبقات أكبرى ١ / ١٢) .

(١٠٩) محمد خاوند شاه .

(١١٠) ذكرها حمد الله المستوفى سنة ٤١٦ هـ (تاريخ گزيده ٨٢) .

(١١١) مرض الربو (گرديزى ٩٢) السل (طبقات اكبرى ١ / ١٣) سوء مزاج واسهال (ابن الأثير) .

(١١٢) لم يعط أحداً دانقاً (طبقات اكبرى ١ / ١٣) .

(١١٣) احدى وستون سنة (تاريخ گزيده ٨٦) .

(١١٤) لم يذكره گرديزى وابن الاثير وحمد الله المستوفى وابن كثير ونظام الدين أحمد والعتبى .

(١١٥) كان الأمير محمد نجل السلطان محمود وأصغر أبنائه (تاريخ بيهقى ترجمة د . يحيى الخشاب وصادق نشات ص ١) .

(١١٦) كان مسعود باصبهان (گرديزى ٩٢ — بيهقى ١ — ابن الاثير ٧/٣٤٧) .

(١١٧) قلعة كوتهيز بتكينا باد (تاريخ بيهقى ٢) تكنا باد (ابن الاثير ٧/٣٤٧)

(١١٨) على خو يشاوند — وخو يشاوند بمعنى قريب ولهذا وردت فى ترجمة تاريخ بيهقى على قريب (١١) .

(١١٩) كان على رأس هؤلاء الأمير اياز بن اياق (زين الأخبار ٩٣ — طبقات اكبرى ١/١٤) .

(١٢٠) ظل حبيساً تسع سنوات (تاريخ گزيده ٨٨) .

(١٢١) أبو سهل الحمدونى (تاريخ بيهقى ١٧) .

(١٢٢) ابن كاكو (تاريخ بيهقى ١٦) ابن كاكاويه (ابن الأثير ٧/٣٤٨) .

(١٢٣) انظر : زين الأخبار ٩٦ — ابن الأثير ٧ / ٣٤٧ — طبقات اكبرى ١/١٣ .

(١٢٤) نهر آموى (تاريخ بيهقى ٢٥٣) .

(١٢٥) انظر : ابن الاثير ٨ / ٣٠٢ .

(١٢٦) هاجم قلعة سرستى (زين الأخبار ٩٩ — ابن الأثير ٨ / ٥ — طبقات اكبرى ١/١٥) .

(١٢٧) انظر زين الأخبار ١٠٨ — ١٠٩ — ابن الاثير ٨ / ١٧ — طبقات اكبرى ١/١٥ .

(١٢٨) انظر زين الأخبار ١٠٨ — ١٠٩ — ابن الاثير ٨ / ١٧ — طبقات اكبرى ١/١٨ .

(١٢٩) قلعة كرى (طبقات اكبرى ١ / ١٨) .

(١٣٠) طلب أحمد من السلطان محمد أن يعطيه خاتمة ليختم به بعض الخزائن فأعطاه ، فسار بها إلى القلعة ، وأعطوا الخاتم لمستحفظها وقالوا معنا رسالة إلى مسعود فأدخلهم إليه فقتلوه (ابن الاثير ٨/٢٧) .

(١٣١) قتلوه سنة ٤٣٢ هـ (تاريخ گزيده ٩٠ — طبقات اكبرى ١ / ١٨) .

(١٣٢) انظر : ابن الأثير ٨ / ٢٧ .

(١٣٣) حكم محمد بن محمود أربعة أعوام فى حياته مسعود وعاماً آخر بعد قتل مسعود وقتل بيد ابن أخيه سنة ٤٣٤ هـ (تاريخ گزيده ٩٠) .

(١٣٤) « بى ادب تنهانه خودرا داشت بد   بلكه آتش درهمه آفاق زد »

(١٣٥) انظر : طبقات اكبرى ١ / ١٩ .

(١٣٦) انظر : ابن الأثير ٨ / ٢٨ .

(١٣٧) جغر بگ (تاريخ گزيده ٩٢) .

(١٣٨) انظر : طبقات اكبرى ١ / ٢١ .

(١٣٩) انظر : تاريخ گزيده ٩٠ .

(١٤٠) فى العشرين من رجب سنة ٤٤١ هـ (ابن الأثير ٨ / ٥٢) .

(١٤١) ذكر نظام الدين أحمد على بن مسعود قبل عبد الرشيد ولكنه لم يحكم سوى ثلاثة أشهر (طبقات اكبرى ١ / ٢١) .

(١٤٢) ذكر حمد الله المستوفى مسعود بن مودود ثم بهاء الدولة على بن مسعود ثم مجد الدولة عبد الرشيد على التوالى قبل فرخ زاد (تاريخ گزيده ٩٢ / ٩٦) .

(١٤٣) فرخ زاد بن عبد الرشيد محمود (تاريخ گزيده ٩٨) وقد ذكر نظام الدين أحمد عبد الرشيد بن مسعود (طبقات أكبرى ١ / ٢١) .

(١٤٤) حرحر (طبقات اكبرى ١ / ٢١) .

(١٤٥) سنة ٤٥٠ هـ (تاريخ گزيده ٩٨) سنة ٤٥١ هـ (ابن الاثير ٨ / ٨٧) .

(١٤٦) كان يصوم رجب وشعبان ورمضان (ابن الأثير ٨ / ٨٨) .

(١٤٧) انظر : طبقات اكبرى ١ / ٢٢ .

(١٤٨) افراسياب : بطل أسطورى تورانى حارب رستم حروباً طويلة وأخيراً قُتل على يديه .

(١٤٩) مات سنة ٤٩٢ هـ (تاريخ گزيده ١٠٠)

(١٥٠) انظر ابن الاثير ٨ / ١٤٧ — ١٤٨ .

(١٥١) علاء الدولة مسعود بن ابراهيم (تاريخ گزيده ١٠٠) .

(١٥٢) مات سنة ٥٠٨ هـ (تاريخ گزيده ١٠٠ — ابن الاثير ٨ / ٢٦٩) .

(١٥٣) انظر : طبقات اكبرى ١ / ٢٢ — ابن الاثير ٨ / ٢٧٠ .

(١٥٤) انظر : تاريخ گزيده ١٠٢ — طبقات اكبرى ١ / ٢٣ .

(١٥٥) « نداى برق زهفت اسمان   كه بهـرا مشا هست شاه جهان .

(١٥٦) علاء الدين حسين فورى (طبقات اكبرى ١ / ٢٣) علاء الدين حسن بن حسين غورى (تاريخ گزيده ١٠٤) .

(١٥٧) مات سنة ٥٤٤ هـ (حمد الله المستوفى ١٠٤) مات سنة ٥٤٧ هـ (ابن الاثير ٩ / ٣١ — نظام الدين أحمد ١ / ٢٣ .

(١٥٨) كانت سنة ٥١٢ هـ وهى سنة وفاة ارسلانشاه .

(١٥٩) توفى سنة ٥٥ هـ (تاريخ گزيده ٢٠٦ — طبقات اكبرى ١ / ٢٣) .

(١٦٠) انظر : طبقات اكبرى ١ / ٢٣ وقد أهمل صاحب تاريخ گزيده ذكره .

فصل

فى أحوال آل بويه الذين يسمونهم سلاطين الديالمة

ورد فى كتاب التاجى(١) أن نسب بويه ينتهى ببهرام گور(٢)، وقد ذكر اسم آبائه وأجداده حتى بهرام، وقد أورد بعض الديالمة أن بويه من نسل ديلم بن ضبة(٣)، وذكر أبوعلى بن مسكويه فى كتاب تجارب الأمم أن ملوك الديالمة يزعمون أنهم أبناء يزدجرد شهريار آخر ملوك العجم(٤)، وقد فرّ فى بداية ظهور الاسلام بعض أولاد يزدجرد الذين ينسبون إليهم هذه الجماعة إلى گيلان، وسكنوا هناك. وأكد صاحب كامل التواريخ(٥) القول الأول، ويروون عن أبى نصر ماكولا انهم يعتبرون آل بويه من الديالمة الذين أقاموا بينهم مدة طويلة.

ويقولون أن أبا شجاع كان رجلاً متوسط الحال(٦) له ثلاثة أبناء: على وحسن وأحمد(٧)، عندما توفيت أمهم كاد بويه أن يهلك حزناً على وفاة زوجته، ويقول شهريار بن رستم الديلمى، اننى كنت صديقاً لأبى شجاع، وذهبت إليه ولمته على كثرة حزنه على مصابه، وقلت: لقد تحملت وصبرت على الشدائد والمصائب من قبل، فلما كل هذا الجزع والفزع؟! عليك بالصبر واشكر الله على سلامة أبنائك، فلو أصاب أحدهما والعياذ بالله ماحدث لنسيت أم الأولاد، قال شهريار: جرى مثل هذا الكلام بيننا، وواسيت بويه، ورافقته حتى قل الحزن والأسى الذان أصاباه(٨).

وفى الأثناء هذه التقى بنا رجل يدّعى معرفة النجوم وتفسير الأحلام ، قال له : لقد رأيت فى منامى أنى أبول فخرج من ذكرى شعلة نار هائلة تضىء بعض البلدان ، وتزداد كل لحظة حتى وصل ضوءها عنان السماء ، و بعد ذلك تشعبت الشعلة ثلاث شعب ورأيت أهل البلاد يخضعون أمام هذه الشعب ، قال المنجم : لن أفسر هذا المنام إلا إذا أعطيتنى جواداً ولباساً ، قال أبوشجاع بو يه ، ليس لدى إلا هذه الحلة التى أرتديها ، إذا أعطيتها لك ظللت عر يانا ، فطلب المنجم عشرة دنانير ، فأبدى بو يه عجزا ، قال المنجم : لك ثلاثة أبناء سيحكمون البلاد التى تضىء من هذه الشعلة ، و يرتفع ذكرهم فى الآفاق تبعاً لارتفاع هذه الشعلة ، قال بو يه : لعلك تستهزىء بى ، فأنا رجل فقير ، وأبنائى كما ترى بأى استعداد سيحكمون ؟ قال المنجم : إذا كنت تعرف أوقات ولادة أبنائك ، فقل لى عليها ، فذكر بو يه كل واحد والساعة والشهر والسنة التى ولد فيها ، فقبل المنجم يد الابن الأكبر عماد الدولة على بعد أن حسب درجات طالعه وفحص كوكبه وقال : ستصل السلطنة لابنك الأول هكذا ، و بعد ذلك ستكون لأخو يه الآخر ين وقبل يد معز الدولة وركن الدولة أيضا ، فقال الأولاد للأب : اعطه شيئا للحكم ، وفقال بو يه غاضباً : هذا الرجل يستهزى بكم[9] ، قال المنجم : إذا لم تصدق كلامى فعاهدنى انه عندما تصل إلى هذه الدرجة الرفيعة أن تقدم لى واجب العطف ، فأعطاه أبوشجاع بو يه عشرة دراهم .

وعندما استولى ماكان بن كاكى[10] على طبرستان ، سلك بو يه فى سلك خدامه ، ولازم أبناؤه أيضاً بأسفار شيرو يه ومرداو يج بن ز ياد[11] وأخيه وشمگير ازتخم ارغش الذى ــ كان سلطاناً لگيلان ــ بتفو يض كيخسرو ، وكانوا فى خدمة ماكان ، حتى خرج اسفار بن شيرو يه على ماكان ، واستولى على ملك الديالمة[12] ، ولما قتل اسفار بعد عام ، حل محله مرداو يج ، واستولى على رستمدار ومازندران والرى وقزو ين وابهر وزنجان وطارمين ، وسعى لاستخلاص . . . ، وأعمد القتل العام فى همدان ، وطبقاً لروايتهم انه قتل الفين من التجار ، وأرسل مرداو يج على بو يه وأخو يه إلى الكرخ[13] ، وتوجه إلى اصفهان ، وحارب المظفر . . . الذى كان حاكماً لأصفهان فى تلك الفترة ــ مرداو يج ، وهُزم ، وتوجه إلى فارس عند والده ، وتوجه ياقوت[14] بجيوش فارس إلى مرداو يج ، و بعد الحرب هُزم ياقوت .

وكان على بن بو يه مع أخو يه فى لرستان ، وتوجه ياقوت بعد هزيمته بألفين من الرجال اليهم ، ولحسن حظ آل بو يه أحدهما : انه عندما توجه ياقوت اليهم التحق به عدة أشخاص من آل بو يه فأطاح ياقوت بأعناقهم جميعاً فاستبسل باقى جيش الديالمة ، وحاربوا محاربة شديدة وثانيهما : انه عند اعداد الصفوف أمر ياقوت أن يتقدم المشاة و يلقون القارورات النفطية ، وحسب الاتفاق هبت ر يح عاصفة أمامهم ، فاشتعلت النيران فى ثياب المشاه

فعادوا ، وعند العودة تبعهم الفرسان ، وقاتلوا ، وفرّ ياقوت إلى ناحية ، وقوى آل بو يه بأموال ياقوت وجيشه ، وتوجهوا إلى فارس ، واستولى عماد الدولة واخوته على شيراز وحكم هذه البلاد ، وارتفعت راية اقبالهم ، وسعوا لتسخير بلاد أخرى . ([15])

سلطنة عماد الدولة على بن بو يه

بعهد هزيمة ياقوت توجه عماد الدولة إلى فارس ، ونزل بقصر ياقوت ومنع الجيش من السلب والنهب ، ونفذ الجنود الأمر ، ولم يجد فى الخزانة شيئا ، وفكر عماد الدولة فى بيت ياقوت ، وسقطت عينيه على سقف البيت ، فرأى حية تخرج رأسها من فتحة ، فخاف عماد الدولة من المنزل وأمر أن يفتح النجار هذه الفتحة من فوق السقف ، و يقتل الحية ، وعندما هدم السقف ظهر مبلغ من المال والنفائس وأمتعة ، فقسم عماد الدولة النقود على الجنود([16]) ، واستدعى خياطاً ليحيك لباساً من تلك الأقمشة ، وعندما أجلسوا الخياط جرى على لسان عماد الدولة لفظ « عصاة » وكان فى بد الخياط عصاة ، وظن انه يطلب العصا ليضرب به بها فقال : مولاى ما الحاجة للعصاة ؟ ليس عندى من مال ياقوت سوى سبعين صندوقا من القماش ، فضحك عماد الدولة وتعجب الخواص ، واستولى عماد الدولة على أموال ياقوت([17]) ، واهتم بالحكم .

وفى أثناء ذلك أراد مرداو يج أن ينتزع شيراز من عماد الدولة ، ولكن لم يمهله الأجل ، وقتله غلمانه فى نفس هذه الفترة فى الحمام([18]) ، وعندما حدث هذا الأمر أرسل عماد الدولة أخاه ركن الدولة حسن لضبط ولاية العراق ، وأرسل أخاه معز الدولة أحمد إلى كرمان و بعد تسخير كرمان توجه معز الدولة إلى بغداد ، واستولى على دولة الخليفة([19]) ، وفى عهد سلطنة عماد الدولة ، حارب أخواه ركن الدولة ومعز الدولة المعاندين ، وفتحا ولايات كثيرة([20]) ، وفى أواخر سنة ٣٣٧هـ ظهر المرض على عماد الدولة ، وطال هذا المرض ، فأرسل رسولاً إلى ركن الدولة ليرسل ابنه الأكبر عضد الدولة ليحكم ولابة فارس من قبله ، وكان لركن الدولة ثلاثة أولاد كان ثلاثتهم أهلاً للسلطنة .

عموما عندما وصل عضد الدولة إلى نواحى شيراز استقبله عماد الدولة ، وجميع الأكابر وأهالى فارس ، وعندما اقترب خرج أيضا ملازمه لملاقاة ابن أخيه ، فأنزل عضد الدولة فى قصر الامارة ، وأجلسه على العرش ، وأمر جميع أشراف وأعيان المملكة أن يسلموا عليه سلام السلطنة ، وأقام الديالمة فى ذلك اليوم حفلاً عظيما ، وعندما أصبح عضد الدولة صاحب الأمر ، قبض باشارة عمه عماد الدولة على عدة أشخاص من أمراء الديلم ــ الذين بدت

منهم آثار الفتنة ــ من هؤلاء شخص كانوا يسمونه شيرنجبين (٢١) تشفع بعض خواص وأعيان المملكة لخلاصه ، قال عماد الدولة: انني سأعرض عليكم حكاية واحدة عنه ، و بعدها سأفعل ماتقولونه ، قال : عندما كنا فى خدمة نصربن أحمد وكنا فى ملازمته مع جماعة قليلة من الديالمة وأكثر من عشرة آلاف من خواص مماليك نصر وأبيه غير جيوش الأطراف ، رأيت شيرنجبين يحمل سكيناً حادة يلفها فى قطعة قماش خشنة ، و يلبس حذاء بساق ، فسألته : لم كل هذا ؟ قال : أر يد أن أقتل هذا الإبن يعنى نصرا ، فأستولى علىّ رعب من هذا القول ، ولم أرد أن يذهب إلى نصر وأخرجته من بين الجميع على أساس انه لم يحدث بينى و بينه كلام ، وحملته إلى ناحية ، وأحضرت جماعة من الديالمة ، وعرضت الأمر عليهم ، فقالت هذه الجماعة : طالما حدث منه هذه الفعلة فلا ندعه حياً فى هذه البلاد (٢٢) ، و بعد ذلك قال عماد الدولة والآن ماقولكم ، لقد رأيت منه هذا التهور ويمكن ان أسلمه لابن أخى. ، فصمت المتشفعون وظل شيرنجبين فى الحبس حتى مات ، ورحل عماد الدولة فى سنة ٣٣٨ (٢٣) عن هذه الدنيا ، وكان رجلا عظيما حليما كريما عاقلا عادلا ، امتدت فترة سلطنته ست عشرة سنة ونصف السنة (٢٤) ، وتنعم الناس فى عهده بالراحة والرفاهية .

حكومة ركن الدولة بن بو يه

عندما سمع ركن الدولة خبر وفاة عماد الدولة ، توجه إلى فارس ، وفى البداية اتجه إلى اصطخر ليزور أخاه ثم يتوجه إلى شيراز ، وعندما وقعت عينا ركن الدولة على قبر عماد الدولة ، ترجل حافيا ، و بكى على قبر أخيه وفعل الجيش مثلما فعل ، وأقام فى هذا المكان ثلاثة أيام ، و بعد ذلك توجه إلى شيراز بناء على رأى الأمراء ، وتوقف هناك تسعة أشهر ، وأرسل مبلغاً كبيراً من أموال فارس إلى معز الدولة فى بغداد (٢٥) ، و بعث مقدارا كبيراً من أسلحة وأدوات الحرب إليه ، و بعد ذلك توجه ركن الدولة إلى ولاية العراق ، ووقعت بينه و بين أمراء السامانيين معارك كما وقع بينه و بين وشمگير حروب طبقا لما ذكرته ضمن أمور السامانيين .

وعلى كل فإنه حين كان وشمگير ينازع ركن الدولة ، وذات يوم كان بعيأ جياده (٦) ، ووقع نظره على جواد أبيض ، فأمر أن يسرجوه ، وركبه ، وذهب للمصطاد ، وفى مكان الصيد ، وجد خنز يراً بر يا ، وأصاب هذا الخنز ير جواد وشمگير بجرح ، وسقط وشمگير عن جواده ، ومات وكانت هذه السنة هى السنة التاسعة (٢٧) وفى هذه السنة مات عدة ملوك وهم معز الدولة بن بو يه فى بغداد وحسن فيروزان فى طبرستان وكافور الاخشيدى (٢٨) فى

مصر وقيصر الروم([29]) وأبوعلي بن محمد العباس ــ الذى كان يحكم فى بخارا ــ وسيف الدولة بن حمدان فى دياربكر وأبوثعلبة بن حمدان فى الشام .

و بعد وفاة وشمگير أحسن ركن الدولة إلى أبنائه احسانا لا حصر له ، وساعده أحياناً بالمال وأخرى بالجيش ، و يروون انه ذات مرة كتب وشمگير رسالة إلى ركن الدولة مغرورا بما لديه من جيش ، مضمونها « أننى لدى جيش كبير وقد أعددتهم جميعاً للحرب والنزال ، واعتزم أن انتزع المملكة والولاية منك ، وأصيبك بالذلة ، وعندما يمكننى الله منك سأفعل بك مالم يفعله قط عدو بعدو » ، وأورد كلمات بذيئة فى تلك الرسالة ، وعندما وصلت هذه الرسائل إلى مجلس ركن الدولة ، أشار على كاتبه أن يقرأ فنظر الكاتب فى الرسالة ، وصمت لأنه لم يألف ماجاء فى الرسالة من مساوئ ، فأخذ ركن الدولة الرسالة من يد الكاتب وقرأها ، ورد عليها : « لا نهتم بجيشك الكبير أبدا طالما أن الظفر والنصر معلق بعناية الحق الأكبر ، وإذا فكرت فىّ تفكيرا سيئا والله إذا وقعت فى يدى فلن ترى منى إلا الاعزاز والاكرام ، وسأقدم لك ما يكون واجباً انسانياً وما تحتمه المروءة » ، وفى أقرب فرصة ظهرت آثار نية كل واحد فى شأن صاحبه .

وفى المحرم سنة ٣٦٦هـ([30]) استولت الأمراض النفسية على ركن الدولة ، وسبب ذلك هو أنه سمع فى أواخر أيام حياته أن ابنه عضد الدولة قد قاد الجيش من فارس إلى بغداد ، وقبض على ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، وسيطر عليه الغضب إلى درجة انه صار مهموماً ، وتوجه وهو مريض من الرى إلى اصفهان ، وعندما وصل خبر غضب ومرض ركن الدولة إلى عضد الدولة ، اضطرب خشية أن يموت الأب وهو عنه غير راض ، و بعد تدبر ، أرسل رسالة إلى أبى الفتح بن العميد وزير ركن الدولة ، لكى يسعى من أجل أن يطلبه الأب لأن الذهاب إليه دون استدعاء أمر بعيد عن حدود الأدب ، وسعى أبوالفتح فى هذا المجال ليطلبه ركن الدولة ، وجاء عضد الدولة إلى أبيه باصفهان ، واستدعى ركن الدولة باقى أولاده ، حضروا جميعاً إلى اصفهان ، وأعد أبوالفتح ابن العميد مأدبة فخمة([31]) ، ودعا إليها ركن الدولة وأولاده والأكابر واشراف العراقيين وفارس ، وعندما انتهوا من الطعام نظر ركن الدولة إلى أولاده ، فأعطى جميع ولاية فارس وكرمان والأهواز حتى نواحى بغداد إلى عضد الدولة([32]) ، وعين فخر الدولة على حكومة همدان وأعمال الجبال والرى وطبرستان ، و ولى مؤيد الدولة على اصفهان وقراها([33]) ، وأمر الأخوين ألا يحيدا عن أوامر عضد الدولة ، وأوصاهم بالاتفاق وترك الخلاف ، و بعد اتمام هذه الأمور خلع الخلع على أعيان الديالمة الآخرين طبقاً لمكانتهم ، وتوفى ركن الدولة بعد عدة أيام ، ومكتوب فى بعض التواريخ أن مدة حكومته كانت أربعة وثلاثون عاما ست عشرة سنة ونصف فى أيام عماد

الدولة وسبع عشرة سنة ونصف بعد ذلك(٣٤) ، كان ركن الدولة ملكا طيب السيرة نقى السريرة ، عادلا ، وكان يكرم ويحترم السادات والعلماء والفضلاء .

حكومة معز الدولة أحمد بن بويه

فى سنة ٣٢٢هـ أرسل عماد الدولة أخاه معز الدولة مع شجعان الديالمة لتسخير ولاية كرمان(٣٥) ، فذهب أولاً إلى سيرجان ، واستولى عليها ، وفى ذلك الحين كان ابراهيم سيمجور يحاصر محمدبن الياس فى كرمان(٣٦) ، وعندما سمع بتوجه معز الدولة ، ترك هذه المهمة وتوجه إلى خراسان ، وترك محمدبن الياس أيضا ولاية كرمان خوفاً من معز الدولة ، وتوجه إلى سيستان ، ووقعت معارك بين معز الدولة وعلى بن كلويه ومحمدبن الياس الذى كان قد توجه إلى كرمان بعد فراره وأخيراً انتصر معز الدولة على الأعداء ، وطهر ساحة مملكة كرمان من معارضة المعارضين ، ثم توجه إلى الأهواز ، وبعد معارك عديدة وقعت بينه وبين ولاة الخليفة استولى على هذه البلاد .

وفى سنة ٣٣٢ هـ توجه معز الدولة بجيش جرار من بلاد الأهواز إلى لاهور ، وجاء توزون أمير أمراء الخليفة بجيش عظيم لمواجهته ، وتحاربا اثنا عشر يوما متتاليات ، وفى النهاية هزم توزون وتعقبه معز الدولة عدة فراسخ ، وعاد إلى الأهواز(٣٧) ، وفى سنة ٣٣٣هـ قاد الجيش مرة أخرى إلى واسط واستقبله المستكفى وتوزون بالجيوش العربية ، فلم ير معز الدولة صلاحا فى الحرب ، فعاد إلى الأهواز(٣٨) ، وفى سنة ٣٣٤هـ توجه إلى واسط مرة ثالثة ومن هناك سار إلى بغداد(٣٩) ، وقبيل وصوله ارلى بغداد مات توزون وحل محله ابن شيرزاد ونزل معز الدولة فى الحادى عشر من جمادى الأول من السنة المذكورة بباب الشماسية ببغداد ، فاختفى ابن شيرزاد ، وفى اليوم التالى دخل معز الدولة مجلس المكتفى وبايعه ، وعقد الخليفة مع معز الدولة ميثاقا ، واطلق على أحمد معز الدولة وأخويه على وحسن عماد الدولة وركن الدولة ، وضربت القابهم على السكة ، وقُرأت أسماؤهم على المنابر على النحو المقرر ، وأنزل معز الدولة فى قصر مؤنس الخادم ، ونزل جيشه فى قصر أهل بغداد ، ولهذا السبب أصاب أهالى دار السلام المحنة ، وصار معز الدولة «صاحب اختيار بغداد» وقد حدد للمكتفى مبلغ خمسة آلاف درهم يومياً(٤٠) .

وفى جمادى الآخرة من نفس السنة خلع المكتفى من الخلافة ، وأجلس المطيع(٤١) مكانه وأيضاً فى نفس السنة جاء ناصر الدولة من الموصل لحرب معز الدولة ، وتبعه ابن

شيرزاد ، واستولى ناصر الدولة على نصف بغداد وكانت الحرب سجالاً بينه و بين معز الدولة حتى تصالحا فى المحرم سنة ٣٣٥هـ ، وذهب ناصر الدولة إلى الموصل ، وأقام معز الدولة فى بغداد(٤٢) ، وفى سنة ٣٣٦هـ قاد معز الدولة الجيش إلى البصرة ، واستولى عليها(٤٣) ، وفى سنة ٣٣٧هـ توجه إلى الموصل ، وذهب ناصر الدولة إلى نصيبين ، وقام معز الدولة بمظالم كثيرة فى الموصل ، وأراد أن يقضى على حياة ناصر الدولة تماما ، وفى أثناء ذلك وصل رسول من عند ركن الدولة وأخبره أن جيش خراسان متوجه إلى الري وجرجان ، ويجب ألا تهمل أخاك فى العودة ، ولهذا السبب تصالح معز الدولة مع ناصر الدولة ، وتقرر أن يرسل ناصر الدولة سنو ياً ثمانية آلاف درهم من انتاج ممالكه إلى الخزانة ، وعاد معز الدولة إلى بغداد(٤٤) .

وفى سنة ٣٤٤ هـ مرض مرضاً خطيرا(٤٥) ، ولم يخرج من بيته عدة أيام ، وظهرت الأراجيف بين الناس ، واضطربت الأمور فى دار السلام ، واضطر معز الدولة الركوب على ما فيه من أوجاع وآلام ، وسكن هذه الفتنة ، وفى سنة ٣٤٥هـ أظهر روزبهان ديلمى وأخوته العصيان على معز الدولة ، وانتصر معز الدولة عليهم بعد محاربتهم ، وفى أثناء انشغال معز الدولة بمحاربة روزبهان(٤٦) ، أرسل ناصر الدولة جيشا إلى بغداد ، وطمع فى إمارة هذه البلاد ، وعندما انتهى معز الدولة من تلك المهمة ، توجه صوب الموصل ، وسار ناصر الدولة إلى نصيبين ، واستولى معز الدولة على الموصل ، ثم تعقب ناصر الدولة ، ومنذ أن دخل ناصر الدولة الشام ، مرض معز الدولة ثم عاد إلى بغداد وأمر أن يحفروا على أعتاب مسجد دار السلام(٤٧) « لعن الله معاو ية بن أبى سفيان ولعن الله من غصب عن فاطمة عليها السلام فدكا(٤٨) ، ولكل من منع أن يدفن الحسن(٤٩) عند قبر جده صلى الله عليه وسلم ، ومن نفى أبا ذر الغفارى(٥٠) ومن أخرج العباس عن الشورى(٥١) » ، ولما لم يستطع الخليفة المحكوم الحاكم أن يفعل ذلك ، ظهر استياء فى بغداد ، وحك البعض هذه المنقوشات ، وأمر معز الدولة ليعيدوا نقرها ، وظلت الفتنة قائمة حتى رأى محمدبن المهدى الوزير ان المصلحة هى ألا يلعنوا أحدا إلا معاوية ، وكتبوا بدلاً من هذه الكلمات : « لعن الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وسكنت هذه الفتنة بصواب رأى الوزير ، ومات معز الدولة فى سنة ٣٥٦هـ ، وجلس مكانه ابنه عز الدولة ، وظل معز الدولة لمدة إحدى وعشرين سنة فى بغداد أمير الأمراء ، وقد تصدق بصدقات لاتعد ولاتحصى فى فترة مرضه ، وأطلق سراح مماليكه(٥٢) .

حكومة عضد الدولة بن ركن الدولة

جلس عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه فى سنة ٣٣٨هـ بحكم وصية عمه عماد الدولة على كرسى حكومة فارس وكرمان(٥٣)، يقول صاحب تاريخ قوامى انه فى بداية سلطنة عضد الدولة كانت احدى جوارى حرمه تحب أحد جنوده، وكانا يتلاقيان كلما سنحت الفرصة، وذات يوم توجه هذا الجندى للصيد، وفى أثناء قطع الصحراء رأى ثعلباً يدخل جحرا، فأخذ يتحسس هذا الجحر، حتى خرج الثعلب، وفى أثناء ذلك عثر على درجات فصعد عليها ووجد بيتاً وفى هذا البيت رأى عدة منحنيات مملوءة ذهباً وجواهر، فأخذ مقداراً منها، ووضع عليه علامة، وسد هذه الفتحة، وجاء إلى المدينة، وبعد ذلك لم يهمل لحظة فى الانفاق على هذه الجارية، ولما رأت الجارية هدايا ونفقات الجندى أكثر من درجته، عقدت العزم على أن تعرف الحقيقة، وعندما ثمل الجندى سألته الجارية من أين لك بكل هذا المال، قال: لا شأن لك بمثل هذا الأمر، فلو أنفقت الآلاف مثل هذا فلن ينقص من أموالى شيئا قط، وحذر الجارية أكثر من هذا القول، وفى لحظة سكر سألته مرة أخرى، فحكى طريقة ايجاد الكنز للمعشوقة، وأدركت الجارية أن هذا الأمر سيوجب مزيداً من التقرب لعضد الدولة، فذهبت إليه، وعرضت عليه: انني ارتكبت ذنباً فى حرمك يوجب قتلى فلو أعطانى الملك خاتم الأمان، سأخبره على كنز يفى النفقات عدة سنوات، فأعطاها عضد الدولة خاتم الأمان، فذكرت له الأمر من أوله إلى آخره، فطلب عضد الدولة أن تلتمس من هذا الشخص ليظهر لها الكنز، وعندما يرضى أخبريني، وقالت الجارية للجندى فى لحظة مناسبة، لقد هيأت لى فى هذه الفترة كل ما أريد، ولم تدع رغبة لى قط، وليس لى أمنية إلا رؤية الكنز الذى وجدته، والآن التمس منك أن ترنى مكان الكنز لأظل طوال العمر رهين منتك، وحقق الجندى رغبتها، وذات يوم قرر أن يصحبها إلى موضع الكنز، وأطلعت الجارية عضد الدولة على هذا الأمر، فأعطاها عضد الدولة منديلاً ورقياً مقطعا، لتنثره على الطريق فى أثناء الذهاب حتى لا يعرف الجندى أننى أسير على أثركما، وتوجهت الجارية فى اليوم المحدد مع ذلك الشخص إلى موضع الكنز، ونثرت قصاصات منديل الورق طبقا للاتفاق وهى تسير، وسار عضد الدولة مع عدد معدود على أثرهما، حتى وصل إلى مكان الكنز، وعندما رأى الجندى عضد الدولة، اضطرب فهدأه عضد الدولة، وقال: لك جرة من هذا الذهب، وسأزوجك هذه الجارية، فسر هذا الرجل، ونقل عضد الدولة الكنز كله إلى الخزانة، وبنى بناية عالية فى النجف على قبر أمير المؤمنين وإمام المتقين على بن أبى طالب عليه الصلاة والسلام من هذا المال

ويقول مؤلف تاريخ قوامى أيضاً: انه فى أيام سلطنته طلب أنه طالما كانوا يرسلون لهم فى أيام دولة ملوك العجم التحف والهدايا من الروم، فليرسلوها أيضا إليه، ولما رسخ هذا

المعنى فى نفسه استدعى تاجرا من المعروفين وقال : يجب أن تذهب إلى الروم وتفعل ما أطلبه منك ، وعرض على التاجر ما يريد ، وعموماً أعطى عضد الدولة التاجر أموالاً كثيرة ، وأرسله إلى هذه البلاد ، وعندما وصل التاجر إلى الروم ، قابله أركان دولة القيصر وتبركوا به ، وذهب معهم إلى الملك ، وقدم هدايا بديعة من الجواهر وغير ذلك على سبيل الهدية ، وانتظر عطف القيصر ، ولما أبدى انتظامه فى سلك النصارى — وكان كل من يزور القيصر يقدم له التحف والهدايا — حتى صار عن عداد المقربين والمعتبرين ، وبعد فترة أبدى محبة للاسلام والمسلمين ، وسلك فى سلك السعداء والفرقة الناجية ، وبعد أن مرت فترة على هذا الأمر عرض على القيصر انه بالقرب من منزلى خرابة يمكن بناؤها ، وأريد أن أبنى مسجداً فى هذا المكان ، ليجلب لى الذكر الجميل فى الدنيا والأجر الجزيل فى الآخرة ، فسمح له القيصر ، وأمر التاجر بحفر هذا المكان ليؤسسوا المسجد بالحجارة والآجر ، ووجد العمال فى أثناء الحفر صندوقاً مقفولاً مصنوعاً من الفولاذ القديم والزنك ، فحملوه إلى التاجر ، وبعد ذلك أرسلهم به مقفلاً إلى مجلس القيصر ، فأمر القيصر أن يفتحوا القفل ، ورأى فيه طومارا من أوراق قديمة كانت ممزقة ، فظن الملك وأركان الدولة أنها خريطة كنز ، وعندما نظروا فيها رأوا عدة أسطر مضمونها : « إنه فى التاريخ الفلانى الموافق لجلوس عضد الدولة على عرش سلطنة شيراز ظهر ملك موصوف بصفات كذا وكذا واسمه ولقبه كذا وكذا وهو مثل الاسكندر الذى استولى على الربع المسكون وهو أيضا سيستولى على العالم المعمور وكل من يطيعه ويقدم الجزية والخراج يأمن ضربات جيشه ، وكل من يتمرد ويعصى سيبتلى بالخسران والخزى » ، فتعجب القيصر وأركان الدولة من هذا القول الخطير ، واستدعى القيصر التاجر وسأله : هل وصلت إلى ولاية فارس ورأيت حاكمها ؟ قال : نعم ، فقال ماصفات هذا الملك وكيف حاله ؟ وما اسمه ولقبه ؟ فذكر التاجر الأمور جميعها كما هى ، ووجد القيصر مقولة التاجر موافقة لما هو مثبت فى الطومار ، قال القيصر : هل تعرفه ؟ قال : بلى لقد تبركت به عدة مرات ، ويعرفنى ، قال القيصر : أريد أن أرسل إليه مع رسول لبق تحفاً وهدايا كثيرة ، وأن أسلك معه سلوك المحبة والمودة ، وأدعوك لترافق رسولى إلى هذه الناحية ، وكان مطلب التاجر هذا أيضا ، وعندما وصل التاجر ورسول قيصر إلى حدود شيراز ، أرسل التاجر شخصاً إلى عضد الدولة ، ليخبره بوصوله ، فأرسل عضد الدولة إليه برسالة من اننى سأخرج من المدينة للصيد ، ومن المقرر أن يحدث اللقاء فى المساء فى « سربند » ووصل إلى سربند عند صلاة العشاء عضد الدولة مع الرسول ، ارتفع نعيق الضفدع ويسمونه أيضا « مكل » فأبدى عضد الدولة ضيقا ، فقال لأحد ملازميه : اذهب وقل للضفدع الملك يأمركم الليلة أن تصمتوا ، وبناء على ذلك خاض الشخص فى الماء ، وصمت الضفدع وفى أثناء الخوض كان يلقن ما قاله عضد الدولة ، ويقول بصوت عال فصمت الضفدع وتعجب

الرسول ، وهذا العجب من أن الملك عظيم الشأن لأن الحيوانات فى قعر النهر لاتخالف أمره ، فأمره مثل سليمان ينفذ فى البر والبحر ، وعندما عاد الرسول إلى الروم وأبلغ قيصر بحال المجلس ، تأكد من أن ما كتب فى الطومار عن حال عضد الدولة مطابق للواقع فلا مانع من السعي لزيادة المحبة والمودة ، واعتاد ارسال النفائس والغرائب ..

وفى سنة ٣٥٦ هـ (٥٤) جلس عضد الدولة على كرسى السلطنة ، ولم ينازعه أحد نظرا لأن ولاية أصفهان ونواحيها كانت لأبيه ركن الدولة ، وكانت مملكة الأهواز وخوزستان و بغداد تحت تصرف عمه معز الدولة ، وكان محمد بن الياس والى كرمان يقدم للديالمة الخدمات اللائقة ، وفى سنة ٣٥٧ هـ أرسل عضد الدولة ابنه أبا الفوارس إلى حكومة كرمان ، وسبب هذا هو أنه لما كانت ولاية كرمان متعلقة لليسع بن محمد بن اسماعيل ، أرسل جيشاً من سيرجان (٥٥) إلى حدود ولاية عضد الدولة ، فتوجه إليه عضد الدولة غاضبا ، وانتزعها من اليسع ، ودخلت مملكة عمان تحت تصرف عضد الدولة فى ذلك الوقت (٥٦) ، وفى سنة ٣٦٤ هـ قاد عضد الدولة الجيش إلى بغداد .

ذكر توجه عضد الدولة إلى دار السلام - بغداد - وبيان بعض الأحداث التى وقعت بعد وفاة معز الدولة

قال معز الدولة لابنه عز الدولة بختيار حين الوفاة (٥٧) : « إذا أردت أن تكون دولتك قوية ، فلا تخالف حكم عمك ركن الدولة ، وشاوره فى كل أمر يسنح لك ، وقدم عضد الدولة على نفسك ، واسع لتكريمه وتعظيمه ، لأنه أكبر منك وأعلم بأمور الملك عنك ، وأيضا سلم الوزارة لأبى الفضل عباس بن الحسين وأبى الفرج محمد بن عباس لأن كلاهما يتميز بالكفاءة والأمانة ، وأيضا خص جنود الترك والديلم بالانعامات السلطانية ، ودائماً اسع فى استمالة سبكتكين حاجب » ، ولكن عز الدولة لم ينفذ أى وصية من هذه الوصايا ، وانشغل باللعب واللهو ، وشرع فى مجالسة ومصاحبة النساء العاهرات والمغنيات (٥٨) ، وخاف سبكتكين من بختيار ، فترك ملازمته ، وفى نهاية الأمر وصل درجة أن أعلن سبكتكين العصيان ، واختار الأتراك جانب سبكتكين والديالمة جانب بختيار ، وطال النزاع بين الجانبين وايراد ذلك على سبيل التفصيل يوجب الملل والسأم .

وعندما توفى سبكتكين ، اختار الأتراك البگتين لحكمهم ، وعسكروا فى نواحي واسط قرب معسكر بختيار ، وتحاربا خمسين يوما ، وكان الظفر حليفاً للأتراك فى أغلب الأحيان ،

وفى تلك الأيام كان يرسل إلى عضد الدولة بأنه يجب أن يسرع و يتوجه صوب العراق العربى، وعندما سمع عضد الدولة بخبر سيطرة الأتراك، توجه بجيش فارس، والتحق فى واسط بعز الدولة بختيار، وجاء الأتراك لمواجهته، ووقعت حرب ضروس حتى هزموا، ولم يستقروا فى مكان قط إلا ببغداد، وتعقبهم عضد الدولة، ونزل على الجانب الشرقى لبغداد، وأمر بختيار أن ينزل على الجانب الغربى، وحارب الأتراك عدة أيام، ولم يتقدموا، وأخيراً عجزوا، فذهبوا إلى تكريت فى ركاب الخليفة الطائع، واستولى عضد الدولة على بغداد، واستدعى الخليفة، فانفصل الخليفة عن الأتراك، وجاء إلى دار السلام فأرسل عضد الدولة للخليفة الفرش والأوانى، وقدم له مراسم التبجيل والتعظيم.

وبعد هذا قبض عضد الدولة على بختيار واخوته، وسمع ركن الدولة هذا الخبر، فصعق، وحدث اضطراب عظيم، وعزم على أن يتوجه إلى بغداد، وأطلق عضد الدولة سراح بختيار استرضاء للأب، فترك أمر المملكة وعاد من بغداد، وبعد وفاة ركن الدولة جمع عضد الدولة الجيوش، وتوجه إلى العراق العربى، وعندما وصل خوزستان، التقى هناك بعز الدولة بختيار، ويوم الوغى التحقت طائفة من جيش بختيار بعضد الدولة، ولهذا السبب فر بختيار من المعركة، وعندما وصل نواحى الموصل(٥٩)، التحق به أبوثعلب(٦٠) بعشرين ألف شخص، وبلغ هذا الخبر عضد الدولة، فتوجه إلى هناك، والتقيا فى نواحى تكريت، واشتعلت نيران الحرب، وفر أبوثعلب، وأسروا بختيار، وعندما حملوه إلى عضد الدولة، أمر بأن يقطعوا رقبته فى الحال، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة ومدة حكومته إحدى عشرة سنة وبضعة شهور.

وأقام عضد الدولة فى الموصل، وقال هذه المملكة أفضل لى من العراق العجمى، وجمع الجيوش المتناثرة وسخر ديار بكر وأكثر قلاعها، وفتح ديار بنى مضر وقلاعهم أيضا، وأبدى سعد الدولة بن سيف الدولة الحمدانى صاحب حلب طاعته.

وفى سنة ٣٦٨هـ اهتم عضد الدولة بخرابات بغداد، فأقام المساجد عليها، وعين الأئمة والمؤذنين، واستدعى الأيتام والفقراء والضعفاء وقرر لهم مرتباً شهرياً، وعمر الأسواق، وألزم أصحاب الأملاك الخربة عمارتها، وأجرى نهراً بكل مكان بور، وأسقط النفقات التى كانت تؤخذ من الحجاج فى هذه الفترة، وأعاد الآبار التى كانت محفورة من بغداد إلى مكة إلى حالتها الأولى، وأرسل الصدقات لمجاورى مكة والمدينة ومشهد حضرة إمام المتقين على أمير المؤمنين والحسين أمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام، وأجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والشعراء والأطباء والحاسبين والمهندسين(٦٢)، وسمح لوزيره نصر بن هارون النصرانى ببناء البيع والكنائس، وأن يرعى أيضاً فقراء هذه الطائفة من أموال سيده.(٦٣)

وفى سنة ٣٧١ هـ (٦٤) أتم بناء دار الشفاء بغربى بغداد ، وهيأ لها كل ماتحتاجه من أطباء وأدوية وأشربة (٦٥) ، وفى سنة ٣٧٢ هـ استولى مرض الصرع على عضد الدولة ، وضعف حاله ، وتوفى فى الثامن من شوال من السنة المذكورة ، ودفن فى النجف بموجب الوصية التى كان قد أوصى بها ، وكانت حكومته أربعاً وثلاثين سنة ، وعمره سبع وأربعون سنة ، وفى يوم وفاته لم يتفوه قط بكلمة إلا هذه الآية « ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه » (٦٦) ، وحضر الخليفة الطائع مجلس عزائه ، كان أفضل سلاطين الديلم ، كُتبت مآثره ومناقبه فى مجلدات منها ، الصابى الذى كتب باسمه كتاب « تاجى فى أخبار آل بويه » (٦٧) ، وقد عاش الناس فى عهد عضد الدولة فى مهاد الأمن والأمان ، هنأ الناس فى أيام حكومته (٦٨) ، وبنى سبعة أحواض ، يشرب من كل حوض يومياً ألف شخص يكفيهم عام كامل ، وأيضاً أقام بناية على نهر قرب شيراز تسمى « بندأمير » (٦٩) وهذه البناية لامثيل لها فى العالم ، و يكفى فى وصف هذه البناية أن الماء يدور حولها ، وفوقها معبر يمر الخلائق عليه ، ويمر القوافل والجيوش أيضاً عليه ، وبنى أيضاً فى شيراز دار الشفاء يعجز اللسان عن وصفها ، وفى آخر عمره أحدث بعضالبدع منها انه خصص مساحة من الأرض يبيعون عليها الدواب ، وعين جماعة لعمل الثلج خصيصاً للديوان العالى و بناء على ذلك كان رجاله يحضرون الثلج من الجبل و يبيعونه للخمارين .

حكومة مؤيد الدولة بن ركن الدولة

ورد آنفاً أن ركن الدولة قد قسم ممالكه على أولاده عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة حتى لايتعرض أحدهما للآخر ، وعندما توفى لم يكن مؤيد الدولة يفعل شيئاً بالمملكة التى أعطاها له أبوه دون اذن من عضد الدولة ، وقد أرسل رسولاً إليه أن أمر ملكه وماله موكول له ، فوافق هذا القول مزاج عضد الدولة ، وسعى لرفع درجته ، بينما لم يهتم فخر الدولة بعد موت ركن الدولة بأخيه الأكبر ، وتصدى لحكومته دون مشورته ، ولهذا السبب استاء عضد الدولة من فخر الدولة ، وجاء لتأديبه ، وتنازع مؤيد الدولة برأى عضد الدولة مع فخر الدولة ، وذهب فخر الدولة إلى جرجان ، ومن هناك توجه إلى خراسان ، وطلب المساعدة من نوح بن منصور ، وتحارب مع مؤيد الدولة ، وهزم طبقاً لما ذكرناه ضمن وقائع السامانيين ، وحكم مؤيد الدولة حكومته حتى توفى سنة ٣٧٣ هـ (٧٠) ، ووصل خبر وفاته لابن أخيه صمصام الدولة فى بغداد ، فقام بواجب العزاء ، وحضر الخليفة الطائع مجلس العزاء .

وبعد وفاة مؤيد الدولة تشاور أركان دولته حول من يفوضونه السلطنة من آل بويه قال اسماعيل بن عباد صاحب الكافي : يجب أن نستدعى فخر الدولة من خراسان لأنه أفضل وأعظم ملوك الديلم كما ان هذه البلاد كانت تتعلق به قبل مؤيد الدولة بموجب وصية الأب ، وعندما استقرت الآراء على أن يعينوا خسرو فيروز بن ركن الدولة الاخ الأصغر لفخر الدولة نيابة عنه ، وارسلوا الرسل إلى نيشابور ، واستدعوه ، فتوجه فخر الدولة مسرعا إلى الرى فى رمضان من السنة المذكورة ، واستولى على مملكته الموروثة دون منة من أحد ، وقام الصاحب بن عباد(٧١) بوزارته وصار صاحب اختيار الممالك .

حكومة فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه

عندما جلس فخر الدولة على الحكم ، ارسل الخليفة صمصام الدولة بن عضد الدولة اليه من بغداد بخلعة ، ليوطد أسس المحبة بينهما(٧٢) ، وفى شهور سنة ٣٧٤هـ قرأ ابوالحسين بن عضد الدولة الخطبة وسك السكة فى الأهواز باسم فخر الدولة(٧٣) ، وفى سنة ٣٧٥هـ توجه شرف الدولة من فارس إلى الاهواز ، ففر أبوالحسين من أخيه والتحق بفخر الدولة ، وجهز ابن اخيه ، وارسله إلى اصفهان ، و بعد فترة أبدى أبوالحسين مخالفة لفخر الدولة وتبع شرف الدولة ، فقبض عليه جنوده ، وارسلوه إلى فخر الدولة ، فحبسه فخر الدولة ، وظل بالحبس حتى مرض وفاة فخر الدولة ، فأطلق سراحه من هذا الحبس بموجب فرمان عمه .

وفى سنة ٣٧٧هـ أرسل فخر الدولة الصاحب الكافى اسماعيل بن عباد لضبط أموال طبرستان ، فأحسن ضبط هذه الولاية ، وسعى سعيا حميدا فى دفع أهل الفتنة ، وفتح عدة قلاع ، وعاد فى نفس السنة(٧٤) .

وفى سنة ٣٧٨هـ أمر الصاحب بن عباد أن يضربوا عدة عملات فى جرجان بوزن ألف مثقال ذهبا ، وكانت اذا وقع منها واحد فى يد مفلس ، يغتنى ، ونقشوا على أحد جانبها سبعة أبيات أولها :

« وأحمر يحكى الشمس شكلا وصورة فاوصافه مشتقة من صفاتها »(٧٥)

وعلى الناحية الأخرى سورة الإخلاص(٧٦) ولقب فخر الدولة(٧٧) ولفظ جرجان ، وفى سنة ٣٧٩هـ توجه فخر التوجه إلى العراق العربى ، وسبب ذلك هو أنه عندما توفى شرف الدولة بن عضد الدولة جلس مكانه ابنه بهاء الدولة ، فاستولى هوى تسخير بغداد على نفس الصاحب بن عباد ، فحرض فخر الدولة على أن يقود الجيش إلى هناك ، وجمع فخر الدولة جيشا جرارا ، وتوجه إلى همدان ، وقد لحق به بدر بن حسنويه من كردستان ، وقرر أن يتوجه

اسماعيل بن عباد و بدر بن حسنويه من طريق بغداد ، وتحرك فخر الدولة من طريق كردستان ، وعندما سمع بهاء الدولة بن عضد الدولة خبر توجه فخر الدولة ، جمع الجيوش ، واسرع لاستقباله ، وتقابل الجيشان فى الأهواز ، وتوجها ، وتصادف أن فاض نهر الأهواز فى هذه السنة(٧٨) ، و وصل إلى معسكر فخر الدولة ، فاعتقد جنوده أن هناك مكيدة ، فانهزموا دون قتال ، واستاء فخر الدولة من هذا ، فكتب إلى الصاحب بن عباد ، ليتدبر الأمر ، فرد عليه الصاحب بأنه يجب انفاق المال وانا أضمن ان كل ماتنفقه اليوم ، سأحصل لك ضعفه فى العام التالى ، وصعب على فخر الدولة جمع المال(٧٩) ، لأنه لايمكن الحرب دون استعمال السيف والسنان و بعد ذلك جاء فخر الدولة إلى الرى ، ومن هناك توجه إلى همدان .

وفى سنة ٣٨٥هـ توفى الصاحب بن عباد(٨٠) ، وكان الصاحب الكافى ، وحيد زمانه وفريد عصره فى الفضل والأدب ، يفوق الوزراء فى الرأى والتدبير ، آثاره من الرقاع والرسائل مشهوره بين أرباب الفضائل ، جمع من نفائس الكتب مالم يجمعه أى وزير قط بل أى سلطان(٨١) ، و يروون أنه فى إحدى سفرياته كان يحمل كتبه أربعمائة جمل ، و يقولون أنه عندما مرض الصاحب بن عباد ، ذهب فخر الدولة لعيادته ، قال له الصاحب : لقد خدمتك خدمة استفرغت فيها وسعى ، وسرت سيرة جلبت لك حسن الذكر ، والآن أنا أشرف على الموت فإن أجريت الأمور على ما كانت عليه نسب ذلك الجميل إليك وتركت أنا ، وان عدلت عنه كنت أنا المشكور(٨٢) ، وإذا فعلت خلاف ذلك سيسرى الفساد فى الدولة وتتولد الفتن وآمل أن تعرض عن قول أصحاب الفتن وألا تنحرف عن الصواب ، قال فخر الدولة : سأفعل لكن لا أعد بالوفاء .

وعندما حملوا نعش الصاحب بن عباد إلى المصلى ، قبل أعيان الديلم الأرض أمام تابوته لما كان له من إجلال ، ثم رفعوا النعش إلى السقف ، و بعد فترة حملوه إلى اصفهان(٨٣) ، و واروا جسده فى هذه الأرض ، وكان قد تحمل عبء الوزارة كما يجب مدة سبع عشرة سنة ، و بعد وفاة الصاحب بن عباد وزع فخر الدولة خزائنه ، وحرم أبناءه ، وصادر أمواله وممتلكاته ، وجمع أموالاً كثيرة .

وكان الصاحب بن عباد يحسن إلى القاضى عبد الجبار ــ الذى كان يعمل بفروع المذهب الشافعى وفى الأصول بالمعتزلة ، حبا مفرطاً و يرعاه بقدر الإمكان ، وعندما توفى الصاحب قال القاضى : لا أعرف انه أهل للرحمة ، فسألوه لماذا تقول أن توبته غير معروفة ، ولهذا يعتبرون عبدالجبار رجلاً جاحداً ، وقد رصادر فخر الدولة القاضى(٨٤) ، وأخذ منه ثلاثة آلاف درهم ، وورد فى تاريخ گزيده(٨٥) مع أنه كان على مذهب القاضى عبدالجبار ، فقد أخذ أمواله بدون وجه ، وأبقاه مخلداً فى النار بتهمة أخذ الرشوة من الأهالى ، وعزل القاضى بعد مصادرته .

وفى شهور سنة ٣٨٧ هـ وذات يوم وهو فى قلعة طبرك طلب لحم بقر مشوى ، فأمر ان يذبحوا بقرة فى حضوره و يصنعوا كبابا من لحمها ، ليأكل ، وأكل بعد الكباب عدة عناقيد عنب ، فأصابه ألم عظيم فى معدته ، ووضح هذا المثل « مائة روح فداء بطن » وتوفى فى الحال ، وكان مفتاح الخزائن فى الرى عند ابنه مجد الدولة ، ولما طلبوا كفناً لم يجدوا ، وكان الذهاب إلى المدينة متعذراً بسبب اضطراب وشغب الديالمة ، واشتروا كفناً من قيم الجامع ، وظل فخر الدولة فترة فى البيت بسبب اضطراب جنود الديلم حتى نتن (٨٧) ، و يقولون انه وجدوا فى خزانته أموالاً وأجناساً لاحصر لها ، من جملتها ثلاثة آلاف حمل قماش والباقى على هذا النحو. (٨٨)

حكومة شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة

كان شيرزيل بن عضد الدولة فى كرمان عندما توفى والده ، وعندما وصله خبره ، أسرع بالتوجه إلى فارس ، وأدخل هذه البلاد فى حوزته ، وقتل نصربن هارون النصرانى وزير أبيه ، ذلك لأنه كان يكرهه ، وأطلق سراح جميع من حبسهم عضد الدولة ، وأبدى عصياناً لأخيه صمصام الدولة وقرأ الخطبة باسمه ، ووزع الخزائن والأموال وجمع جيشاً عظيما ، فأرسل صمصام الدولة من بغداد أبا الحسن حاجب بجيش جرار لصده ، وأرسل شرف الدين أيضاً أحد أمرائه الكبار مع جماعة من الشجعان لمواجهتهم ، وتحارب الجيشان ، وهزم جيش صمصام الدولة ، وأُسر أبوالحسن حاجب. (٨٩)

وفى أثناء ذلك أرسل شرف الدولة رسولاً إلى القرامطة ، وعندما عاد الرسول ، عرض على شرف الدولة ان القرامطة سألوه عن أخلاق الملك ، وجادلوه ، وقالوا : إنه عزل ثلاثة وزراء فى سنة واحدة ، ونصب ثلاثة أشخاص آخرين على الوزارة ، ولم يعزل أحد قط حتى آخر عمره ، وفى أوائل سنة ٣٧٥ هـ ، قاد شرف الدولة الجيش إلى الأهواز ، بحجة أن أخا صمصام الدولة قد قبض على أخ آخر يدعى أبونصر بهاء الدولة وحبسه ، فخاف صمصام الدولة ، وطلب الصلح وتوجه شرف الدولة من الأهواز إلى البصرة واستولى عليها ، وأخرج صمصام الدولة بهاء الدولة من الحبس ، وأرسله إلى شرف الدولة ، وتصالحا على أساس أن شرف الدولة يكون أميراً للأمراء و يقدم اسم شرف الدولة على اسم صمصام الدولة فى الخطبة فى بلاد العراق. (٩٠)

وخلال هذه الأحوال ، وعندما أدرك شرف الدولة أن بعض أعيان وأشراف العراق العربى يميلون إليه ، أبدى تضرراً من الصلح ، وقاد الجيش إلى بغداد ، واستشار صمصام

الدولة أصحاب التجربة ، وتحدث كل واحد ، ومن مجموع ماعرضوه ، ركب زورقاً مع عدد من خواصه ، وذهب إلى شرف الدولة ، فقدم له شرف الدولة التعظيم والتبجيل ، وعندما خرج صمصام الدولة من المجلس ، أمر شرف الدولة بحبسه (٩١) ، واستولى على بغداد ، وسنعرض حكومة صمصام الدولة ونهاية حالها قريباً إن شاء الله تعالى .

ومرض شرف الدولة فى شهور سنة ٣٧٩ هـ ، وعندما يئس أصحابه من حياته قالوا : إن الأمير أبا على هوملك فارس الآن ، ومن الصواب أن نحله ملكا مكانه ، قال : اننى مشغول بحالى وأنتم تعلمون ، قالوا : لو استصوبت الرأى فليكن أبونصر بهاء الدولة محله ، حتى لاتحدث الفتنة ، فأقرهم شرف الدولة على ذلك ، وعموماً عندما توفى شرف الدولة قام بهاء الدولة بالعزاء ، وعندما عاد إلى دار الخليفة ، أرسل الخليفة الخلعة السلطانية إلى بهاء الدولة . (٩٢)

صمصام الدولة بن عضد الدولة

جلس صمصام الدولة أبو كالنجار مرزبان بن عضد الدولة بعد وفاة أبيه ببغداد ، وخلع على أخويه أبى الحسين أحمد وأبى طاهر فيروزان شاه ، وتوجه إلى فارس ، وقال لهما : أسرعا فى الذهاب قبل وصول شرف الدولة إلى شيراز قبلكما ، ووصلا إلى ازجان وسمعا أن شرف الدولة قد سبقهما ، واستولى على هذه الديار ، فعادا إلى الأهواز .

وفى سنة ٣٧٥ هـ خاف اسفار بن شيرويه أحد أمراء الديلم من صمصام الدولة وبايع هو وأخوته بهاء الدولة بن عضد الدولة ، وتابعهم طائفة من الجنود ، فضعف صمصام الدولة وطلب من ماندار أحد قادة الديلم الذين يمتازون بالهيبة المساعدة ، وأجابه ماندار على طلبه ، وهزمهم وقبض على أبى نصر بهاء الدولة ، وأحضره إلى أخيه ، فأمر صمصام الدولة بحبس بهاء الدولة ، وحكم صمصام الدولة إمارة بغداد قرابة أربع سنوات ، وأخيراً قبض عليه أخوه شرف الدولة ، فقال جماعة من الأمراء لشرف الدولة : يجب أن تسلمه ولايته أو تقتله فلم يفعل شرف الدولة بقولهم وبناء على مصلحة الدولة أرسله إلى شيراز ، وأمر أن يحبسوه فى إحدى قلاعها ، وعندما مرض شرف الدولة ، أرسل بعض أركان الدولة مجد الدين لفراش الشيرازى فى فارس ، ليسمل عينى صمصام الدولة ، وعندما شاع خبر وفاة شرف الدولة ، أخرج حراس القلعة صمصام الدولة من حبسه ، واجتمع جيش كبير فى ظل رايته ، وسمع بهاء الدولة هذا الخبر ، فتوجه بجيش جرار إلى صمصام الدولة ، وحدث الصلح بينهما بعد الحرب على شرط على أن تتعلق بلاد فارس وازجان بصمصام الدولة ، وتتعلق خوزستان

والعراق العربى ببهاء الدولة ، وعاد بهاء الدولة إلى بغداد ، وسعى لتسكين الفتنة التى ظهرت فى هذه البلاد من الأعيان فى أثناء غيبته ، وقضى على أهل الفتنة .

وفى سنة ٣٨٠هـ فرّ أولاد عز الدولة بختياربن معز الدولة الديلمى الذين كانوا محبوسين فى قلعة من قلاع فارس من يد حراس القلعة ، واستولوا على القلعة ، وأسرع جماعة من الديالمة إليهم وعلم صمصام الدولة بهذه الحكاية ، فأرسل أباعلى استاد هرمز لحربهم وحاصر أبوعلى هذه الجماعة ، وطلب أولاد عز الدولة وكانوا ستة أفراد الأمان لعجزهم ، وأخرجهم أبوعلى من القلعة آمنين ، وأرسلهم إلى صمصام الدولة ، فقتل صمصام الدولة رجلين من أولاد بختيار، وحبس الأربعة الآخرين ، و بعد هذا تزلزلت أسس الصلح بين بهاء الدولة وصمصام الدولة ، وأرسل صمصام الدولة أباعلى على استاد هرمز القائد القوى لدفع فتنة بهاء الدولة ، و وقعت معارك بين أبى على وجيش بهاء الدولة ، وانتصر أبوعلى فى جميع المعارك ، فتوجه بهاء الدولة بنفسه إلى أبى على ، وتحار با عدة مرات ، وخلال هذه الحروب كان أبوعلى يحقق النصر ، وعندما أوشك القضاء على بهاء الدولة تماما ، انتشر خبر قتل صمصام الدولة ، وسبب ذلك هو انه عندما استعرض جيشه ، ومحى اسم كل من فيهم شبهه فى صحة نسبه للديلم ولما ضجر بعض الجنود من عدم وجود راتب ، وخاف حراس أولاد بختيار، فأطلقوا سراحهم والتحق بخدمتهم جمع غفير من الأرازل والأو باش .

ولما كان جيش صمصام الدولة قد ذهب كله لمحاربة بهاء الدولة ، واضطر إلى أن يتحصن فى قلعة من قلاع فارس ، فلم يسمح الكوتوال لصمصام الدولة ، و وصل مع ثلا ثمائة رجل مفلس إلى أسرة كانت فى هذاالمكان على بعد فرسخين من شيراز، فقبض طاهر حاكم هذا المكان عليه ، وحمله إلى أبى نصربن بختيار، وقتل صمام الدولة فى ذى الحجة من السنة المذكورة وقد حكم فارس تسع سنوات وثمانية شهور وكان صمصام حليماً كريما ، لأحد لكرمه ، وقتلوا أيضاً أمه بعد قتله و واروا الأم والابن فى مقبرتين على باب قصر الامارة ، وعندما جاء بهاء الدولة إلى فارس أخرجهما من القبر ودفنهما بمقابر آل بو يه . (٩٣)

حكومة بهاء الدولة أبى نصر بن عضد الدولة

بعد وفاة شرف الدولة استقرت امارة بغداد فى يد بهاء الدولة ، وفى سنة ٣٨١هـ خلع بهاء الدولة الخليفة العباسى الطائع من الخلافة ، وسبب ذلك هو أن الجنود طلبوا من بهاء الدولة أموالاً ، ولم يكن بالخزانة نقداً ، فصادربهاء الدولة وز يره ، ولم يحصل منه على شيء كثيريفى حاجة الجيش، فقال له ابن معلم ـــ الذى كان صاحب اختيار فى عهد دولة بهاء الدولة :

إن الخليفة الطائع لديه أموال كثيرة ، اقبض عليه وقسم أمواله على الجنود ، وأجلس آخر على كرسى الخلافة مكانه » ، و بدا هذا سهلاً فى نظر بهاء الدولة فخلع الطائع من الخلافة (٩٤) ، و بايع الأمير القادر ، و بعد ذلك قبض على ابن معلم بسبب سوء علاقته بالناس ، وطلب الجنود ابن معلم لما سببه لهم من إساءة ، وكلما قال لهم بهاء الدولة ، دعوه لى ، رفضوا ، واضطر بهاء الدولة تسليمهم ابن معلم ، وقدموا له السم مرتين ، فلم يأت بشىء ، فضغطوا على حلقه حتى لايتنفس .

وفى أيام حكومة بهاء الدولة ، قتل أولاد بختيار صمصام الدولة (٩٥) ، وأرسلوا رسالة إلى أبى على هرمز من : « اننا نعتمد عليك ، ومهمتك أن تأخذ البيعة لنا من الجيش ، وتسعى سعياً جيداً لدفع بهاء الدولة » ، ولما كان أبو على يخشى أبناء بختيار لأنهم يعرفون أن قتل ولدى بختيار على يد صمصام الدولة كان باشارة منه ، لاجرم انه أعرض عنهم ، وأرسل رسولاً إلى بهاء الدولة ، وطلب الأمان له وللديالمة ، فسر بهاء الدولة ، وأمنه وسائر الأمناء ، وأرسل إليهم انه لاذنب عليكم طالما كان أخى وولى نعمتكم كان قد أرسلكم لمحاربتى ، والآن فإن طلب دمه واجب على الجميع ، وأمن الديالمة ، ووضعوا سره على خط فرمانه ، وأرسلوا جماعة من أعيانهم إلى بهاء الدولة ، ليؤكدوا بنيان العهد بالإيمان ، وأرسلوا الخبر إلى جماعة من الديالمة ـــ الذين كانوا فى مدينة سوسن ـــ ، من اننا تصالحنا مع الأمير بهاء الدولة ، فأخرجوا من المدينة أيضا ، فقالوا طالما قبل الملك فنحن نشرف بالطاعة ، وفى اليوم التالى وصل بهاء الدولة بجيشه بظاهر سوسن ، وخرج الديالمة من المدينة ، و بدأت حرب ضروس ، واستاء بهاء الدولة ، وألقى الديالمة سلاحهم . وقالوا : « إن من عادة الديالمة انه بعد الصلح يتقاتلون قتالاً صعباً حتى لايظن الناس عجزهم »

ولما لم يبق منازع لبهاء الدولة فى الأهواز ، أرسل أبا على استاد هرمز لتسخير فارس ، وتوجه أبو على إلى هناك ، وانتزع هذه الولاية من يد أولاد عز الدين بختيار ، وعندما سمع بهاء الدولة بهذا النصر ، توجه إلى شيراز ، وعندما تمكن من عرش فارس ، أمر أن يقتلوا أهل قرية دودمان بالجريمة ـــ التى ارتكبها أبناء بختيار فى حق صمصام الدولة ـــ واشعل النار فى هذه القرية ، وارتفع دخان دودمان . (٩٦)

وفى تلك الأثناء توجه أبو نصر بن عز الدولة بختيار ـــ الذى كان قد فرّ من أبى على بن استاد هرمز ـــ ودخل الديلم ، مع جماعة من تلك الطائفة إلى كرمان ، وحاربه أبو جعفر وهزم ، ولاذ بسيرجان ، وتوجه أبو نصر إلى جيرفت ، وأرسل عماله وقواده إلى گرمسيرات كرمان وأدخلوا تلك النواحى جميعاً فى طاعته ، وعندما علم بهاء الدولة بهذه الحادثة ، أرسل الموفق بن اسماعيل بجيش لدفع هذه الفتنة ، وقاد الموفق الجيش إلى جيرفت ، ولم يجد

أبا نصربن بختيار هناك ، فسأل أهل جيرفت عنه ، فقالوا : من هنا إلى معسكره ثمانية فراسخ ، فاختار الموفق ثلاثمائة رجل من جيشه ، وسار ، وعندما وصل إلى هذا المكان الذى حددوه ، لم ير أثراً لابن بختيار ، فرحل قبيل طلوع الفجر من هناك أيضاً ، و بعد قطع المنازل وطى المراحل وصل إليه ، وأعمد كلا الفريقين السيف والخنجر فى الآخر ، وفى النهاية فرّ ابن بختيار ، وفى أثناء الفرار ضربه شخص من ملازميه ، وذهب ليخبر الموفق ، و وصل آخر ، وفصل رأس ابن بختيار ، وحملها للموفق ، وقتل الموفق خلقا كثيرين من المنهزمين ، وطهر مملكة كرمان كلها .

ومن غرائب الصدف أن منجماً كان قد قال للموفق قبيل قتل أبى نصربن بختيار : انه فى الاثنين الفلانى سيقُتل أبونصر ، ولما كان قد بقى خمسة أيام على الاثنين ، قال الموفق للمنجم اقترب وعدك ، وليس لدينا خبر عن أبى نصر ، قال المنجم : إذا لم يقُتل فى ذلك اليوم اقتلنى ، وإذا قتل يجب أن تقدم لى واجب الاحسان والامتنان ، وقُتل أبونصر فى يوم الاثنين الذى حدده المنجم ، وأعطى الموفق المنجم مالا كثيرا ، فصار من جملة الأغنياء .

و بعد هذا الفتح ترك الموفق نائبا فى كرمان ، وتوجه إلى بهاء الدولة ، وقدم بهاء الدولة جميع أنواع الاكرام ، وأحله محل التعظيم والتكريم ، ولكن فى نفس هذه الأيام أراد أن يعفيه من خدمته ، وكلما منعه بهاء الدولة ، رفض ، فقبض عليه بهاء الدولة وسجنه ، و بعد فترة أمر بقتله ، وفى سنة ٤٠١ هـ توفى عميد الجيوش أبوعلى فى بغداد ، وكان عمره تسعاً وار بعين سنة ، وكانت إمارة بغداد متعلقة به ، كان يحسن لأهل الله ، ولم يكن فى دولة بهاء الدولة أى شخص ذات اعتبار مثله ، وفى سنة ٤٠٣ هـ توفى بهاء الدولة بمرض الصرع(٩٧) ، وحملوا تابوته إلى مشهد ... عليه السلام(٩٨) ، ودفنوه هناك ، وكانت مدة حياته اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر ، ومدة سلطنته أربع وعشرون سنة .

حكومة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه

اجلس أركان الدولة بعد وفاة فخر الدولة ابنه مجد الدولة(٩٩) وكان لا يزال طفلا ، وتضلعت أمه سيده ؛ وكانت امرأة عاقلة ، بتدبير شئون الملك(١٠٠) ؛ وكانت تحكم ولايقدر أحد قط أن يتدخل فى صغيرة أو كبيرة(١٠١) ، وفى سنة ٣٧٠ هـ(١٠٢) ، قبضت سيده على مجد الدولة ، وسبب ذلك هو انه عندما بلغ سن الرشد ، نازع أمه فى الحكم ، و وزر أبا على دون رضاء من أمه ، فاستاءت سيده من الابن ، وذهبت إلى قلعة طبرك ، وأرسل أبوعلى

الحراس على سيده حتى لاتهرب ، وفرت سيده فى جوف الليل من القلعة ، وتوجهت إلى خوزستان ، ولمّا كان حاكم هذه البلاد بدربن حسنو يه قد علم بتوجه سيده ، أسرع إلى حدود خوزستان لاستقبالها ، وقدم الطاعة ، ولم يهمل لحظة فى خدمتها ، وجمع الجيوش ، وتوجه فى ركاب سيده إلى الرى ، وحارب مجد الدولة وأسره مع وز يره ، وتمكنت سيده من المملكة ، وخلعت على بدربن حسنو يه الخلع الفاخرة والعطايا الوافرة ، وسارت سيرة عادلة ، وأسست قواعد الحكم. (١٠٣)

وذات يوم جلست فى البلاط وراء حجاب رقيق ، وتحدثت مع الوز ير والعارض من أن رسولا من الأطراف قال قولاً مناسبا ، يقول ان السلطان محمود الغزنوى قد أرسل إليه رسالة بأن يسك السكة ويخطب الخطبة باسمه ، وإلا يعد نفسه للحرب ، وقد ردت سيدة عليه كنت أفكر حين كان زوجى حياً من أنه لوطلب السلطان هذا فما العمل ؟ الآن لاأحمل هماً لأن السلطان محمود سلطان عاقل ، وأمر الحرب غيب فلو انتصر على فلن يشتهر أكثر من ذلك لو انتصر على أرملة ، وإذا هُزم منى فلن يستطيع أن يمحى هذا العار من صفحة الزمان :

« إما أن يكون صادقا و يدع المعوج ، وإما أن يكون رجلاً و يدع النساء »(١٠٤)

وبهذا الرد الصواب ترك السلطان العداوة .

وكانت سيدة تسرى عن ابنها أحيانا ، حتى صار مجد الدولة أهلاً للملك ، وكان زمام المملكة فى كف سيدة القوية ، وأرسلت سيدة شمس الدولة أخا مجد الدولة إلى همذان ، وعينت أباجعفر كاكو ية على حكومة اصفهان طوال حياتها ، وازدهر ملك مجد الدولة ، وعندما ماتت سرى الهرج والمرج فى مملكة مجد الدولة .

وفى أوائل سنة ٤٢٠ هـ خرج السلطان محمود من غزنين متوجهاً إلى العراق ، و بعد قطع المنازل ، وصل إلى مازندران ، والتحق به منوچهرين شمس المعالى قابوس بن شمگير، وقدم التحف الغالية ، و بعد عدة أيام توجه إلى ولايته دون استئذان لتخوفه ، ولكنه أرسل أر بعمائة ألف دينار وما يحتاج إليه جيش السلطان ، واعتذر وعفا السلطان عن زلته. (١٠٥)

وفى أثناء ذلك أرسل مجد الدولة رسالة إلى السلطان ، واشتكى من جيشه ، وكان دائماً مشغولاً بمطالعة الكتب ، وعلم السلطان بأحواله ، فسير جيشاً جراراً إلى الرى ، وقال لأمير الجيش ، حاول أن تقبض على مجد الدولة ، وعندما دخل رجال السلطان الرى ، التحق بهم مجد الدولة ، وقبض حاجب السلطان أمير للجيش على مجد الدولة وأبى دلف ابنه ، وعلم السلطان بهذا الخبر، فلم يتوقف بمكان حتى وصل ولاية الرى ، واحضروا له من خزانة الرى مبلغ ألف ألف دينار ومايوازى خمسمائة ألف دينار جواهر، وستة آلاف ثوب صوفى وأدوات ذهبية وفضية ، واستدعى السلطان محمود مجد الدولة وسأله : هل رأيت

الشاهنامه(١٠٦) وهى تاريخ ملوك الفرس وتاريخ الطبرى(١٠٧) الذى يتضمن وقائع أرباب الاسلام أيضا ؟ قال : بلى ، فسأله السلطان هل تلعب الشطرنج ، قال : نعم قال السلطان : غير مكتوب فى هذه الكتب ان حكم ملكان فى مملكة واحدة ، ولا يجتمع ملكان فى الشطرنج فى مكان واحد وقالوا : قال السلطان : عليك ان تختار شخصاً أقوى منك ، ثم حبس مجد الدولة وابنه ونوابه ، وأرسله إلى غزنين ، وأرسل رسالة إلى الخليفة القادر كتب فيها : جئنا إلى الرى ، وقبضنا على مجد الدولة ، ووجدنا فى قصره خمسين إمرأة حرة ، من جملتهم ثلاثين امرأة وزيادة أمهات لهن أبناء ، سألنا عنه على أى مذهب بسير ، أجاب : كانت عادة اسلافنا كذلك ، وقتلنا جماعة من الباطنية الذين كانوا يلازمونه ، ونفينا المعتزلة الذين كانوا يقيمون فى الرى ، وأرسلناهم إلى خراسان(١٠٨) ، و يذكرون أنه كان فى مكتبة مجد الدولة كتباً كثيرة كانت تشتمل على كلام أهل الاعتزال ، وقد أحرقت ، وحملنا الباقى إلى خراسان ، وترك ابنه مسعود فى الرى ، وعاد إلى غزنين كما ذكر من قبل .

حكومة سلطان الدولة(١٠٩) بن بهاء الدولة

عندما توفى بهاء الدولة فى أرجان ، حل محله سلطان لدولة(١١٠) ، وتوجه من أرجان إلى شيراز ، وأرسل أخاه جلال الدولة إلى البصرة ، وسير أخاه الثانى أبا الفوارس إلى كرمان ، وعندما تمكن أبوالفوارس من كرمان ، تحالف جماعة من الديالمة ، وثاروا مع الأخ ، وجمع جيشاً كبيراً ، وتوجه إلى شيراز ، ولما لم يكن سلطان الدولة فى فارس فقد استولى على هذه البلاد فى سهولة ، وعلم سلطان الدولة بالأمر ، فجمع جيشاً ، وتوجه إلى أخيه وخرج أبوالفوارس من شيراز ، وحارب سلطان الدولة(١١١) ، وعاد مهزوماً إلى كرمان ، وتعقبه سلطان الدولة ، فترك أبوالفوارس كرمان ، وتوجه إلى خراسان ، وعندما التحق بيمين الدولة محمود ، و بالغ محمود فى اكرامه ، وكان يقدمه فى المجلس الذى يجلس فيه الأمراء على داراء بن شمس المعالى قابوس بن وشمگير ، واستاء داراء من هذا الأمر ، فقال فى المجلس : إن اباءه كانوا يخدمون آبائى ، و يعنى من هذا القول ، إن عماد الدولة واخوته كانوا يلازمون فى عهد سابق مرداو يج بن زياد عم قابوس ، قال السلطان محمود : انه يسموعليك لأن آباءه قد استولوا على المملكة بضرب السيف ، وهدفه السلطان من هذا هو أنه انتزع الملك بمحاربة السامانيين .

وعموماً لقد رعى يمين الدولة محمود حال أبى الفوارس ، و بعد فترة وجيزه ، أرسل أبا سعيد الطائى ـــ الذى كان ضمن الأمراء العظام ـــ بجيش جرار برفقته إلى العراق ، وتوجهوا

أولاً إلى كرمان ، واستولوا عليها ، وتوجهوا من هناك إلى فارس ، فاستولوا على شيراز أيضا ، وفى ذلك الحين كان سلطان الدولة فى بغداد ، وأهمل أبو الفوارس رعاية أبى سعيد الطائى فاستاء خاطره ، وعاد ، واشتكى فى مجلس السلطان من أبى الفوارس ، و بعد عودة أبى سعيد الطائى ، سار سلطان الدولة من بغداد ، وتوجه إلى شيراز ، فترك أبو الفوارس فارس ، وتوجه إلى كرمان ، فأرسل سلطان الدولة جيشاً خلفه ، ولمّا كان أبو الفوارس قد أساء إلى السلطان محمود توجه إلى همدان ، والتحق بشمس الدولة بن فخر الدولة ، وتوجه من هناك إلى مطابج ، وسعى مهذب الدولة صاحب مطابج لاكرامه ، وقدم إليه تحفا لائقة(١١٢) ، وفى أثناء ذلك أرسل جلال الدولة أخو أبو الفوارس من البصرة إليه أقمشة قيمة ، وجياداً عربية وفضة كثيرة ، و بعث إليه برسالة من انك لو اتجهت إلى هنا ، سأقدم لك مراسم الطاعة ، وتبودلت الرسل بين الأخوين ، وقررا أن يترك سلطان الدولة كرمان لأبى الفوارس كما كان من قبل ، وعليه لا يجوز ان يخالف أخاه بعد ذلك .

وفى سنة ٤٠٩ هـ حكم أبو الفوارس كرمان ، وفى سنة ٤١١ هـ مال أغلب جيش العراق لأبى على حسن بن بهاء الدولة الذى كان يسمونه شرف الدولة ، وقال له نواب سلطان الدولة : يجب أن تقبض على أبى على وإلا حدثت الفتنة ، وتوجه سلطان الدولة للقبض عليه ، ولكن لم يتيسر ، ولما كان أغلبية الجيش بخدمة شرف الدولة ، خاف سلطان الدولة ، وذهب إلى واسط وقام النزاع بين الأخوين ، وأخيراً قررا ألا يوزر ابن سهلان ، و يقوم شرف الدولة بالإنابة عن أخيه فى العراق العربى ، و يقيم سلطان الدولة فى فارس والاهواز ، و بناء على هذا القرار ، توجه سلطان الدولة من واسط إلى الأهواز ، وعندما وصل تستر وزر ابن سهلان ، واستاء شرف الدولة من هذا التصرف لما كان قد قرراه من قبل بألا دخل له بأمور المملكة ، وأعد سلطان الدولة جيشا ، وأرسله بصحبة ابن سهلان ، ليطرد شرف الدولة من العراق العربى ، وتوجه شرف الدولة لاستقباله بما تيسر له من جيش ، و بعد الحرب هزم ابن سهلان ، ولاذ بقلعة واسط ، وحاصره شرف الدولة ، وأصاب قحط شديد قلعة الرى ، و بلغت الأزمة درجة أنه لم يبق أثر لكلب أو قطة ، ولما طال الأمر على أهل واسط ، أخذوا لابن سهلان العهد والأمان والولاء لشرف الدولة . (١١٣)

وفى ذى الحجة سنة ٤١١ هـ لقب شرف الدولة بملك الملوك « شاهنشاه » وأسقطوا اسم سلطان الدولة من الخطبة ، وفى سنة ٤١٢ هـ تبعه أخوه جلال الدولة حاكم البصرة(١١٤) ، وسمل عينى ابن سهلان ، ولهذا بدت آثار الضعف والانكسار على وجنات سلطان الدولة ، وحاربوا الترك الذين كانوا فى الأهواز مع اتباع سلطان الدولة ، وسلبوا أموالهم .

حكومة أبى على شرف الدولة بن بهاء الدولة

فى بداية سنة ٤١٢ هـ قرأت الخطبة فى بغداد باسم شرف الدولة ، وأسقطوا اسم سلطان الدولة ، واستأذن جماعة من الديالمة ـــ الذين كان اتباعهم فى الأهوازـــ من شرف الدولة ، بأن يتوجهوا إلى تلك البلاد و يزوروا أهلهم وعيالهم ، و يعودوا ، فأذن لهم وصحبهم ، وزيره أبوغالب ، وعندما وصل الديالمة إلى الأهواز ، تغلبوا على أبى غالب وقتلوه ، وفرّ الأتراك ـــ الذين كانوا فى ولاء لشرف الدولة ـــ ولجأوا بخرير رئيس ، وعندما وصل خبر قتل الوزير إلى سلطان الدولة سُر ، لأنه كان يخشاه كثيراً ، وأرسل ابنه أبا كالنجار إلى الأهواز وفى سنة ٤١٣ هـ حدث صلح بين سلطان الدولة وشرف الدولة على أساس أن يكون العراق العجمى لشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة ، وأقسما بألا يقصد أحدهما ولاية الآخر . (١١٥)

وفى سنة ٤١٥ هـ توفى سلطان الدولة فى شيراز(١١٦) ، وكان ابنه أبوكالنجار فى الأهواز ، فأرسل ابن مكرم الرسل من شيراز لاستسدعائه ، وأرسل الأتراك ـــ الذين كانوا فى فارس ـــ رسالة إلى كرمان ، واستدعوا أبا الفوارس ، وخرج أبوالفوارس من كرمان ، ووصل قبيل وصول أبى كالنجار إلى شيراز ، وقبض على ابن مكرم ، وحرض أبوالقاسم بن مكرم الذى كان فى خدمة أبى كالنجار على الذهاب إلى شيراز ، وأعد أبوكالنجار جيشاً جراراً من الأهواز وخوزستان وتوجه إلى فارس ، ولما لم يجد أبوالفوارس طاقة للمقاومة ، عاد إلى كرمان . (١١٧)

حكومة أبى كالنجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة

عندما توجه عمه أبو الفوارس إلى كرمان ، دخل أبوكالنجار(١١٨) شيراز ، واستقر على عرشها ، وكّون الديالمة فرقة له ، قال بعضهم : يجب أن تطرد أبا الفوارس من كرمان ، وذكر بعضهم كلمة الصلح خير ، وفى أثناء ذلك ثار الجنود ، وطلبوا راتبهم ، ولم يكن بالخزانة نقداً ، وعجز أبوكالنجار عن ضبط وادارة الجيش لصغر سنه ، واضطر للخروج من شيراز ، وذهب إلى نوبندجان ، و بسبب حرارة الجو مرض أكثر الجنود هناك ، ومن هناك توجه إلى شعب بوان ، وأرسل جماعة من الديالمة ـــ الذين كانوا فى شيرازـــ رسولاً إلى أبى الفوارس ، وأرسلوا رسالة من ان المدينة خالية ، وقاد الجيش إلى هناك ، وسلمه الديالمة المدينة ، وتوجه أبوالفوارس إلى شعب بوان بعد الاستيلاء على شيراز ، وعندما وصل إلى هذه النواحى ، توسط المصلحون وقالوا : الصلاح فى أن تكون شيراز وكرمان لأبى الفوارس ، و يرضى

أبو كالنجار بحكومة الأهواز، وعاد أبوالفوارس إلى شيراز، وتوجه أبو كالنجار إلى ارجان، وصادر أبو الفوارس الأهالى، فاستاء الجماعة ـــ الذين كانوا قد استدعوه ـــ من فعلته، وفر جماعة منهم، والتحقوا بأبى كالنجار، وعاد النزاع والعداء بين العم وابن أخيه ثانية، وتوجه أبو كالنجار إلى فارس، واستعد أبوالفوارس بالجيش وخرج من المدينة لاستقباله، و بعد الحرب هُزم، وفر إلى دارابجرد، وتمكن أبو كالنجار من عرش فارس (١١٩)، وسنذكر باقى حالاته قريباً إن شاء الله العزيز.

حكومة جلال الدولة بن بهاء الدولة

فى ربيع الأول سنة ٤١٦ هـ مات شرف الدولة، وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة، وثلاثة أشهر، وأيام حكومته خمس سنوات وخمسة أيام، وحين أدركته الوفاة كان أخوه أبوطاهر جلال الدولة فى البصرة، وكانوا يردفون اسم جلال الدولة عقب اسم الخليفة، وأرسلوا الرسل لطلبه، وتأخر أتباعه فى التوجه إلى دار السلام عدة أيام حتى أسقطوا اسمه من الخطبة، وعلم جلال الدولة بهذا الأمر (٢٠)، فتوجه إلى بغداد، وعندما وصل إلى هذه النواحى تقدمت جماعة من جيش الخليفة لمنعه، ولم يمتنع، وسلك طريق الحرب، وانتهب البعض خزائن جلال الدين، فاضطر العودة إلى البصرة.

وفى سنة ٤١٧ هـ سيطر الأتراك على بغداد، وسعوا المصادرة وتأديب الرعية، ووقعت معارك بينهم وبين العامة، وانتصر الأتراك، ونهبوا كثيراً من الأغنياء، وأحرقوا دروب وأسواق بغداد، وعلى الرغم من غلبة الجنود إلا أنهم أرسلوا إلى جلال الدولة، خشية أن يقصد دار السلام الأكراد والعرب من الأطراف ولا يستطيعوا صدهم، وفى جمادى الأول سنة ٤١٨ هـ خطبوا فى بغداد باسمه مرة أخرى، وفى رمضان من السنة المذكورة أسرع جلال الدولة من البصرة إلى بغداد، وذهب إلى دار الخلافة، وقبل الأرض، وأبدى الخليفة تكريما له، وبعد ذلك ترك جلال الدولة فى قصر الامارة، وأمر أن يضربوا الطبول على باب دار الامارة خمس مرات، ومنعه الخليفة من ذلك، وأدرك جلال الدين غضب الترك من هذا المنع، وبناء على مصلحة الملك ندم لهذا المنع وسمح أن يضربوا الطبول على باب قصره خمس مرات. (١٢١)

وفى سنة ٤١٩ هـ ثار الأتراك على جلال الدولة، وطلبوا من أبى على بن ماكولا وزيره الرواتب، ونهبوا بيته وحاصروا جلال الدولة فى قصره، وتوسط الخليفة، وباع جلال الدولة فرشه وثيابه، وسلمه لهم ليسكن الفتن، وفى هذه السنة وقع نزاع بين الأتراك والديالمة فى البصرة، واتخذ ملك عزيز أبو منصور بن جلال الدولة جانب الأتراك، وتوجه الديالمة إلى الأبله، وامتد الخلاف

بين الفريقين ، وانتهز أبو كالنجار الفرصة ، وكان في الأهواز ، وأرسل جيشاً ليستولي على البصرة ، ومن هناك قصد واسط (١٢٢) ، وعندما وصل إلى هناك ، انتهب جماعة من اتباع جلال الدولة — كانوا في تلك البلدة ، وأراد جلال الدولة أن يتوجه إلى واسط لدفعهم ، ولم يوافقه الجيش ، وطلبوا منه الرواتب ، ولما لم يكن لديه مال ، بدأ بالمصادرة ، ولهذا نفر أهالي بغداد منه وقتلوه . (١٢٣)

قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة وتتمة أحوال أبي كالنجار وجلال الدولة ونهاية أمرهما

ان أكثر أحوال أبي الفوارس مسطورة ضمن حكايات أخوته ، إنه في سنة ٤١٩ هـ جمع جيشاً جراراً وتوجه إلى فارس ، ومات حين كان متوجهاً إلى ولاية أخرى وكان أمراء وأعيان كرمان قد استدعوا أبا كالنجار من الأهواز ، وصار حاكماً مطلقاً في فارس وكرمان دون استعمال السيف والسنان ، وتحرر الناس من ظلم أبي الفوارس .

وكان أبو الفوارس عندما يشرب يضرب ندماء مجلسه ، وذات مرة أمر وهو ثمل ان يضربوا الوزير مائتي سوط ، وعندما فاق ، أقسم بالطلاق انه لم يقل لأحد (١٢٤) ، وعموماً عندما استقل أبو كالنجار بالحكم ، قاد الجيش وتوجه إلى واسط ، وخرج جلال الدولة أيضا من بغداد بجيش جرارا أثناء ذلك علم أبو كالنجار أن السلطان محمود قد استولى على الري ، و بصدد استخلاص سائر ولايات العراق ، فأرسل رسولاً إلى جلال الدولة وقال له : « إذا كنا قد تنازعنا من قبل فالآن دخل مملكتنا غريب ، ومن المناسب أن نترك هذا النزاع ، ونطرد سوياً العدو من ملكنا الموروث ، ولم يهتم جلال الدولة بهذا القول ، وقاد الجيش إلى الأهواز ، وانتهبها و وقع مال كثير من دار الامارة في يده ، وفي آخر ربيع الأول سنة ٤٢١ هـ تلاقيا بجيوشهما ، وتحاربا ثلاثة أيام بلياليها وانهزم أبو كالنجار ، وقُتل ألفان من الجيشين ، وتوجه أبو كالنجار بحال سيئة إلى الأهواز ، وسار جلال الدولة بعد النصر إلى واسط ، وأسرع إلى بغداد .

وفي سنة ٤٢٢ هـ توفي القادر بالله ، وحل محله القائم بأمر الله ، ومرة ثانية أثار الأتراك الفتنة في بغداد (١٢٥) ، وانتهبوا قصر وزير جلالة الدولة ، فخرج من دار السلام ، وذهب إلى عكبرا ، وقراوا الخطبة في بغداد باسم أبي كالنجار ، وطلبوه من الأهواز ، ومنع عادل بن ياقته أبا كالنجار من التوجه إلى بغداد ، وعندما يئس البغداديون من وصوله ، أعادوا تلاوة الخطبة باسم جلال الدولة ، وذهب بعض الأتراك إليه ، واعتذروا ، وأحضروه إلى بغداد .

وفي سنة ٤٢٦ هـ ضعفت الخلافة والسلطان في بغداد ، وتطاول العيّارون ، وجاء الأكراد والأعراب قرب دار السلام ، وانتهبوها ، ولم يكن لدى الخليفة ولا السلطان قوة لمنعهم ، و وصل

تسلط العيّارين درجة انهم كانوا يهاجمون القصور نهاراً (١٢٦) ، و يشعلون نار النهب والسلب وفى سنة ٤٢٧ هـ خرج الأتراك من بغداد ، وأرادوا أن يخرجوا جلال الدولة من دار السلام ، واشتعلت الحرب .

وفى سنة ٤٢٨ هـ قُتل قائد الترك ، ولهذا طرأضعف على حال أعداء جلال الدولة ، وحدث أيضاً تصالح بين أبى كالنجار وجلال الدولة ، وأقسما ألا يخالفا بعضهما (١٢٧) ، وخلع الخليفة القائم خلعة على أبى كالنجار وفى سنة ٤٢٩ هـ لقبوا جلال الدولة بملك الملوك ، وفى البداية امتنع عن هذا اللقب ، ولكن عندما أفتى الفقهاء بجوازه ، رضى (١٢٨) ، وفى سنة ٤٣٠ وفى الثالث والعشرين كانون الآخر سقط فى بغداد ثلج لدرجة أن ماء دجلة ظل ستة أيام متجمداً وفى سنة ٤٣١ هـ ، وقع نزاع بين أتراك بغداد وجلال الدولة ، فرحل جلال الدولة من الجانب الشرقى إلى الجانب الغربى ، وأرسل إلى الأطراف واستدعى الجيوش ، وكان الأتراك يعتدون و يسلبون الناس أموالهم . (١٢٩)

وفى سنة ٤٣٤ هـ دخل إبراهيم نيال سلجوقى العراق ، واستولى على همدان ، و بعده نزل طغرل بك فى الرى ، وفى شعبان سنة ٤٣٥ هـ توفى جلال الدولة أبوطاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بمرض ظهر فى كبده ، وتصادف أنه ولد فى سنة ٣٣٣ هـ وامتدت فترة إمارته ببغداد إلى ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً ، ودفنوه فى قصره ، وكل شخص يعلم سيرة جلال الدولة وضعفه وجبنه وسيطرة الجيش والنوائب عليه ، ودوام ملكه حتى هذا الوقت ، يدرك أن الشقاء والسعادة من عداد الأمور التى تدخل فى حكم إرادة الحق وكفى (١٣١) « تؤتى المُلك من تشاء وتنزع المُلك مِمن تشاء » . (١٣٢)

وعندما توفى ذهب خاصته وأقرباؤه خوفاً من الترك إلى دار الخلافة ، وأرسل الخليفة أشخاصاً ليحمى منازلهم من النهب والسلب ، وفى ذلك الوقت كان أبومنصور ابنه الأكبر فى واسط ، فأرسل بعض أعيان بغداد رسولاً إليه ، وأظهروا الطاعة ، ومال بعضهم إلى صف أبى كالنجار ، واستدعوه ، وكان ملك عز يز أبومنصور قد توجه إلى هناك قبيل وصول رسول بغداد إلى واسط ، وعندما اقترب من دار السلام بمنزلين ، و بسبب غدر الجنود أعاقوا امارته وتوالت الرسائل بين البغداديين وأبى كالنجار ، وفى رمضان سنة ٤٣٦ هـ استقر على امارة العراق العربى . (١٣٣)

وفى سنة ٤٣٧ هـ أخذ والى اصفهان من طغرل بك الخراج ، وفى سنة ٤٣٩ هـ حدث صلح بين أبى كالنجار والسلطان ركن الدين طغرل بك ، وكتب طغرل بك إلى إبراهيم نيال بأن يحافظ على ما استولى عليه من بلاد الديالمة ، وألا يتعرض أحد لها لأننا تصالحنا معهم ، وتزوج طغرل بك ابنة كالنجار ، وتوفى أبوكالنجار مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة فى نواحى كرمان (١٣٤) ، وسبب موته بعد ارادة البارىء سبحانه وتعالى هوانه ذهب للصيد فى يوم من الأيام

بنواحي كرمان ، وأمر أن يشووا له أكباد غزلان ، فظهر فى حلقه التهاب ، وحم ، و بعد عدة أيام ودع الدنيا الفانية ، كان عمره أربعين سنة ونصف ، كانت مدة إمارته فى بغداد بعد وفاة جلال الدولة أربع سنوات وثلاثة أشهر ، وفى يوم وفاته انطلق الأتراك فى النهب وسلب الخزائن والأسلحة والدواب ، وذهب ابنه أبومنصورفلادستون (١٣٥) إلى خيمة الوزير ، فتوجه الأتراك إلى منزل الوزير لينهبوه ، فتجمع الديالمة ، وثبتوا فاضطر الأتراك إلى العودة ، ورحل الديالمة وتوجهوا إلى شيراز ، وحل أبومنصورفى فارس محل أبيه .

حكومة خسروبن فيروزبن أبى كالنجارمرزبان بن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة

عندما وصل خبروفاة أبى كالنجارإلى بغداد جمع ابنه خسروفيروزالأمراء ، و بايعوه وعاهدوه ، ولقبوه بالملك الرحيم (١٣٦) ، وأرسل الملك الرحيم جيشاً بصحبة أخيه إلى شيراز ، ليستولى على هذه البلاد من يد أبى منصورفولادستون ، وكان أخوه أيضاً وتوجه أبوسعيد بموجب الامرإلى فارس ، واستولى على شيراز .

وفى هذه السنة توجه الملك الرحيم إلى خوزستان ، ومن هناك توجه إلى شيراز ، وعندما اقترب من المدينة مال جماعة من أتراك شيراز وجماعة من الديالمة إلى أخيه فولادستون ـــ الذى كان فى قلعة اصطخر ـــ وخلف الملك الرحيم ، وعاد مع البغداديين إلى الأهواز ، واجتمع جمع غفير تحت راية فولاد دستون ، واستولى فولاد دستون على شيراز ، وتوجه إلى الأهواز ، فتوجه الملك الرحيم إلى رامهرمز ، وأسرع منصور فولاد دستون عقب أخيه ، وتلاقى الفريقان فى وادى نمك ، و يوم الوغى توجه جماعة من جيش الملك الرحيم إلى أبى منصور ، وهزم الملك الرحيم مع بقية الجيش وأخويه أبى طاهر وأبى سعيد (١٣٧) ، ولم يتوقفوا بمكان قط حتى واسط و بعد هذه المعركة ، وقعت حروب أيضاً بين الملك الرحيم وأخيه أبى منصور ، وكان الملك الرحيم

وفى سنة ٤٤٧ هـ قاد الملك الرحيم الجيش إلى شيراز ، وكان أخوه منصور ، قد استولى على شيراز ، بمساعدة طغرل بك السلجوقى ، وكان يقرأ الخطبة فى هذه الولاية باسم طغرل بك ، وعندما علم بخبرتوجه الملك الرحيم ، ترك شيراز ، وتوجه إلى فيروزآباد ، واستولى الملك الرحيم على بلاد فارس ، وعاد إلى واسط ، وفى تلك الأثناء تبودلت الرسائل بين الخليفة القائم وطغرل بك ، ومد بساط الصداقة ، وأمر الخليفة أن يذكروا اسم طغرل قبل ذكر الملك الرحيم ، وأرسل طغرل بك الهدايا إلى الخليفة ، وعرض عليه « إننى أريد أن أزوربيت الله عن طريق بغداد على ألا ينقص ولو

مَنْ واحد للرعايا » ، وسمح له الخليفة وتوجه طغرل بك إلى بغداد (١٣٨) ، وعندما سمع الملك الرحيم بخبر توجه طغرل بك سبقه إلى دار السلام ، و وصل طغرل بك إلى نواحى بغداد ، وأرسل جماعة من أركان دولته إلى دار الخلافة وقال إن هدفى اعتاب الخلافة ، ويجب ألا يتحرك أحد قط من مكانه لأننى لا أحمل عداء لأحد .

وفى الخامس والعشرين من رمضان توجه طغرل بك إلى بغداد ، وتوجه إليه رئيس الرؤساء وهو صاحب الرأى الوحيد فى المملكة ، فقدم طغرل مراسم التكريم والاجلال ، وفى اليوم الأول تعامل التركمان مع عوام بغداد بطريقة طيبة ، وفى اليوم التالى طلب تركمانى من بغدادى شيئاً وألح عليه ، ولم يفهم هذا الرجل اللغة التركية ، المهم وصل الأمر إلى أن استغاث هذا الرجل ، وجمع جماعة من عوام المدينة ، فضربوا هذا التركى كثيرا ، واعتقد سائر الناس أن التركمان يتحاربون مع جيش الملك الرحيم ، ولما كانوا غير راضين بمجىء الملك الرحيم ، فكانوا كلما وجدوا تركمانياً قبضوا عليه ، ولو سمح الملك الرحيم لجيشه بالقتال فى ذلك اليوم ، ما بقى أثر للتركمان (١٣٩) ، على الرغم من أن الخليفة يعظم و يبجل طغرل بك .

وتوجه الملك ا لرحيم إلى دار الخلافة و برأ ذمته من هذه الفتنة ، وتجمع أهل بغداد لقتال جيش طغرل بك ماعدا أهل الكرخ ، وحدثت فتنة عظيمة ، وقُتل خلق كثير من الطرفين ، وفى النهاية هُزم البغداديون ، وأطلق التركمان يد السلب والنهب ، وكان طغرل بك وأعيان دولته يعتقدون أن هذه الفتنة من تدبير الملك الرحيم ، وأسر التركمان كثيرا من أهل بغداد ، وأشعلوا النيران فى المحلات خارج المدينة ، واستولى على الشوارع والحارات و وصلوا إلى قصور رئيس الرؤساء ، ولم يدعوه لحظة دون تخريب ، وكل من كان يقدم لمنعهم كانوا يقتلونه ، حتى وصلوا إلى مدافن الخلفاء ، ومن هناك أخرجوا ما لا حصر له ، وكان الناس يتصورون أن التركمان يرعون الخلفاء ولن يسيئوا لهم ، وصار باقى أهل المدينة فى وجل ورعب .

وأرسل طغرل بك رسلا إلى الخليفة ، وأرسل له رسالة من اننا نعلم بأن الملك الرحيم لا دخل له فى هذه الفتنة ، ولو لم يأت لما بقى لأحد أدنى شك من انه سبب اثارة هذه الفتنة ، وأرسل بصحبة رسله رسالة أمان إلى الملك الرحيم وأصحابه ، وأرسل الخليفة القائم جماعة مع الملك الرحيم ، وأرسل إلى طغرل بك ، وأعتذر من أن لا جريمة للملك الرحيم وخواصه ونوابه ، ولكن عندما وصلت هذه الجماعة إلى معسكر طغرل ، انتهب التركمان أولا رسل الخليفة ، وقبضوا على الملك الرحيم وأتباعه ، وحبسوه بموجب الأمر ، وأرسل الخليفة رسولاً إلى السلطان وأنكر عليه هذه الأفعال ، وقال : هؤلاء القوم جاءوا بطلب منى ، وقد وثقت فى قولك ، فاذا تركته فيها وألا أترك لك بغداد ، وأرحل لأنك فى البداية قدمت التعظيم

لدار الخلافة ، والآن يحدث خلاف ذلك ، فرد عليه طغرل بك : ان ما كنا نعتقده فى الخليفة مازال كما هو، ومافعله جماعة الأتراك فى هذه الفترة بمقتضى طبيعتهم ، وهم لا يؤدبون إلا بالصلاح .

وبعد ذلك استولى طغرل بك على أموال الجنود والأتراك الذين كانوا فى بغداد ، وأعاد إليهم اقطاعاتهم ، وأخذ أموالاً كثيرة من الملك الرحيم وأتباعه ، وحبس الملك الرحيم فى قلعة من القلاع حتى مات ، وتفرق التركمان فى سواد بغداد ، وأخذوا فى السلب والنهب لدرجة أن الثور كان يباع فى بغداد بخمسة قراريط والحمار بثلاثة قراريط ، وخربت جميع أعمال وتوابع دار السلام إلا الكرخ التى لم يتعرض لها التركمان بسوء واهتموا بها .

سلطنة أبى منصور فولادستون الذى ختمت سلطنة الديالمة به

بعد أسر الملك الرحيم ، تصارع أبو منصور وأبوسعيد ولدا عز الملوك أبوكالنجار مرز بان بن سلطان الدولة بهاء الدولة بن عضد الدولة ، ووقعت بينهما الحروب ، وآخر الأمر قُتل أبوسعيد غدرا ، واستقر أمر فارس لأبى منصور ، وخرجت الأم على أبى منصور حتى مات الصاحب العادل وكان وزير أبيه ، وخرج أيضا الفضل بن حسن قائد قواد الصاحب وكان يشتهر بين أرباب التوار يخ «بفضلويه» ، خرج على أبى منصور ، وقبض عليه ، وحبسه بقلعة من القلاع حتى مات . (١٤٠)

وفى سنة ٤٤٨ هـ استولى الفضل بن حسن على مملكة فارس ، وعند توجه الملك القادر السلجوقى من كرمان إلى فارس ، فر فضلويه ، وأسرع إلى ألب ارسلان ، وأخذ مملكة فارس منه مقاطعة ، وعندما استقل بها أبدى عصيانا ، فسار إليه خواجه نظام الملك بموجب الأمر بجيش وبعد القتال أسره ، فأرسله إلى قلعة اصطخر ، وظل حبيساً هناك حتى مات . (١٤١)

ذكر أبى على كيخسرو بن عز الملوك أبى كالنجار

توجه أبوعلى لخدمة ألب ارسلان ، فأقطعه السلطان نوبندجان ، وكلما كان يأتى إلى السلطان ، كان السلطان يقدم له الاحترام ، ويجلسه إلى جواره ، وأكرم جميع آل سلجوق كيخسرو ، وعاش بعد اخوته قرابة أربعين سنة حتى لحق بجوار الحق سنة ٤٨٧ هـ وبعده لم

يبق من هذه الطبقة إلا الاسم ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس »(١٤٣) « وما يعقلها إلاّ العالِمون »(١٤٤) . —( )

وليحفظ البارىء سبحانه وتعالى حامى المملكة ومنفذ شريعة الله مقرب الحضرة السلطانية ومعز الدولة الخاقانية من تصاريف الزمان حتى آخر الأيام ، وليبلغه نيل المساعى والأمانى الدنيوية والأخروية ، وليكرمه فى الأولى بالذكر الجميل وفى الآخرة بالثواب الجزيل .

حاشية دولة آل بويه (الديالمه)

(١) لأبي اسحق ابراهيم بن هلال الصابي الحراني المتوفي ٣٨٤هـ واسم الكتاب المنتزع من كتاب التاجي في أخبار الدولة الديلمية ـــ نسخة مصورة بمكتبة الجامعة العربية بالقاهرة ١٢٦٢ .

(٢) بويه بن فنا خسرو بن تمام كوهي بن شيرز يل الأصغر بن شيركنده بن شيرز يل الأكبر ابن شيران شاه بن شيرويه بن سيستان شاه بن سيس فيروز بن سنباد بن بهرام چور الملك بن يزدجر الملك بن هرمز الملك بن شابور الملك بن شابور ذي الأكتاف (ابن الاثير ٧/ ٢٣٠) و يرى بعضهم أن هذا النسب مشكوك فيه (ابن خكان وفيات الاعيان ١/ ١٠٩) و ينسبه البيروني إلى العرب فقال : بهرام بن بهرام بن الضحاك بن الأبيض بن معاوية بن الديلم بن باسل بن آدم (الآثار الباقية عن القرون الخالية ٣٨) .

(٣) انظر البيروني في الآثار الباقية عن القرون الخالية ٣٨ ـــ ابن الاثير ٧/ ٢٣٠) .

(٤) تجارب الأمم لابن مسكويه ٦ / ٢٧٩ .

(٥) ابن الأثير ٧ / ٢٣٠ .

(٦) كان فقيراً يصطاد السمك ويحتطب بنوه الحطب على رءوسهم (ابن كثير ١١/ ١٧٣) .

(٧) عماد الدولة أبو الحسن علي ، وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة أو الحسن أحمد (ابن الأثير ٧/ ٢٣٠ ـــ ابن كثير ١١/ ١٧٣ ـــ ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ٢٠٤) .

(٨) وردت نفس الرواية عند ابن الأثير ٧ / ٢٣٠ .

(٩) طلب أبو شجاع من أولاده أن يصفحوه (ابن الاثير ٧/ ٢٣١ ـــ ابن كثير ١١/ ١٧٣ .

(١٠) ما كان بن كالي (ابن الأثير ٧ / ١٣١) ما كان بن كاني (ابن كثير ١١/ ١٧٤) .

(١١) مرداو يج بن ز ياد (الروضة ص ٤٤) ر يار (ابن الاثير ٧/ ٢٣١ ابن كثير ١١/ ١٠٨) مرداو يج بن ز ياد الديلمي (الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجرى ص ٣) مزداو يج بن ز ياد الديلمي (تكلمة تار يخ الطبرى ١١/ ٢٩١) .

(١٢) نتيجة لضعف ما كان قالوا : نحن في جماعة وقد صرنا ثقلاً عليك ، وأنت مضيق والأصلح لك أن نفارقك لنخفف عنك مؤنتنا ، فإذا صلح أمرنا عدنا إليك (ابن مسكو يه ـ تجارب الأمم ١/ ٢٧٧ ـ ابن الأثير ٧/ ٢٣١) .

(١٣) عندما أرسله إلى الكرخ أحب الناس فحسده مرداو يج وبعث إليه بعزله (ابن كثير ١١/ ١٧٤) وردت عند ابن الا ثير الكرج (٧/ ٢٣٢) تكلمة تار يخ الطبرى ١١ / ٢٩١ .

(١٤) المظفر بن ياقوت والى الخليفة العباسي على فارس ـ تجارب الأمم ٥/ ٢٩٦ ـ ابن الأثير ٧/ ٣٢١ ـ ابن كثير ١١/ ١٧٤ .

(١٥) انظر تجارب الأمم وتكلة تار يخ الطبرى والكامل والبداية والنهاية .

(١٦) كان عماد الدولة مملقا ، فاستلقى على ظهره في مجلس من دار ياقوت وخلا فيه مفكرا ، فرأى حية قد خرجت من سقف منه إلى سقف ، فخاف ان تسقط عليه إذا نام فوجدوا خمسمائة ألف دينار فقويت نفسه (تكلة تار يخ الطبرى لمحمد بن عبد الملك الهمذاني ١١/ ٢٩٢) وثبت أمره بعد أن اشفى على الأغلال (تجارب الأمم ١/ ٢٩٩) وجدوا عشرة صناديق مملوءة مالا (ابن الاثير ٧/ ٢٣٥) .

(١٧) انظر القصة في تكلة تار يخ الطبرى ١١ / ٢٩٢ ـ ابن الاثير ٧/ ٢٣٥ .

(١٨) ربيع الأول سنة ٣٢٣ هـ (تكلة تار يخ الطبرى ٢٩٣) وسبب قتله كثرة اساءته للأتراك (ابن الأثير ٧/ ٢٤٤) لأنه كان سيىء المعاملة لجنده ويحتقرهم غاية الاحتقار (ابن كثير ١١/ ١٨٢) قتله غلام تركى هو بحكم بتحر يض ابن ياقوت (انظر أخبار الراضي والمتقى ص ٢٠ للصولى) .

(١٩) استولى على بغداد سنة ٣٣٤ هـ في عهد المستكفى بالله (ابن الأثير ٧/ ٣١٤ ابن مسكو يه ٢/ ٨٥ ، ابن طباطا ٢١٠ ـ ابن كثير ١١/ ٢١٢) .

(٢٠) فتحا اصبهان والرى وهمدان والعراق العجمى بالاضافة فارس والأهواز (انظر تكلة تار يخ الطبرى حـ ١١ ، ابن الأثير حـ ٧ ، ابن كثير حـ ١١ والفخرى لابن طباطبا والمنتظم لابن الجوزى حـ ٦ وتجارب الأمم لابن مسكو يه حـ ٥ أماكن متفرقة) .

(٢١) شيرنجين (بن جليس) ابن الأثير ٧ / ٣٣٢ .

(٢٢) أورد ابن الأثير القصة كاملة (الكامل ٧ / ٣٣٢) .

(٢٣) ورد التار يخ ٣٨٠ هـ (روضة الصفا ص ٤٥) والصواب انه مات في جادى الآخرة سنة ٣٣٨ هـ (ابن الأثير ٧/ ٣٣٢) .

(٢٤) ست عشرة سنة (ابن كثير ١١ / ٢٢١) .

(٢٥) كان معز الدولة قد توجه إلى بغداد وأحسن الخليفة المستكفى بالله استقباله ونزل في قطيعة أم جعفر وذلك في عام ٣٣٤ هـ (ابن كثير ١١/ ٢١٢ ـ تكلة تار يخ الطبرى ١١/ ٣٥٦) ابن الاثير ٧/ ٣١٤) .

(٢٦) كان يستعرض هدايا وصلة صاحب خراسان من جملتها خيل فاختار أحدها وركبه للصيد واعترضه خنز ير برى ، حمل على وشمگير وهو غافل فألقاه أرضا .. (ابن الأثير ٧/ ٢٣) وخرج الدم من أذنيه فمات من ساعته (ابن كثير ١١/ ٢٦٣)

(٢٧) ورد بالمخطوط « درآنسال سال نهم بود » روضة الصفا ص ٤٥ ، وقد ورد عند ابن الأثير انه مات في المحرم ٣٥٦ هـ (البداية والنهاية ١١/ ٢٦٣) .

(٢٨) كافور الأخشيدى هو أبو المسك كافور الحبشى الأسود الخادم الأخشيدى اشتراه الأخشيد في مصر وتقدم عنده حتى صار من أكبر قواده لعقله ورأيه وشجاعته وصار اتابك ولد من بعده ، وقام بالملك بعد وفاة ابن الأخشيد سنة ٣٥٥ هـ (حاشية الكامل ٧/ ٢٤) .

(٢٩) نقفور ملك الروم و يدعى الدمستق وكان من أغلظ الملوك قلباً وأشدهم كفراً وأقواهم بأسا ، وأحدهم شوكة وأكثرهم قتلاً وقتاً لا للمسلمين فى زمانه (ابن الأثير ٧/٢٤) .

(٣٠) مات فى المحرم سنة ٣٦٩هـ (تاريخ گزيده ص ١٤٢) انظر ابن الأثير الكامل ٨/٣٦٦ يتيمة الدهر للثعالبى ٤/٢١١ تكملة تاريخ الطبرى ٤٥٠ ابن كثير ١١/٢٨٥ .

(٣١) انظر ابن الأثير ٧ / ٣٦٦ — ابن كثير ١١ / ٢٨٥ .

(٣٢) ملك فارس (حمد الله المستوفى ١٤٢) .

(٣٣) يزدو أصفهان قم وكاشان ونطنز وجربا دقان لمؤيد الدولة (حمد الله المستوفى ١٤٢) .

(٣٤) كانت أيام ولايته نيفا وأربعين سنة (ابن كثير ١١ / ٢٨٥) .

(٣٥) ورد ضمن أحداث ٣٢٢ هـ أن نصر بن أحمد هو الذى استولى على كرمان سنة ٣٢٢هـ (ابن الأثير ٧/٢٣٦) .

(٣٦) أبو على بن العباس (حمد الله المستوفى ص ١٤٤) أبو على محمد بن العباس (ابن الأثير ٦/٢٣٦) .

(٣٧) ذكر صاحب الروضة عكس ما ذكره المؤرخون تماما فقد أورد محمد بن عبد الملك الهمذانى وابن الأثير وابن مسكويه وابن كثير أن توزون قد هزم معز الدولة وقتل وأسر من جيشه الكثير (تكملة تاريخ الطبرى ١١/٣٤٤— تجارب الأمم ٢/٥٠ — الكامل ٦/٢٩٥ — ٢٩٦ — البداية والنهاية ١١/٢٠٩ — ٢١٠) .

(٣٨) انظر (ابن الأثير ٦ / ٣١٢ — ابن كثير ١١ / ٢١١) .

(٣٩) استدعاه المستكفى ، فذهب إليه سنة ٣٣٥ هـ (حمد الله المستوفى ١٤٤) .

(٤٠) انظر تكملة تاريخ الطبرى ٣٥٤ / ابن الأثير ٦/٣١٤ — حمد الله المستوفى ١٤٤ — ابن كثير ١١/٢١١ .

(٤١) انظر تكملة تاريخ الطبرى ٣٥٥ — تجارب الأمم ٢/٨٨ — ابن الأثير — ٦/٣١٥ — ابن كثير ١١/٢١٢ .

(٤٢) تكملة تاريخ الطبرى ٣٦٤ — ابن الأثير ٦/٣١٦ — ابن كثير ١١/٣١٦ .

(٤٣) انظر تكملة تاريخ الطبرى ٣٦٦ / ابن الأثير ٦/٣٢٥ — ابن كثير ١١/٢١٩ .

(٤٤) تكملة تاريخ الطبرى ٣٦٧ — ابن الأثير ٦ / ٣٢٩ — ابن كثير ١١/٢٢٠ .

(٤٥) مرض بمرض يسمى فر يا فسمى وهو دوام الانعاظ مع وجع شديد فى ذكره مع توتر أعصابه (ابن الأثير ٦/٣٤٧— ٣٤٨)

(٤٦) انظر تكملة تاريخ الطبرى ٣٨١ — ابن الأثير ٦ / ٣٥٠ — ابن كثير ١١/٢٣٠ .

(٤٧) كتبها عامة الشيعة ببغداد بأمر معز الدولة على المساجد انظر ابن الأثير ٧/٤ كتبها العامة من الروافض على أبواب المساجد وابن كثير ١١/٣٤٠ — ٣٤١ .

(٤٨) يعنى أبا بكر الصديق .

(٤٩) يعنى مروان بن الحكم .

(٥٠) يعنى عثمان بن عفان .

(٥١) يعنى عمر بن الخطاب .

(٥٢) انظر تكملة تاريخ الطبرى ٤٠٧ — ابن الأثير ٧/٢١ — ابن كثير ١١/٢٦٢ .

(٥٣) حكم فارس بوصية عمه سنة ٣٣٨ هـ (حمد الله المستوفى ١٤٦) .

(٥٤) وردت بالمخطوط ٣٣٨ هـ (روضة الصفا ٤٨) والصواب ٣٥٦هـ نظراً لأن معز الدولة قد مات فى هذه السنة .

(٥٥) وردت سيرجون (روضة الصفا ٤٨) .

(٥٦) انظر ابن الأثير ٧ / ٢٧ .

(٥٧) ربيع الآخر سنة ٣٥٦هـ تكملة تاريخ الطبرى ٤٠٧ .

(٥٨) خالف عز الدولة هذه الوصايا جميعها ، واشتغل باللهو واللعب وعشرة نساء والمساخر والمغنيين ابن الأثير ٧/٢٢ — ابن مسكويه ٢/٣٠٠ — ابن كثير ١١/٢٦٣) .

(٥٩) سنة ٣٦٣هـ ابن الأثير ٧/٥١ — ٥٢ .

(٦٠) أبو تغلب بن حمدان — ابن الأثير ٧ / ٥١ .

(٦١) وردت الأحداث ضمن سنة ٣٦٩هـ (انظر الكامل ٧/١٠٠ — ابن كثير ١١/٢٩٥ .

(٦٢) عمر المساجد واسواقها وأدر الأموال على الأئمة والمؤذنين والعلماء والقراء والغرباء والضعفاء الذين يأوون إلى المساجد وألزم أصحاب الأملاك الخراب بعمارتها وجدد ما دثر من الأنهار وأعاد حفرها وتسويتها وأطلق مكوس الحجاج وأصلح الطريق من العراق إلى مكة شرفها الله تعالى وأطلق الصلات لأهل البيوتات والشرف .... وأجرى الجرايات على الفقهاء والمتحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاه والشعراء والنسابين والأطباء والحساب والمهندسين (ابن الأثير٧/ ١٠٠ — ١٠١) .

(٦٣) اذن لنصر بن هارون وكان نصرانياً بعمارة البيع والأديرة وأطلق الأموال للفقراء (ابن كثير ١١/٢٩٥) .

(٦٤) .. وفيها فتح المارستان العضدى غربي بغداد ، ونقل إليه جميع مايحتاج إليه من الأدوية (الكامل ٧/١١١) وقد ورد الحدث ضمن أحداث سنة ٣٧٢هـ عند ابن كثير ١١/٢٩٩) وورد عند ابن الجوزى فى المنتظم ضمن أحداث سنة ٣٧٢ هـ) .

(٦٥) أوقف عضد الدولة على دار الشفاء مائة ألف دينار (حمد الله المستوفى ١٥٢) .

(٦٦) الحاقة الجزء ٢٩ آية ٢٨ ، ٢٩ .

(٦٧) هو أبو إسحق إبراهيم بن هلال بن المحسن الصابى صاحب تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء — نشره آمدروز سنة ١٩٠٤م وله كتاب التاريخ نشره آمدروز سنة ١٩٠٤م وله أيضاً رسوم دار الخلافة نشره ميخائيل عواد وأقسام ضائعة من تاريخ الوزراء نشره ميخائيل عواد ١٩٤٨ .

(٦٨) أنظر الكامل ٧ / ١١٣ — ١١٤ — ابن كثير ١١ / ٢٩٩ — ٣٠٦ .

(٦٩) من آثار عضدى بندامير فى فارس ، لامثيل لهذه العمارة فى الدنيا (انظر حمد الله المستوفى ص ١٥٢) .

(٧٠) وكانت علته الخوانيق (ابن الأثير ٧ / ١١٧ — ابن كثير ١١ / ٣٠٢ حمد الله المستوفى ص١٥٨) .

(٧١) لهذا يقول أبو سعيد رستمى سنجرى فى مدح الصاحب بن عباد :

ورث الوزارة كابراً عن كابر — موصولة الاسناد بالاسناد
يروى عن العباس عباد وزا — رته اسماعيل عن عباد

(حمد الله المستوفى ص ١٥٨)

(٧٢) صار فخر الدولة وصمصام الدولة يداً واحدة (ابن الأثير٧/١١٨) .

(٧٣) ... وخطب له أبو طاهر بن عضد الدولة بالبصرة ونقشا اسمه على السكة (ابن الأثير٧/١٢٣) .

(٧٤) أنظر ابن الأثير ٧ / ١٣٤ .

(٧٥) « واحمر يحكي الشمس شكلاً وصورة — فأوصافه مشتقة من صفاته »
« فان قيل دينار فقد صدق اسمه — وان قيل ألف كان بعض سماته »
« بديع ولم يطبع على الدهر مثله — ولاضربت اضرابه لسراته »
« فقد أبرزته دولة فلكية — أقام بها الاقبال صدر قناته »
« وصار إلى شاهانشاه انتسابه — على أنه مستصغر لعفاته »
« يخبر أن يبقى سنين كوزنه — لتستبشر الدنيا بطول حياته »
« تأنق فيه عبده وابن عبده — وغرس أياديه وكافى كفاته »

(ابن الأثير ٧ / ١٣٦)

(٧٦) « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

(٧٧) ورد عنه ابن الأثير أنه ضرب على الجانب الآخر سورة الاخلاص ولقب الخليفة الطائع لله ولقب فخر الدولة واسم جرجان لأنه ضرب بها قول : دولة فلكية يعني أن لقب فخر الدولة كان فلك الأمة ، وقوله ، كافى كفاته فإن الصاحب كان لقبه كافي الكفاة » (الكامل ١٣٦/٧) .

(٧٨) استولى فخر الدولة على خوزستان وتوجه إلى البصرة (حمد الله المستوفى ١٦٠) ابن الأثير ١٤٠/٧ .

(٧٩) قال له الصاحب : ان الرأى فى مثل هذه الأوقات إخراج المال وترك مضايقة الجند فإن أطلقت المال ضمنت لك حصول أضعافه بعد سنة فلم يفعل ذلك ، وتفرق عنه كثير من عسكر الأهواز واتسع الخرق عليه (الكامل ١٤٠/٧) .

(٨٠) انظر تاريخ گزيده لحمد الله المستوفى ١٦٠ .

(٨١) من آثاره كتاب « المحيط فى اللغة : عشرة مجلدات ، ديوان رسائله : عشرة مجلدات كتاب الكافى : كتاب الزيدية ، كتاب الأعياد وفضائل النيروز، كتاب الأمانة كتاب الوزراء ، كتاب عنوان المعارف فى التاريخ ، كتاب الكشف عن مساوىء شعر المتنبى ، كتاب مختصر أسماء الله تعالى وصفاته ، كتاب العروض ، وتاريخ الملك واختلاف الدول ، كتاب جوهرة الجمهرة ، كتاب نهج السبيل ، وأخبار أبى العيناء ونقض العروض ، الزيدين ، وديوان شعره ، والروزنجامه ، والوقف والابتداء ، (انظر معجم الأدباء ٢٦٠/٦ ، وفيات الأعيان ٢٢٥/٢ ، يتيمه الدهر للثعالبى ١١٥/٣ — نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ٤٠٠ ، انظر ابن كثير ٣١٥/١١) .

(٨٢) انظر ابن الأثير ٧ / ١٧٠ .

(٨٣) انظر حمد الله المستوفى ١٦٢ .

(٨٤) انظر ابن الأثير ٧ / ١٧٠ .

(٨٥) حمد الله المستوفى ص ١٦٤ .

(٨٦) قلعة طبرق (ابن الأثير ٧ / ١٨٥ .

(٨٧) انظر ابن الأثير ٧ / ١٨٥ — ١٨٦ .

(٨٨) وثلاثة آلاف ألف دينار ذهب ومن الجواهر نحوا من خمسة عشر ألف قطعة يقارب قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار ذهباً وغير ذلك من أوانى الذهب زنته ألف ألف دينار ومن الفضة زنته ثلاثة آلاف ألف درهم كلها آنية ، ومن الشياب ثلاثة آلاف حمل ، وخزانة السلاح ألف حمل ومن الفرش ألف وخمسمائة حمل (ابن كثير ٣٢٣/١١ انظر تاريخ گزيده ١٦٦) .

(٨٩) انظر ابن الاثير ٧ / ١٣٠ حمد الله المستوفى ١٧٢ .

(٩٠) انظر ابن الاثير ٧ / ١٣٠ حمد الله المستوفى ١٧٤ .

(٩١) استدعى شرف الدولة فراشا ليكحل صمصام الدولة فاتفق موته فأكحله بعد موته (ابن كثير ٣٠٥/١١) (ابن الأثير ١٣٨/٧) مات سنة ٣٨٨ هـ حمد الله المستوفى ١٧٤ .

(٩٢) انظر ابن الأثير ٧ / ١٣٨ — ابن كثير ١١ / ٣٠٧ .

(٩٣) قُتل أبناؤه سنة ٣٨٨ هـ (حمد الله المستوفى ١٧٤) .

(٩٤) انظر ابن الأثير ٧ / ١٤٧ — ١٤٨ / ابن كثير ١١ / ٣٠٨ .

(٩٥) حمد الله المستوفى ١٧٤ .

(٩٦) ابن الأثير ٧ / ١٩٨ .

(٩٧) توفى ربيع الآخر سنة ٤٠٤ هـ فى أرجان فارس (تاريخ گزيده ١٧٦) .

(٩٨) وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين على عليه السلام (ابن الأثير ٧ / ٢٦٨) .

(٩٩) أبوطالب رستم (تاريخ گزيده ١٦٦) ، وعمره أربع سنين (ابن الأثير٧/١٨٦) .

(١٠٠) انظر تاريخ گزيده ١٦٦ .

(١٠١) توفي فخر الدولة سنة ٣٨٧هـ وخلفه مجد الدولة في نفس السنة (ابن كثير ١١/٣٢٠) .

(١٠٢) هذا التاريخ خطأ لأن مجد الدولة تولى الحكم سنة ٣٨٧هـ ويجوز سنة ٣٩٠هـ إلا أنني لم أجد ذلك عند المصادر الأخرى .

(١٠٣) انظر تاريخ گزيده ١٦٨ .

(١٠٤) چه از راستـى ابـگذرى خـم بود چه مـردى بـود كـز زنـى كـم بود
(الروضة ص ٥٢)
چواز راستى بـگـذرد خـم بـود چه مـردى بـود كـز زنـى كـم بـود
(تاريخ گزيده ١٧٠)

(١٠٥) زوج السلطان محمود ابنته لمنوچهر (تاريخ گزيده ١٦٨) .

(١٠٦) الشاهنامه « كتاب الملوك » نظمها الشاعر الفردوسي وقدمها لمحمود الغزنوي .

(١٠٧) تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري يقع في عشرة أجزاء .

(١٠٨) ذكر ابن الأثير أن سبب توجه محمود الغزنوي إلى مجد الدولة هو تشاغله بالنساء ومطالعة الكتب ونسخها ، وان والدته كانت تدبر الملك وعندما ماتت طمع جنده فيه واختلت أحواله (الكامل ٧/٣٣٥) .

(١٠٩) سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة (تاريخ گزيده ١٧٦) .

(١١٠) سنة ٤١٣هـ (ابن الأثير ٧ / ٢٦٨ ــ ابن كثير ١١ / ٣٤٨) .

(١١١) في سنة ٤١٣هـ (ابن الأثير ٧ / ٢٩٤) .

(١١٢) انظر الأحداث ابن الأثير ٧ / ٢٩٤ .

(١١٣) انظر ابن الأثير ٧ / ٣٠٦ .

(١١٤) انظر الكامل لابن الأثير ٧ / ٣٠٦ .

(١١٥) انظر الكامل ٧ / ٣١١ .

(١١٦) توفي في شعبان سنة ٤١٦ هـ (تاريخ گزيده لحمد الله المستوفي ١٧٨) .

(١١٧) انظر الكامل لابن الأثير ٧ / ٧١٧ ــ ٣٧٨ .

(١١٨) عماد الدين عز الملوك أبو كاليجار مرزبان بن سلطان الدولة (تاريخ گزيده ١٨٠) .

(١١٩) انظر الكامل لابن الاثير ٧ / ٣٢٨ .

(١٢٠) انظر الكامل لابن الأثير ٧ / ٣٢٩ ــ ابن كثير ١٢ / ٢٢ .

(١٢١) انظر ابن كثير ١٢ / ٢٢ .

(١٢٢) انظر ابن الأثير ٧ / ٣٣٢ ــ ٣٣٣ .

(١٢٣) قتل سنة ٤١٩ ــ ابن الأثير ٧ / ٣٣٣ .

(١٢٤) انظر ابن كثير ١٢ / ٢٥ .

(١٢٥) تجددت الفتنة ببغداد بين السنية والشيعية (ابن الأثير ٧/٣٥٥) وقعت فتنة عظيمة بين السنة والروافض (ابن كثير ١٢/٣١) .

(١٢٦) صاروا يأخذون الأموال ليلاً ونهاراً ولا مانع لهم (ابن الأثير ٨/٨ قال ابن الاثير انّ المتطاولين هم العيارون والعرب وذكر ابن كثير لفظ الأعراب مثل محمد خاوندشاه (ابن كثير ١٢/ ٣٦) .

(١٢٧) انظر ابن الأثير ٨ / ١٤ ــ ابن كثير ١٢ / ٤٠ .

(١٢٨) أفتى الفقهاء ماعدا قاضي القضاة أبوالحسن الماوردى (ابن الأثير ٨/ ١٦) خطب له بلقب شاهنشاه الأعظم ملك الملوك بأمر الخليفة (ابن كثير ١٢/ ٤٣) .

(١٢٩) انظر ابن الأثير ٨ / ٢٠ .

(١٣٠) استولى على خوارزم ودهستان وطبس والري وبلاد الرى الجبل وكرمان وأعمالها وقزوين (ابن كثير ١٢/ ٥٠) .

(١٣١) ملك ببغداد ست عشرة سنة ــ ابن الأثير ٨/ ٢٧) .

(١٣٢) قُلِ اللهمّ مالِكَ المُلك تؤتى المُلك مَنْ تشاء وتنزع المُلك مِمّن تشاء وتُعِزّ مَنْ تشاء وتُذل مَنْ تشاء بيَدك الخير إنّكَ عَلَى كُلّ شيء قَدير . (آل عمران جزء ٣ آية ٢٦) .

(١٣٣) سنة ٤٤٠ هـ (ابن كثير ١٢ / ٥٧ ــ ابن الأثير ٨/ ٤٨ تاريخ گزيده ١٨٢ .

(١٣٥) أبومنصور فلاستون (ابن الأثير ٨ / ٤٨) .

(١٣٦) انظر تاريخ گزيده ١٨٤ .

(١٣٧) انظر ابن الأثير ٨ / ٥٨ .

(١٣٨) انظر ابن الأثير ٨ / ٧٠ / ابن كثير ١٢/ ٦٦ .

(١٣٩) انظر ابن الأثير ٨ / ٧١ / ٧٢ .

(١٤٠) انظر تاريخ گزيده ١٨٤ ــ ١٨٦ .

(١٤١) ابن الأثير أحداث سنة ٤٤٨ ــ ٨ / ٤٤٨ ــ ابن كثير ١٢/ ٦٧ ــ ٦٨ .

(١٤٢) تاريخ گزيده ١٨٦ .

(١٤٣) إن يمْسَسْكُم قرحٌ فقد مسّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا و يتخذ منكم شهداء والله لايحب الظالمين (آل عمران الجزء ٤ آية ١٤٠) .

(١٤٤) مير علي شير نوائي وزير حسين بايقرا .



فصل

طبقة أولاد إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذين حكموا فى المغرب ومملكة مصر

كان أول من حكم منهم هو أبو القاسم محمد بن عبد الله الملقب بالمهدى(١) ، وزعم الإسماعيلية(٢) أنه المهدى ، كما ورد فى الأخبار أنه ظهر فى سنة ٢٩٦ هـ فى افريقية بمساعدة وتأييد أبى عبدالله الصوفى(٣) ، وقد روى مريدو المهدى أن المصطفى صلوات الله عليه قال : إنه على رأس ثلاثمائة تطلع الشمس من مغربها(٤) ، وقالوا : إن المراد من لفظ « الشمس » الوارد فى الحديث هو المهدى ، وانه انتصر وظفر على كل من حاربه ، وقد بنى قلعة فى نواحى القيروان فى غاية الحصانة والمتانة ، أسموها « بالمهدية » ، وفى سنة ٢٩٩ هـ ثار أهالى بعض بلاد المغرب(٥) ، فأرسل المهدى ابنه لصدهم ، فحاصر هذه الجماعة ، وظل فترة فى حصارهم ، حتى انتهى قوت المحصورين ، وفى النهاية خرجوا بالسيف والكفن ، فنشر ابن المهدى ظل احسانه ورحمته على رأس الضعفاء ، وأمن الجميع من القتل ، وقنع بأخذ القليل من أموالهم .

وأرسل المهدى فى أيام دولته الجيش إلى أطراف وأنحاء بلاد المغرب(٦) ، وأدخلها جميعاً تحت سيطرته ، وأسقط الأسر القديمة ، وعندما فرغ من ضبط الأندلس والقيروان وطرابلس وأمثالهم ، أرسل ابنه القائم بجيش جرار لتسخير بلاد مصر ، فأرسل المقتدر العباسى مؤنس الخادم بجيش كبير لمواجهته ، ووقعت المعارك بينهما وأبدى مؤنس فى هذه المعارك شجاعة ،

ولقب بالمظفر، وورد في بعض التواريخ ان مؤنس قد حارب القائم عشر مرات ، وكان يفر أمامه ، واستخلص ديار مصر وأعلى الصعيد(٧) ، ولما مرت خمس وعشرون سنة من خلافة المهدى ، انتقل من حصار مهديه إلى العالم الآخر. (٨)

وقد أوردوا أن العباسيين قد طعنوا فى نسب المهدى ، وكتبوا محضراً ، وأمروا أن يقرأه الخطباء على المنابر، وقال الوزير للمقتدر: « إذا فعلتم ذلك ، فإن العلويين سيطعنون أيضاً فى نسب العباسيين ، و يكتبون محضراً و يأمرون الخطباء بأن يقرأوه على رءوس المنابر فى بلاد المغرب ، و بذلك لايُقدر كم أنتم ولا هم شخص قط من الأمة ، فترك المقتدر هذا الأمر ، وكانت فترة حياة المهدى اثنين وستين عاما ، وتفصيل خروج المهدى وكيفية مذهب الأسماعيلية مسطور فى التواريخ المشهورة ولا تحتاج للتكرار فى هذا المقام .

خلافة القائم بأمر الله

كان أبوه ؛ المهدى ، قد أخذ له البيعة أيام خلافته من أهالى المغرب والبربر، وعندما توفى المهدى ، جلس القائم على العرش ، وفى سنة ٣٢٥هـ أعلن أهل صقلية(٩) العصيان ، وسبب ذلك هو أن نائبه ــ سالم بن راشد ــ كان يسيء للرعايا ، وعندما رأى سالم علامات العصيان من أهالى صقلية ، عرض بعضها على القائم ، وأرسل القائم خليل بن اسحق مع جماعة من الجنود لمساعدته ، وأخبر أهالى صقلية خليل أن سبب عصياننا هو ظلم وجور سالم فقط ، وعرض خليل هذا المعنى على الخليفة ، فعزل القائم سالم ، وعين آخر محله ، ومن عموم الوقائع فى عصر القائم هو أن شخصاً يدعى أبويزيد(١٠) وكان يعمل بتعليم الصّبية ، قد ثار عليه ، واجتمع تحت رايته عدد كبير وجمع غفير ، ولم يكن مذهبه عفو أو صفح ، وطبقا لما رووه انه عندما حاصر أبويزيد واستولى على القيروان ، أطلق أمر القتل والسلب ، وخرج المشايخ والسادات والأعيان والأشراف من المدينة ، وتشفعوا ، فقال أبويزيد بعد المماطلة : « القيروان ليست أشرف من بيت المقدس » ، وخربت هذه المدينة بالقتل والنهب ، وطالما خربت القيروان ، فلن يصبح هناك خوف .

و يروون انه قد وقعت حروب بينه و بين القائم ، وأخيراً هُزم القائم وتعقب أبويزيد القائم ، وحاصره فى المهدية ، وأطلق الاسماعيلية على أبى يزيد اسم الدجال(١١) ، وأشاعوا الحديث الذى مضمونه أن الدجال سيخرج على المهدى أو القائم ، وفى أثناء الحصار مرض القائم ومات ، وجلس ابنه المنصور بالله محله ، وكانت مدة خلافة القائم اثنتا عشرة سنة وسبعة أشهر. (١٢)

خلافة المنصور بالله

عندما توفى القائم ، بايع أشراف قلعة مهدية المنصور، وكان شجاعاً مقداماً وعاقلاً رزيناً ، ولما كان أبويزيد الثائر على أبواب القلعة بجيش جرار فى أثناء وفاة أبيه ، أخفى موت القائم(١٣) ، وأجبر أبا يزيد على الرحيل من ظاهر مهديه بحسن تدبيره وشجاعته ، وجعله يفر، وتعقبه المنصور إلى أن وصل إلى مكان لا يمكن السير فيه لصعوبة مسالكه ، وهرب أبويزيد حتى وصل إلى بلاد السودان(١٤) ، وعلم المنصور بهذا الخبر، فأرسل جماعة من الشجعان لدفع شره ، فأسرعوا عقب أبي يزيد بموجب أمره ، وبعد القتال ، أسروه وأحضروه إلى المنصور، فأصدر أمره بأن يضعوا أبايزيد وقردة فى قفص حديدى(١٥) ، وبعد فترة وبناء على أمر المنصور، سلخوا جلد أبي اليزيد وملأوه قشا ، واستولى على جميع بلاده ، وأرسل رسائل نصر إلى جميع نواحى بلاد الاسلام ، وذكر أفعاله المشينة .

وقد أرسل المنصور أيام دولته حسن بن على بن أبى الحسين الكلبى ـــ وكان من عظماء الدين ومشهور بالعدل والانصاف ـــ إلى حكومة صقلية ، واستقرت قلوب الناس فى هذه الناحية على محبته ، واهتم بضبط وربط الأمور، وخلال تلك الأحوال توجه الرومان لمحاربته ، وعندما التقى الطرفان اشتعلت نار الحرب ، وانهزم حسن ، وفى نفس الوقت وصل فرّخ غلام المنصور مع جماعة من الشجعان لمساعدة حسن ، وتصادف أن واجه جيش الروم ، وتحاربا ، ومنى أهل الروم بهزيمة نكراء ، ولحق من تبقى من السيف بالقيصر(١٦) ، وقد أنشد أبوجعفر المروردى شعراً كثيراً للتهنئة بهذا الفتح المبين ، وقدمه للمنصور، وقال له « اننى آمل ان يتحلى و يتزين باسم همايون قرة العين الخليفة المعز لدين الله ولى العهد على رءوس المنابر فى مكة والمدينة وعلى وجوه الدنانير باسم ولقب الإمام وقد حدث ما أراده على لسان أبي جعفر، ولما مرت سبع سنين من خلافة المنصور، ودع العالم الفانى ، وكانت فترة حياته تسعاً وثلاثين سنة .(١٧)

خلافة المعز لدين الله

كان ملكاً شجاعاً صاحب رأى ، كان يدرك دقائق أمور الملك وقوانين الدين إدراكاً حسناً ، وسار على مراسم الحكم والسياسة كما ينبغى ، وفى يوم وفاة أبيه فى آخر شوال من سنة ٣٤١هـ ، جددوا له البيعة ، وفى سنة ٣٤٧هـ أنعم على خادمه جوهر بالانعامات العظيمة ، وأرسله بجيش جرار إلى أقصى بلاد المغرب ، فوصل إلى ساحل البحر المحيط وجزائر

الخالدات(١٨) ، وصاد أسماكا كانت تنسب لهذا البحر ومعروفة فى هذه الممالك ، وأرسلها إلى البلاط .(١٩)

قاد المعز لدين الله جيشاً إلى سلجماسه ، وفتحها ، وأسر واليها ــ الذى كان ظالما ، وأطلق على نفسه الشاكر بالله ، وكانوا يدعونه أمير المؤمنين ، و بعد هذا الفتح أرسل جيشاً كبيراً إلى جزر الروم ، و وقعت حرب ضروس بينه و بين الروم ، وانتصر المعز يون على الأعداء واستولى على أموال كثيرة .(٢٠)

وفى أثناء ذلك وصل خبر وفاة كافور الاخشيدى (٢١) الذى كان يحكم مصر من قبل الخلفاء العباسيين إلى سمع المعز ، واضطر الأشراف وأعيان المملكة إرسال الرسل والرسائل بسبب القحط والغلاء ــ اللذين أعجزا المصر يين ، والتمسوا من المعز أن يتوجه بنفسه ، أويرسل إلى هذه الولاية شخصا من أمراء الدولة يكون أهلاً للرئاسة ، وعندما اطلع المعز على هذا الأمر أقصر همه على تسخير مصر ، فأرسل جوهراً بجنود وأر باب سلاح وسفن مملوءة بأنواع الأطعمة وأصناف الأغذية ، ليتصدق بها على أهالى تلك البلاد ، و وصل جوهر سنة ٣٥٧هـ بامكانياته بعد قطع المسالك والمفاوز إلى مصر(٢٢) ، وأشرقت عيون الأهالى برؤ يته ، واستراحوا بصدقات المعز لدين الله ، ونزل جوهر بحديقة الاخشيدى ، وسعى لبناء مدينة بين الفسطاط ومصر وعين شمس ، وأسماها « قاهرة المعز »(٢٣) و بسعى جوهر الخادم خرجت مصر واسكندر ية وديار صعيلاء ودمياط(٢٤) ومكة والمدينة من تحت سيطرة العباسيين ، ودخلت تحت سيطرة العلو يين .

وفى أثناء ذلك أرسل جوهر أحد القواد بجيش كبير إلى فلسطين وفتح هذا القائد فلسطين ، وتوجه إلى دمشق ، واستولى أيضاً عليها ، وسيطر على كل بلاد الشام ، وأرسل بعض القرامطة ــ الذين قاموا بأفعال قبيحة مثل قلع الحجر الأسود وغيرذلك ــ إلى جوهر فى مصر لمعاقبتهم ، وفرت بقية هذه الجماعة ، واختفوا فى بلاد الشام ، و يتضح من سياق هذا الكلام ان القرامطة طائفة مختلفة عن الاسماعيلية وقد اعتبر العباسيون وأتباعهم القرامطة ضمن الاسماعيلية ، وذلك لعداوتهم للإسماعيلية .

وفى سنة ٣٦١هـ هاجر المعز لدين الله من المغرب إلى مصر ، ورافقه أولاده وحريمه وحمل معه الأموال ــ التى كانت تفوق الحصر ، وقد سُطر فى بعض التوار يخ ، والعهدة على الراوى ، أنه حمل فى هذه الرحلة خمسة عشر ألف جمل محملين بالذهب المعزى المسكوك من الأحمر والأبيض (٢٥) ، وقد أسرع لاستقبال المعز لدين الله أعيان وأشراف مصر حتى الاسكندر ية ، وتشرفوا بلقائه فى هذه البلاد ، وعرضوا شدة شوقهم له ، فاختصهم بكرمه ، وا كرمهم الخليفة العلوى بعدالته واحسانه وانصافه وامتنانه ، وعندما نزل بالمحروسة المعز ية ، سعى لوضع أساس العدل والانصاف إلى درجة

أكثر من المستحيل ، و يقولون : أنه أمر أن يضعوا عدة صناديق مملوءة ذهباً أمام البلاط وسمح للمحتاجين بالمجيء يومياً ، ويملأون أكفهم بقدر ما يسع من تلك النقود ، ولا يوجد كرم أفضل من ذلك .

وعندما استقرت أمور المملكة سلم الروح لقابض الأرواح في يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ ، و يروون أن سبب مرضه أنه في الأيام السابقة وحين كان جالساً على عرش الحكومة في مهدية جاء إليه رسول من عند القيصر ، وفي هذه الأيام التي كان يقيم فيها بمصر وصل نفس الرسول بموجب أمر ملك الروم إلى المعز ، قال له في الخلوة : تذكر انني قلت لك في المهدية : أنك ستأتي إليّ برسالة في مصر والشام ذات يوم ، قال الرسول : بلى ، قال المعز : وها أنت تأتي إليّ مرة أخرى برسالة ، وسأتمكن من عرش الخلافة ببغداد ، فقال الرسول : إذا أمتني من قهرك وسطوتك سأقول لك كلمة ، فقال المعز : قل ما تريده لأنك آمن ، فقال الرسول : « لقد قدمت لك الطاعة في تلك المرة ببلاد المغرب واستولت عظمتك وابهتك وقوتك عليّ لدرجة أن نسيت نفسي ، وكان نور وجهك يضيء العالم إلى درجة أنني اعتقدتك خالقاً للوجود تعالى الله عن ذلك ، والآن لا أرى شيئاً من ذلك » وتأثر المعز من هذا القول ، وحم في الحال ، وتوفي بهذا المرض . (٢٦)

و يروون ان المعز لدين الله كان منجما ، وكان يطالع طالعه كل يوم ، وذات يوم رأى نكبة ، فعرض هذا على أحد أرباب النجوم وتشاور معه ، فقال المنجم : يجب أن يختفي الخليفة عدة أيام في سرادب حتى تمر هذه النكبة ، ففعل المعز ، وجمع أعيان دولته ، وقال : اقترب أجلي ، وأدع لكم ابني ، فهو ولي عهدي ، استخلفه عليكم ، فيجب أن تطيعوه ، ولا تنفروا منه ، ولقبه بالعز يز بالله ، وسلم الروح لقابضها ، وكانت مدة حياته خمساً وأربعين سنة ، ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وخمسة أشهر ، وقد أخفوا موته لمدة سبعة أشهر من أجل إصلاح الأمور إلى أن بايعوا ابنه العز يز بالله وشاعت هذه القضية . (٢٧)

خلافة العز يز بالله

بعد انقضاء سبعة أشهر من وفاة أبيه المعز لدين الله ، (٢٨) بايعه أهل المغرب ومصر ، وكان من جملة المبايعين عمه حيدر وعم أبيه أبو الفرات وأيضاً عم جده ، ولم يحدث من قبل من هذا الأمر لأحد إلا في خلافة هارون الرشيد .

و يروون أن العز يز كان حليماً وصبوراً وحسن الأخلاق ، وقد أنشأ خطبة فصيحة و بليغة ، اشتملت الوعظ والنصيحة يوم بيعته ، وقد أحسن إلى الحاضر ين بمجلسه ، و بعد ذلك اهتم بأمور

المملكة، وأدخل جميع بلاد المغرب والشام والحجاز تحت سيطرته، وفى عهده جاء الپكتين (٢٩) مولى بنى بو يه من بغداد إلى الشام بجيش، وانضم إليه حسن بن أحمد القرمطى وأبدى مخالفة للعز يز، فتوجه قائده بجيش جرار من مصر إلى الشام، وعندما اقترب الفر يقان و وقعت عين الپكتين (٢٩) مولى بنى بو يه من بغداد إلى الشام بجيش، وانضم إليه حسن بن أحمد القرمطى وأبدى مخالفة للعز يز، فتوجه قائده بجيش جرار من مصر إلى الشام، وعندما اقترب الفر يقان و وقعت عين الپكتين على راية العز يز، استولى عليه الخوف والفزع، فترجل عن فرسه، وتقدم خاشعاً خانعاً، وقبّل ركاب العز يز، وعفا العز يز عن جر يرة الپكتين، وأحسن إليه وأنعم على بعض آل بو يه ـــ الذين كانوا برفقة جيش البتكين بالخلع الفاخرة، و بعد ذلك فتحت أبواب الرسائل والمراسلات بين العز يز بالله وعضد الدولة الديلمى، وأثناء تلك الأحوال كان يؤدب كل من يخالف العز يز بالله، و بعد ذلك فاز العز يز على أعدائه، وعاد إلى مصر.

و يقولون أن العز يز قد عين على حكومة الشام منشاء اليهودى وعلى مصر عيسى النصرانى، فظلما أهل الاسلام أيما ظلم، وذات يوم أعطت امرأة رقعة للعز يز مضمونها «أيها الأمير لقد اكرمت اليهود بمنشاء والمسيحيين بعيسى وأسأت أنت إلى المسلمين فانظر لحالنا (٣٠)، فتأثر العز يز من هذه الرقعة، فعزلها فى الحال، وأخذ منها أموالاً كثيرة، ورد المظالم ومات العز يز بالله بعد واحد وعشر ين سنة قضاها بالعدل والانصاف وذلك فى رمضان سنة ٣٨٦ هـ وسعد بالآخرة.

خلافة الحاكم بالله

ولد فى القاهرة فى السادس والعشر ين من ر بيع الأول سنة ٣٧٥ هـ (٣٢)، وهو أول خليفة من الخلفاء العلو يين الذين ولدوا فى مصر، وفى عهده خرج عليه شخص، نسب نفسه بهشام بن عبد الملك بن مروان، و وقعت معارك بين جيش الحاكم وهذا الخارجى، وأسره أحد أمراء العرب ممن يميلون إلى الاسماعيلية، وأرسله إلى الفضل بن صالح الذى كان ركناً من أركان دولة الاسماعيلية، فأرسل الفضل هذا الشخص إلى الحاكم، فأمر الحاكم أن يضعوا قلنسوة حمراء على رأس الخارجى، و يقيدوا يده وقدمه، ويجلسوه على جمل، و يردفوه بقردة تضر به على قفاه كل لحظة، وأبدى أهل مصر الفرح والسرور، وعندما أرادوا انزال هذا الخارجى عن الجمل، وجدوه ميتاً و بعد موته علقوا جثته، وكانت مدة دولة هذا الخارجى سنتين.

وفى سنة ٣٨٨ هـ (٣٣) صدر حكم بالأ تغلق أبواب مصر ليلاً، وان تفتح أبواب الدكاكين للبيع والشراء، وان تشعل المشاعل أيضا على أبواب الدكاكين للبيع والشراء، وان تشعل المشاعل

أيضاً على أبواب المنازل والحارات ، فكان الناس يسيرون فى الأسواق والطرق ليلاً ، وكان الحاكم يسير مع خواصه بين العامة ويخاطبه الناس .

وفى سنة ٣٩٢ هـ بنى الحاكم فى القاهرة المعزية جامع الأزهر (الأنور) ، وأمر فى نفس هذه السنة ألا تُباع الخمر وسائر المسكرات ، وكسروا أوانى الحانات ، وسكبوا الشراب ، وأبطل « المصطبة » وسائر أماكن الفسق والفجور، ومنع اللطم خلف الجنائز وغير ذلك على النساء .

ومسطور فى بعض التواريخ انه عندما جلس الحاكم بأمر الله أبوعلى منصور بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى محل أبيه على الحكومة ، ركب حماراً ، وكان يظهر على الناس ، لأنه كان يخشى الله ، وكان يتردد على الأسواق دون حشم ، وكان يردد أننى مثل موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، الذى ناجى ربه فى جبل الطور ، وأنا أيضاً أناجيه » ، وكان يتشدد فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إلى درجة انه عندما لم ينزجر الناس عن تناول الشراب أمر أن يخربوا أغلب الحدائق ، وأمر ألا يخيطوا أحذية للنساء حتى لا يخرجن من المنزل ، وأيضاً أمر ألا يركب اليهودى أو النصراني جوادا ، وأن يركبوا حماراً أو بغلاً ، وألا يستخدموا ركاباً حديدياً ، وأن يرتدوا خارج الحمام قلادة ملونة ، و يدخلوا الحمام بالخلخال حتى يميزهم المسلمون ، و بعد فترة أعفاهم من هذه التكليفات . (٣٤)

وفى أيام خلافته أمر ببناء المدارس ، وعين الفقهاء والعلماء ، وأوقف الأملاك والأوقاف الكثيرة ، وذات مرة أمر أن يصبوا الزيت والعسل وما يصنع منها فى النيل ، وفى ذلك اليوم الذى نفذ هذا الحكم كسرت أوانى لا حصر لها ، وبموجب أمر الحاكم قتلوا جميع كلاب البلاد ما عدا كلاب الصيد ، و يروون انه على الرغم من ذلك فقد كان الحاكم يظهر الزهد والورع ولم يكن يرد الظلم والفجور والفسق الذى يحدث من اتباعه على النساء فى الخفاء ، حتى سقطت ذات يوم رقعة فى يد تمثال على شكل امرأة جعلوه فى طريقه ، فأمر أن يأخذوا هذه الرقعة من يد التمثال ، وعندما وقع عليها نظره ، رأى اساءة وسبا له ولآبائه وأجداده فاغتاظ من هذا الأمر ، وأمر أن ينهبوا مصر ، ويحرقوها ، فخربت نصف مصر من هذا . (٣٥)

وكان من عادة الحاكم ان يكتب رقاعا ، و ينشرها فى يوم ذى رياح ، وتتضمن بعض الرقاع خيراً وتتضمن بعضها عقوبة ، وكل أمير تقترب منه رقعة يعمل بما هو مكتوب فيها ، وقد ذكر القاضى أحمد الدمغانى فى كتابه أن الحاكم قد أرسل جماعة من مصر إلى أحد العلويين الذين كانوا يقيمون فى المدينة ليحدثوا ثقباً يصل إلى روضة الرسول صلى الله عليه وسلم ويخرجوا أبا بكر وعمر ، وفى تلك الأيام أظلمت الدنيا وحدثت صاعقة قوية ، وخاف الناس وتعلقت أيديهم بالتوبة ، ولاذوا بالفرار بحرم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يهدأ هذا الطوفان قط حتى أخبر العلوى صورة الأمر وما حدث مع الحاكم فقبض والى المدينة على جماعة المصريين ، وقتلهم فهدأ الجو كما كان .

مذكور في بعض كتب التوار يخ أحكام الحاكم بالتفصيل ، يطول شرحها ، ولا مانع من اختصار بعضها ، يروون انه في أيامه اتهموا اخته في أمير الجيوش ، فأراد أن يتخلص منها وعلم أمير الجيوش بهذا الأمر ، فأجمع جماعة على أن يقتلوه وكان الحاكم في كل فجر يركب حماراً . ، و يطوف بجبل كان قرب مصر ، وكان يعرف علم النجوم جيداً ، وكان يردد دائماً إذا لم يصيبني أذى في الليلة الفلانية فإن عمري سيتجاوز الثمانين ، وعندما حلت الليلة الموعودة ، أراد الحاكم أن يخرج للطواف كما هو معتاد ، فتضرعت أمه ، والتمست ألا يفعل شيئاً هذه الليلة ، ونفذ الحاكم أمر أمه ، و بعد ذلك حدث اضطراب ، فقال لأمه طالما رفضتي أن أخرج فإن روحي ستفارق جسدي ، وخرج من قصر الخلافة ، وعندما وصل إلى المكان المعهود كفاه جماعة – كانوا له في كمين – أمره ، وحملوا جثته إلى أخته ، فقامت أخته بدفنه في قصر الخلافة ، ولم يعرف قط من أعيان المملكة هذا السر ما عدا الوز ير ، و بعد أسبوع أعلن قاضي مصر أمر الحاكم وقال : انتهى حكم الحاكم ، لحق بجوار الحق ، و وصلت الخلافة بعده إلى ابنه ، وكانت مدة خلافة الحاكم خمسة وعشر ين عاما ، وكان قد عمر أكثر من سبعين سنة .

خلافة الظاهر لدين الله

عندما قُتل الحاكم بأمر الله (٣٧) ، وشاع أمره ، دعا قاضي القضاة أركان الدولة وأعيان الملة مبايعة الظاهر (٣٨) ، وهو مثل جده العز يز حسن السيرة طاهر السر يرة ، ومن فرط سياسته وكمال كياسته هدأت الفتن ، واستقام أمر الدين والدولة ، وعندما آل أمر الخلافة إليه ، جعل في بداية الأمر إمارة الجيوش لقاتل الحاكم (٣٩) ، و بعد أن أمن أمير الجيوش ، أمر أن يقتلوه بقصاص أبيه ، وجعل عمه أميراً للجيوش من بعده .

وفي سنة ٤١٥ هـ حدث قحط وغلاء عظيم في مصر ، لدرجة انهم كانوا يشترون رطل الخبز بدرهم ، واستمرت الأزمة عامين ، وفي سنة ٤٢٠ هـ أضاءت عين الظاهر برؤ ية المستنصر بالله أبي تميم سعد ، وعقدت الأفراح في مصر يوم مولده ، وأبدى الناس سروراً وفرحاً ، وانهمكوا في اللهو والمرح ، وتصادف أن وقع في مصر والرملة زلزال شديد في نفس السنة ، لدرجة أن تقار بت جبال هذه البلاد ، وسقطت عمارات ومباني الرملة ، وحدث خراب كبير في هذه الولا ية ، وفي هذه السنة عاد حجاج خراسان عن طر يق مصر والشام ، وأكرمهم الظاهر ايما إكرام ، وخلع عليهم خلعاً سنية .

وفي هذه الأيام وصل رسول السلطان محمود سبكتگين إلى الخليفة القادر في بغداد بينما كان الحجاج في بغداد ، عرض عليه أن السلطان يقول : لا أعرف لماذا يأخذ الحجاج خلع حاكم مصر السيء المذهب ؟ فأمر القادر أن يأخذوا هذه الثياب من الحجاج ، ويحرقوها .

وفى سنة ٤٢١ هـ جمع قيصر الروم من ممالكه ستمائة ألف رجل وتوجه إلى الشام، وعندما وصل إلى حدود حلب، كان الجو حاراً، فغلب على جماعته العطش، وأغار عليهم أهل حلب ليلا، فانهزم الروم، وتحقق بعناية الله لأهل الاسلام نصراً مؤزرا، فسجدوا لله شاكرين وقدموا النذور والصدقات للمستحقين.

وفى منتصف شوال ٤٢٧ هـ أصيب الظاهر بمرض الاستسقاء ومات، وحزن أهالى المملكة من هذه الحادثة، ومدة خلافة الظاهر ست عشرة سنة وقد عمّر ثلاث وثلاثين سنة. (٤٠)

خلافة المستنصر بالله

تصدى لأمر السلطنة ولم يتجاوز سنه السابعة من عمره (٤١)، وكان يركب وهو فى سن الحادية عشرة ومعه الجيش، و يذهب للتنزه على النيل، وفى ذلك اليوم الذى وضعوا على رأسه التاج المرصع لم يتمكن من حمله بأى شكل، وقد أضاء بطلعته عيون المصريين.

ومن فتوحاته التى وقعت فى عصره انه أرسل جيشاً إلى حلب، وأخذ هذه الولاية من نصر بن صالح بن مرداس الذى طغى، وقتله، وعادت هذه المملكة مرة أخرى تحت سيطرة العلويين، وأرسل أيضاً الجيوش إلى أطراف الولايات العربية والمغرب وديار بكر وديار ربيعة، وانتصر على الأعداء جملة، ولم يبق له منازع فى هذه الممالك.

وفى سنة ٤٣٥ هـ أسقط والى إفريقية (٤٢) اسم المستنصر من الخطبة، وأعلن ولاءه للقائم بأمر الله العباسى، فأرسل إليه القائم خلعة ومنشورا، وأمر ان يسلم له كل الولايات التى استولى عليها.

وفى سنة ٤٤٤ هـ أبدى أهالى حلب عصياناً، وسيطروا على المدينة، فأرسل المستنصر جيشاً إلى هذه الناحية لدفع المخالفين، وعندما نزل المصريون بظاهر حلب أمطرت السماء سيولاً فغرق أكثرهم، وآب من نجا من الغرق، واستعدوا مرة أخرى للحرب، وتوجهوا إلى حلب وفى هذه المرة انهزم واليها، واستولى المصريون على هذه المملكة، وفى خلال هذه الأحوال استولى جماعة من أمراء الغرب على افريقية، وأسقطوا اسم القائم العباسى من الخطبة والسكة، وقرأوا الخطبة وسكوا السكة باسم المستنصر العلوى.

وفى سنة ٤٤٦ هـ بدأ كوكب من كواكب الشؤم، أضاء شعاعه المدينة، واستمر اشعاعه فترة طويلة، وأدى هذا إلى ظهور عسر شديد، بناء على هذا كان يموت فى اليوم الواحد مائة شخص جوعاً (٤٣)، وفى الثانى عشر من جمادى الأول سنة ٤٤٦ هـ وقع فى مصر وسائر ممالك المستنصر زلزال عظيم، وصلت شدته إلى أن اضطربت الحيتان فى قعر النهر، وأنفق المستنصر أموالاً لا حصر لها على المستحقين، حتى سكن هذا البلاء.

وفى هذه السنة كتبوا محضراً باشارة الخليفة العباسى مضمونه إن العلو يين الذين يحكمون مصر والمغرب كاذبون فى دعواهم وأن نسبهم ينتهى بالمجوس ، وأثبتوا فى المحضر شهادة جماعة من محبى ومقربى آل عباس ، وأرادوا أن يرسلوا نسخاً إلى أطراف المما لك ليقرأوها فى المحافل وعلى المنابر ، ومنع رئيس الرؤساء والوزير الخليفة ، طبقاً لما سبق أن ذكرناه ، وعموماً أخذت دولة المستنصر تزداد كل يوم حتى وصلت إلى درجة أن قبض بسا سيرى على القائم العباسى وحبسه لمدة عام ، وأمر أن يقرأوا الخطبة فى مدينة السلام باسم المستنصر .

ومكتوب فى بعض كتب التوار يخ أن المستنصر كان مجنوناً لدرجة أنه ألقى الجواهر النفسية فى النهر ، وكان بخيلاً ، وذات مرة استولى على رواتب ودخول الجنود ، فتوجه الجيش إلى دار الخلافة ، وقبضوا عليه ، واستدعوا أركانهم وأخيراً عقد الصلح بينهم ، فأطلقوا سراحه . (٤٤)

وفى عهد المستنصر توجه ناصر خسرو من خراسان إلى مصر على صيته ، وأقام فى مصر سبع سنوات ، وكان يحج سنو ياً ، و يعود إلى مصر ، وفى آخر حجة وعند عودته توجه إلى العراق وخراسان من طر يق البصرة ، و وصل إلى بلخ بعد أن قطع المسافات ، بدأ يدعو للعلو يين ، فتصيده الأعداء وسيطر عليه الخوف ، فتوارى فى جبل من جبال تلك النواحى ، وقنع بالماء والعشب ، وظل متوار ياً لمدة عشر ين عاما ، مثلما كان الحسن الصباح الحميرى ـــ الذى عاش مختفياً ـــ خوفاً من السلطان ملكشاه ، وتوجه إلى مصر ، وظل سنة فيها ، و بعد انتهاء إقامته استأذن المستنصر وعاد إلى بلاد العجم ، وتصدى للدعوة ، وسوف يسجل القلم قر يباً إن شاء الله أحوال الحسن و بعد مرور (ستين) سنة من حكومة المستنصر لبى دعوة الحق فى القاهرة المحروسة(٤٥) ، ولم يحكم شخص قط مثله فى إسلامه ، و بعد ذلك ظهر فتور فى الخلافة العلو ية حتى تفرق كل شىء .

خلافة المستعلى بالله

كان المستنصر فى بداية الأمر قد جعل ابنه الأكبر المصطفى لدين الله نزار ولياً للعهد ، و بعد ذلك استاء منه ، فأوصى ألا يقلدوا نزارا هذا المنصب ، وأن يحل محله ابنه الآخر المستعلى بالله أحمد ، وعندما مات المستنصر ، انقسم الاسماعيلية فرقتين ؛ بايعت احداها المستعلى ، وأجلسته على العرش ، ودعت جماعة ـــ طبقا لاعتقادها من أن النص ينص على الأول ـــ لنزار ، وكان الحسن بن الصباح الحميرى من جملة اتباع الفرقة الثانية (٤٦) ، وانتظم نزارى القهستانى أيضاً فى سلك مؤ يدى المصطفى لدين الله نزار ، وتخلصه بنزار ، دال على صدق دعوته .

و يروون أن الإمام جعفر الصادق عليه الصلاة والسلام ، كان قد ولى ابنه اسماعيل ولياً للعهد فى أول الأمر ، وعندما عرف أن اسماعيل يداوم على الشراب ، عزله ، وأمر أن يكون موسى

الكاظم عليه السلام إماماً بعده ، ولما كان الاسماعيلية يعتقدون أن النص ينص على الأول ، فانهم بعد وفاة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، اعتبروا اسماعيل إماما ، وليس موسى وعندما جلس المستعلى على مسند الخلافة ، أراد أن يتخلص من أخيه نزار ، وفر نزار إلى الاسكندرية خائفا ، واحتمى بواليها مملوك أبيه ، الذى كان قد خلع المستعلى ، وأجلس نزار على الخلافة ، فأرسل المستعلى جيشاً جراراً إلى الأسكندرية ، لكى يقبض على حاكم هذه الولاية ، الذى تبع نزار ، و يقتله ، و يأسر نزار ، وأحضروه مع ولديه عند المستعلى فأمر المستعلى أن يحبسوه فى القاهرة حتى مات ، و يقولون ان المستعلى قد حكم سبع سنوات (٤٧) ، وقُتل بطعنة أحد أتباع نزار ، وكان عمره ثمان وعشرين سنة .

خلافة الآمر بأحكام الله

بايعه أشراف المملكة فى يوم وفاة أبيه المستعلى بالله ، وفى عهده دخل أهل الفرنج إلى حدود ممالكه ، فأرسل الآمر أمير الجيوش بجيش جرار لصدهم ، فتوجه أمير الجيوش بموجب أمره إلى الأعداء ونزل فى مواجهتهم ، وضيق الخناق على الفرنجة فمالوا إلى الصلح ، فلم يستجب أمير الجيوش للمصالحة ، وتراجع الفرنجة ، وتوجهوا إلى عسقلان ، فاتفق والى هذه الولاية شمس الخلافة مع هذه الجماعة على مخالفة الآمر ، وأمر الآمر أمير الجيوش بدفع هؤلاء ، فقاد أمير الجيوش الجيش إلى عسقلان ، وقُتل شمس الخلافة ، وانهزم الفرنجة .(٤٩)

وفى عهد خلافة الآمر بأحكام الله ، قتل جماعة النزارية أمير الجيوش (٥٠) ، وظلوا أربعين يوماً بقصر الآمر ، وكان صهر الأمير الجيوش وحملوا النقود والأجناس ، وقتل فدائيو النزارية أيضا آقسنقر ــ وكان من أركان دولة الخليفة ــ فى جامع الموصل بخنجر ، وفى عهد خلافة الآمر شاعت دعوة النزارية فى بلاد الشام ، وسقطت بعض قلاع تلك البلاد فى أيديهم .

وفى الرابع من ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ طعن جماعة من الباطنية وغلاة مذهب النزارية الآمر بأحكام الله طعنة قاتلة اقتصاصاً لنزار ، ولمّا لم يكن له ابن ، جعل الحافظ لدين الله أبا ميمون عبد الحميد ــ وكان من أولاد المستنصر ــ ولياً للعهد (٥١) ، وكانت مدة سلطنة الآمر برواية حافظ آبرو تسعاً وعشرين سنة .

خلافة الحافظ لدين الله

بعد وفاة الآمر، بايعه الأمراء والوزراء والأعيان المصريون، فوزر الحافظ أبا علي أحمد بن فضل ابن أمير الجيوش رفع درجته، وفي البداية قتل الفدائيون النزاريون أبا علي (٥٢)، فحل محله آخر (٥٣)، ومرت عدة أيام دامية، فوزر الحافظ ابنه حسن محل الوزير الثاني، وكان حسن قاسيا طائشا، يقولون إنه عندما قتل أربعين أميراً في ليلة واحدة، خاف أبوه من حدة وطيش الابن، وذهب جماعة إلى حسن، فقتلهم حسن أيضا، فعرض بقية الأمراء والجنود على الخليفة «إن لم يحسن ابنك لنا، سنقضي عليك معه»، فتحير الحافظ من هذا الأمر، وفي النهاية أمر أحد الأطباء اليهود ليسقي حسن سما، وفي جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ توفي الحافظ الدين الله (٥٤)، وكانت مدة خلافته عشرين سنة، وعمره سبعون سنة.



سلطنة الظافر بالله

عندما مات الحافظ بايع الناس ابنه، وفي عهده أراد صاحب طبرية أن يقرأ الخطبة باسم العباسيين، فتضرع جماعة النزارية إلى السماء، وضربوا الخطيب، وأحرقوا المسجد، وفي سنة ٥٤٦، قُتل الظافر، وسبب هذا هو أنه كان لعباس وزير الظافر ابن يدعى نصر في غاية الحسن والجمال، ولم يكن الظافر يفارقه لحظة، ولاكت الأفواه هذا الأمر، فاتهموا الظافر بالابن، وفي هذه الأيام منح الظافر قرية عامرة (٥٥) لنصر، فقال الناس: إن مهر نصر أكثر من ذلك، فتحركت عرق حية عباس من هذا القول، وأدخل الظافر وخواصه إلى منزله لضيافتهم، وخرج جماعة من كمين، وقتلوا الخليفة والمقربين منه ودفن عباس القتلى في بيته (٥٦)، وكانت مدة خلافته خمس سنوات وستة أشهر. (٥٧)



خلافة الفايز بنصر الله

بايعوه يوم مقتل أبيه، وكان في سن الخامسة من عمره آنذاك، وعندما صار خليفة، وزر ملك صالح، وأمر ان يقبض على عباس، فأراد عباس ان يهاجر من مصر، وطلب أن يتجه إلى الساحل، وفي الطريق وصل إليه الفرنجة، فقبضوا عليه وسلبوا أمواله، وعندما استقر ملك صالح على الوزارة، أمر أن يخرجوا جثة الظافر من بيت عباس، ودفنها بكل اجلال واكبار في مدفن آبائه وأجداده..

وفى عهد الفايز استولى عبد المؤمن على بلاد المغرب ، واستخلص أكثر الممالك التى كانت تحت سيطرة الفرنجة ، و يروون أن الفايز كان شابا حسن الطبع فاضلا ، ولكنه لم يكن محظوظاً فى عمره وحكومته ، و برواية أنه قد قام بأمر الخلافة ست سنوات وشهر ين ، وفى صفر سنة ٥٥٥ هـ ودع الفايز الدنيا فى ريعان شبابه ، والبعض قال إن عهد سلطنته أقل من ذلك . (٥٨)

خلافة العاضد لدين الله

بايعه أعيان المملكة فى يوم وفاة أبيه الفائز بالله ، وهو آخر الخلفاء العلو يين الإسماعليين ، وفى عهده توجه الفرنجة إلى مصر(٥٩) ، وعندما اقتربوا من مصر ، استولى الخوف والرعب على المصر يين ، فطلبوا الصلح ، و بعد الجدال ، تصالحوا على مبلغ ألف ألف دينار ، بشرط أن يطلقوا سراح من تعجل بالتسليم ، ودخل المحصلون الفرنجة المدينة للتحصيل ، واستاء اهل مصر جدا من هذا الأمر واتفقوا على ان يلجأوا إلى نورالدين محمود وإلى الشام ليبعد عنهم عار النصارى ، وسلم شاپور وز ير العاضد مائة ألف دينار للأعداء ، وأخذ يماطل فى أداء باقى المال ، وكتب رسالة إلى نور الدين محمود بناء على طلب العاضد ، واستغاث به من سيطرة الفرنجة ، وعندما اطلع نور الدين محمود على حقيقة الحال ، أرسل أسد الدين شيركوه بثمانين ألف فارس لصد الأعداء ، وعندما وصل شيركوه إلى حدود مصر ، وعلم أهل الفرنجة بقدومه ، عادوا خاسر ين ، ووصل شيركوه فى ربيع الآخر سنة ٥٥٩ إلى القاهرة(٦٠) ، فخلع العاضد عليه الخلع ، وكتب معاهدة بخطه ، وسلمه منصب الوزارة . (٦١)

وخلال هذه الأحوال استاء العاضد من سيطرة واستبداد الوز ير شاپور(٦٢) ، ووثق بمشورة شيركوه فى أمور المملكة ، وفى أثناء تلك الأحداث وصل صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن أخى أسد الدين شيركوه ، مع جماعة من أمراء نور الدين محمود ، وقبضوا على شاپور وعندما وصل هذا الخبر إلى العاضد ، أرسل رسولاً ، وطلب رأس الوز ير ، وقام الشاميون بتحقيق طلبه .

و بعد قتل شابور صار أسد الدين شيركوه وز يرا ، ولما مرت خمسة وستون يوما من قيامه بالوزارة ، مات ، و بعد وفاته جعل العاضد زمام الوزارة فى يد صلاح الدين يوسف ، وقام بحل وعقد الأمور ، حتى أمر فى يوم الجمعة الثانى من المحرم سنة ٥٥٧ هـ إسقاط اسم العاضد من

الخطبة ، وقرأوها باسم المستضىء بنور الله العباسى(٦٣) ، وانهى دولة خلفاء الاسماعيلية ، وسبب ذلك هو انه عندما وصل صلاح الدين يوسف إلى منصب عمه بمساعدة بهاء الدين قراقوش ، وكان من أمراء شيركوه الأقوياء ، أهمل أركان دولة العاضد ، وعندما وصل هذا الخبر إلى نور الدين محمود ، أرسل رسالة إلى صلاح الدين يوسف أنه من المناسب أن تزين وتنور رءوس المنابر ووجوه الدنانير باسم ولقب المستضىء ، فأجل صلاح الدين هذا الأمر ، ورد عليه ان المصريين يتبعون العلويين منذ فترة طولة ، فان ظهرت هذه الصورة يمكن أن تحدث فتنة ، لايمكن تداركها بسهولة ، وطالما أنا على حكومة المملكة فلاصلاح فى أن نتخلص من العاضد حتى يأتى نور الدين محمود إلى مصر و يعزله ، وعندما وصل رد صلاح الدين إلى نور الدين محمود ، لم يأت على هواه ، فأرسل مرة أخرى رسولاً من أن أسد الدين سعى كى لايذكرون اسم العاضد فى الخطبة ولما لم يُرِد صلاح الدين المخالفة مع الوالى اهتم ، وتشاور مع خاصته ، قالوا جميعاً إذا أسقطنا اسم العاضد يحتمل أن يثور المصريون ، ولا تسير الأمور ، وقررت جماعة انه طالما أرسلنا نور الدين محمود إلى هذه الولاية ، فكيف نخالفه ؟ وفى أثناء ذلك مرض العاضد مرضاً شديداً ، فقال أحد الأعاجم(٦٤) : لماذا لايتشجع أحد ، اليوم يوم جمعة ، سأذهب وأقرأ الخطبة باسم المستضىء ، وتوجه هذا الشخص فى نفس اليوم إلى المسجد الجامع ، ووقف على المنبر أمام الخطيب ، ودعا للمستضىء ، ولم ينكر ذلك عليه أى شخص ، وبعده خطب الخطيب على ما هو متبع من قبل ، وفى الجمعة التالية أمر صلاح الدين يوسف الخطباء ليسقطوا اسم العاضد من الخطبة ، و يدرجوا اسم المستضىء .

وخلال ذلك ازداد مرض العاضد ، وأخفى أركان الدولة عليه هذا الأمر المحزن ، وقالوا لأنفسهم : كيف نخبره بهذا الخبر السىء ؟ فلو صح سيسمعه ، وفى العاشر من محرم(٦٥) انتقل العاضد إلى دار البقاء ، وقام صلاح الدين يوسف بمراسم التعزية ، واستولى على خزائن ودفائن خلفاء الإسماعيلية ، فسبحان الحى الدائم من لا يزول ملكه ، ورووا أن العاضد لدين الله كان متصفاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وكان كريما وسخيا سخاء لاحدود له .

وكان مجموع خلفاء الاسماعيلية الذين حكموا فى المغرب وفى مصر من المهدى حتى العاضد أربعة عشر شخصاً ، وقد قام المهدى وابنه القائم والمنصور بحكم افريقية و بعض البلاد العربية ، وعندما وصل الأمر إلى المعز استولى أيضا على مصر ، واتخذ هذا البلد العظيم داراً للملك ، كما سبق أن ذكرنا فى هذه الأوراق ، و بعده حكم العزيز والحاكم والظاهر والمستنصر والمستعلى والآمر والحافظ والظافر والعاضد على التوالى ، كما سجل القلم .

وكانت فترة الحكم من بداية ظهور المهدى حتى انتهاء أيام العاضد مائتين وثمانية وعشرين عاما ، ان الزمان لا يعطى أبداً إلا واسترد ما أعطاه ، وكل حلاوة تتبعها مرارة ، وكل صفاء يعقبه كدر، يقول افصح الشعراء :

« الكنز والحية والورد والشوك والغم والفرح سيان » . (٦٦) .

وصل خبر موت العاضد وانتهاء دولة الاسماعيلية فى مصر إلى بغداد ، فأبدى الوضيع والشريف والأمير والمأمور الفرح والسرور، وعقدوا الأفراح فى المدينة ، ورفعوا راية السرور إلى أوجها ، ودقوا طبول الفرح ، وأرسل الخليفة الخلع والهدايا القيمة إلى نور الدين محمود ، وأرسل إلى صلاح الدين أيضاً الهدايا القيمة من دار الخلافة ، وطالما نتحدث عن أولاد اسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، فمن المناسب أن أكتب جملة أحوال الحسن الصباح وخلفائه الذين حكموا فى بعض بلاد إيران ، ودعوا الناس لقبول مذهب الاسماعيلية ، ويجب أن نعرف أن كل من ادعى بنوة اسماعيل من خلفاء الحسن الصباح كاذب ومفترى ، وسوف يتضح هذا من سياق الكلام فى هذه الأوراق إن شاء الله تعالى .

فصـــل

فى ذكر بعض احوال الحسن الصباح

ذكر بعض المؤرخين أن نسب حسن يصل إلى محمد الصباح الحميرى ، وقد ذم خواجه نظام الملك الطوسى(٦٧) هذا الأمر ، وطبقا لحديثه الذى وصل إلى آذان سامعيه ، يقول خواجه المذكور أفاض الله عليه شآبيب الغفران(٦٨) : « إن الإمام الموفق النيشابورى روّح الله روحه ، كان من كبار علماء خراسان ، وكان مباركا ، جاوز عمره الخامسة والثمانين ، ونال شهرة واسعة ، وكان كل ولد يقرأ على يديه القرآن والحديث يصل إلى الحكم ، ويحقق النجاح ، و بناء على ذلك ، أرسلنى أبى مع الفقيه عبدالصمد من طوس إلى نيشابور ، لكى أتعلم ، وأستفيد من مجلس هذا العلامة ؛ وقد شملنى بالعناية والرعاية الكاملة حتى قضيت أربعة أعوام فى خدمته ، وكان الحكيم عمر الخيام والمخذول ابن الصباح قد جاءا حديثاً إلى هذا المجلس ، وكانا أصحاب فهم عال وطبع قوى ، واختلطا بى ، وعندما كان ينتهى مجلس الإمام ، يأتيان لمرافقتى ، ونسترجع الدرس سويا ، وكان الحكيم عمر نيشابورى الأصل ، وكان على والد الحسن الصباح شخصاً سيء المذهب خبيث العقيدة ، يقيم فى مملكة الرى ، وكان أبومسلم المروزى والى هذه الولاية متصفاً بصفاء السريرة وحسن العقيدة ، ولمّا كان من عادة أهل السنة إظهار العداء التام لهذا المفسد ، فكان دائماً يسعى لدى أبى مسلم ، ليبرأ

ساحته بقول كاذب ويمين فاجر، ولما كان الإمام الموفق النيشابوري قدوة أهل السنة والجماعة، لذا فقد أحضر هذا الماكر ابنه إلى نيشابور للاستفادة من مجلس الإمام لرفع التهمة، وسلك طريق الزهد، وأحياناً كانوا يروون عنه كلام المعتزلة والملاحدة، وعندما كانوا يتهمونه بالكفر والزندقة، كان ينسب نفسه إلى العرب، وكان يقول: أنا من آل صباح حميري(٦٩)، أبي جاء من الكوفة إلى قم، ومن قم إلى الري ولكن أهالي خراسان، أنكروا هذا الكلام، وقالوا: إن آباءه كانوا من قرى هذه الولاية».

«المهم قال هذا المخذول لي وللخيام: انه من الشائع أن تلاميذ الإمام الموفق يصلون إلى الحكم، والآن ليس هناك من شك انه إذا لم نصل جميعا، فإن أحدنا سيصل، فلماذا لا نعقد عهدا؟ قلت: علامَ؟ قال: نتعاهد على أنه من يصل إلى الحكم، يشاركنا على السواء، قلت ليكن هذا، وتعاهدنا على ذلك حتى مر زمن على هذا، وانتقلت من خراسان إلى ما وراء النهر وغزنين وكابل، وعندما عدت، تقلدت الأمور».

«وفي عهد سلطنة ألب ارسلان جاء الحكيم عمر الخيام إليّ، وقدمت إليه كل ما يكون لازماً لحسن العهد وحفظ الوفاء، وتلقيت قدومه بالاعزاز والاكرام، وقلت له بعد ذلك: نظرا لأنك صاحب كمال وأهل لمجالسة السلطان طبقا لمشاركتك لي مجلس الامام الموفق، فانني سأشرح فضائلك للسلطان، حتى يستفيد من كفاءتك ودرايتك، وحتى تنال مثلي درجة طيبة قال الحكيم: إن أصلك الشريف ونفسك الكريمة، وطينتك الطاهرة، وهمتك العالية، تحفزك لإظهار هذه المكارم، لكن كيف لضعيف مثلي يتواضع معه وزير المشرق والمغرب إلى هذا الحد، وليس هناك من شك أن كرمك صادق لاتكلف فيه، ولكن حقوق إحسانك إليّ كثيرة، ولو قضيت عمري شاكراً فلا أستطيع أن أوفيك حقك، وأملي ومطلبي هو أن أكون دائماً لك طائعا، وهذه الدرجة التي تأمر لي بها ليست كفراناً بالنعمة والعياذ بالله إذا لم تتحقق، والآن فإن كمال العناية في أن أعيش في كنف دولتك، واهتم بنشر الفوائد العلمية والدعاء لك بطول العمر، وأصر على هذا، وعندما أدركت أنه يقول ما في ضميره دون تكلف، كتبت له معاشاً سنوياً ألف ومائتي تومان(٧٠) من أموال نيشابور، وعاد بعد ذلك واهتم بالعلوم خاصة علم الهيأة حتى ووصل إلى درجة رفيعة.»(٧١)

«وفي عهد السلطان ملكشاه جاء إلى مرو، واشتهر في علم الحكمة، وأنعم عليه السلطان ووصل درجة كبار العلماء والحكماء».

«ولكن هذا المخذول لم يكن له من ذكر في أيام السلطان ألب ارسلان(٧٢)، وظهر في عهد دولة السلطان ملكشاه، ففي هذه السنة التي فرغ فيها السلطان من أمر قادر ودشاه(٧٣)، وسكّن مواطن الفساد(٧٤)، جاءني هذا المخذول، فأبديت له ما في وسعي من اعزاز واكرام، ويوماً كنت أكرم

خاطره وأنعم عليه (٧٥) ، وذات يوم قال : أيها السيد أنت أهل كمال وفضل ، وقد تحقق لديك أن متاع الدنيا قليل ، ويجوز أن تنقض العهد بسبب الوجاهة والمحبة ، وتدخل ضمن الذين ينقضون عهد الله ، قلت : حاشا لله ، قال : نعم : أنت تقدم إنعاماً لا حدود له وإكراما لا حصر له ، ولكن أنت تعلم أن المعاهدة بيننا و بينك ليست كذلك ، قلت سمعاً وطاعة الجاه والمنصب بل وسائر الموروث والمكتسب قسمة بيننا . »

« و بعد هذا قدمته إلى مجلس السلطان ، وامتدحته بما هومناسب ، وأبلغت السلطان الأحوال السابقة التي وقعت بيننا ، وتحدثت مع السلطان كثيراً عن علمه الوافر وأخلاقه الطيبة لدرجة أوصلته إلى درجة الثقة والاعتماد ، بينما كان مثل أبيه شخصا مزورا وسيئا ، وألبس نفسه لباس الأمانة حتى سيطر على مزاج السلطان في أقل فترة ، و وصل إلى درجة أن كُلف بكثير من الأمور الخطيرة والأعمال الجليلة التي هي من شئون أهل الصدق والتدين ، و وثق السلطان في قوله ، واقتدى به » .

« الهدف من هذا التمهيد هو أنني أوصلته إلى هذه الدرجات ، وفي النهاية ظهر قبح سر يرته الفاسدة التي كانت شؤما لمدة سنوات والتي صارت هباء منثورا ، و بدا منه في النهاية خبثا ، وتولدت في نفسه أسوء آثار الحسد في أفعاله وأقواله » .

« كان في البداية يبدي نفاقا ، و يثير فسادا في الديوان ، بشتى الحيل حتى وصل إلى السلطان ما يثيره فسأله عن ذلك ، فأقر في نفس السلطان قولاً معقولاً لمفاسده . »

يقول خواجه نظام الملك : « من جملة مفاسدة تلك القضية ، يوجد في حلب نوع من الرخام يصنع منها الأواني ، وقد جرى على لسان السلطان أنه يجب أن يُحمل إلى اصفهان مقدار من هذا الرخام ، ولا يكون غاليا ، وكان هناك شخص من أهالي سوق العسكر خبيرا بذلك ، و بعد العودة ، قال السلطان لشخصين من العمال العرب إذا أحضرتما خمسمائة مَنّ رخاماً إلى اصفهان سأعطيكما أجرا مضاعفا ، وكان لكل واحد منهما خمسمائة مَنّ حمل خاص به ، فقسما الخمسمائة من رخام على جمالهما ، وكان لواحد منهما ستة جمال ، وللآخر أربعة جمال ، وجاء إلى اصفهان ، وعندما وصلا السوق ، و وصل الخبر ، سُر السلطان ، وأنعم عليهما وأعطى العاملين ألف دينار ، وقال لي : قسمها على التساوي ، فأعطيت صاحب الجمال الست ستمائة دينار ، وصاحب الأربعة جمال أربعمائة دينار و وصل هذا القول إلى ذلك المخذول فقال : لقد أخطأت في القسمة ، وأعطيت مال السلطان لمن لا يستحق ، ولم تدفع الحق للمستحق ، فيجب ان تعطي ثمانمائة دينار لمالك الجمال الست ، ومائتي لصاحب الأربعة جمال » .

« وفي نفس هذا اليوم أبلغوا السلطان بهذا الخبر ، فطلبني السلطان ، فذهبت إليه ، و وقف هذا المخذول ، وضحك السلطان ، وسأل عن الأمر فانقبض المخذول ، و بدأ قوله : لقد أعطى مال

السلطان لمن لا يستحق وترك حق المستحق ، فقال أصحاب المجلس : أوضح ، قال : إن الحمل كله هو هذه العشرة جمال وهم ثلاثة أقسام ، كل قسم خمسمائة منٍّ ، وعدد الجمال عشرة ، ثلاثة × عشرة يساوى ثلاثين ، والأربعة × ثلاثة يساوى اثنتا عشرة ، وستة × ثلاثة يساوى ثمان عشرة ، و يكفى لكل قسم نصيبين ، والباقى لصاحب الثمانية عشرة وهو صاحب الجمال الستة ، و يبقى ثمانية ، وصاحب الاثنتا عشرة قسم هو مالك الأربعة جمال ، هذان القسمان وتلك الزيادتان ، هى ضمن حصة رخام السلطان ، وعندما تنقسم الألف دينار على هذا تصل ثمانمائة بثمانية ، ومائتان إلى القسمين . »

« المهم عندما قدم كل هذا التمويه والألفاظ لعنادى وتعجيز الآخرين ، قال السلطان قل ما أفهمه ، قال : العشرة جمال وحمل ألف وخمسمائة منٍّ ، كل جمل يحمل مائة وخمسين منًّا ، فيكون الأربعة جمال ستمائة من وكسر ، ولديه خمسمائة من خاصته بك ، وكان رخام السلطان مائة منٍّ ، والستة جمال الثانية تسعمائة منٍّ ، خمسمائة من حملها ولا زيادة ، وتكون أربعمائة من رخام سلطانى ، ومن الألف دينار يبقى مائتان ، فيجب أن ينال ستمائة دينار ومائتين للآخر ، وليس هناك قانون للحساب غير ذلك إلا الإنعام ، ويجب ألا نهمل مرة أخرى أنه يجب المناصفة » .

« قال هذا المخذول هذا القول ، ونظر إلىّ السلطان ليسرى عنى ، لأنى تأثرت داخلياً تأثيراً كبيرا ، وقد صدر منه خبثاً كثيرا ، وكانت أعظم مفاسده فى دفاتر أموال الممالك التى أبدى يدا بيضاء فيها خلال المدة التى أمهلته فيها ، وأنهى عمله فى أقل وقت ممكن ، ولكنه لم ينل تأييدا من جميع الأمراء لما كان فيه من حقد وحسد ونقض للعهد والميثاق ، وعند عرض هذه الدفاتر لحقه خجل جم ، ولم يجد مقاما ببلاط غير هذا ، ولو أن هذا المخذول والعياذ بالله وجد تهاوناً من هذا المجلس لما تمكنا من تدارك أمره » .

و يقول كاتب هذه الكلمات أن حديث خواجة نظام الملك حول أمور الحسن التى أوردها فى رسالة وصاياه قد أتى على أحواله تماما ، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه فى ذلك الوقت الذى كان الحسن الصباح ملازما لركاب ملكشاه ، وحدث ذات مرة أن أصاب خاطر السلطان قليل من السوء تجاه خواجه نظام الملك ، فسأله كم يمكن اعداد دفتر منقح مشتمل على دخل وخرج المملكة ؟ فقال خواجه : فى سنتين ، قال السلطان : كثير ، فتعهد حسن الصباح أمام السلطان أن يتمه فى أربعين يوماً ، و بناء على التماسه أمر السلطان جماعة من الكتاب بأن يكونوا تحت إمرته ، وأحال إليه هذا الأمر الخطير و وعده حسن بالوفاء ، وفى أربعين يوماً نظم قرى الخالصة ، وسمع خواجه هذا الخبر فاستاء . »

وفى رواية أن غلامه كان صديقا لغلام حسن ، فقال له : لو تحايلت وجمعت أوراق دفتر حسن الممزقة ، سأمنحك ألف دينار وزيادة وذهب غلام خواجه مع غلام حسن فى ناحية وغافله ،

وأنقص الدفتر ، فقال جماعة أنه قبل عرض دفترخواجه نظام الملك ودفترحسن قال نظام الملك : أرني هذه الأوراق لكي أرى كيف نظمها ، ومنع الحياء غلام حسن ألا يقدم الدفترلخواجه ، وعندما اطلع خواجه على تنظيم هذا الدفتر ، وضع فيه تلك الأوراق وأوقعه على الأرض ، وعندما تبعثرت الأوراق جمعها دون ترتيب ، وخاف الغلام أن يبلغ حسن هذا الأمر ، وعند العرض ظهر الدفتر ناقصا ، وتداخل مع بعضه فسأله السلطان عن الدخل والمنصرف ، ورد حسن بإجابات نعم ، صح ! فتغير السلطان ، وقال خواجه نظام الملك : « إن العلماء يحتاجون سنتين لإ تمام هذا الأمر ، ولكنك دعوت جا هلا ليتم هذا الأمرفى أر بعين يوماً فلابد أن تكون اجاباته ليست إلا ذلك . »

يقول بعضهم إنه عندما وجد حسن الدفترناقصا ، سعى لتنظيمه ، وعجل لاطلاع السلطان عليه ، وكلما سأل حسن عن شيء تلكأ حسن فى الرد حتى ضاق السلطان ذرعا ، وقال : ما علتك يا حسن ، قال حسن : إن الدفتر كان ناقصا ، وانتهزخواجه نظام الملك الفرصة وقال : لقد عرضت من قبل أن فى طبيعته طيش تامّ ، ولا اعتبار لكلامه ، فاستاء السلطان وطلب أن يؤدب حسن ، ولكن مر بيه وقف على هذا الأمر ، ولمّا لم يعرض أمرحسن الصباح فى مجلس السلطان ملكشاه ، خرج مستاء ، وذهب إلى بلاد الرى وفرمن هناك ، وتوجه إلى اصفهان وهناك اختفى فى منزل الرئيس أبى الفضل كى لا يطلبه تابعوخواجه نظام الملك ، ومال الرئيس لصحبته ، وقبل دعوته ، وقضى فترة معه .

وذات مرة جرى على لسان حسن أثناء الحوارشكوى من الوز يروالسلطان وقال : إذا وافقتني (٧٦) سنخرب مملكة هذا الفلاح التركى ، وكان الرئيس أبوالفضل من عظماء وعقلاء عصره فاعتقد أن عقل حسن قد أصابه جنون واستولى عليه مرض اختلال العقل ، وإلا كيف يفكر شخص أن يثير اضطراباً بشخصين ضد السلطان ملكشاه ـــ الذى يحكم من انطاكيه بالشام إلى كاشغر ، ولم يظهرهذا المعنى أمام حسن ، وفى الليلة التالية ، قدم له وقت الطعام والإفطارشراباً وغذاء يقوى العقل ، وأدرك حسن لفطنته هذا الأمر ، فعزم الرحيل ، وكلما تشفع الرئيس كى لا يفارقه ، أبى .

وعندما عاد حسن من مصر استولى على قلعة الموت (٧٧) ، و بادر الرئييس أبو الفضل لخدمته ، وانتظم فى سلك أصحابه وقال له الحسن : أيها الرئيس هل كان عقلى فيه تخبط أم عقلك ، وهل ترى أن الشراب المعطر والغذاء المزعفر مناسب لك أم لى : فطالما وجدت الرفيق فكيف أفى لكلامه .

يقولون : إن حسن الصباح قد خاطب الرئيس بهذا الحديث بعد قتل خواجة نظام الملك ، و وفاة السلطان ملكشاه ، و بعض المؤرخين أورد أن الحسن الصباح قد توارى فى منزل الرئيس أبى الفضل بعد عودته من مصر وقد سعى الرئيس لعلاج عقله بناء على الكلام المذكور .

ومسطور فى الكتب المشهورة أن تابعى حسن قد جمعوا اسمه وآباءه وأجداده على أنه الحسن بن علي بن جعفر بن محمد الصباح الحميرى اليمنى ، وكتبوه على لوحة وقدموها له ، فأنكر هذا الفعل وأمر أن يمحوا هذا المكتوب ، وقال : كونى العبد الخاص للإمام أفضل من هذا الأننى ابنه بالتبنى (٧٨) ، ومنقول عنه انه قال : من بداية طفولتى ومنذ كنت فى السابعة من عمرى ، وهمى مقصور على تحصيل العلوم واكتساب الفضائل ، وانتظمت مثل آبائى فى سلك الشيعة الإثنى عشرية (٧٩) ، وتصادف أن تلاقيت مع واحد من الرفاق (٨٠) يسمونه « اميرضراب » واستحكمت أواصر المحبة بينى و بينه ، وعقيدتى انه طالما أن الاسماعيلية مذهبا وسلوكا يوافقون الفلاسفة فاننى أعتقد أن حاكم مصر رجل متفلسف ، و بسبب هذا فاننى كلما تحدث الأمير فى تقوية مذهب الاسماعيلية تناقشت معه ، وجرت بينى و بينه مناظرات ومباحثات فى مسائل عقائدية ، وكلما قدح الأمير فى مذهبى ، لأسلم له ، ولكنه استقر فى قلبى ، وفى أثناء هذه الأوقات فارقنى ، فابتليت بمرض عضال ، وفكرت فى أثناء هذا المرض من أن مذهب الاسماعيلية حق ، ولكنى لا أصدق من شدة تعصبى ، وإذا جاء أجلى والعياذ بالله دون أن أصل إلى الحق فقد هلكت ، وفى النهاية شفيت من هذا المرض .

واختلطت مع شخص اسماعيلى آخر يلقب بأبى النجم السراج ، وسألته عن حقيقة مذهب الاسماعيلية ، فعرض علىّ أبو النجم مذهب هذه الجماعة بالتفصيل ، واطلعت على غوامضهم و بعد ذلك التمست من أحد أعيان الملة المذكورة و يدعى مؤمن التقى بالشيخ عبد الملك ابن عطاش (٨١) داعى مملكة العراق ، بأن أبايعه فى قبول الدعوة ، فقال : كيف يحدث هذا ودرجتك فوق درجتى ؟ وعندما تجاوز إلحاحى حدا الاعتدال فيه رضى بقبول البيعة ، وصحبته حين كان الشيخ عبد الملك قد وصل إلى الرى ، ورضى بسلوكى ، وأحال إلىّ أمر الدعوة وقال : يجب أن تذهب إلى مصر حتى تسعد بخدمة المستنصر ، وكان المستنصر بالله العلوى يجلس فى ذلك الوقت على كرسى الخلافة والإمامة ، وعندما توجه الشيخ عبد الملك من الرى إلى اصفهان توجهت إلى مصر .

يقول كاتب الأوراق ، لا فائدة من تفصيل الأمور التى وقعت لحسن الصباح فى طريق مصر ، ولا مانع من ذكرها ، فعندما وصل الحسن إلى حدود مصر ، علم المستنصر ، فأمر أن يستقبله جماعة داعى الدعاة أبو داود وشريف طاهر قزوينى وغيرهما ، وعندما دخل المدينة ، استقر فى منزل وأرسل إليه المقربين وخواصه ، فبذلوا له أنواع الإحسان والامتنان و برواية أن حسن قد أقام سنة ونصف فى تلك البلاد ، ومع أنه لم يصل إلى مجلس المستنصر (٨٢) فى هذه المدة إلا أن المستنصر كان دائم الاستكشاف لأحواله ، ويمتدحه ، وكلما زاد فى مدحه ظن المقربون وأرباب الدولة أنه ربما فى بضعة أيام يضع زمام أمور هذه البلاد فى يده .

وفى تلك الأثناء ثارت غبار الوحشة والنزاع بين أمير الجيوش المسيطر على الدولة الاسماعيلية وابن الصباح ، ذلك لأن الحسن يعتبر النص الأول أصل مذهبه ، وكان المستنصر قد جعل ابنه نزار وليا للعهد فى البداية ، وبايعه الناس ، وقد خعله أمير الجيوش عن ولاية العهد بسبب استياء الخليفة من نزار (٨٣) ، وفوض هذا الأمر للابن الآخر المستعلى ، ودعا الناس لمبايعته ، وعندما وصلت العداوة والخصام بينهما درجة عالية ، اتفق أمير الجيوش واتباعه على أن يطلبوا من المستنصر أن يرسل الحسن إلى قلعة دمياط ، ولم يوافق المستنصر وفى أثناء ذلك سقط برج قلعة دمياط الذى كان فى غاية المتانة ، وتعجب المصريون من هذا وتفاءلوا وحملوا سقوط برج القلعة على أنه كرامات المستنصر وحسن طالع ابن الصباح ، وفى النهاية أركب أهل الحسد والكراهية الحسن مع جماعة من الفرنجة سفينة ، ونفوهم إلى المغرب وعندما توسط القوم المذكورون البحر ، هبت الرياح فتلاطمت الأمواج ، وبقى أهل السفينة فى قلق واضطراب ، ورأوا الحسن هادئا مستريحا ، قال له أحد رجال السفينة : يا حسن أراك هادئا مستريحا جدا ، فرد عليه إن مولانا أخبرنى أنه لن يصاب أهل السفينة بسوء ، وبعد لحظة تصادف أن هدأت ثورة البحر ، فاحتضن أهل السفينة حسن ، واعتقدوا فيه ، ومرة أخرى هبت الرياح فألقيت السفينة على مدينة من مدن النصارى ، وبعد الضيافة أعاد قاضى هذه البلدة حسن ورفاقه إلى السفينة ، وساروا ، وفى هذه المرة هبت رياح الهبوب العكسية ، وألقت بالسفينة على حدود الشام ، ونزل حسن من السفينة ، وترك سفر البحر ، وذهب إلى حلب ، وقام هناك فترة ، وتوجه إلى بغداد ومنها توجه إلى خوزستان ومن خوزستان سار إلى اصفهان وأقام هناك أربعة أشهر ، ثم عاد إلى خوزستان وأقام بها ، ورحل منها بعد ثلاثة أشهر ، وتوجه إلى دامغان ، وقضى ثلاث سنوات بدامغان ونواحيها ، وقبل دعوته عدد كبير ، وكان يرسل فى تلك الأيام الدعاة العظماء إلى قلعة الموت وسائر القلاع والبقاع ، ثم توجه إلى جرجان ، وأراد أن يذهب إلى الديالمة لكن لم يستطع أن يعبر الحدود نظرا لأن نظام الملك رحمه الله كان قد كلف أبا مسلم بأن يقاتل حسن بأى شكل كان ، وألح أبومسلم فى طلبه ، فسار إلى جانب سارى ، ومن هناك توجه إلى دماوند ومن هناك توجه إلى الديالمة من طريق قزوين ، وذهب إلى قصبة قرب آلموت ، وانشغل بالعبادة والزهد فى هذه القصبة ، وبعد ذلك صعد إلى قلعة آلموت بحسن تدبير بإرادة الملك القدير ، وارتقى معارج الرقى .

استيلاء الحسن على قلعة آلموت بارادة حى لا يموت

أرسل الحسن الصباح الذى يدعوه الاسماعيلية « سيدنا » ، قبيل توجهه إلى ولاية رودبار الدعاة إلى آلموت ، ليدعوا أهالى القلعة لاتباع حاكم مصر ، وجذ حسين قاينى أحد الدعاة فى دعوة

. أهالى آلموت ، و بايعه أكثرسكان آلموت ، وتبعوا دعوته ، وفى تلك الأيام كان أحد العلو يين و يدعى مهدى يقوم بكتوالى القلعة بأمر السلطان ملكشاه فقال للاسماعيلية تبعاً للظاهر ومن أجل المصلحة : أنا واحد منكم ، وهذه الجماعة منكرة ، وفى النهاية وعندما رأى مهدى أن زمام أمر القلعة ، سيخرج من قبضته سلك طر يق المكر والحيلة مع كل من يدعو دعوة الحق ، وأرسل إلى الشيخ ، وفتح الباب وقال : هو سلطان هذه القلعة ومن المناسب ألا يخالفه أحد ، و بعد جدال طو يل دخلوا قلعة آلموت جميعاً . (٨٤)

وعندما دخل الاسماعيلية القلعة ، لم يلتفتوا لكلام المهدى ، وحل اسم مهدى فى دفتر البلهاء ، وفى أثناء ذلك صعد اتباع ابن الصباح القلعة ، ولم يبق للمهدى من شىء أبدا ، وتصادف وقوع هذه الحادثة فى رجب سنة ٤٨٣ هـ ، ومشهور أنهم كانوا يسمون هذه القلعة فى القدم « إله اموت » « واله اموت » عبارة عن عش العقاب وعدد حروف هذه الكلمة بحساب الجُمّل هو تار يخ صعود ابن الصباح إلى هذه القلعة ، ولما كان أمر الحسن قائم على الزهد والتقوى قال للعلوى : بع لى مقدارا من الأرض يمكن أن يحيط بهـ جلد ثور من هذه القلعة بثلا ثة آلاف دينار ، فأيده المهدى ، فأحاط حسن جلدثور حول القلعة بألفى ذراع وحكمها ، وأحاله إلى حاكم گرد كوه و يدعونه الرئيس المظفر ، وكان قد قبل دعوته خفية ، لقبض الثمن ، وأُخرج مهدى من آلموت شاء أم أبى ، وخرج مهدى من القلعة ، واعتقد مهدى من ان الرئيس المظفر غنى وعظيم الشأن ومن المحال أن يسلمنى المال برقعة هذا الرجل ، و بناء على ذلك تأخر فى ابصال الرقعة ، وعندما مرت فترة وكان بدامغان ، واحتاج للمال ، أعطى رقعة حسن للرئيس مظفر وعلى الفور أعطاه ثلا ثة آلاف دينار ذهباً أحمراً . (٨٥)

يرو ون أن الحسن الصباح قد كتب رسائل مختصرة وموجزة جدا ، وكانت عبارة الرقعة التى كتبها للعلوى « على الرئيس المظفر أن يسلم مبلغ ثلا ثة آلاف دينار ثمن قلعة آلموت لمهدى العلوى ، على النبى المصطفى وآله السلام وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

وعموماً استولى ابن الصباح على الموت وأمر بحفر نهر يحضر الماء من أعلى إلى أسفل القلعة ، وأمر أن يشجروا خارج القلعة بالأشجار المثمرة ، وعمل الأهالى بزراعتها ، وكان هواء الموت قبل صعوده عفناً جداً فصار طيبا ، وسعى بعد الاستقلال بالحكومة باستخلاص نواحى الموت والقرى القر يبة منها ، وكان يستولى عليها باللين والشدة ، وأرسل حسين قاينى الذى سبق ذكره مع جماعة من رفاقه لدعوة أهل قهستان ، وذهبوا إلى هذه الولاية بموجب أمره ، ونشروا الدعوة وعملوا على ضبط ور بط بلاد قهستان وأعمالها وقراها حسب طاقتهم . (٨٦)

رحيل سكان الموت بسبب تعرضهم للأعداء وظفر ابن الصباح والموتيون بهم

عندما أجبر الحسن الصباح بعض أهالى ولاية رودبار باتباعه بالقهر والتهديد والوعيد ، و بنى قلاعا شامخة فى أماكن مناسبة ، و وصلت دقات طبول دولته ودعوته إلى مسامع القريب والبعيد والترك والتاجيك ، تحرك عرق الحمية عند أحد أمراء ملكشاه ، وكانت أقطاعه نواحى آلموت ، وهجم عدة مرات بمقدار من الجيش الذى لديه على نواحى القلعة ، ولما لم تكن القلعة حتى ذلك الوقت غير مستعدة بالذخائر ، بينما كان هذا الأمير دائم الهجوم على نواحى القلعة ، لهذا السبب ضاق الأمر بالاسماعيلية ، وأرادوا أن يسلموا القلعة لعدد من الرجال الشجعان و يتوجهوا إلى الجانب الآخر ، وعندما علم حسن بهذا الأمر قال لهذه الجماعة : وصل الخبر عن الإمام يعنى المستنصر ان سكان الموت يجب ألا ينتقلوا من مكانهم لأن من المتوقع أن ينالوا فى هذا المكان الإقبال ، فاستقر هذا القول فى خاطر الاسماعيلية ، وقوى قلبهم ، وبمجرد أن جرت هذه الكلمة على لسان ابن الصباح ، سموا هذه القلعة « بلدة الاقبال » .

وعندما وصل صوت خروج ومخالفة الحسن إلى سمع الأقاصى والأدانى ، وانتشر ضرره لأهل السنة والجماعة ، فأرسل السلطان ملكشاه فى أوائل سنة ٤٨٥ هـ الأمير أرسلان تاش (٨٧) لقمع الحسن الصباح وتابعيه ، وتوجه المشار إليه بطائفة من الشجعان بموجب الأمر إلى آلموت ، وقطع المنازل ، واهتم بمحاصرة القلعة ، وفى ذلك الوقت لم يكن فى خدمة حسن من الرفاق أكثر من سبعين شخصا ، وكان لديهم ذخيرة قليلة ، وكانوا يقضون وقتهم بسد الرمق ، واستعدوا للحرب والقتال ، وأثناء ذلك أرسل أبوعلى — الذى كان يقيم فى نواحى قزوين وقبل دعوة الحسن وتبعه جمع غفير — ثلاثمائة رجل بناء على التماسه للمساعدة ، وانتهز المرسلون الفرصة ، والتفوا حول القلعة وأغاروا على جيش ارسلان تاش بمساعدة جماعة من ولاية رودبار كانوا قد خرجوا من القلعة ، وهزموا هذه الجماعة ، و وقعت غنائم كثيرة فى يد الاسماعيلية ، وعندما وصل الفارون إلى معسكر السلطان ، فكر وأصدر أمراً بأن يتوجه قزل سارق (٨٨) أحد خواصه بجيش خراسان لمهاجمة حسين قاينىّ الذى كان قد أثار الفتنة فى قهستان — وتوجه قزل سارق بقوة كبيرة لدفع ملاحدة قهستان ، وتحصن حسين قاينى مع رفاقه فى قلعة من قلاع مؤمن آباد ، وسعى قزل سارق للتضييق على أهل القلعة ، وتحارب حرباً ضروساً إلا انه وصله خبر وفاة السلطان ملكشاه فجاة ، فاضطر رفع الحصار ، وتفرق جيشه ، وأطلق ملاحدة قهستان بعد وفاة السلطان — مثل طغاة آلموت — يد النهب فى كل مكان ، وشرعوا فى الظلم والتعدى . (٨٩)

الأمور التي وقعت بعد قتل خواجة نظام الملك ووفاة السلطان ملكشاة للاسماعيلية ، وبيان استخلاص قلعة كرد كوه ولامستر

عندما قُتل خواجة نظام الملك على يد أحد الفدائية (٩٠) ، بأمر حسن الصباح كما سنوضحه ضمن أحوال خواجة المشار إليه ، توفي السلطان ملكشاه بعد قتله بعدة أيام ، أخرج فدائية الإسماعيلية يد النهب من جيب التهور ، فقتلوا الأمراء والمشاهير ــ الذى أبدوا عداوة لهم ــ بسبب التعصب الديني والمذهبي ، وهوى ولاة الأطراف في ورطة العناء والأسى حسب حب وكره حسن الصباح ، وكلما سعى سلاطين زمانه بقلع وقمع رفاقه ، كلما غرس فدائيوه الخنجر والسكين في أعدائه ، وعندما وقع شقاق بين ولدى السلطان ملكشاه ، بركيارق والسلطان محمد من أجل الملك ، ظهر الهرج والمرج في بلاد العراق ، كان الرئيس المظفر ــ الذى كان من قِبل أميرداوحبشي ونائبا له ــ قد وصل إلى درجة عالية في دولة بركيارق ، وكان يحكم دامغان ، وسعى لدى السلطان لكي يسلمه زمام حكم قلعة كرد كوه ، وعرض الأميرداو هذا الأمر على بركيارق ، فحقق السلطان له رغبته ، وبعد جدال قتل كوتوال القلعة (٩١) ، ودخلت القلعة المذكورة تحت سيطرة الأميرداو ، وتوجه الرئيس المظفر على سبيل إنابة حبشي إلى كرد كوه ، وأنفق أموالاً كثيرة في عمارتها وتحصينها ، ونقل جميع خزائن الأميرداو من نقود وأجناس ، وعندما حصل على أموال كثيرة وذخائر عديدة ، أبدى طاعة وقبولاً لدعوة الحسن الصباح ، وحكم هذه القلعة فترة طويلة .

وفي أيام سيطرته أمر أن يحضروا في هذا الجبل بئرا عمقه ثلاثمائة ذراع ، وعندما لم يصل إلى الماء تركه ، وبعد وفاته حدث زلزال شديد ، وظهرت مياه عذبة من هذا البئر ، عموماً عندما قويت دعوة الحسن بتأييد الرئيس المظفر ــ الذى كان سداً منيعاً ، ارتقى نجمه ، فأرسل بركيارق بزرگ أميد مع جماعة من الرفاق إلى قلعة لامستر التي ثار أهلها (٩٢) ، فصعدوا إلى القلعة في ليلة العشرين من ذى القعدة سنة ٤٩٥ هـ وأعمدوا القتل في أهلها ، وقضى بزرگ أميد عشرين سنة في هذه القلعة ، حيث لم يطلبه الحسن ولم يخرج منها .

يقولون : في ذلك الوقت الذى توجه فيه السلطان سنجر من خراسان إلى العراق بادر الرئيس المظفر لخدمته ، فشمله بانعامه واكرامه ولما كان السلطان عجلا لم يفحص القلعة ، ولم يتحدث أركان الدولة في هذا الأمر ، وعندما عاد السلطان من العراق ، ووصل إلى دامغان أعد الرئيس المظفر باشارة حسن الصباح أسباب الضيافة ، وقدم للسلطان وأعيان دولته التحف والهدايا الثمينة ، وبسبب الضعف والشيخوخة حملوا الرئيس على محفة أمام السلطان ، فأكرمه السلطان ورفع درجته أعلى من درجة سائر أصحاب المناصب ، وعند الوداع قال الوزير للرئيس على سبيل التوبيخ : إنك لم تقصر حتى آخر عمرك في إطاعة الملاحدة ، وقد أعطيت خزينة الأميرداو لهم ، فقال الرئيس على الفور : لا تقل هذا لأنني رأيت الحق في جانبهم ، والهدف من طاعتي لهم ليس المال ولا الحرمة

ولا الجاه ولا الحشمة ، انظر كيف كتبوا القابي في ديوان السلطان ، واذا كان هدفي المنصب والغنى ، فلا يجوز أن أفارق بلاط السلطان مطلقا ، إن الاسماعيلية يكتبون الرسائل إلى بأن يز يد الله الرئيس المظفر خيرا لما يفعل وما يعرف ، وتعجب الوز ير من هذا القول وقال : فتأخذ الفرمان في الحال ، ولتذهب وفي هذه المرة قال جماعة من النواب للسلطان : يجب ان تطلب الأمير داومن الرئيس ، وعلم الرئيس بهذا الأمر ، فقال للسلطان : انني أنا وسكان القلعة عبيدك الخواص ، نسعد بانعامك واكرامك ، وننشأ في جوعنايتك ورعايتك ، فرفع السلطان الرئيس إلى درجة الخاص وعاد الرئيس محققا هدفه ، وتوفى سنة ٤٩٨ هـ وكان مدة حياته مائة سنة وسنة وخمسة أشهر .

محاصرة قلعة رودبار وهزيمة الجيوش الجرارة

عندما ودع بركيارق الدنيا ، و وصل الملك إلى السلطان محمد بن ملكشاه ، أمر أحمد بن نظام الملك بالتوجه إلى ناحية ولاية رودبار بجيوش جرارة ، وشحذ همته لمحاربة وقلع الاسماعيلية ، وسعى أحمد في أول الأمر لمحاصرة قلعة الموت ، وعرض مزارع الباطنية للتلف ، واستاء أهل القلعة ، وأرسلوا أزواجهم وأبناءهم إلى قلاع أخرى (٩٣) ، وفي أول سنة ٥١١ هـ أرسل السلطان محمد الأتابك نوشتگين لتسخير آلموت وسائر قلاع الاسماعيلية تبعاً لقدرته ، وتوجه الاتابك نوشتگين إلى رودبار ، وسعى جدياً في محاصرة أهالى آلموت ولا مستر ، وأمر بنصب المجانيق ، وامتد الحرب والضرب والقتال والجدال بين الفريقين قرابة عام ، وفي ذى الحجة من السنة المذكورة كاد فتح القلاع ، وفجأة وصل الخبر من أن السلطان محمد قد توفى ، ولذلك سعى الجنود للعمل بمضمون المثل « من نجا برأسه فقد نجا » ، وفروا ، وخرج الاسماعيلية من القلاع ، وأطلقوا يد الغارة والنهب ، وحملوا كل ما وقع في أيديهم من طعام وأسلحة وآلات حرب إلى القلعة . (٩٤)

وعندما استقر السلطان سنجر على كرسى الحكم ، عمل بكل قوته لاستئصال الاسماعيلية وأرسل الجيوش تترى إلى قهستان ، وظل النزاع قائماً فترة بين أهل السنة والجماعة وأرباب البدع والضلالة ، وفي أثناء ذلك أثار حسن الصباح مكيدة ، ليثير الرعب للسلطان فطلب من أحد ملازمي (٩٥) البلاط أن يدخل خيمة السلطان ذات ليلة ، وهو نائم ، و يعلق خنجرا على رأسه ، وعندما استيقظ السلطان ، ورأى هذا الأمر ، خاف ، ولمّا لم يكن معلوما من الذى فعل هذا ، سعى لإخفائه ، و بعد عدة أيام أرسل حسن رسالة إلى السلطان ، من انه لولم يكن يرد خيرا للسلطان لكان هذا الخنجر قد استقر في صدرك ، وعندئذ شعر السلطان سنجر بالرضا عن المصالحة ، وقال : إن صلحى مع هذه الجماعة مشروط بثلاثة شروط ، أولها : ألا تجدد القلعة ، وثانيها : ألا يشتروا أسلحة وآلات حرب بعد ذلك ثالثها : ألا يدعوا الناس لقبول مذهبهم .

ولم يجز الفقهاء هذا الصلح ، واتهم الناس السلطان بحب هذه الطائفة ، وتوثقت المصالحة بين السلطان وحسن وترك السلطان مال قومس ونواحيها كدخل لهم سنويا ، وأرسل المناشير حتى يأخذ أهالي كردكوه من الذاهب والآيب شيئا كضريبة ، ولهذا السبب قوى أمر الملاحدة .

وخلال تلك الأحوال قُتل حسين قايني داعي قهستان بيد حسين دماوندى ، وأكد البعض قتله على يد أستاذ حسين بن حسن الصباح ، و بسبب هذه التهمة أمر حسن أن يقتلوا حسين واتهموا ابنه الآخر أيضاً بشرب الخمر ، فقتله حسن أيضا ، وهدفه من هذا هو أن يخبر الحكام أنه لا يقصد من دعوته ان يحكم أبناؤه من بعده .

و يروون أن حسن الصباح قد أقام خمساً وثلاثين سنة في آلموت لم يصعد أعلى بيته أكثر من مرتين ، ولم يخرج قط من القلعة. ، كان مشغولاً خلالها دائماً بتدبير أمور الملك وتلفيق العقائد التي توافق مذهبه ، وكان يتشدد في إبراز شريعته حتى أنه كان لا يسمح لأحد بالخروج من القلعة ، ولم يسمح لأحد بالمرور بالقلعة .

وفي أيام دولته قُتل كثير من أهل الاسلام — الذين نازعوا الاسماعيلية — بخنجر الفدائية ولو سجل القلم مقدار أعمالهم الحرام على سبيل التفصيل ، والتي وقعت في أيامهم ، لخرجنا عن المقصود ، وعموما ابتلى ابن صباح بمرض الموت في ربيع الآخر سنة ٥١٨ هـ ، وعندما أحس بدنو أجله أرسل رسولاً إلى قلعة لامستر ، واستدعى كيا بزرگ اميد ، ونصبه مكانه ، وفوض أمر الدعوة وسير أمور الديوان لعلى ، وأوصى قائلاً « يقوم هذان الشخصان بالاتفاق مع صاحب الجيش حسن قصراني بتنظيم أمور الرعية ، حتى يظهر الامام على رأس المملكة ، و يلقى شعاعه على أحوال الرعية ، وأسرع حسن الصباح في السادس والعشرين من الشهر المذكور إلى منزله ومركزه الأصلي الذي كان قد حدد له . (٩٦)

حكومة كيا بزرگ أميد

حل بزرگ اميد محل حسن الصباح بعد وفاته ، وظل أربع سنوات مع جماعة الرفاق الذين قلدهم حسن ، وفي أيام دولته بنى قلاعاً قوية ، وأرسل الجيش إلى أطراف الولايات التي كانت قريبة منه ، وأدخلها جميعا تحت سيطرته ، وأمر في سنة ٥٢٠ هـ بتجديد قلعة ميمون دز ، ونصب عبد الملك على حكومتها ، وفي شعبان من نفس السنة قاد ابن أخيه الأتابك شيرگير جيشا ، وتوجه إلى جانب رودبار ، وقد أرسل كيا بزرگ اميد جماعة لحربه ، وقد هزمته هذه الجماعة ، وسقطت في أيديهم أموال ودواب لا حصر لها .

وفى سنة ٥٢١ هـ وما بعدها حدث نزاع بين السلطان محمود السلجوقى وكيا بزرگ أميد ، فقد أرسل السلطان محمود رسالة يطلب فيها شخصاً من آلموت ليحضر بصحبته إلى اصفهان ليتصالح ، وأرسل رسولاً برسالته إلى آلموت ، ليبلغ مضمون التماس السلطان محمود إلى كيا بزرگ اميد ، وأرسل كيا خواجه ناصحى شهرستانى إلى أصفهان ، وعندما قدم خواجه المذكور الطاعة ، تحدث فى المصالحة ، وخرج خواجه من مجلس السلطان ، فقتله العوام ورفيقه فأرسل السلطان رسولاً إلى آلموت ، وأبدى اعتذاراً ، من انه ليس لنا فى ذلك دخل ، فقال كيابزرگ للرسول : عد وقل للسلطان « إن محمد ناصحى قد اعتقد فى كذبكم بالقسم والعهد ، وذهب إليكم ، فإذا كان ماتقوله صدقا ، فاقتل القتلة وإلا انتظر القصاص » .

لم يهتم السلطان بهذا القول ، إلى ان توجه الرفاق فى غرة سنة ٥٢٣ هـ إلى قلعة قزوين ، فقتلوا أربعمائة رجل ، واستولوا على ثلاثين ألف رأس غنم ومائتى جواد و بغل ومائتى بقرة ، وتعقبهم أهالى قزوين ، وحاربوهم ، فقُتل أحد أشراف قزوين ، وهُزم من تبقى .

وفى الرابع من المحرم سنة ٥٢٤ هـ ، جاء ثلاثون ألف رجل من جيش العراق إلى قلعة لامستر ، وعندما علموا بتوجه أهالى قزوين ، فروا دون قتال وإراقة دماء ، وفى أثناء ذلك مرض السلطان محمود السلجوقى ، وتوفى ، وهاجم الرفاق قزوين مرة أخرى ، واستولوا على مائتى وخمسين جوادا ، وأربعة آلاف رأس غنم وعشرين بغلا ، وقتلوا مائة تركمانى وعشرين قزوينيا .

وفى سنة ٥٢٦ هـ توجه جيش آلموت إلى أبى هاشم العلوى فى گيلان ، لأنه يدّعى الامامة وأرسل الرسائل إلى الأطراف ، ودعا الناس لمبايعته ، وفى البداية أرسل رسالة نصح إلى كيابزرگ اميد وقال فى الرسالة : « إن مذهب الاسماعيلية مشتمل على الكفر والزندقة » ، وعموماً عندما وصل الرفاق إلى الديالمة ، حاربوا أبا هاشم ، وهزموا أتباعه ، وتفرقوا ، وتعقبهم الرفاق ، وقبضوا عليه ، و بعد مناظرات طويلة ، أحرقوا هذا المسكين .

ولما كان السلطان محمود قد توفى ، وصار السلطان مسعود حاكماً للعراق ، بادر خوارزمشاه لخدمته ، وقال : إن الهدف العام من هذا أن نقضى على الملاحدة ، فأقطعه السلطان اقطاع بازوار فرفض ، ولجأ إلى كيابزرگ اميد ، وأرسل أولاده وحرمه إلى درخوس التى كانت تحت سيطرة الاسماعيلية ، فقال كيابزرگ أميد : كثيرما أثار العداء معنا فى الأيام السابقة على هذه الاقطاعات ، وكان يعتذر ، والآن طالما لجأ إلينا ، فواجب علينا رعايته ، و بالتوالى قويت عرى الصداقة بين خوارزمشاه والاسماعيلية ، وأرسل بعد رفض الاقطاعات رسولاً إلى كيابزرگ أميد حاملاً رسالة من انه يبدو عليكم كثيرا من آثار العداء والخصومة على هذه الاقطاعات واننى أسعى دوما لمحبتكم ومودتكم ، والآن شرفنى السلطان بهذه الاقطاعات ، وكان يذهب إلى ولايتكم ، فلو سلمنى اياها ، توثقت معكم الألفة والمحبة ، فرد عليه

كيا بزرگ أميد : أن خوارزمشاه يقول الحق ، واننا تركنا عداوته ، وعلى هذا جرت بين خوارزمشاه وكيا مناقشات يطول ذكرها .

وفى أيام حكومة كيا بزرگ اميد قتل الفدائيون جماعة من الأعيان والأشراف من القتلى قاضى الشرق والغرب أبوسعيد الهروى (٩٨) ، وابن المستعلى الذى قُتل فى مصر بطعنة سبعة أشخاص من الرفاق (٩٩) ، وسيد دولتشاه رئيس اصفهان ، وآقسنقورحاكم مراغه ، والخليفة المسترشد (١٠٠) ورئيس تبريز وحسن بن أبى القاسم مفتى قزوين ، وقتل أيضاً على يد هؤلاء الفدائيين الملاعين جمع آخر من أعيان الدولة والدين .

حكومة محمد بن كيا بزرگ اميد

ولى كيا بزرگ اميد ابنه محمد وليا للعهد قبل وفاته بثلاثة أيام ، وعندما توفى (١٠١) سُر أعداؤه ، ولكن عندما استقل محمد بالحكومة ، وتتبع سنة أبيه ، يئسوا .

لما كانوا قد قتلوا الخليفة العباسى المسترشد فى أواخر أيام كيا بزرگ اميد ، وقتلوا أيضاً ابنه الراشد (١٠٢) وكان فى بداية دولته ، وتفصيل هذا الإجمال هو انه عندما تقلد الراشد أمر الخلافة ، مال بعضهم لخلعه ، وأطاعه بعضهم ، وقبل أن يستقر أمر الحكومة عزم الانتقام لدم أبيه ، وتحرك من دار السلام طبقاً لما ذكرناه فى المجلد الثالث ، وعموماً فقد عانى الراشد المصاعب ، و وصل اصفهان فى حالة ضعف (١٠٣) ، وفى أثناء ذلك اقتحم أربعة من الفدائيين خيمته ، وقتلوه بطعنة خنجر ، و واروه التراب فى نفس المكان ، وتفرق البغداديون ، و وصل هذا الخبر إلى آلموت ، ودقت الطبول سبعة أيام بلياليها استبشارا ، ومنذ ذلك الوقت عاد الخوف من النزارية يسيطر على نفوس خلفاء العباسيين ، واختفوا عن أعين الناس .

وفى عهد سلطنة كيا بزرگ اميد هاجم الاسماعيلية المسمون بالرفاق النواحى والأطراف ، و وقعت بينهم و بين المخالفين حروبا لا تعد ولا تحصى ، وانتصروا فى أكثر المعارك على الأعداء ، وسعى كيا محمد مثل أبيه وحسن الصباح فى إقامة رسول الإسلام واحياء سنن محمد صلى الله عليه وسلم حسب الظاهر ، وما يؤيد هذا القول هو أنه فى وقت سلطنة كيا محمد ، وصل السلطان سنجر ذات مرة إلى ولاية الرى ، وأرسل إلى آلموت ، واستفسر عن معتقداتهم ، فأجابته هذه الجماعة (الاسماعيلية) « إن عقيدتنا هى أننا نؤمن بالله عز وجل ، ونعلم أن العقل والنظر يوافقان و يطابقان ما قاله رسوله ، وانه يجب أن نرعى أحكام الشريعة الغراء كما نطق بها كتاب الحق سبحانه وتعالى ، ونؤمن بما فى القرآن المجيد ، وما أخذ به رسوله من مبدأ ومعاد وثواب وعقاب وحشر ونشر ، ولا يجوز لأحد ان يغير حكماً من أحكامه » ، المهم انهم كشفوا جميع معتقداتهم ، وقالوا إن الأصول والفروع إذا قبلها السلطان فبها ، وإلا فيرسل أحد علماء الملة ليناظرنا فى هذا المجال .

وعندما عاد الرسل ، أبلغوا السلطان بهذا القول ، تعلل السلطان ، وكف يد الأذى عنهم ، وحكم كيا محمد خمساً وعشرين سنة (١٠٣) ، وودع الحياة بعد أن أقام عدة قلاع حصينة فى أيام دولته ، وفى عهده قتل الفدائيون أيضاً جمعا غفيراً من الأعيان والأمراء والقضاة والعلماء الذين وقفوا منهم موقف العداء ، وأسماء القتلى مذكورة فى بعض التواريخ .

بعض حالات وحكومة حسن بن محمد بن بزرگ أميد المشهورين الأنام «على ذكره السلام» .

عندما وصل حسن بن محمد المسمى «على ذكره السلام» إلى سن الرشد ، انكب على دراسة العلوم وبحث الآراء الدينية ومذهب الإسماعيلية ، و بعد ذلك شرع بتحصيل وتعلم المسائل العقلية ، وكان يستخدم معلوماته بحيطة وحذر ، وخاف الناس ، ولما كان أبوه خالياً من الفضل وعاريا من العلم ، فقد تصور الجهال والعوام انه عالماً متبحراً وظنوا انه الإمام الموعود الذى وعد بظهوره الحسن الصباح وهو حسن بن محمد ، و بالتدريج ازداد اعتقاد الرفاق به ، و بالغوا فى طاعته ،وأراد حسن أن يكون إمام زمانه .

وعندما علم كيا محمد باعتقاد الناس فى ابنه ، جمع الناس ، وأنكر ذلك على ابنه ، وقال على رءوس الأشهاد : حسن ابنى ، وأنا لست إماماً بل اننى داع من دعاته ، وكل داع خلاف هذا كافراً وملحداً ، وقتل من تلك الجماعة التى صدقت إمامة ابنه قرابة مائتى وخمسين شخصا ، وطرد مائتى وخمسين آخرين من القلعة ، وخاف حسن من هذه البيعة ومن تأديب أبيه وأطلق لسان الطعن واللعن فى الجماعة التى اعتقدت ذلك ، و بالغ فى إبطال اعتقاد الفرقة المذكورة واثبات طريقة أبيه ، وكتب رسائل وألح فى هذا الأمر إلى درجة انه محى هذه الصورة تماماً من ضمير محمد بزرگ اميد .

وعندما انشغل حسن بالشرب خفية ، شربت الطائفة التى اعتقدت بامامته الخمور ، وارتكبت المحظور ، واعتبرت ذلك من علامات ظهور الإمام الموعود ، وتربع على كرسى الحكومة والسلطنة بعد وفاة أبيه ، وسعى لمحو الشريعة الغراء ، ولم يحاسب أحدا قط على ارتكابه المحرمات والمحظورات ، و بالتدريج ظهرت آثار إلحاده وسوء اعتقاده ، و وصل الأمر درجة أن توجه أهالى ولاية رودبار إلى آلموت سنة ٥٥٩ هـ بموجب أمره ، و بعد ذلك أمر أن ينصبوا منبراً فى المصلى جهة القبلة ، و وضعوا أربع رايات كبيرة ملونة بأربعة ألوان هى الأحمر والأبيض والأصفر والأخضر على أطراف المنبر الأربعة ، وأمر أن يسرع الناس إلى المصلى يوم السابع عشر من رمضان من السنة

المذكورة ، وكانت هذه المصلى ساحة واسعة عريضة تقع أسفل آلموت وبعد اجتماع القوم صعد حسن المنبر ، وسعى لإضلال سامعيه وغوايتهم ، من أن الإمام المختفى قد جاء إليه ، وبعبارتهم جاءه برسالة أساسها تأكيد وتعميق قواعد مذهب هذه الجماعة ، وفتح أبواب الرحمة والرأفة على تابعيه وطائعيه ، واختار هذه الطبقة ـــ الذين يدعوهم عبيده الخواص ، واعفاهم من تكاليف الشرع ، وأراح خاطر عباده الخواص من إفعل ولا تفعل وأوصلهم إلى القيامة ، ثم قرأ خطبة باللغة العربية ، وقال : « هذه الكلمات أيضاً من كلام الإمام » ، وأقام شخصاً أسفل المنبر لترجمتها فى حضور المجلس ، وكان مضمون الخطبة « ان حسن بن محمد أميد خليفتنا وداعيتنا وحجتنا ، يجب على شيعتنا اطاعته فى الأمور الدينية والدنيوية ، ويعتقدون فى حكمه الحكم وقوله المفصل ، ولا يجوز لهم تجاوز أمره ، وانكار حكمه لأنه أمرنا ، واعلموا أن مولانا قد رحمهم ، ورفعهم إلى الله عزوجل » .

قال حسن بن محمد هذه الخرافات والهذيانات ، ونزل عن المنبر ، وصلى ركعتين ، ومد الموائد ، وأمر القوم ليفطروا ، وأمر أصحاب المقاهى وأرباب الملاهى أن يحيوا الأعياد بالطرب والفرح والسرور ، وقال : إن اليوم عيد القيامة ، ومنذ ذلك الحين اعتبر الملاحدة السابع عشر من رمضان عيد القيامة (١٠٥) ، وفى ذلك اليوم أقدم على اللهو والمرح ، واستمع الكاتب من مولانا يوسف شاه قال : روى واحد من الثقاة: وصلت ذات يوم إلى آلموت ، ورأيت البيت مكتوبا :

« رفع مخدوم الزمان «على ذكره السلام» قيود الشرع بتأييد الهى » . (١٠٦)

وعموما عندما صدر هذا الفعل الشنيع والحركة القبيحة من حسن ، وظهرت رسوم الإلحاد فى ولاية رودبار وقهستان ، وأطلق لفظ الملاحدة على الاسماعيلية ، ولطخوا أسماء الحكام السابقين الذين كانوا يراعون قواعد الشريعة كما ينبغى أيضا .

وقد رووا انه على الرغم من أن حسن فى خطبة السابع عشر من رمضان قد أعلن أنه ابن محمد بزرگ أميد لكنه كان يذكر فى رسائله التى كان يرسلها إلى أطراف الولايات أحياناً تصريحاً وأخرى تلميحا من أنه من أولاد نزار بن المستنصر ، ومن جملة رسائله التى توضح هذا القول ، انه أرسل ذات مرة رسالة إلى الرئيس مظفر، الذى كان نائبا من قبله فى قهستان مضمونها « اننى حسن ، أقول : إننى اليوم خليفة الله على وجه الأرض ، وخليفتى قهستان هو الرئيس مظفر ، يجب على أهل هذه الديار أن يطيعوا فرمانه ، ويعتبرون قوله قولى » .

وقد أمر هذا الرئيس الملحد أن يقيموا منبراً فى قلعة مؤمن آباد ، وقد صعد على هذا المنبر ، وقرأ رسالة حسن على الناس ، وأبدى الملحدون سرورا ، وضربوا الدف حول المنبر وعزفوا بالنادى وشربوا الشراب ، وأظهروا الإلحاد والزندقة والفساد ، وتحرك عرق الاسلام عند جماعة من أهالى هذه المملكة ، ورحلوا عن وطنهم اختياريا ، وبقى بعضهم ممن لا يستطيع الذهاب مستائين ، وظلوا بمساكنهم .

ذكر طائفة من الملاحدة الكفرة واعتقادهم فى مجال نسب « على ذكره السلام »

رفع جماعة من الاسماعيلية فى رودبار وقهستان راية الكفر والعصيان ، وقالوا : إنه فى عهد « سيدنا » (١٠٧) جاء شخص من الثقاة وأهل الرأى للمستنصر بالله ، يسمى و يلقب بأبى الحسن الصعيدى بعد وفاة المستنصر بسنة من مصر إلى آلموت ، وأحضر برفقته غلاما من أولاد نزار — كانوا يزعمون أنه مستقر أمر الامامة — ولم يكشف أبو الحسن هذا السر إلا للحسن الصباح ، وقدم سيدنا لأبى الحسن الاحترام ، وسمح له بالانصراف بعد ستة أشهر ، وجعلوا مقر الإمام بقلعة — كانت فى نهاية آلموت — وجعلوا الإمام المذكور « كدخدا » (١٠٨) حاكماً لهذه القرية .

وفى عهد محمد بن بزرگ أميد سعد برؤية الابن وهو « على ذكره السلام » وتصادف أن ولد فى هذا اليوم ولد من زوجة لمحمد ابن بزرك أميد ، ودخلت زوجة على ذكره السلام الخيمة — عندما لم يكن هناك من أحد قط بالمنزل سوى ابن محمد وحملته ، و وضعت على ذكره السلام مكان ابن محمد ، وحملت هذا الطفل خارج القلعة .

وفى رواية حول نسب حسن بن محمد بن بزرگ اميد ، يهزىء العقل منها ، وهى ان إمرأة دخلت منزل ملك ، وسرقت ابنه ، وتركت طفلاً آخر محله ، ولم يطلع أحد على هذا الأمر .

ولما كان الاسماعيلية يزعمون أن كل فعل صدر عن الإمام جائز بل حسن ، ولهذا روى جماعة منهم على سبيل الاعلان أن الإمام الذى أحضره القاضى أبو الحسن ، قد باشر زوجة محمد بزرگ اميد ، وحملت هذه المرأة « بعلى ذكره السلام » ، وعموما فان النزارية يذكرون كثيرا من المزخرفات حول نسب حسن ومذهبه ، ومنها انهم يعتبرونه قائم القيامة ، ودعوته دعوة القيامة ، ذلك لأن عقيدتهم الفاسدة هى أن القيامة تقوم حين يصل الناس إلى الله ، وترفع تكاليف الشرع ، ولما كان الناس قد وصلوا إلى الخالق فى عهد امامته ، لهذا قام على ذكره السلام برفع رسوم الشريعة ، ونعوذ بالله من الكفر والخذلان . (١٠٩)

وعندما تجاوزت فضائح وقبائح على ذكره السلام حيز الحصر ، طعنه صهره ، وكان من بقايا آل بويه ، و يتسم بالايمان والايقان — بخنجر فى قلعة لا مستر فى سنة ٥٦١ هـ (١١٠) ، وعندما أسرع على ذكره السلام إلى جهنم ، حل ابنه الفاسد محله .

حكومة محمد بن حسن بن محمد بن كيا بزرگ اميد

عندما قُتل حسن ، استقل محمد بن حسن بالحكومة (١١١) ، قتل حسن نامور وجميع أقربائه من ذكر وأنثى انتقاما لدماء أبيه ، وكان محمد هذا اطول باعا من أبيه فى اظهار

مذهب الضلالة ، وأصر على دعوة الامامة ـــ ادعاء بالحكمة والفلسفة ، بل انه ظن فى نفسه التفرد فى هذا الفن وسائر فنونه ، ورووا عنه كثيرا فى علم المعقول والمنقول والفروع والأصول ، ولما كانت هذه الكلمات لاتتناسب مع سياق التاريخ فلا داعى لايرادها ، وقد ذكروا أن الامام الفخر الرازى عليه الرحمة والرضوان وهو غنى عن التعريف أنه فى أيام دولة محمدبن حسن ، توجه إلى آذربيجان ، وعاد من هناك وأقام فى الري ، وقام بالدرس ، فقال الحاسدون : إن الإمام قبل دعوة الملاحدة ، بل انه صار داعية لهم ، ووصل هذا القول إلى مسمعه ، فاستاء جدا ، وصعد المنبر لإبراء ساحته ورفع تهمة الناس ، وانطلق فى لعن الاسماعيلية ، ووصل هذا الخبر إلى آلموت ، فأرسل محمدبن الحسن فدائيا إلى الرى ، ليقابل الإمام ، و يعرض على الامام بعض الكلمات حين تحين الفرصة ، وتوجه الفدائى إلى هذه الولاية بناء على الأمر، وسعد بشرف المثول أمام الإمام فخر الدين ، وقال له : اننى فقيه أريد أن أتعلم وأتتلمذ على يدك ، وظل سبعة أشهر فى مقام الاستفادة ، ولم يجد فرصة قط إلى أن رأى ذات يوم خادم الإمام وهو خارج من الخانقاه ، فسأله : من بمجلس الامام ؟ قال : لاأحد ، قال الفدائى ، أين أنت ذاهب ؟ أجابه : اننى سأحضر الطعام لمولانا ، قال : انتظر لحظة لأن لدى عدة مسائل معقدة وأريد أن أعرضها على مولانا ، فقبل الخادم ، دخل الفدائى حجرة الامام ، وأوصد الباب ، وسل خنجرا ، وألقى الامام على الأرض ، وجلس على صدره ، فقال الإمام : يافلان ماغرضك ؟ قال : أشق من الصرة إلى الصدر، فسأله الامام : لماذا ؟ قال الفدائى : لأنك لعنتنا على المنبر، فخاف الإمام منه ، وقال : تبت ولن أطلق لسانى بلعنكم ثانية ، وأقسم ، فقال الفدائى : طالما تخلصت من قبضتى ، فاهتم بنفسك وأول القسم ، وذكر الامام القسم ... فنهض الفدائى من فوق صدره ، وقال : لم أكن مأمورا بقتلك ولكن لم أجز التقصير والتأخير ، والآن يبلغك محمدبن حسن السلام ، و يطلب أن تزور القلعة لتصبح حاكما مطلقا ، لنصبح مخلصين فى طاعتك ، وقال أيضا : إننا نخاف مطلقا من كلام العوام ، لأننا نعتبرهم غائبين ، ويجب ألاتطلق لسانك بملامتنا لأن كلامك ينقش فى القلوب كالنقش على الحجر، قال الامام : إن ذهابى للقلعة غير ميسر ، لكن لن يصدر منى قط بعد هذا مايخالف مزاج حاكم آلموت ، وعندما وصل الكلام إلى هذا الحد ، قدم الفدائى مبلغ ثلاثمائة وستين ديناراً ذهبا ، وقال : هذا على سبيل المثال راتب لك سنويا ، وقد تقرر لك سنويا من الديوان الأعلى ، فخذ مايوازى هذا المبلغ من الرئيس أبى الفضل ، وعندما أذهب ، سيرسل مولانا لك ثوبين .

وغاب الفدائى بعد قول هذه الكلمات من لحظته ، وأخذ الإمام الذهب والخلعة ، وأخذ أيضا ماكان مقرراً له مدة أربعة أو خمسة أعوام ، وتوجه إلى سلاطين الغورغياث الدين

وشهاب الدين ، وأسرع من ناحية الغور إلى خوارزم ، وقضى فترة فى صحبة السلطان محمد خوارزمشاه ، ووصل إلى أعلى الدرجات .

وقد ذكروا أن الإمام فخر الدين الرازى رحمه الله ، كان قبل مقابلة الفدائىّ المذكور ، وفى أثناء الدرس إذا وصل إلى مسألة فيها خلاف كان يقول خلافا للملاحدة لعنهم الله ودمرهم الله وخذلهم الله ، وعندما أخذوا الإمام تحت سيطرتهم ، وأرسلوا الخلع ، كان عندما يصل إلى المسائل المخالفة ، يقول خلافاً للاسماعيلية ، ولا يضيف على هذا اللفظ كلمة أخرى .

وذات يوم قال أحد التلاميذ للامام : لماذا كان مولانا يلعن الملاحدة قبل ذلك ، والآن لا يفعل ، اجابه : لأنه لا يمكن لعن الاسماعيلية لأن لديهم البرهان القاطع !

عموما قام محمد بن حسن وكان فى التاسعة عشرة من عمره برتق أمور المملكة والسلطنة وقضى ستاً وأربعين سنة فى استقرار ، و يقول أحد شعراء الاسماعيلية فيه :

« لماذا الغم ؟ و بيننا اسم محمد بن على ذكره السلام » . (١١٢)

لقد أراق الملاحدة الدماء فى عصره ، وقطعوا الطرق ، وتطاولوا ، واستولوا على أموال المسلمين ظلما ، وكان لدى محمدبن حسن عدة أولاد ، كان أكبرهم جلال الدين ، وصل سن الرشد فى عهد أبيه ، فأنكر مذهب أسلافه ، وأعرض عن طريق آبائه وأجداده ، ولهذا السبب خافه الأب وحذر كل منهم الآخر ، وذات يوم دخل جلال الدين البلاط ، وارتدى الدرع تحت الثياب ، وأخذ جماعة من الملاحدة ــ الذين اعتقدوا فيه ــ لحمايته ، وقضى فترة على هذا الحال حتى توفى محمدبن حسن فى سنة ٦٠٧ هـ و برواية بعضهم مات مسموماً . (١١٣)

حكومة جلال الدين حسن بن محمد بن حسن

ولد سنة ٥٥٢ هـ ، وعندما سيطر على كرسى الحكم بعد والده ، سعى لإقامة واحياء قواعد الشريعة الغراء كما ينبغى ، وألغى رسوم الالحاد تماما ، ومنع قومه وشيعته عن ارتكاب الملاهى والمحرمات ، وأمرهم أن يبنوا فى كل قرى ولاية رودبار حماما ومسجدا ، ويعودوا إلى عادة إقامة صلاة الجمعة ، وأرسل الرسل إلى خليفة بغداد الناصر لدين الله والسلطان محمد خوارزمشاه وسائر ملوك العراق والأطراف الأخرى ، وأخبرهم بعقيدته الصافية وصدقه الخلفاء والسلاطين فى هذا الأمر ، وخلعوا الخلع على رسله ، وسمحوا لهم

بالانصراف معززين مكرمين ، وفتحوا أبواب المراسلات والمكاتبات ، وخاطبوه بالألقاب المناسبة للسلاطين ، وأفتى الأئمة فى هذا المجال بصحة إسلامه ، واشتهر بجلال الدين حسن «نومسلمان» . (١١٤)

وعندما أتم بناء المبانى و بقاع الخير والمساجد والمعابد التى بدأها أول حكومته ، استدعى الفقراء والعلماء والحفاظ ، ونصبهم فى الإمامة والخطابة وغير ذلك ، وقدم لهذه الجماعة أسباب الاحسان والشفقة والامتنان ، ولما كان قد وقع بين قزوين والاسماعيلية حروب ومنازعات ونهب لمدة طويلة لذا لم يقبلوا اسلام جلال الدين حسن واتباعه ، وفتحوا باب الحوار ، وطلبوا الدليل والبينة ، وسعى جلال الدين لارضائهم ، وأرسل رسالة إلى عدد من أعيان قزوين ، ليوضح لهم حقيقة هذه الدعوى ، وأرسل أهالى قزوين جماعة من العدول إلى آلموت ، وأحرق جلال الدين حسن فى حضور أكابر قزوين كتب حسن الصباح التى كانت مشتملة على أصول وفروع مذهب الاسماعيلية قزوين ، ولعن آباءه وأجداده ، و بعد هذه الأفعال حكم أئمة قزوين باسلامه .

وفى أيام دولته عزمت أمه ـــ وكانت امرأة زاهدة عابدة ، زيارة بيت الله ، وسارت خاشعة تماما ، وجعل جلال الدين على نظام سلاطين الاسلام بصحبتها الراية والسبيل ، وعندما وصلت هذه السيدة إلى دار الخلافة ، تلقاها الخليفة بالإعزاز والإكرام(١١٥) ، وأمر أن يقدموا راية جلال الدين على راية الملوك الآخرين فى طريق الحج ، وعندما وصل هذا الخبر إلى السلطان محمد خوارزمشاه ، استاء من الخليفة الناصر ، وسوف يخط القلم ماصار من خلاف بينه و بين الخليفة الناصر إن شاء الله تعالى .

توجه جلال الدين حسن « نومسلمان » إلى ناحية آران وآذربايجان

عندما سلك جلال الدين حسن مع الأتابك مظفر الدين أوزبك حاكم بلاد آذربايجان طريق المحبة والوداد(١١٦) ، بينما أثار ناصر الدين منكلى والى العراق مع الأتابك الخلاف والعناد ، تعرض لبعض ممالك جلال الدين ، فسار الأتابك وجلال الدين معاً لصد ناصر الدين ، فتوجه جلال الدين من آلموت إلى آذربايجان ، وقام الأتابك بلوازم الضيافة على مايرام ، وأنزله منازل التكريم ، وقدم لجيشه صنوف التحية والاكرام ، و بعد اظهار كل هذه الانسانية والمروءة ، قرر أن يرسل يوميا ألف دينار إلى خزانته من أجل احتياجات المطبخ ، واتفقا على أن يرسلا الرسل إلى دار السلام ، و يأخذا الإذن من الخليفة لدفع حاكم العراق ، وأرسل ناصر جماعة من الأعيان مسطور أسماؤهم فى كتب التواريخ لطلب العون ، قال لهم

ان طاعة جلال واجبة ، وعندما قوى جانب الأتابك مظفر الدين وجلال الدين بالرجال الشجعان والأبطال الميامين ، توجها إلى ملك العراق ، واصطفا لمواجهة ناصر الدين منكلى فى سنة ٦١١ هـ وقتلوه ، ومكنوا آخر من المملكة .

وعاد جلال الدين حسن بعد عام ونصف من آذربايجان إلى آلموت ، وخلال هذا السفر وطول مدة إقامته فى بلاد الإسلام أكد تبرأه من مذهب الأجداد ، واختلط المسلمون به ، وعندما انتشرت شهرة جلال الدين حسن فى العالم ، أراد أن يتصل بأمراء گيلان ، وأرسل الرسل إلى هذه الولاية ، وأطلعهم على مافى ضميره ، فأجابوه : إن الخليفة لايقبل هذا ، فأرسل جلال الدين رسلاً إلى دار السلام ، وعرض أمله ، فسمح له الناصر لدين الله ، ان يتصل بحكام العالم ، وتزوج جلال الدين أخت كيكاوس وولد علاء الدين من هذه السيدة . (١١٧)

وعندما توجه جنكيز خان من التركستان قاصداً السلطان محمد خوارزمشاه فكر جلال الدين حسن فى العواقب ، وأرسل إليه الرسل فى الخفاء ، ووالاة ، وفى سنة ٦١٨ هـ كانت بلاد الاسلام تضطرب بسبب هجوم التاتار ، حين توفى جلال الدين حسن (١١٨) ، وأجلس ابنه علاء الدين محمد على كرسى الولاية .

حكومة علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن

حل محل أبيه فى التاسعة ، وقتل جمعا غفيراً من أقربائه و بطانة جلال الدين بتهمة أنهم دسوا له السم ، ولما كانت عقيدة الاسماعيلية تقر أن أحوال الإمام واحدة سواء فى الطفولة أو الشباب والكهولة ، وكل حكم يحكم به فهو صواب وصدق ، لهذا لم يكن لأحد حق الاعتراض والانكار ، فلا جرم من أن كل ما أمر به علاء الدين سواء صواب أو خطأ كان تابعوه ينفذونه ، واهتم دائما باللهو والطرب والصيد والتنزه وتربية الخراف ، وصار تنظيم أمور المملكة معقوداً ومنوطاً بالنساء .

وعندما تنكر علاء الدين لمذهب أبيه ، سلك الاسماعيلية — الذين لم يرسخ الاسلام فى باطنهم بعد — سلوكه ، حتى اندرست فى عهد دولته رسوم الشريعة ، ومرة ثانية راج مذهب الزندقة والالحاد (١١٩) ، وهدم القواعد الجيدة — التى كان قد سنها أبوه جلال الدين حسن — واختلت أمور الملك والملة ، وأهملت أمور الدين والدنيا ، وعندما مرت خمس سنوات من حكومته ، فصد نفسه دون مشورة الطبيب ، ونزف دماً كثيرا ، ولهذا السبب أصاب رأسه

فساد كبير، وأصيب بمرض الماخوليا، ولم يستطع أى مخلوق علاجه، وازدادت العلة يوماً بعد يوم حتى وصل الأمر إلى أنه مامن شخص يعرض أى أمر من أمور المملكة وأحوال الجيش والرعية لايوافق طبعه إلا وقُتل، ولهذا السبب أخذوا يخفون عنه الأمور الظاهرة والباطنة، ولم يستطع أى ناصح أن ينصح بأى شكل أو ينبس ببنت شفة، وعندما تجاوز هذا الأمر مداه، سرى الاضطراب فى تمام مملكته وأهله وماله وعياله.

وفى عهد علاء الدين بن محمد حمل ناصر الدين ــ الذى باسمه اخلاق ناصرى، خواجه نصير الدين محمد الطوسى إلى قلعة آلموت، وظل بها حتى أيام ركن الدين خورمشاه يقول: إن علاء الدين كان مريداً للشيخ جمال الدين گيل، وكان يرسل إليه سنوياً مبلغ خمسمائة دينار ذهباً على سبيل النذر، وكان الشيخ يصرفها على طعامه، فقال أهل قزوين على سبيل لومه: انك تعطيه ملك فارس وتأكل مال الملاحدة، وصل هذا الكلام إلى سمع الشيخ، فقال الشيخ: إن الأئمة يأخذون مال هذه الجماعة غصباً، و يقدمونه حلالاً، وطالما يقدمه بارادته فهو من باب أولى حلال، وأمتن علاء الدين على أهالى قزوين فى حضرة الشيخ فقال: لولم يكن هذا الشيخ بينكم لأحضرت تراب قزوين بكم فى مخلاة إلى قلعة الموت.

وذات يوم قدم شخص رسالة الشيخ إلى علاء الدين فى أثناء سكره، فأمر أن يضربوه مائة جلده، وعاتبه، فقال: أيها الشقى الجاهل لماذا تعطينى رسالة الشيخ فى أثناء السكر؟ كان يجب أن تصبر حتى أخرج من الحمام وأتنبه.

قال فى أيام طفولة ركن الدين: ان هذا الولد ولى عهدى. وعندما وصل ركن الدين إلى سن الرشد، عظمه الاسماعيلية، وافترقوا حول أوامر أبيه وأحكامه، إلى أن استاء علاء الدين من ابنه فى شهور سنة ٦٥٣ هـ، فقال: إن ولاية العهد منوطة بابنى الآخر، فلم يعر الاسماعيلية اهتماما لهذا الكلام، لأن أصول مذهبهم تقول أن الأول أحق باعتبار النص.

وفى أثناء ذلك التهديد والوعيد تعقب علاء الدين ركن الدين، و يئس الإبن من الأب، وفكر فى أن يهرب من خدمة الأب، وتحصن فى قلعة من القلاع الحصينة، وتصادف أنه فى هذه السنة خاف الأمراء وأعيان الدولة أيضاً من علاء الدين، ولكنهم سلكوا طريق التملق والنفاق، وعندما تجمعت أسباب هلاك علاء الدين، كان حسن المازندرانى وهو رجل مسلم، تعلق علاء الدين بمحبته كثيراً على الرغم من شيبته، بل وصل الأمر إلى أن اللسان لايقدر على ذكر هذا الفحش حياء واجتمع معه بمكان فانتهز الفرصة واتفق مع ركن الدين، وذات يوم حسب الاتفاق كان علاء الدين يشرب ونام فى بيت كان مصنوعا من الخشب والغاب متصلاً باصطبل الأغنام، وفى منتصف الليل ضربوا عنقه، ولم يطلع على السر آخر، وكان ذلك فى شوال سنة ٦٥٣ هـ. (١٢٠)

سلطنة ركن الدين خورشاه بن علاء الدين محمد الملحد

عندما جلس ركن الدين خورشاه محل أبيه ، لم يبحث عن دم أبيه ، لكنه قتل حسن المازندراني وأبناءه[١٢١] ، وكانت أمه كلما استاءت منه اتهمته بقتل الأب ، وأرسل ركن الدين — على خلاف علاء الدين — الرسل إلى گيلان ، ووضع أسس المحبة مع حكام هذه المملكة وأرسل رسولاً لبقاً إلى حاكم همدان ميسيور نو يين ، وسلمه رسالة من أنه عندما وصلت إلىّ الحكومة ، لن أسلك إلا طريق الطاعة والولاء ، وسأمحو غبار العناد والمخالفة عن وجه الزمان ، فرد عليه ميسيور نو يين : إن وصول هولاكو وشيك ، وصالح خورشاه فى أن يلجأ بنفسه إلى بلاطه ، وبعد توافد الرسل اتفق على أن يرسل ركن الدين خورشاه أخاه شهنشاه فى صحبة ميسيور نو يين لملازمة هولاكو ، ووفى بالوعد .

وعندما أرسل شهنشاه إلى ميسيورنو يين ، أرسله ميسيورنو يين مع أخيه إلى البلاط ، وفى العاشر من جمادى الأول سنة ٥٦٤ هـ قاد ميسيور الجيوش المغولية وغيرها إلى ديار آلموت ، واجتمع جنود وفدائيو ركن الدين على قمة جبل قريب من آلموت ، ووصل جيش المغول إليها ، وعزم الصعود إلى هذه القمة ، ووقع بين الفريقين قتال عظيم ، ولما كان الجبل محاطا ، قُتل الكثير من الرجال الشجعان للأعداء ، وأحرقوا غلاة الاسماعيلية ، وقاموا بتخريب الولاية .

وخلال هذه الأحوال وبعد وصول شهنشاه ، أرسل هولاكوخان الرسل إلى ألموت ، وأبلغه بأمر ملكى مضمونه : طالما ان ركن الدين قد أرسل أخاه ، وأبدى ولاء وطاعة ، فاننا نتسامح عن جرائم أبيه وأتباعه ، ولم يظهر من ركن الدين نفسه خلال الأيام التى حل فيها محل والده — جرم ، فيجب ان نترك له قلاعة التى خربتها ، وكان قد كتب رسالة إلى ميسيور أيضاً لكى يكف يد التخريب عن ولاية رودبار ، وعندما وصلت هذه الأخبار والأحكام إلى مسامع ركن الدين ومسيورنو يين ، قام ركن الدين بهدم بعض حصون القلاع ، وأجلى ميسيور الجيش عن رودبار ، وتوجه صدر الدين زنگى بموجب أمر ركن الدين مع أحد رسل السلطان إلى المعسكر ، وعرضوا على هولاكو : أن خورشاه قد خرب عدة قلاع ، وقد توقف الرسل فى ولاية رودبار بسبب تخريب باقى القلاع ، ونظرا لخوف خورشاه من مهابة الخان فقد طلب مهلة من انه سيذهب لخدمته بعد سنة أخرى ، وسمع هولاكو لصدر الدين وسفارته بالعودة ، وجعل بصحبتهم (باسقاقى) ، وأرسل معه رسالة من انه لو أراد ركن الدين اطاعتنا فعليه أن يسرع إلى معسكرنا وان يقوم الشخص الفلانى الذى أرسله و يدعى باسقاقى بحماية مملكته .

وأصيب ركن الدين لسوء حظه بالتلعثم والتخبط ، فأرسل إلى الخان وزيره شمس الدين كيلكى وابن عمه سيف الدين سلطان ملك بن كيا منصور على سفارة ، وتعذر بأعذار غير مقبولة ، وتوجه نوابه من كرد كوه وقهستان إلى المعسكر الظافر ، وأبدوا الولاء والطاعة .

وعندما وصلت رايات هولاكو إلى دماوند، أرسل شمس الدين كيلكى إلى كرد كوه ، ليحضر معه حاكم القلعة ، وعين آخر من رفاق الوزير على قهستان بمثل هذا الأمر ، وأرسل سيف الدين سلطان ملك مع عدد من الرسل إلى ميمون دژ ليقول لركن الدين أن ملك الدنيا قد نزل فى دماوند فلا مجال للتوقف أبدا ، وإذا تأخر عدة أيام فى المثول فليرسل ابنه قبله رهينة ، ووصلوا فى أوائل رمضان فى سفح القلعة ، وأخبروه بوصول رايات فاتح العالم إلى هذه النواحى ، فأصيب ركن الدين وقومه بالحيرة ، واستولى عليهم الرعب والخوف ، ورد على الرسل بنصيحة أهل المشورة ، اننى سأرسل ابنى ، و بقول قصار النظر انه كان قد ولد له ابن آخر من خادمة فى قصر ابيه ، يعادل ابنه فى نفس السن ، فسار الابن بصحبة الرسل إلى هولاكو، والتمس ان يرسل شهنشاه أخاه الذى كان فى المعسكر .

وعندما وصلت الراية الظافرة للملك القوى إلى حدود ولاية رودبار، ظهر الرعب على ركن الدين ، و بعد يومين أرسل الإبن الكاذب إلى ركن الدين ، وقال له : إن هذا الولد لا يليق لخدمة الملك ، فلو أرسلت أخاه الآخر ليلازم شهنشاه فترة ، فلربما يوافق على التماسه بالانصراف .

وفى تلك الأثناء وصل شمس الدين وزير تاج الدين مردانشاه حاكم قلعة كردكوه إلى المعسكر الظافر ، وسمح الملك لشهنشاه بالعودة فى التاسع من شوال من السنة المذكورة وأمره ان يقول لأخيه : انك خربت ميمون دژ فأسرع إلى الملك ، وان لم تأت يعلم الله مايحدث .

وخلال هذه الأحوال عاد القواد — الذين كانوا قد توجهوا إلى نواحى الممالك — لجمع الجيوش ، عادوا بجيش يملأ السهل والجبل ، والتحقوا بمعسكر الخان ، ونزل الملك فى السابع عشر من شوال بظاهر ميمون دژ ، وقام بالحصار ، وفى الخامس والعشرين من الشهر المذكور وقعت الحرب ، واضطرب ركن الدين ، وفى اليوم التالى أرسل ابنه ، وهو ابنه الوحيد ، مع أخيه ايرانشاه لخدمة الملك ، وتضرعوا ، وفى التاسع والعشرين من شوال خرج ركن الدين مع خواجه نصير الدين الطوسى وجماعة من الأكابر والأعيان من القلعة ، وقدم أموالاً كثيرة ، فوهب الملك أكثرها للجنود .

ومسطور فى بعض الكتب انه قبل خروج ركن الدين من القلعة أرسل خواجه نصير برسالة إلى هولاكو، فقال له خواجه نصير : إن الملك لا يهاب حصانة ومتانة قلاع الملاحدة

كما أن علامات النجوم وأوضاع الفلك تخبر أن دولة الاسماعيلية قد وصلت إلى نهايتها ، وأفلت شمس سلطتهم ، واحتجز الملك خواجه فى معسكره ، وجدّ فى استئصالهم ، ولم تمتد أيام حكومة ركن الدين أكثر من عام . (١٢٢)

انقراض حكومة ركن الدين خورشاه بن علاء الدين وتخريب القلاع

عندما خرج ركن الدين من ميمون دز ، وطلّق عروس المملكة بالثلاثة ، وانزوى فى ركن من معسكر هولاكو ، جعلوا جماعة من قوم التاتار للحفاظ عليه ، وأرسل الملك رجال ركن الدين بصحبة الرسل إلى قلاع ولاية رودبار ، ليقوموا بهدم المبانى الحصينة ، وفى فترة وجيزة ، سووا قلعة چهلوند — وكانت مملوءة بالذخائر ومعروفة بالمتانة — بالأرض ، ولكن سكان ألموت ولامستر وعدة قلاع أخرى تعللوا فى إطاعة الأمر ، والتمسوا أنه عندما يقترب موكب الملك سيعملون بأمره ، وتحرك هولاكو خلال ثلاثة أيام ، ونزل بظاهر ألموت ، وأرسل ركن الدين إلى سفح القلعة ليتوعد سكانها ، ودعا هذه الجماعة للطاعة ، ونفذ ركن الدين مضمون الأمر ، وتمرد كوتوال القلعة ، وترك الملك جماعة لمحاصرة ألموت ، وتوجه إلى لامستر ، وأطاعه أهالى هذه القلعة ، وخاف أهالى ألموت من عقاب الملك ، وأدركوا أن الخلاص فى اطاعته ، فأرسلوا الرسل إلى ركن الدين ، والتمسوا أن يتشفع لذنوبهم عند الملك ، ونالوا صك الأمان بعد تذللهم ، والتحق حاكم القلعة بالمعسكر ، وأمهلوا سكان هذا المكان ثلاثة أيام ، لينقلوا أمتعتهم وأقمشتهم ، وقبلوا هذا .

وفى اليوم الرابع صعد الجيش ، ونهبوا كل ما بقى فى القلعة ، وآلموت جبل يشبهونه برقبة جمل ، تصل حصانتها إلى درجة انه حين تخريبها ، كان الفرسان يضربونها كأنها بروج مشيدة ، وقد حفروا فى احجارها عدة أحواض من العسل والشراب و بعد تسخير القلعة غاص الجنود فى الخمر والعسل ، وكانت أكثر ذخائر القلعة التى كانت معدة من عهد حسن الصباح كانت لاتزال بحالتها ، ولم تصب بتلف ، وقد حملوا هذا المعنى على كراماته .

عموماً فرق السلطان جيش ركن الدين ، وتوجه فى سنة ٦٥٤ هـ ظافرا إلى (أزدغ) الذى كان قد تركه فى نواحى همدان — ولازم ركن الدين الركب الظافر ، وعطف عليه السلطان وأكرمه ، وأرسل ركن الدين عدة أشخاص من خواصه بصحبة رسل السلطان إلى القلاع التى كانت فى نواحى ولاية الشام ليسلموها لولاة الخان .

وفى أثناء ذلك تعلقت إحدى بنات أزدال بحب ركن الدين ، فقدم المملكة مهراً للعروس وعلم الملك بهذا الأمر ، فأمر أن يزوجوه هذه الفتاة ، وعندما تزوج التمس أن يرسل لخدمة منكوقاآن ، وتعجب الملك كثيراً من التماس ركن الدين ، ولكن عندما وجد أن هذا الالتماس يوافق مزاج شهريار ، حقق رغبته ، وأرسل طائفة من المغول لحراسته ، وقبل ركن الدين هذا من هولاكو ، وعندما وصل إلى كردكوه ، هاجموا سكان هذا المكان ـــ الذين كانت فيهم روح العناد ، ونهبوهم .

وفى غرة ربيع الأول سنة ٦٥٥هـ خرج من معسكر الفاتح ، وسار فى طريقه ، وعندما وصل سفح القلعة المذكورة ، أمر أهالى القلعة بالنزول ، وأرسل الخبر سراً ، ليحموه ولا يدعوا باب القلعة أبداً ، وعندما سار ركن الدولة من سفح القلعة ، وقطع المسافات والمراحل ، عبر النهر ، ولذكائه أبدى خصومة وعداء مع جماعة من ولاة الملك فاتح العالم ـــ الذين كان قد أرسلهم معه إلى خدمة منكوقاآن ـــ وصل إلى درجة أن تشابكوا بالأيدى (إذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه) .

على كل حال وصل ركن الدين إلى قراقوم ، وأبلغه رسول منكوقاآن برسالة يقول فيها : طالما تدّعى طاعتنا ، لماذا لاتسلمنا بعض القلاع مثل كردكوه وغيرها ؟ والآن يجب أن تعود وبعد أن تخربها ، تعال إلى المعسكر الظافر ، لتسعد بشرف ولائنا ، وأعاد هذا المخذول ، وعندما أبلغوه شاطىء جيحون ، و بسبب ما كان يواجه رسله من جوع ، انزلوه ، وأعمدوا فيه السيف البتار وقتلوه . (١٢٣)

أحوال أبناء وأتباع ومن ينتسب إلى خورشاه بعد توجهه إلى التركستان وخدمة ملك العالم منكوقاآن

لما كان فرمان منكوقاآن هو أن يجدوا فى القضاء على الاسماعيلية ، ولا يدعوا أولادهم الذين فى حوزتهم أحياء ، لذا أصدر هولاكو بعد غيبة ركن الدين خورشاه أمرا ؛ بأن ينفذوا الأمر فى جميع حشمه وخدمه ـــ الذين كانوا قد سلموهم إلى وكلاء أشداء ـــ بالمئات والألوف ، وأرسل أحد ثقاته إلى قزوين ليرمى أولاد و بنات وأخوة وأخوات وجميع أهل وقوم وعشيرة ركن الدين ـــ الذين كانوا فى هذا المعكسر ـــ فى نار الفناء ، وقتل شخصين من هذه الجماعة كان قد سلمها إلى بلغا نخواتون ـــ اقتصاصا منها لقتل أبيه جغتاى ـــ الذى قتله الفدائيون ، وانقطع نسل كيا بزرگ اميد ، ولم يبق أحد منهم على وجه الأرض .

وصـدر أيضاً أمر لقائد جيش خراسان ـ الذي كان مسئولا عن ضبط وربط قهستان ـ حتى لا يبقى على أحد من ملاحدة هذه البلاد ـ وأخرج المشار إليه الاسماعيلية من الولاية ، وأعـمـد الـقـتـل فيهـم ، حـتـى قـضى على اثنى عشر ألف من هؤلاء الأخساء على ثرى الذلة والهـوان ، وأرسل الـعـيـون إلى أطـراف الـمـمـلكة وكلما وجدوا أحد الرفاق ، ووقفوا على سره أطاحـوا بـرأسـه ، وبهـذه الوسيلة أمنت الطرق ، وبدأ الذاهبون والآيبون يسيرون بلا خوف ، وانـطـلـقـت ألـسـنة بقية أهل الاسلام ـ الذين ظلوا آمنين من سيف التاتار الكفار ـ بشكر نعمه البارىء سبحانه وتعالى والدعاء لهولاكو.

وبعد أن انتهى هولاكو من أمر الاسماعيلية وبسعى خواجه نصير الطوسى عزم التوجه إلى دار السلام بغداد طبقا لما سيتم شرحه فى الكتاب الخامس آملا العون الالهى ومساعدة الزمان ويمـن حـضـرة حـاكـم الـمـملكة الذى يقصده الكاتب لكى يتم كتاب روضة الصفا ، وأطلب العذر عما يكون خفيا على عقل الأمير المستنير. (١٢٤)

حاشية الفاطمين والاسماعيلين والملاحدة

(١) هناك اختلاف فى اسم المهدى ونسبه فقيل انه سعيد بن محمد (وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٢٧٢) وهو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح (الخطط المقريزية ٢/٥/١٥٠) وهو عبيد الله المهدى أو عبد الله المهدى (عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبرى ١١/٥١ — ٥٢) وهو محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقيل عبيد الله بن أحمد بن اسماعيل الثانى محمد بن اسماعيل بن جعفر (ابن الاثير ٦/١٢٣ وابن كثير ١١/١٦١) و يرى أهل السنة الجماعة المغاربة المهدى من نسل عبد الله سالم البصرى والعراقيون يعتبرونه من نسل عبد الله بن ميمون القداح داعى اسماعيل بن جعفر الصادق تاريخ گزيده ٤٥٦ — ٤٥٨) انظر أيضاً الفرق بين الفرق للبغدادى ٢٧٣ ، وجامع الحكمتين لناصر خسر وتارجة د . ابراهيم شتا ٢٤ ، وأصول الاسماعيلية برنارد لويس ٨٠ ، وزهر المعانى للداعى ادريس ٦٤ ، وكتابنا حركات الغلو والتطرف فى الاسلام .

(٢) أقصر محمد خاوندشاه أمر الاسماعيلية على الفاطمية فى المغرب ومصر وامتدادها فى ملاحدة ايران .

(٣) أبو عبد الله الشيعى (صلة تاريخ الطبرى العريب ١١ / ٥٢ ، البغدادى ٢٧٣ ، ابن كثير ١١/٥٢ ، ابن كثير ١١/١٦١ — ابن الاثير ٦/ ١٢٣ .

(٤) انظر تاريخ گزيده لحمد الله المستوفى القزوينى ٤٥٨ .

(٥) أهل زناته وتاهرت وكتامه (الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ٥٨) .

(٦) انظر : ابن الاثير — أحداث ٢٩٦ هـ ٦/١٢٤ — ١٣٥ .

(٧) انظر ابن الاثير فى كامله ٦/١٤٧ .

(١) مات سنة ٤٢٢ هـ (ابن الاثير ٦/٢٣٨ — تاريخ گزيده ٤٦٠ ، ابن كثير ٢١/١٧٩ تاريخ الدولة الفاطمية ٧٨) .

(٩) أهل جرجنت وهى من بلاد صقليه (ابن الاثير ٦/٢٦) .

(١٠) أبويزيد مخلد كيدان من قبيلة زناته فى مدينة توزر (تاريخ الدولة الفاطمية ٩١) أبويزيد كنداد (ابن الاثير ٦/٣٠٢ — ابن كثير ١١/٢١٠)

(١١) أطلق عليه أتباع القائم الدجال (تاريخ گزيده ٤٦٠).

(١٢) مات سنة ٣٣٤ هـ (تاريخ گزيده ٤٦٠ — ابن الأثير ٦/٣١٧ توفي سنة ٣٣٣ هـ (ابن كثير ١١/٢١٠).

(١٣) كان أبويزيد يدبا لقرب منه على سوسه (ابن الأثير ٦/٣١٧)

(١٤) كان أبويزيد من جارية هوارية من بلاد السودان التي كان والده يتاجر إليها ولهذا فرأى السودان عند أحواله (ابن الأثير ٦/٣٠٣).

(١٥) ظل حبيساً عنده حتى المحرم من سنة ٣٣٦ هـ فمات من الجراح التي به فأمر بادخاله في قفص عمل له معه قردين يلعبان به (ابن الأثير ٦/٣١١ — تاريخ الدولة الفاطمية ٩٢).

(١٦) سنة ٣٣٦ هـ (ابن الأثير ٦/٣٢٧).

(١٧) مات سنة ٣٤١ في المهدية (حمد الله المستوفي ٤٦٢).

(١٨) انظر: ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ٤/٤٧.

(١٩) انظر: ابن الأثير ٦/٣٠٤ — ابن كثير ١١/٢٣٣.

(٢٠) سنة ٣٥١ هـ، ٣٥٣ هـ (انظر ابن الأثير ٧/١١ — ١٢).

(٢١) كان أبو المسك كافور عبد الحميد بن طغج الأخشيد من رؤساء الأجناد، فلما آلت ولاية مصر إلى الأخشيد، ترقى كافور في بلاطه، ولما مات الأخشيد كان ابنه انوجور صغيرا، فآلت الوصاية لكافور الذي استبد بالسلطة في مصر وما يليها من البلاد زهاء احدى وعشرين سنة، وظل ابن الأخشيد مسلوب السلطة حتى مات سنة ٣٤٩ هـ وتولى أبو الحسن أحمد بن الأخشيد، فظل كافور مسيطراً على شئون الدولة حتى مات ابن الاخشيد الثاني سنة ٣٥٥ هـ ثم تقلد كافور الحكم، ونودى به والياً من قبل الخليفة العباسي وظل كافور حتى سنة ٣٥٧ هـ حيث مات (انظر: ابن خلكان ١/٤٧٥ النجوم الزاهرة: لأبي المحاسن ٤/٢ — الخطط المقريزية ١/٣٢٧ — المغرب في حلي المغرب ٤٨ — ابن كثير ١١/٢٦٦)

(٢٢) استولى جوهر الصقلي على الاسكندرية أولا ثم توجه إلى وسط البلاد (المعز لدين الله الفاطمي: حسن ابراهيم وطه أحمد شرف ص ٨٤)

(٢٣) بدأ في بنائها سنة ٣٦٢ هـ (حمد الله المستوفي ٤٦٤).

(٢٤) ربما يقصد بلاد الصعيد ودمياط.

(٢٥) انظر: ابن الأثير ٧/٤٧ — ابن خلكان ١/١٢٥ — ابن كثير ١١/٢٧٢ الخطط المقريزية ١/٣٥٣.

(٢٦) انظر: ابن الأثير ٧/٦٩ — ٧١.

(٢٧) اعتمد خاوندشاه على رواية ابن الأثير (الكامل ٧/٧١ — ٧٤).

(٢٨) أبو منصور نزار بن معز بن منصور بن قائم بن مهدي (تاريخ گزيده ٤٦٤).

(٢٩) يرد في المصادر العربية الفتكين (تاريخ الدولة الفاطمية ١٥٧).

(٣٠) انظر: تاريخ گزيده ٤٦٤ وقد أوردها ابن الأثير مرتين ٧/١٤٦، ٧/١٧٦.

(٣١) أنظر: ابن الأثير ٧/١٧٦ — حمد الله المستوفي ٤٦٤ — ابن كثير ١٦/٣٢٠.

(٣٢) وردت في روضة الصفا ٣٥٠ هـ (ص ٥٧) وصوابها ٣٧٥ هـ (ابن الأثير ٧/١٧٧ — تاريخ الدولة الفاطمية ١٦٤).

(٣٣) وردت بالمخطوط ٣٧٨ هـ وهو خطأ (الروضة ٥٨).

(٣٤) انظر: ابن الأثير ٧/٢٠٤ — ابن كثير ١٢/٩.

(٣٥) انظر: ابن الأثير ٧/٣٠٥ — النجوم الزاهرة ٤/١٨٦ — الخطط المقريزية ١/٢٨٧ — حمد الله المستوفي ٤٦٨ — ابن كثير ١٢/٩.

(٣٦) انظر: ابن الاثير ٧/ ٣٠٥ – النجوم الزاهرة ٤/ ١٨٧ الخطط المقريزية ١/ ٢٨٧ – حمدالله المستوفى ٤٧٠ – ابن كثير ١٢/ ١٠٩ تاريخ الدولة الفاطمية ١٦٧ .

(٣٧) سنة ٤١١ هـ (تاريخ گزيده ٤٧٠).

(٣٨) الظاهر لاعزاز دين الله (ابن خلكان ٣/ ٣٩٧) .

(٣٩) ابن داوس (تاريخ گزيده ٤٧٠).

(٤٠) انظر: ابن الاثير ٨/ ١٠ – ١١ ، ابن خلكان ١/ ٣٦٧ – حمد الله المستوفى ٤٧٠ – ابن كثير ١٢/ ٣٩ .

(٤١) انظر: تاريخ گزيده ٤٧٢ .

(٤٢) و يدعى المعز (ابن الاثير ٨/ ٣٩) .

(٤٣) عشرة آلاف نفس (تاريخ مصر لابن ميسر – ١٣ وما بعدها) .

(٤٤) انظر: تاريخ گزيده ٤٧٢ .

(٤٥) توفى سنة ٤٨٧ هـ (ابن الاثير ٨/ ١٧٢ – حمد الله المستوفى ٤٧٤ ابن كثير ١٢/ ١٤٨ .

(٤٦) انظر: الكامل فى التاريخ ٨/ ١٧٣ – تاريخ گزيده ٤٧٤ البداية والنهاية ١٢/ ١٤٨ .

(٤٧) توفى ٤٩٥ هـ (ابن الاثير ٧/ ٤٩٥) وقيل مات بعد تسع سنين ابن كثير ١٢/ ١٦٢) .

(٤٨) الأفضل بن بدر الجمالى ، وقد أرسل ابنه شمس المعالى (ابن الاثير ٨/ ٢٢٨) .

(٤٩) سنة ٤٩٨ هـ (انظر: ابن الاثير ٧/ ٢٢٩ – ابن كثير ١٢/ ١٦٤ .

(٥٠) كان أمير الجيوش الأفضل قد نفى أحد الباطنية ، واسمه البديع إلا أن البديع هذا عاد إلى مصر والتف حوله الأنصار ، فاقترح نفيه إلى اليمن حيث يسودها مذهب البديعية بزعامة الحرة بنت الصليحى ، وأراد عشرة من أتباع هذا المذهب اللحاق به ، وانضم آخرون ، وعلم أمير الجيوش بذلك فقتل عشرين منهم ، فغضب الآخرون وصمموا على اغتياله سنة ٥١٥ هـ (انظر ابن الاثير ٨/ ٣٠٨ – تاريخ مصر لابن ميسر ٢٥٧ – وفيات الأعيان ١/ ٤٦٦ – ابن كثير ١٢/ ١٤٠) .

(٥١) الميمون عبد المجيد بن أبى القاسم المستنصر بالله (ابن الأثير ٨/ ٢٣٢ وذكره حمد الله المستوفى أبوميمون بن عبد الحميد بن المستنصر (تاريخ گزيده ٤٧٨) أبوميمون عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم بن المستنصر (ابن كثير ١٢/ ٢٠١) .

(٥٢) قتل بسبب استبداده بالأمر وتغلبه على الحافظ وحجره عليه (ابن الاثير ٨/ ٣٣٢ – ابن كثير ١٢/ ٢٠١) وقد أسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الصادق من الخطبة (ابن ميسر تاريخ مصر ٧٥) .

(٥٣) بهرام الأرمنى وهو نصرانى (ابن ميسر تاريخ مصر ٧٥) .

(٥٤) انظر: تاريخ گزيده ٤٧٨ .

(٥٥) قرية قليوب (ابن الاثير ٩/ ٤٣) .

(٥٦) ذكر ابن الاثير أن مدبر هذا الأمر هو أسامه بن منقذ الكنانى (الكامل ٩/ ٤٣) .

(٥٧) قتله عباس بن تميم وزيره سنة ٥٤٩ هـ (تاريخ گزيده ٤٧٨) .

(٥٨) ذكر حمد الله المستوفى انه مات بالصرع سنة ٥٥٢ هـ (تاريخ گزيده ٤٨٠) و يبدو أن محمد خاوند شاه يعتمد على أخبار ابن الأثير فقد أورد نفس مقالة ابن الأثير (الكامل فى التاريخ ٩/ ٦٨) .

(٥٩) ذكرها حمد الله المستوفى القزوينى ٥٥٤ هـ (تاريخ گزيده ٤٨٠) .

(٦٠) وردفى روضة الصفا ٥٠٤ هـ (انظر الروضة ص ٦٠) .

(٦١) تولى الوزارة سنة ٥٦٤ هـ بعد قتل شاور (ابن الاثير ٩/ ١٠٠) .

(٦٢) شابور فى المصادر الفارسية وشاور فى المصادر العربية .

(٦٣) اسقط ذكر الفاطميين في المحرم ٥٦٧ هـ (ابن الأثير ٩/١١١ ـ ابن كثير ١٢/٢٦٤) وذكره حمد الله المستوفي المحرم ٥٥٦ هـ أو ٥٦٥ هـ (تاريخ گزيده ٤٨٢).

(٦٤) يعرف هذا الأعجمي بالأمير العالم (ابن الأثير ٩/١١١).

(٦٥) مات سنة ٥٦٧ هـ (ابن الأثير ٩/١١٢، ٥٦٥ هـ (حمد الله المستوفي ٤٨٢).

(٦٦) نظام الملك: هو الحسن بن علي بن اسحاق وزير السلطان ألب ارسلان وولده ملكشاه السلجوقي، ولد بطوس ٤٠٨ هـ، وكان أبوه من أصحاب محمود الغزنوي، وكان من الدهاقين، قرأ نظام الملك القرآن في سن الحادية عشر، وقرأ الفقه والحديث واللغة والنحو وترقى حتى وصل إلى منصب الوزارة لمدة تسع وعشرين سنة بني المدارس النظامية في بغداد ونيسابور وطوس وأماكن أخرى وقتل على يد أتباع صديقه الحسن بن الصباح سنة ٤٨٥ هـ (انظر ابن الأثير ٨/١٩١ ــ ابن كثير ١٢/١٤٠).

(٦٨) وردت هذه القصة في كتاب الوصية لنظام الملك (انظر: الحشاشون في تاريخ العرب والاسلام لعمر أبو النصر ص ٥.

(٦٩) هو حسن بن علي بن محمد بن جعفر بن حسين بن محمد الصباح من نسل يوسف الحميري ملك اليمن (تاريخ گزيده ٤٨٦).

(٧٠) التومان: عملة مازالت مستعملة حتى الآن في إيران وهي تعادل عشرة ريالات حاليا.

(٧١) انظر: ترجمة القصة في عمر الخيام لأحمد حامد الصراف الطبعة الثانية ١٩٤٩ ص ٣١ ــ ٣٢.

(٧٢) يخالف حمد الله المستوفي هذا قائلاً: كان حاجباً للسلطان ألب ارسلان (تاريخ گزيده ٤٨٦).

(٧٣) قاورت بگ (ابن الاثير ٨/١١٤).

(٧٤) كان هذا سنة ٤٦٥ هـ.

(٧٥) أورد حمد الله المستوفي انه في سنة ٤٦٤ هـ ابتعد عن الب ارسلان وتوجه إلى الري ثم توجه إلى الشام سنة ٤٧١ هـ (تاريخ گزيده ٤٨٨).

(٧٦) هذا الحديث موجه لأبي الفضل اللنباني (انظر تاريخ گزيده ٤٨٨).

(٧٧) كانت تسمى اله موت يعني عش العقاب وهي بحساب الجُمّل ٤٨٣ هـ وهي سنه صعود الحسن بن الصباح إلى القلعة (تاريخ گزيده ٤٩٠، واله موت معناها بلسان الديلم تعليم العقاب (ابن الأثير ٨/٤٩٢).

(٧٨) هو تعبير عن اعتقاده في النكاح الروحي أو الأبوة الروحانية فالمرء ينسب إلى معلمه لا إلى أبيه الذي ولده جسدا (انظر: أصول الاسماعيلية برنارد لويس ١٢٩).

(٧٩) ذكر حمد الله المستوفي انه كان في أول أمره شيعيا اثنى عشريا (تاريخ گزيده ٤٨٦).

(٨٠) الرفاق هم الدرجة الرابعة، أول السلسلة شيخ الجبل ثم كبار الدعاة ثم الدعاة ثم الرفاق وهم طبقة تفقهت في أصول المذهب يقومون بتثقيف الدعاة واعدادهم لمهمتهم و يتفانون في المحافظة على المذهب، متسلحين بأسلحة العلم من فقه ومنطق وفلسفة (تاريخ الدولة الفاطمية ٣٦٩).

(٨١) أحمد بن عطاش (ابن الاثير ٨/٢٠١).

(٨٢) لقد خاطب الحسن بن الصباح المستنصر في اقامة الدعوة له ببلاد العجم فعاد ودعا الناس إليه سراً ثم أظهرها (ابن الاثير ٨/١٧٢).

(٨٣) سأل الحسن بن الصباح المستنصر من امامي بعدك ؟ فقال: ابني نزار (ابن الاثير ٨/١٧٣).

(٨٤) انظر: تاريخ گزيده ٤٩٠.

(٨٥) انظر المصدر السابق ٤٩٠.

(٨٦) انظر المصدر السابق ٤٩٠ ــ ٤٩١.

(٨٧) التون تاش لكنه مات فأرسل ارسلان تاش (تاريخ گزيده ٤٩٠).

(٨٨) كلسارغ (ابن الاثير ٨/٢٠٢).

(٨٩) قتل نظام الملك ومات السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥ هـ (ابن الاثير ٨/١٦٣).

(٩٠) قتله صبي ديلمي من الباطنية في نهاوند (ابن الاثير ٨/١٦١) قتله فدائي ملحد (تاريخ گزيده ٤٩٢).

(٩١) كوتوال القلعة: حاكم القلعة.

(٩٢) انظر: تاريخ گزيده ٤٩٢.

(٩٣) انظر: المصدر السابق ٤٩٢.

(٩٤) انظر: ابن الاثير ٨/٢٧٩.

(٩٥) امرأة (تاريخ گزيده ٢٩٤).

(٩٦) مات سنة ٥١٩ هـ (ابن الاثير ٨/٣١٧) مات في ليلة الأربعاء السادس من ربيع الآخر سنة ٥١٨ (حمد الله المستوفي ٤٩٦).

(٩٧) في هذه السنة قتل الباطنية معين الدين أبا نصر أحمد بن الفضل وزير سنجر فقاتلهم وقتل من أهالي آلموت ما يزيد عن عشرين آلاف (ابن الاثير ٨/٣٢٥).

(٩٨) أبو سعد الهروي — أحمد بن نصر من مشاهير الفقهاء، وقتله الباطنية بهمذان سنة ٥١٩ هـ (ابن كثير ١٢/١٩٥).

(٩٩) قتل سنة ٥٢٤ هـ (ابن كثير ١٢/٢٠٠).

(١٠٠) قتل سنة ٥٢٩ هـ (ابن كثير ١٢/٢٠٧).

(١٠١) مات في ٢٦ من جمادى الآخرة سنة ٥٣٢ هـ (تاريخ گزيده ٤٩٨).

(١٠٢) كان الراشد مريضا وبرىء من مرضه، وقتله خدمه من الخراسانيين وهو يريد القيلولة (ابن الاثير ٨/٣٦٢).

(١٠٣) حكم أربعاً وعشرين سنة وثمان شهور وأسبوع (حمد الله المستوفي ٤٩٨).

(١٠٤) مات سنة ٥٥٧ هـ (تاريخ گزيده ٤٩٨).

(١٠٥) السابع عشر من رمضان سنة ٥٥٩ هـ (تاريخ گزيده ٥٠٠).

(١٠٦) «برداشت غلى شرع بتأييد ايزدى مخدوم روزگار على ذكره السلام»

(١٠٧) لقب الحسن بن الصباح.

(١٠٨) رئيس.

(١٠٩) انظر: تاريخ گزيده ٤٩٨ — ٥٠٢.

(١١٠) السادس من ربيع الأول سنة ٥٦١ هـ (تاريخ گزيده ٥٠٤).

(١١١) خداوند محمد بن حسن بن محمد بن بزرگ اميد (تاريخ گزيده ٥٠٤).

(١١٢) غم از كجا وجود بماندچه ما بريم ونام محمد بن على ذكره السلام»

(روضة الصفا ٦٨)

(١١٣) في العاشر من ربيع الأول سنة ٦٠٧ هـ (تاريخ گزيده ٥٠٤).

(١١٤) المسلم الجديد.

(١١٥) انظر: ابن الأثير ٩/٣٠٦.

(١١٦) انظر: تاريخ گزيده ٥٠٨.

(١١٧) انظر: ابن الاثير ٩/٣٠٨.

(١١٨) مات منتصف رمضان سنة ٦١٨ هـ بالاسهال ، وقال جماعة ان النساء واحته سموه (تاريخ گزيده ٥٠٨).

(١١٩) لُقب بالملحد (تاريخ گزيده ٥٠٨).

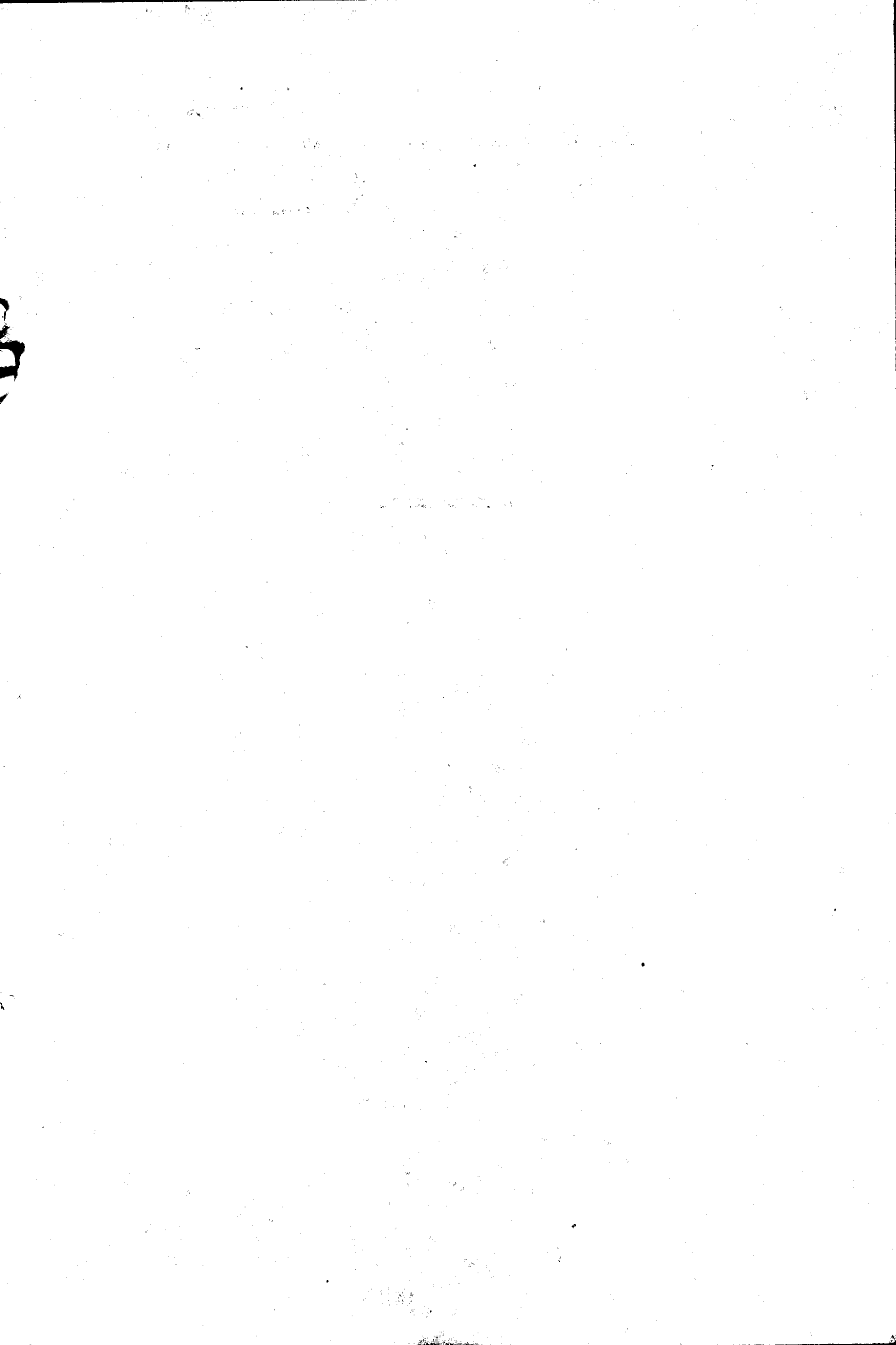
(١٢٠) انظر: تاريخ گزيده ٥١٠.

(١٢١) انظر المصدر السابق ٥١٢.

(١٢٢) انظر: ابن كثير ١٣/ ٢٠١ — ٢٠٢.

(١٢٣) انظر: تاريخ گزيده ٥١٢ — ٥١٤.

(١٢٤) يقصد مير علي شيرنوائي.



الفهرس

رقم الايداع
٢٨٠٧ / ٨٨

طبعت بالمطبعة الفنية ت : ٩١١٨٦٢